JUDAISM AND ISLAM

أبراهام غايغر

اليهوديّة والإسلام

ترجمه عن الإنكليزية والألمانية والعبرية

وحققه وقدّم له: نبيل فياض



اليهوديّة والإسلام

Judaism and Islam

أبراهام غايغر

ترجمه وحققه وقدّم له: نبيل فياض

الطبعة الأولى: بيروت ـ لبنان، 2018

First Edition: Beirut _ Lebanon, 2018

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق



لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي شارع حسن باشا الجديد

تلفون: 07714440520 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com — dar alrafidain

info@daralrafidain.com — Dar.alrafidain

www.daralrafidain.com — @daralrafidain_l دار الرافدين

تنويه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 415 - 2

اليهوديّة والإسلام

أبراهام غايغر

اليهوديّة والإسلام

ترجمه عن الإنكليزية والألمانية والعبرية

وحققه وقدّم له:

نبيل فياض



www.daralrafidain.com

الفهرس

الإهداء:

إلى سهام باز ـ خضور: عين الحياة التي تقاوم مخرز الموت...

مدخل: بقلم نبيل فيّاض

غايغر: بين اليهوديّة والإسلام!

مما لا شكّ فيه أن الباحث الألماني هانس يواكيم شويبس (Hans J. Schöps 1909 ـ 1980) واحد من أبرز الذين تناولوا مسألة العلاقة بين المسيحية، بشقّها الإبيوني، والإسلام. شويبس، الذي كان مؤرّخاً وفيلسوفاً دينياً، والذي كان يعلّم المشرقيّات في جامعة إيرلنغن، قدّم أعمالاً كثيرة تناولت اليهودية واليهودية المتنصّرة. وما يهمنا هنا هو عمله الأبرز[1]، *Theologie und Geschichte des*

---

(1) العمل هو المجلّد الثاني من سلسلة أعمال قدّمها الباحث الشهير، وهي: Band 1: *Jüdischer Glaube in dieser Zeit. Prolegomena zur Grundlegung einer systematischen* :.Verlag، 1932، 90 S ـ *Theologie des Judentums* [Dissertation، 1932]، Berlin: Philo ـ *Geschichte der jüdischen Religionsphilosophie in der Neuzeit.* Berlin: Vortrupp *christliches Religionsgespräch in neunzehn ـ Jüdisch* :.Verlag Schoeps، 1935، 132 S *Jahrhunderten. Die Geschichte einer theologischen Auseinandersetzung.* Frankfurt *Joachim* ـ Mit einer Einleitung *Hans* :.Verlag، 1949، 158 S ـ am Main: Atharva *Schoeps als Religionshistoriker* von Friedrich Wilhelm Kantzenbach، Hildesheim 1 ـ 09390 ـ 487 ـ u. a. 1990، XX، 388 S.، ISBN 3

Band 2: *Theologie und Geschichte des Judenchristentums* [1949]، Hildesheim u. a. 1998، V، 526 S. ISBN 3 ـ 09391 ـ 487 ـ X

Band 3: *Aus frühchristlicher Zeit* [1950]، *Philosemitismus im Barock* [1952]، *Symmachusstudien* [1942]، Hildesheim u. a. 1998، VIII، 320، 216، 93 S. ISBN 3 ـ 8 ـ 09392 ـ 487

Band 4: *Urgemeinde، Judenchristentum، Gnosis* [1956]، *Paulus. Die Theologie des Apostels im Lichte der jüdischen Religionsgeschichte* [1959]، Hildesheim u. a. 1999، 88 und XII، 324 S. ISBN 3 6 ـ 09393 ـ 487 ـ

Judenchristentums (لاهوت اليهودية المتنصرة وتاريخها). وما يهمنا في هذا العمل على وجه التحديد الفصل حول العلاقة بين العقائد الإبيونية وعقائد

Band 5: *Vom himmlischen Fleisch Christi* [1951]، *Das Judenchristentum* [1964]، *Gottheit und Menschheit* [1982]، Hildesheim u. a. 2005، 421 S. ISBN 3 - 487 - 4 - 09394

Band 6: *Das war Christian - Erlang* [2.، erw. u. überarb. Aufl. 1970]، *Vorläufer Spenglers* [19532 :.، erw. Aufl. 1955]، *Was ist und was will die Geistesgeschichte* [2. Aufl. 1970]، Hildesheim u. a. 2000، XXI، 79، 98 und 141 S. ISBN 3 10865 - 487 - 8 -

Band 7: *Was ist der Mensch? Philosophische Anthropologie als Geistesgeschichte der neuesten Zeit* [1960]، Hildesheim u. a. 1999، 352 S. ISBN 3 6 - 10866 - 487 -

Band 8: *Studien zur unbekannten Religions - und Geistesgeschichte* [1963]، Hildesheim u. a. 2005، 355 S. ISBN 3 9 - 12977 - 487 -

Band 9: *Ein weites Feld. Gesammelte Aufsätze* [1980]، Hildesheim u. a. 2005، 403 S. ISBN 3 7 - 12978 - 487 -

Band 10: *Unbewältigte Geschichte. Stationen deutschen Schicksals seit 1763.* Mit einer Einleitung von Manfred P. Fleischer [1964]، Hildesheim u. a. 2001، 33، 283 S. ISBN 3 9 - 11425 - 487 -

Band 11: *Preußen. Geschichte eines Staates* [8. Aufl. 1968]، Hildesheim u. a. 2001، 422 S. ISBN 3 6 - 11421 - 487 -

Band 12: *Der Weg ins deutsche Kaiserreich* [1970]، Hildesheim u. a. 2001، 322 S. ISBN 3 7 - 11426 - 487 -

Band 13: *Bismarck über Zeitgenossen - Zeitgenossen über Bismarck* [1972]، Hildesheim u. a. 2001، 418 S. ISBN 3 5 - 11427 - 487 -

Band 14: *Das andere Preußen. Konservative Gestalten und Probleme im Zeitalter Friedrich Wilhelm IV.* [5.، neubearb. Aufl. 1981]، Hildesheim u. a. 2001، X، 312 S. ISBN 3 3 - 11428 - 487 -

Band 15: *Rückblicke. Die letzten dreißig Jahre (1925 1955 -) und danach* [2. Aufl. 1963]، *Ja - Nein - und trotzdem. Erinnerungen - Begegnungen - Erfahrungen* [1974]، Hildesheim u. a. 2005، 243، 286 S. ISBN 3 5 - 12979 - 487 -

Band 16: *Ungeflügelte Worte. Was nicht im Büchmann stehen kann.* 3. Aufl.، Hildesheim u. a. 2005، 336 S. ISBN 3 7 - 12981 - 487 -

الإسلام. وفي اعتقادنا، فإن شويبس في هذا البحث كان الرائد في مجاله، حيث سار في خطاه، في الشرق[1] والغرب، كثير من الباحثين والمفكّرين.

لا شكّ أن تيارين في الغرب وبعض الشرق يتنازعان في معركة معرفية حول الظروف التي أدّت إلى ظهور الإسلام، ومن هو محمد، ومحاولة تحديد معالم محمد ـ إن كان ثمة محمد أوحد ـ التاريخي. التيّار الأول، برأينا، عرف أوضح معالمه عبر شويبس في كتابه المشار إليه آنفاً؛ وهو يرى أن الإسلام ليس أكثر من نسخة عربية للأصل المسيحي، بصورته النصرانية ـ الإبيونية. التيّار الثاني، الذي كان أوضح من وضع لبناته المعرفية الأولى الحاخام الإصلاحي الألماني، أبراهام غايغر، (1810 ـ 1874)، في عمله الشهير *Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen* (*ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟*) ـ تُرجم إلى الإنكليزية تحت عنوان، *اليهودية والإسلام* ـ الذي حاول أن يثبت بترسانة من مراجع يهودية ضخمة، أن الإسلام مجرّد نتاج جانبي جداً لليهودية الحاخامية. وقد سار على هدي غايغر كثير من الباحثين الهامين، الذين كان أبرزهم يوسف هوروفيتس وهاينريش شباير. ولا أعتقد أن غيرنا في الشرق يتبنّى منظور غايغر ومن جاء بعده.

التيار النصراني:

في القرآن ترد كلمة نصارى خمس مرّات (البقرة، 111، 135، 140؛ والمائدة، 14، 82)؛ والنصارى ثلاث مرّات (البقرة، 113، 120؛ والتوبة، 30). ورغم أن التسمية مسيحيون استُخدمت منذ النصف الثاني من القرن الأول للميلاد، حيث نجد في سفر أعمال الرسل (26:11) عبارة: «وَدُعِيَ التَّلاَمِيذُ «مَسِيحِيِّينَ»

---

(1) يمكن أن نشير هنا إلى أعمال أبي موسى الحريري، قس ونبي؛ درة الحداد، *القرآن دعوة نصرانية*؛ وإلى حدّ ما عمل كريستوف لوكسنبورغ [اسم مستعار لباحث من أصل سوري على الأرجح]، *القراءة الآرامية للقرآن*.

فِي أَنْطَاكِيَةَ أَوَّلاً» [αντιοχεια οχλον ικανον χρηματισαι τε πρωτως εν αντιοχεια τους μαθητας χριστιανους]. وسفر أعمال الرسل، كما هو معروف، كُتِب عام 63 تقريباً؛ حيث يعتقد كثيرون أن سفر الأعمال كتب في ختام السنتين اللتين قضاهما بولس في روما أي حوالي سنة 63 ميلادية. ويعتقد كثيرون أن سفر الأعمال لابد وأن يكون قد كُتِبَ قبل استشهاد بولس الذي تم حوالي سنة 67 ميلادية؛ فإننا لا نجد التسمية «مسيحيون» في أي مقطع من القرآن، رغم أن اعتبار أن يسوع (عيسى هنا) هو المسيح أمر لا يُناقش فيه القرآن.

البلبلة هي سيدة الموقف في تناول قصّة المسيح في القرآن. فمن هم النصارى، برأي بعض آباء الكنيسة؟ من كتابنا الذي حمل عنوان *النصارى*، نحاول هنا تقديم تلخيص مركّز لما قاله بعض من أهم آباء الكنيسة حول هذه الجماعة ومن ثم ننتقل إلى ما قاله القرآن عنهم. نبدأ بيوستينوس الذي اعتبر أن هنالك نوعين من المسيحيين اليهود (أو اليهود المتنصرين)، آمن أحدهما بخرستولوجيا أرثوذكسية فيما يتعلق بالولادة من عذراء والوجود المسبق ليسوع.

يحدّد أوريجانس، الذي يعرف أيضاً بوجود مجموعتين، مجموعة يوستينوس غير الأرثوذكسية بأنها الإبيونيون. وفي حين يسمّي المسيحيين اليهود الأكثر أرثوذكسية إبيونيين أيضاً، فهو يتناقض في هذا مع نفسه، ونحن بالتالي لدينا ما يبرّر استنتاجنا أن الجماعتين لم تحملا الاسم ذاته.

أوسابيوس، بدوره، لا يستطيع أن يتجنب رؤية ـ في مراجعه، إن لم يكن من الأقاويل أيضاً ـ جماعتين مسيحيتين يهوديتين متمايزتين، لكنه لا ينجح كثيراً في استبيان الخطوط التي تفصل بينهما. وبالنسبة له، لا توجد غير تسمية وحيدة لا غير، هي الإبيونية.

هذا يبرهن على الوجود المستمر، في القرن الثالث على الأقل إن لم يكن بعد ذلك، لكيان مسيحي يهودي تميل عقائده إلى تمييزه - في اتجاه «الأرثوذكسية» - عن الإبيونيين. وهؤلاء هم النصارى. ومن *الفناريون* الذي قدّمه إبيفانيوس، يمكن الوصول إلى النتائج التالية بشأن النصارى:

1 - إنهم يستخدمون العهدين القديم والجديد (7،2).

2 - لديهم معرفة طيبة باللغة العبرية وهم يقرؤون بتلك اللغة العهد القديم وأحد الأناجيل على الأقل (7،4؛ 9،4).

3 - يؤمنون بقيامة الموتى (7،3).

4 - يؤمنون أن الله هو الذي خلق كل شيء (7،3).

5 - يؤمنون بإله واحد وبابنه يسوع المسيح (7،3).

6 - يحفظون شرع موسى (7،5؛ 5،4؛ 8،1 وما بعد).

7 - انضم إليهم الكسائي ثم تبنّوا بعد ذلك كتابه (19،5،4؛ 53،1،3؛ مع 19،1،4؛ 19،3،4 وما بعد؛ 9،4،1).

8 - خرج إبيون منهم (30،2،1).

9 - كانوا يدعون قبل ذلك يسّاويين (5،1 - 4).

10 - ترجع أصولهم إلى أبرشية أورشليم التي هربت إلى بيلة (الفحل الأردنية اليوم) قبل عام 70 (7،8).

11 - التوضع الجغرافي لهم هو في بيلة، كوخابا، وكويله سوريا (7،7).

12 - كان اليهود يكرهونهم ويلعنونهم.

في رسالة ايرنيموس إلى أغسطينس، المكتوبة عام [1] 404 تقريباً، نقرأ بشأن

---

(1) *ep.* 112، 13.

النصارى: «إنهم يؤمنون بالمسيح، ابن اللّه، المولود من مريم العذراء، وهم يقولون عنه إنه عانى في ظل بيلاطس البنطي وقام ثانية». هذه العبارة، التي تعطي الانطباع بصيغة عقائدية قديمة نسبياً، تدعمها جزئياً عبارات من مواضع أخرى في كتابات ايرنيموس. فمن شاهدين من تفسيرهم لأشعياء نستطيع أن نستنتج أن النصارى اعتقدوا أن المسيح هو ابن اللّه. ففي 29: 17 ـ 21[1] يقول النصارى ضد الفريسيين والكتبة إنّهم «جعلوا الناس يخطئون بحق كلمة اللّه إذ ينكرون أن المسيح كان ابن اللّه». وفي موضع آخر، 31: 6 ـ 39[2]، نجد أشياء مشابهة: «يا بني إسرائيل، الذين تنكرون ابن اللّه بنوع من التصميم المؤذي». من المحتمل أيضاً أنه لدينا في هذا العمل ذاته العبارة المتعلقة بالاعتقاد النصراني بالولادة من عذراء، الموجودة في 11: 1 ـ 3، مع أن ما يظهر هناك قد يكون تعليقاً خاصاً بايرنيموس. لكن ما نجده في هذا المقطع، هو تعبير واضح من الخرستولوجيا ربطه ايرنيموس (وربما النصارى أنفسهم) بعبارة لبولس في رسالة إلى الكولوسيين (19:1؛ 9:2): «لأنه سُرَّ كل ملء اللّه أن يحلّ فيه جسمانياً»، وليس باعتدال كما في المقدّسين الآخرين.

لكن وفقاً للإنجيل الذي يقرؤه النصارى المكتوب بالأحرف العبرية: «حلّ عليه كامل ينبوع الروح القدس»[3].

يزودنا أغسطينس بالمعلومات التالية حول هذه الطائفة:

1 ـ يعترفون بأنهم مسيحيون وبأن المسيح هو ابن اللّه.

2 ـ يمارسون التعميد.

3 ـ يحافظون على كل الشريعة القديمة؛ وهو ما يتضمن بشكل خاص:

---

(1) CC 73، 380.

(2) CC 73، 404.

(3) CC 73، 147f

آ ـ الختان.

ب: مراعاة السبت.

ج: قيود الطعام كالإمتناع عن أكل لحم الخنزير.

4 ـ عددهم قليل.

بين النصارى والإبيونيين:

ثمة خلط واضح منذ القدم بين النصارى والإبيونيين، دون أن ننسى أن إبيفانيوس تحدّث عن شخص اسمه إبيون [فقير بالعبرية] خرج من بين شيعة النصارى. وفي *التاريخ الكنسي* *Ecclesiastical History* لابيفانيوس (3: 27،2) نقرأ النص التالي عن النصارى:λιτον γαρ αυτον (Ξριον) και κοιινον ηγουντο (Εβιωναιοι) ,κατα προκοπην ηθου ξ ουτο ανθρωπον δεδικαιωμέο εξ ανδρο ξ τε κοινωνια ξ και τμ ξ Μαρια ξ γεγεννημέο [(1)]: «منذ البدء سموهم بحق إبيونيين (أي فقراء) لأنه كان لهم في المسيح آراء فقيرة حقيرة. فكانوا يعتبرونه بشراً سوياً، بشراً لا غير، تقدّس بممارسة الفضيلة. وقد ولد من رجل ومريم».

يحدثنا ثيودورتس عن جماعتين، تعرف كلتاهما بالإبيونيين، وهما مختلفتان من نواحٍ عديدة: فواحدة لا تقبل بالولادة من عذراء، والثانية تقبل بها. واحدة تستخدم الإنجيل بحسب العبرانيين، والأخرى الإنجيل بحسب متى. إلى المجموعة الأولى ينتمي سيماخوس، وهؤلاء يرفضون بولس. والمجموعة الثانية تبجّل السبت و«يوم الرب».

(1) PG 20:274. قارن أيضاً: Hippolytus، ref. omn. *haer.* VII 33:1 (Ebion) X 21:2 (Cerinthus)).

النصارى في القرآن:

1 ـ النصارى يؤمنون أن المسيح هو ابن اللّه: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» (30:9).

2 ـ اعتقاد النصارى بموت المسيح الخلاصي، رغم أن القرآن هنا، في رفضه لعقيدة الصلب، إنما يعرّض باليهود الذين ادعوا ذلك: «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ[1] لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» (157:4).

---

(1) واضح للغاية هنا الأثر الذوقاني على القرآن. والذوقانية مذهب منشق عن المسيحية يزعم أن يسوع المسيح ظهر على شكل شبح، وأنه لم يمتلك جسداً حقيقياً أو طبيعياً، وأن صلبه لم يكن غير وهم. ظهر هذا المذهب في القرن الثاني للميلاد، واستمر لفترة غير معروفة، وربما أنه توهج من جديد في القرن الثاني عشر للميلاد. اشتقت الأيديولوجيا اسمها من دوكو اليونانية، بمعنى «يبدو أو يظهر». والذوقانية لها روابط قوية بالأفكار الغنوصية في الشرق الأوسط في ذلك الزمان، ومن ضمنها الفالنتيانية. وهي تفسّر أن المادّة تمثّل الشر، والروح تمثّل الخير. لذلك فإن جسد يسوع المادي لم يكن غير وهم يصعب على البشر مشاهدته. الشيء ذاته ينطبق على صلبه، فيسوع لم يكن مادة، فهو روح نقيّة ولا يمكن أن يموت مادياً. بالتالي، فقد تم إنكار قيامة يسوع وصعوده إلى السماء. إن مفهوم يسوع دون جسد طبيعي يبدو معروفاً جيداً في المراحل الأولى من يسوع ـ اليهودية، المذكورة في رسالتي يوحنا (1 يوحنا 4: 1 ـ 3؛ 2 يوحنا 7). في أحد الأناجيل المنحولة، المسمى إنجيل بطرس، نجد المفاهيم الأساسية للمذهب الذوقاني. أحد التنويعات على المذهب الذوقاني تؤكّد أن المسيح ولد دون مشاركة للمادة. تنويعة أخرى أقل صرامة للذوقانية تقول إن يسوع كان جسداً إثيرياً وسماوياً لكنه يختلف عن التيار الرئيس في الذوقانية فيما إذا كان يشترك مع المسيح بما هو فعلي من أفعال ومعاناة. الذوقانية هي واحدة من المذاهب المسيحية الانشقاقية الأولى. وقد تمت مهاجمتها بعنف من قبل السلطات المسيحية المسيحية البارزة، مثل الأسقف أغناطيوس الأنطاكي في القرن الثاني للميلاد. لقد رفضت المجامع المسيحية الأولى وكذلك التيار الرئيس في المسيحية الذوقانية، لكنها لم تمت إلا ببطء في الألف الأولى للميلاد. مع ذلك، فإن حركات شاذة مثل الكاثارية Cathartic كانت ستعيد إشعال شموع الذوقانية ومفاهيمها في أوربا القرن الثاني عشر.

3 ـ اعتقاد النصارى بالثالوث: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا». (71:4).

إنجيل النصارى:

يقول ثيودورتس، كما أشرنا، إن الجماعة الإبيونية الأولى لا تقبل بولادة يسوع من عذراء، وتستخدم الإنجيل بحسب العبرانيين؛ والثانية تقبل بولادة يسوع من عذراء، وتستخدم إنجيل متى، أو إنجيل متى الثقيل. الأولى ترفض بولس، والثانية تحتفل بالسبت وبيوم الرب، أو الأحد.

ليس ثمة ذكر لإنجيل متى الثقيل في التراث الإسلامي، لكن الإنجيل بحسب العبرانيين تسمية ترد كثيراً في السنّة. من ذلك على سبيل المثال: «حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ! قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ! قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ! قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ! فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ؛ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي! فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ؛ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي؛ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ـ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ـ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ـ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ! فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى! يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا؛ ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ».[1]

إذن، ثمة ارتباك واضح بين ورقة كقسّ للنصارى، وإنجيل ورقة الذي هو إنجيل العبرانيين، أي إنجيل الإبيونيين. فهل كانت التسمية «نصارى» مظلّة تجمع تحتها كلّ التيارات النصرانية والمنشقة عن النصرانية؟

الارتباك هو سيّد الموقف، خاصّة إذا ما عرفنا أن التراث الإسلامي كلّه يفتقد التسمية «إبيونيون». ويزداد الارتباك أكثر إذا ما حاولنا فهم صورة المسيح في القرآن.

في سورة البقرة، 87، 253، نجد أن عيسى بن مريم، دون وصفه هنا بالمسيح، مؤيّد «بروح القدس»، التسمية التي تطلق من قبل المسيحيين على الأقنوم

(1) صحيح البخاري، باب بدء الوحي.؛ راجع: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان.

الثالث في الثالوث. وفي سورة آل عمران، 45، نجد الملائكة تبشّر مريم: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ[1] مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ».[2]

لقد أشرنا للتو إلى رفض القرآن موت يسوع ـ عيسى: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» (157:4). لكن مقطعاً آخر يوحي بأنه مات قبل أن يرفع إلى اللّه: «قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (55:3).

يربط القرآن بين عيسى وآدم: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ[3] خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (59:33). فهل ثمة تأكيد هنا على نفي ألوهية يسوع ـ عيسى؟

---

(1) في إنجيل يوحنا، 1:1 وما بعد، نقرأ: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللّهَ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللّهِ.كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ». وفي الأصل اليوناني يقال: «εν αρχη ην ο λογος και ο λογος ην προς τον θεον και θεος ην ο λογος». ولوغوس [نلاحظ الكلمة «لغة» العربية] λογος هنا تعني الكلمة.

(2) في إنجيل لوقا، 26:1 وما بعد، نقرأ: «فِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: ((سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ)). فلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ، وَفَكَّرَتْ: مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: ((لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللّهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيماً، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ)).

(3) «الإنسان الأول [آدم] من الأرض ترابي. الإنسان الثاني [يسوع] الربّ من السماء» (1 كورنثوس 47:15). «من أجل ذلك كإنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رومية 12:5)؛ «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة اللّه والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين» (رومية 15:5).

رغم تأكيد القرآن على بشرية يسوع ـ عيسى المسيح، نقرأ في أحد المقاطع أن الله قال: «يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» (110:5).

ما سبق كلّه، وهو غيض من فيض، يدفع بنا إلى رفض نظرية الأصل النصراني ;;;;;ـ الإبيوني للإسلام؛ والاعتقاد الراسخ، المدعَّم بكم لا ينتهي من الأدلة، بأنه فرع جانبي باللغة العربية لليهودية الحاخامية. وجلُّ ما فعله غايغر هو أنه وضع حجر الأساس لهذا النوع من المعرفة. ـ فمن هو غايغر؟

إنه حاخام وباحث ألماني، يُعتبر الأب المؤسس لحركة اليهودية الإصلاحية.[1]

---

(1) اليهوديّة الإصلاحيّة هي التفسير الأول الحديث لليهوديّة، والتي ظهرت استجابة لتبدّل الظروف السياسيّة والثقافيّة التي أعقبت تحرّر اليهود. إنها الفرع من اليهوديّة الأكثر تكيّفاً مع معايير الفكر والمجتمع المعاصرين، في الاعتقاد والممارسة. كما أنها تدعى أحياناً باليهوديّة الليبراليّة أو اليهوديّة التقدّميّة. يعيش أكثر من مليون يهودي إصلاحي في أوروبا وأميركا وأستراليا وجنوب إفريقيا وإسرائيل. وتتحد كلّ الأبرشيّات الإصلاحيّة، على صعيد العالم، في «الاتحاد العالمي لليهوديّة التقدميّة»، الذي يعقد مؤتمره مرّة كل سنتين، وعادة ما يكون مكان اللقاء أوروبا أو إسرائيل. في الولايات المتحدة، يشكّل نحو من 70 أبرشيّة مستقلّة «اتحاد الأبرشيّات الأمريكيّة العبرانيّة المستقلّة»(UAHC)، الذين لديهم أكثر من 1300 حاخام يشكّلون «المؤتمر المركزي للحاخاميم الأمريكيين»((CCAR. يتم تدريب الحاخاميم، الباحثين، المعلمين، العاملين ضمن الأبرشيّات، والمرتلين في «الكليّة العبريّة المتحدة ـ المعهد اليهودي للدين»(JIR ـ HUC)، الذي يمتلك فروعاً في سينسيناتي، لوس أنجلس، نيويورك والقدس. إن أقوى دور للقيادة التنظيميّة في اليهوديّة الإصلاحيّة هو رئاسة UAHC، التي تولاها أحد الحاخاميم في السنوات الأخيرة.

الاعتقاد والممارسات:

التوراة

لا يؤمن الإصلاحيّون بأن الشرع المكتوب (التوراة) أو الشرع الشفوي (التلمود) أوحى بهما الله إلى موسى حرفيّاً على جبل سيناء. وهم يقبلون بالنقدية الكتابيّة والتاريخيّة كمعيار، كما يفهمون النصوص المقدّسة على أنها نتاج تفكير بشري بمساعدة الوحي.

الأخلاق:

تعترف اليهوديّة الإصلاحيّة بالعلاقة القويّة بين الدين والأخلاق، وتؤكد بشكل خاص على رسالة

مع ذلك، فإن مراجعة سريعة ومركزة لتاريخ اليهودية الإصلاحية في أوروبا، تظهر دون أدنى لبس الدور البارز لأبراهام غايغر في التطور المعرفي لليهودية ككل.

العدالة الاجتماعيّة للأنبياء. كما تعتبر أن اليهوديّة موجودة من أجل هدف كوني عال، يطمح إلى السلم العالمي.

الوحي:

تعتبر اليهودية الإصلاحيّة أن الوحي متواصل مع تقدّم المعرفة البشريّة والحساسيّة الدينية. وهذا يخالف الرأي الأرثوذكسي القائل إن التجلّي في سيناء يشكّل التعبير الدائم الموثوق عن إرادة اللّه، وهو ما يجب أن يبقى معياراً في كلّ زمان ومكان.

الإرادة الحرّة:

إن حريّة الفرد اليهودي، في أن ينتقي، من التقليد اليهودي، تلك العناصر العرفيّة أو الاعتقاديّة التي يجدها مفيدة له شخصيّاً، هي أكبر عند اليهود الإصلاحيين مما هي عند الأرثوذكس أو المحافظين بما لا يقارن. لا يقبل اليهود الإصلاحيّون بالتقليد التشريعي اليهودي كشيء مقيّد، بل يحولونه على الدوام إلى هاد في المسائل الطقسيّة. ويصدر CCAR باستمرار كتب صلاة سبت ودليلاً إلى دائرة الحياة اليهوديّة.

الصلاة:

في معظم الأبرشيّات الإصلاحيّة اليهوديّة في أميركا تجري الخدمة الدينيّة الرئيسة مساء الجمعة من كلّ أسبوع؛ فيجلس الرجال والنساء معاً، يشاركون في الخدمة على نحو متعادل. ولم يبدأ بعض الحاخاميم، وقلّة من النساء، بارتداء الطاقيّة الطقسيّة إلا مؤخراً، وذلك أثناء الصلاة. في الكنس يصاحب الأرغن الطقوس. تتلى معظم الصلوات بالانكليزية، باستثناء مقاطع ذات أهميّة خاصة، تترجم إلى العبريّة.

الإصلاحيّون خارج الكنيس:

يعيش الإصلاحيّون إيمانهم خارج الكنيس عن طريق محاولتهم أن تكون المبادئ الأخلاقيّة اليهودية الهادي لهم في حياتهم. ويمارس بعضهم طقوساً يهوديّة في المنزل، خاصة إشعال الشموع عشيّة السبت، وطقس عشيّة الفصح، والاحتفال بعيد الحنوكاه.

اعتناق اليهوديّة:

يظل الإصلاحيّون الطائفة الأكثر ميلاً للتبشير بين كل الفروع اليهوديّة الأخرى. والنسبة الأعظم بين كل معتنقي اليهوديّة تنتمي إلى الفرع الإصلاحي. فنسبة «اليهود بالاختيار»تشكّل جزءاً ضئيلاً لكن متنامياً من الفرع الإصلاحي اليوم.

الزواج المختلط:

الحاخاميم الإصلاحيّون وحدهم من رجال الكهنوت اليهودي الذين يعقدون زواجات لا يكون فيها أحد الطرفين يهوديّاً؛ بل لا ينوي أصلاً اعتناق اليهوديّة. لكن عادة ما يعد الزوجان أن يكون أولادهما من اليهود.

غالباً ما يشير الإصلاحيون اليهود إلى أن الإصلاح الديني موجود في اليهودية منذ البداية. ويقولون إن الأنبياء اليهود انتقدوا الأعراف الدينيّة السائدة، وإن التلمود يتضمّن إصلاحاً للشرائع السابقة، بل يقولون إن العلماء المتأخرين كانوا يرغبون بتغيير العقائد والأعراف السائدة. لكن هذه الرغبة انسحقت تحت وطأة الاضطهاد والعزلة. مع ذلك، فقد تقوضت أركان هذا الوضع اليهودي العصر ـ وسيطي تحت تأثير عاملين: المركزية السياسيّة وشموليّة عصر الأنوار. فقد كانت الدول الأوروبيّة ترغب بمركزيّة سياسيّة أكبر، الأمر الذي أدى إلى وضع اليهود تحت سلطة الدولة بشكل أكثر مباشريّة، وتقليص سلطة الحاخامات. وهكذا، بدأت مجموعات متزايدة منهم بتعلّم اللغات الأوروبية الحديثة، وقراءة الأدب المعاصر، واستيعاب القيم الجماليّة السائدة، واعتبار أنفسهم أوروبيين ثقافيّاً مثلما هم يهود دينيّاً. إذن، إن خلفيّة ظهور حركة الإصلاح هو تبدّل الوضع السياسي والثقافي لليهود في وسط أوروبا وغربها في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر. وهكذا خلقت فجوة بين التقاليد اليهودية وقسم من يهود أوروبا الغربيّة.

الخروقات الشهيرة الأولى:

كان أول من اخترق الشرع بقوة، الفيلسوف الأرثوذكسي الشهير، موسى مندلسون (1729 ـ 1789)، الذي رفض، عام 1772، على أسس طبيّة ومنطقيّة، مسألة الدفن المباشر للميت، التي يقر بها الشرع اليهودي. وظلّت هذه المسألة، لعشرات السنين، حجر محك يفصل التقليديين عن العصريين.

بعد مندلسون تطالعنا مباشرة قضيّة شاؤول آشر (1767 ـ 1822)، الذي أصدر كتاباً بعنوان «*Levitham*» في برلين. رفض آشر في كتابه تقسيم مندلسون بين ديانة طبيعيّة وشرع موحى به. فهو يعتقد أن الديانة اليهوديّة لا تمتلك عقائد

خاصّة بها تعزلها عن الدين الطبيعي. وهكذا، فاليهوديّة ليست معتمدة على استقلاليّة سياسيّة أو قضائيّة، بل باستطاعتها أن تأخذ مكانها بجانب البروتستانتية أو الكاثوليكيّة، وتختلف عنهما كما يختلف أي دين عن الآخر.

الجماعات الإصلاحيّة الأولى:

كان الإصلاحيّون الأوائل علمانيين، عملوا دون قيادة حاخاميّة، وكانت اهتماماتهم منصبّة على إضفاء المعايير الجماليّة الغربيّة على الأسلوب التقليدي للعبادة اليهوديّة. وعام 1797 قامت جماعة «أدات غرشون» في أمستردام بإجراء أوّل إصلاح في طقس الكنيس تحت تأثير الثقافة الغربيّة. كانت هذه الجماعة تدفن موتاها في اليوم الثالث. كذلك، فقد قُصّرت الليتوروجيا، وأدخلت «تحسينات» جماليّة على الخدمة الطقسيّة، وأضافت عظة أو مقولة أخلاقيّة، وحُذفت الصلاة التي تطلب الثأر من قتلة اليهود أيام الصليبيين. لكن هذه الجماعة عادت وانضمّت إلى الطائفة اليهوديّة العامّة بطلب من ملك هولندا الجديد، لويس بونابرت.

عام 1808، ظهر مجلس كنيسي في ألمانيا مشكّل من ثلاثة حاخامات وعلمانيين، وذلك تحت تأثير رجل المال الغني والقوي، إسرائيل ياكوبسن (1768 ـ 1828). أدخل هذا المجلس طقس تثبيت، مأخوذ عن المسيحيّة، وحاول عموماً فرض شكل للعبادة أكثر احتشاماً وإجلالاً.

انتقل ياكوبسن من «وستفاليا» إلى برلين، حيث أسس في بيته لطقس عبادة أسبوعي لأولئك الذين يرغبون بخدمة من تلك النوعيّة التي كانت في «وستفاليا»: استعمال الأرغن، ووجود كورال من الصبية. كبر عدد المصلّين، وبدأ إدخال عظات وتراتيل دائمة باللغة الألمانيّة. لكن التقليديين عارضوا أي إدخال للإصلاحات إلى كنيس الجماعة، وذلك في مرسوم صدر عام 1823.

اتحاد المعبد الجديد:

ظهر هذا الاتحاد في هامبورغ عام 1817. ونجح أعضاؤه في تأسيس كنيس لهم، رغم المعارضة اليهوديّة الأرثوذكسيّة، لتساهل مجلس المدينة. عام 1819، أصدر معبد هامبورغ كتاب صلاة، أُحدثت فيه للمرّة الأولى تبديلات جوهريّة في الليتورجيا. وفي حين لم تحذف كل الإشارات إلى صهيون من الكتاب، فقد عكست فيه رغبة أعضاء المعبد بالتخلّي عن العودة إلى أرض إسرائيل وإعادة الطقس القرباني القديم. واستمر هذا المعبد في الوجود حتى مذابح النازيين.

الأيديولوجيّون:

بعد فترة ركود، ظهر الحاخام أبراهام غايغر (1810 ـ 1874)، كأيديولوجي قيادي للحركة في أوروبا. قال غايغر إن اليهوديّة كيان نشوئي ـ ارتقائي، خاضع لقوى التاريخ، وإن جوهر اليهوديّة لا يكمن في نظامها الشرائعي بل في روحها الدينيّة، التي تُعكس في طقوسها. أكد غايغر على رسالة اليهوديّة الكونيّة، واضعاً توحيدها الأخلاقي في تناقض حاد مع عقيدة التثليث المسيحيّة والماديّة الوثنيّة. ورأى أن واجب الحاخام الإصلاحي هو دفع عجلة التاريخ إلى الأمام عبر برنامج إصلاحات حديثة وعقلانيّة.

كان صموئيل هولدهايم (1806 ـ 1860) أبرز الإصلاحيين الراديكالين في تلك الحقبة. فقد اعتقد أن الحالة الجديدة الثوريّة لليهود في الغرب تتطلّب تغييراً شاملاً في اليهوديّة. وهكذا، فضّل نقل يوم الراحة اليهودي إلى الأحد وإلغاء كل العناصر التشريعيّة من اليهوديّة. صار هولدهايم حاخام جماعة إصلاحيّة منفصلة في برلين، فقام عندئذ باختصار الليتورجيا وتعديلها، محتفظاً بشيء ضئيل فقط باللغة العبريّة، كما نقل الخدمة الطقسيّة إلى يوم الأحد.

ألمانيا:

في فرانكفورت وبرلين وبريسلاو ظهرت، بعد عام 1840، الجماعات العلمانيّة التي تطالب بإصلاحات أكثر راديكاليّة. وكانت عاقدة العزم على إزالة الرموز القوميّة والأحكام الطقسية من اليهوديّة واستبدالها بدين عالمي ذي روحانيّة عالية، لترسو في فهم إنساني للتوراة العبرانيّة مستبعدة فعليّاً التقليد الحاخامي اللاحق.

عقدت ثلاثة مؤتمرات إصلاحيّة بين عامي 1844 ـ 1846، شارك فيها 42 حاخاماً. وكان من ضمن القرارات التي تمّ التوصّل إليها في هذه المؤتمرات: استخدام اللغة العبريّة في الخدمة شأن شخصي لا ضرورة موضوعيّة له؛ لا بد من إزالة صلوات العودة إلى صهيون وإعادة الخدمة القربانيّة من كتاب الصلاة؛ والسماح باستخدام الأرغن في الصلوات بما فيها صلاة السبت.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أخذت الإصلاحيّة الدينيّة اليهوديّة في ألمانيا شكلاً عرفيّاً تحت اسم «اليهوديّة الليبراليّة»، والتي كسبت إلى جانبها بسرعة غالبيّة اليهود الألمان. ومع نهاية القرن، تم تأسيس اتحاد دائم للحاخامات الليبراليين. عام 1908، ظهرت منظمة وطنيّة مشابهة لكل اليهود الليبراليين. ثم ظهر كتاب الصلاة الخاص بالجماعة عام 1929.

حياة غايغر:

عندما كان غايغر طفلاً، بدأ الشك يراوده حول الفهم التقليدي لليهودية عندما بدا له أن دراسته في التاريخ الكلاسيكي تتناقض مع المزاعم التوراتية بالمرجعية الإلهية. وفي سن السابعة عشرة، بدأ كتابة عمله الأول، وهو مقارنة بين الأسلوب القانوني للمشناه والشرع التوراتي والتلمودي. كذلك عمل على قاموس حول العبرية المشنائية (الحاخامية).

وفر أصدقاء غايغر له مساعدة مالية مكنته من الدراسة في جامعة هايدلبرغ، وهو ما سبب خيبة أمل كبيرة لعائلته. وكان تركيزه الرئيس منصبّاً على مجالات فقه اللغة، السريانية، العبرية، والكلاسيكيات، كذلك فقد كان يحضر محاضرات في العهد القديم، الفلسفة، وعلم الآثار. وبعد فصل دراسي واحد، انتقل إلى جامعة بون، حيث درس في الوقت الذي درس فيه سامسون رافائيل هيرش. أقام هيرش في البداية علاقة صداقة مع غايغر ومعه نظّما جماعة من الطلاب اليهود لغرض معلن هو ممارسة الوعظ، لكن النية الأعمق كانت تقريبهم من القيم اليهودية. وعلى هذه الجماعة ألقى غايغر بأول عظة له (2 كانون الثاني 1830). وفي السنوات التالية صار وهيرش عدوَّين مُرَّين وذلك بوصفهما زعيمين لحركتين يهوديتين متعارضتين.

في بون، بدأ غايغر دراسة مكثفة للغة العربية والقرآن، وفاز بجائزة على بحثه، المكتوب أصلاً باللغة اللاتينية، والذي نُشر بعد ذلك باللغة الألمانية تحت عنوان «*ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟*» وعلى هذا البحث حصل غايغر على شهادة الدكتوراه من جامعة ماربورغ. وقد برهن في هذه الدراسة على أن أجزاء كبيرة من القرآن مأخوذة من الأدب الحاخامي، أو أنها قائمة على أسس منه.

كان هذا الكتاب خطوة غايغر الأولى نحو مشروع فكري أكبر من ذلك بكثير. فقد سعى غايغر لإثبات التأثير المركزي لليهودية على المسيحية والإسلام. فقد اعتقد أن أياً من الحركتين لم تكن تمتلك أصالة دينية، بل كانتا مجرد وسيلة لنقل الإيمان التوحيدي اليهودي إلى العالم الوثني.

في ذلك الوقت، لم تكن مسألة الأستاذية الجامعية متاحة في ألمانيا لليهود، لذلك اضطر غايغر للبحث عن وظيفة كحاخام، فوجد تلك الوظيفة عند الجماعة اليهودية في فيسبادن (1832 ـ 1837)، وهناك تابع منشوراته الأكاديمية وفي المقام الأول من خلال المجلات العلمية التي قام بتأسيسها وتحريرها، بما في

ذلك المجلة العلمية لعلم اللاهوت اليهودي (1839 - 1835) *Wissenschaftliche Zeitschrift für jüdische Theologie*، والمجلة اليهودية للعلوم والحياة (1862 - 1875) *Jüdische Zeitschrift für Wissenschaft und Leben*. وأضحت منشوراته وسائل هامة في زمنها لنشر العلوم اليهودية، وعلى رأسها الدراسات التاريخية واللاهوتية، فضلاً عن مناقشة الأحداث المعاصرة.

في ذلك الوقت بدأ غايغر برنامجه للإصلاح الديني، وعلى رأس ذلك ليتورجيا الكنيس. فعلى سبيل المثال، أبطل صلاة النواح على الهيكل، معتقداً أنه كون اليهود مواطنين ألمان، فصلوات كهذه كانت ستبدو على أنها عدم ولاء للسلطة الحاكمة ويمكن أن تثير مشاعر العداء للسامية. لقد كان غايغر القوة الدافعة في عقد عدة مجامع للحاخامات من أصحاب العقلية الإصلاحية وذلك بقصد صياغة برنامج لليهودية التقدمية. مع ذلك، وعلى العكس من صموئيل هولدهايم، لم يرغب قط بخلق جماعة منفصلة. فقد كان هدفه بالأحرى تغيير اليهودية من الداخل.

غايغر المصلح:

في ألمانيا القرن التاسع عشر، برز غايغر وصموئيل هولدهايم، إضافة إلى إسرائيل ياكوبسون وليوبولد تسونتس، على أنهم الآباء المؤسسون لليهودية الإصلاحية. وكان غايغر مصلحاً أكثر اعتدالاً وذا طابع علماني، يسعى لتأسيس هذا الفرع الجديد من اليهودية على أسس من دراسة علمية للتاريخ، دون أن يفترض أن أي نص يهودي كُتب بوحي من اللّه.

لم يكن غايغر مجرّد باحث وعالم يعلّق على الموضوعات والشخصيات الهامة في التاريخ اليهودي، بل كان أيضاً حاخاماً مسؤولاً عن كثير من العقيدة الإصلاحية في منتصف القرن التاسع عشر. وقد ساهم بالكثير من شخصية الحركة الإصلاحية التي لا تزال قائمة حتى اليوم. وقد ذكر المؤرّخ الإصلاحي مايكل آ.

ماير أنه إذا كان يمكن لشخص أن يطلق عليه مؤسس اليهودية الإصلاحية، فإنه يجب أن يكون غايغر.

لقد تُرجمَت الكثير من كتابات غايغر إلى اللغة الإنكليزية عن الأصل الألماني. وهنالك كثير من النصوص البيوغرافية والبحثية المتعلّقة به؛ مثل العمل الذي يحمل عنوان، *أبراهام غايغر ويسوع اليهودي* لسوزانا هيشل (1998)، والذي يدوّن لرأي غايغر الراديكالي القائل إن العهد الجديد يصوّر يسوع على أنه فرِّيسي يعلّم اليهودية.

من أعمال غايغر الأخرى، نذكر: *أصول القرآن: مقالات الكلاسيكية حول الكتاب المقدس للإسلام*، الذي حرّره ابن الورَّاق. من أعماله الأخرى نذكر: *اليهودية والإسلام* (1833)، ونداء *إلى جماعتي* (1842).

انتقادات:

كرّس سامسون رافائيل هيرش عدداً كبيراً من نسخ مجلته يشورون لانتقاد موقف غايغر الإصلاحي (نشرت باللغة الإنكليزية تحت عنوان، هيرش، *كتابات مجموعة*).

لذا هاجم بعض النقاد معارضة غايغر لهوية قومية يهودية؛ وكان أبرز نقد وجّه إليه هو رفضه التدخل لصالح يهود دمشقيين متهمين بجريمة قتل يتعلق بالطقس (فدية الدم)[1] عام 1840. مع ذلك، فقد خلص المؤرخ اليهودي ستيفين بايمه إلى أن غايغر احتج على ذلك بقوة على أسس إنسانية فعلياً.

---

(1) في عام 1840 اختفى في دمشق الراهب توماس السرديني وخادمه. وكان موعد الاختفاء قبيل حلول عيد الفصح، فاتهم اليهود بأنهم قاموا بخطف الراهب واستخدام دمه في صناعة المصّة وقد أيّد باشا دمشق والقنصل الفرنسي هذا الزعم. وكانت النتيجة تقديم المشورة لوالي دمشق بتعذيب اليهود. ولعبت هذه القضية دوراً هاماً في ازدياد اهتمام يهود الغرب بمصير يهود الشرق، وكذلك توثيق الروابط بين الجاليات اليهودية في كافة أرجاء العالم.

رفض اليهودية الأرثوذكسية لغايغر:

يرى غايغر أن اليهودية فريدة من نوعها ومليئة بالمعاني بسبب توحيدها ومنظومة الأخلاق فيها. وكان قد بدأ بتماثل أقل مع «جمود الشرع التلمودي، الذي وضع على مدى قرون من التقوقع الذي فرضه التعصب المسيحي... في مسيحية القرون الوسطى»، التي حدّدت وقيّدت وجود اليهودية الأرثوذكسية في القرن التاسع عشر في ألمانيا. كما أعرب عن اعتقاده بأن «التوراة، وكذلك التلمود، ينبغي أن يُدرسا نقدياً من منظور المؤرخ، أي من منظور النشوء والارتقاء». ومع خروج غايغر من مرحلة المراهقة ووصوله إلى سن النضج، بدأ يضع مقاربة وفهماً لليهودية أكثر ليبرالية مما أملته عليه خلفيته التقليدية اليهودية الأرثوذكسية. فرفض التقاليد اليهودية الأرثوذكسية لصالح وجهة نظر ليبرالية.

رفض اليهودية المحافظة لغايغر:

عام 1837، رتب غايغر لقاءً للحاخامات من أصحاب التفكير الإصلاحي في فيسبادن لغرض مناقشة تدابير تهمّ اليهودية، والاستمرار في كونه رائد الفكر الحاخامي الألماني الليبرالي عام 1846. وعندما رُشِّح لمنصب الحاخام الأعظم في برسلاو عام 1838، اندلع جدلٌ حار بين الفصائل المحافظة والليبرالية داخل المجتمع اليهودي. واتهمت الفصائل الأرثوذكسية غايغر بأنه قرّائي أو صدوقي، ومنعته بناء على ذلك من أن يعيَّن كحاخام أعظم. لكن وفاة الحاخام الأرثوذكسي في برسلاو عام 1840، أدَّى إلى انفصال الفصيل الأرثوذكسي وتعيين غايغر حاخاماً أعظم.

طوال فترة عمله في برسلاو كحاخام أعظم وما بعد، حافظت مدرسة الحاخام زيخارياس فرانكل الوضعية ـ التاريخية على رفض فلسفات غايغر. وفي عام 1841، اشتبك مع فرانكل في نزاع هيكل هامبورغ الثاني. وعندما تأسس

السيمنيار اللاهوتي اليهودي هناك عام 1854، والذي يرجع الفضل فيه جزئياً إلى جهود غايغر، لم يعيَّن ضمن أعضاء هيئة التدريس، على الرغم من أنه طالما كان في الصدارة لمحاولات تأسيس كلية لاهوت يهودي. لقد نظر الذين هم أكثر محافظة إلى موقف غايغر اللاهوتي على أنه ليبرالي جداً. لذلك، وفي عام 1863، غادر غايغر بريسلاو ليصبح حاخام المجتمعات الليبرالية في فرانكفورت وبرلين في وقت لاحق. في نهاية المطاف، وفي عام 1871، عُيِّنَ غايغر ضمن هيئة التدريس في الكلية الحاخامية الإصلاحية التي تأسست حديثاً في برلين، المسماة بالمدرسة العليا للعلوم اليهودية Hochschule für die Wissenschaft des Judentums كلية الدراسات اليهودية، حيث أمضى سنواته الأخيرة.

نهج جديد لإصلاح اليهودية:

في البداية، نشأت اليهودية الإصلاحية من قبل يهود لا يعيرون اهتماماً «للاحتفالات الطقسية الصارمة المطلوبة منهم أو الأرثوذكسية»، فهي محاولة لتغيير مظهر وطقوس اليهودية من خلال محاكاة البروتستانتية. مع ذلك، فقد استدار غايغر إلى «إطار أيديولوجي أكثر تماسكاً لتبرير الابتكارات في الليتورجيا وممارسة الشعائر الدينية». قال غايغر إن «اليهودية الإصلاحية ليست رفضاً لليهودية الأقدم، بل استعادة للتقليد الهالاخي [التشريعي] الفرِّيسي، والذي هو ليس سوى مبدأ مواصلة التطوير المستمر بما يتفق مع العصر، مبدأ أن لا نكون عبيداً لحرف التوراة، بل أن نشهد مراراً وتكراراً على روح التوراة الأصيلة ووعي لشكل إيمانها.

من غايغر إلى شباير:

في عمله الأهم *قصص أهل الكتاب في القرآن* *Die Biblischen Erzählungen*

Im Qoran، سار الباحث الألماني البارز، هاينريش شباير، على خطى أستاذه، أبراهام غايغر، في عمله *اليهودية والإسلام*، وهو يشير إلى ذلك في مواضع كثيرة من العمل. فكيف يمكن المقارنة بين العملين؟

1 ـ عملُ غايغر، على أهميته، أصغر بكثير حجماً من عمل شباير؛

2 ـ عمل شباير أكثر تفصيلية ومنهجية علمية من عمل غايغر بكثير، على الرغم من أن شباير أقل شهرة ومكانة ـ بما لا يقارن ـ من أستاذه غايغر؛

3 ـ عمل غايغر، وهذه أبرز ميزاته، ربما يكون الأول من نوعه في مجال الدين المقارن اليهودي ـ الإسلامي؛

4 ـ العملان على حدّ سواء لم يقاربا الجانب التشريعي المقارن بين الإسلام واليهودية؛ ووفقاً للمصطلحات اليهودية، العملان أغاديان لا هالاخيان. ورغم أن غايغر يمر سريعاً في نهاية العمل على مسألة المقارنة الهالاخية بين اليهودية والإسلام، إلا أن ما قاله يعارض جذرياً ما طرحه الباحث الرائد، جوزف فرانز شاخت (1902 ـ 1069) في مجمل أعماله المتعلقة بمصادر التشريع الإسلامي؛ وكذلك باتريشيا كرونه في أحد آخر أعمالها؛

5 ـ العملان على حدّ سواء التزما بالقرآن وحده كمرجع إسلامي؛ وفي المرّات القليلة التي يشير فيها غايغر إلى السنة النبوية أو التفاسير القرآنية، فإن إشاراته غير دقيقة ومراجعه ليست من الدرجة الأولى. ربما بسبب ندرة ما تحت يديه من مصادر.

مع ذلك، لا يمكن إنكار أن الثلاثي غايغر ـ هوروفيتس ـ شباير هم من وضعوا الأساس الحقيقي لعلم الدين المقارن اليهودي الإسلامي.

ملاحظات:

بطلب من الراحلة باتريشيا كرونه، سعينا قبل سنوات إلى إكمال ما بدأه غايغر ـ شباير من عملهما الرائد حول العلاقة بين القرآن والنصوص التي سبقته. وكان اهتمامنا ينصبّ أصلاً على الجانب الأغادي (الأسطوري) لا الهالاخي (التشريعي). وكان مشروعنا يتجلّى في البحث في العلاقة بين التراث الإسلامي ما بعد القرآني ـ سنّة وتفسير وتاريخ ـ والنصوص غير الإسلامية. لكن الاسم الذي رشّحته السيدة كرونه، وهو حاييم ملكوفسكي، أحد أبرز الخبراء في المسألة من الطرف اليهودي، منعنا موضوعياً عن إكمال المشروع.

ثمّة ملاحظات بسيطة على نص غايغر، لا بدّ من إيرادها، مع الأخذ بعين الاعتبار السنة التي نُشر فيها هذا النص الهام:

1 ـ ثمة أخطاء كثيرة في النص، منها الطباعي ومنها غير الطباعي؛
2 ـ من مقارنتنا بين ما بين أيدينا من نصوص عبرية ونصوص غايغر، وجدنا بعض أخطاء ليست غير هامة؛ بغض النظر عن صعوبة قراءة النصوص العبرية في كتاب غايغر لأسباب طباعية؛
3 ـ إلفيرار اسم يرد دائماً عند غايغر؛ وربما يكون البغوي المفسّر القرآني؛
4 ـ جلال الدين اسم آخر نجده أيضاً كمفسّر قرآني؛ ونعتقد أنه الجلالين؛
5 ـ لا نجد أية إشارة إلى أهم المفسّرين المسلمين، كالقرطبي وابن كثير والطبري، في عمل غايغر؛
6 ـ الاعتماد على نص برقية الحاخام إليعيزر الذي لا نمتلك معلومات دقيقة حول ما كتب منه بعد الإسلام؛
7 ـ لم نفهم ما هو المقصود بتعبير «السنّة» الذي يرد كثيراً عند غايغر؛
8 ـ عدم التطرّق لنصوص عبرية هامة للغاية في مسألة الدين المقارن اليهودي الإسلامي، مثل معاسه أبراهام (أعمال إبراهيم)، من قبل غايغر.

مع ذلك، خاصة إذا ما أخذنا زمن العمل بعين الاعتبار، يظل غايغر واحداً من أهم الرموز المعرفية في ألمانيا العلمانية.

نبيل فياض

دمشق، الحادي عشر من

آب ـ أغسطس، 2017.

مقدمة المترجم الإنكليزي

لقد تعهدت ترجمة هذه الدراسة الغنيمة التي اختطها يراع الحاخام أبراهام غايغر بناء على طلب القس غ. ا. ليفروي، رئيس إرساليّة كامبريدج في دلهي، الذي كان يعتقد أن الترجمة الإنكليزية للكتاب ستفيده في تعامله مع المحمديين. كان القس هـ د. غريسولد من الإرسالية المشيخية الأمريكية في لاهور لطيفاً جداً وهو يضع تحت تصرّفي جميع الشواهد العربية والعبريّة، إضافة إلى مراجعته لترجمتي.

ف. م. يونغ.

بانغلور

آذار ـ مارس 17، 1896.

مقدّمة

إني أغامر أن أعرض على عامة الناس عملاً كان قد بوشر به في المقام الأول بموادٍ هزيلة إلى حد ما. المسألة التي طرحتها الكلية الفلسفية في بون، أي: «*Inquiratur in fontes Alcorani seu Legis Mohammedicae eas, qui ex Judaismo derivandisunt*, بحث في *ينابيع القرآن أو الشرع المحمدي، المأخوذين عن اليهودية*»،عملت بمثابة حافز على هذا العمل. إن المنظور الذي كان واجباً مقاربة الموضوع من خلاله تُرِك وفقاً لشروط مسألة بالكامل لعمال مختلفين؛ وأنه منها اعتبرت أنها يجب أن تؤخذ في الاعتبار، كي يتم تشكيل حكم صحيح على مقالتي. ومن المفترض أن محمداً استعار من اليهودية، وهذا الافتراض، كما سيظهر لاحقاً، قائم على أسس حقيقية. في هذا السياق يتم بالطبع استبعاد كل شيء والذي يظهر فقط في مرحلة متأخرة من تطور الإسلام، والذي لا يمكن أن نجد له أثراً في القرآن؛ لكن من ناحية أخرى فكلّ هذه الأفكار والأساطير الدينية كما يشار إليها في القرآن، وكما تُفسّر وتُطوّر على أيدي كتّاب متأخرين، إنما تستحق وتستأهل أن تؤخذ بعين الاعتبار. ثانياً، إنّ مقارنة بين الأقوال اليهودية، وأقوال القرآن، على أمل تحديد الأولى كمصدر لهذه الأخيرة، يمكن أن تحدث فقط بشرط أن الأقوال اليهودية موجودة فعلاً في كتابات يهودية قبل الإسلام؛ أو ما لم يكن من المؤكد أن مثل هذه الأقوال، على الرغم من تدوينها مؤخراً فقط، كانت موجودة في وقت سابق في الكنيس.

لكن هذا اليقين لا يمكن تحقيقه بسهولة، ويجب أن يجد النقد التاريخي شكوكه حيث أن هذا متجذّر بعمق أكثر بالنسبة إلى عدد المرات التي تم العثور على الأقوال فيها بين أقوال المذاهب الأخرى، والتي منها تنشأ احتمالية أن يكون قد تمّ تبنيها. وثالثاً، يجب على أولئك الذين يضطلعون بهذا العمل أن ينظروا بجدية في مسألة ما إذا كان مجرد التشابه بين عقائد طائفتين دينيتين مختلفتين يثبت حقيقة حدوث التبني من طرف إلى آخر. هنالك كثير من الأفكار الدينيّة العامّة التي هي مشتركة بين العديد من الأديان الإيجابية[1] الموجودة في زمن ظهور المحمدية، وعلينا أن نكون حذرين للغاية كي لا نؤكّد بشكل متهور أن فكرة بعينها موجودة في القرآن مأخوذة عن اليهودية.

نتيجة لذلك فقد قدّمت في الأقسام المختلفة العلامات والمؤشرات، وفي حالة وجود بعض النقاط التي تحيق بها صعوبة أكبر، أقدّم الأسباب أيضاً، التي أعتقد أنني أبرّر بها لنفسي الحدس في حصول مثل هذه الاستعارة.

لأجل هذه الأسباب الثلاثة فإن العديد من الشواهد التي حصلت عليها من الإسلام المتأخر ومن اليهودية المتأخرة كان قد تمّ استبعادها، وبطريقة مماثلة استبعدت كثيراً من العبارات أيضاً، من التي لا تعطي الانطباع بالاستعارة.

من ناحية أخرى، كان لا بد من إضافة القسم الأول، من أجل إظهار الأساس الذي تستند إليه إمكانية استعارة عامة من اليهودية. بعد أن أضع أسس الموضوع لمرّة واحدة بهذه الطريقة، فإن ترتيب المواد ككل، وعلى الأخص ترتيب العديد من الأقسام والأقسام الفرعيّة، ذلّل الصعوبات أمامي أكثر. الاستعارات تكون في التفاصيل وليس بأي شيء شامل؛ إنها مجزأة وتصادفيّة بمعنى أنها كانت تُختار وفقاً لما كان يعرفه أولئك الذين كانوا يخبرون محمداً، ووفقاً لما كان مقبولاً برأي

(1) : الدين الإيجابي هو الدين الذي له مؤسّس تاريخي محدّد. مترجم عربي!

النبي وهدفه شخصياً، ومن ثم ليس ثمة وجود لاتصال وثيق. أمّا إلى أي مدى نجحت في اختزال هذه التفاصيل إلى منظومة فيمكن للقارئ أن يرى ويحكم من الكتاب نفسه.

بالنسبة للمواد التي تحت تصرفي، حين أخذت على عاتقي القيام للمرّة الأولى بهذا العمل، فقد كانت مجرّد نصّ عربي للقرآن فحسب بتحرير هينكلمان الذي تؤخذ الاقتباسات منه [في الترجمة الاقتباسات مأخوذة من طبعة فلوغيل]، ترجمة فال Whal للقرآن، ومعرفة حميمة باليهودية وكتاباتها. نسخة طبق الأصل من تفسير البيضاوي للقرآن لبعض المقاطع من السورتين الثانية والثالثة، التي قام بها الأستاذ فرايتاغ لنفسه والذي سمح لي بلطفه المعتاد باستخدامها، كانت العون الوحيد خارج القرآن. وهكذا فقد كان بين يدي ميزة إيجابية بوجود ذهن غير متحيّز؛ فهو، من ناحية، لا يرى المقاطع بعيون المفسّرين العرب، ولا يجد من ناحية أخرى في القرآن آراء المؤدلجين العرب، وروايات مؤرخيهم. إضافة إلى ذلك فقد استمتعت باكتشاف العديد من التلميحات الغامضة بشكل مستقل، وشرحها بشكل صحيح، وفق ما تعلمته بعد ذلك من الكتابات العربية. بهذا الشكل نال عملي الجائزة، وفقط بعد أن تم الحصول على ذلك كان باستطاعتي أن أجمع المزيد من المواد، واستخدامها لإعادة تشكيل العمل باللغة الألمانية. لهذه ينتمي خصوصاً برودرومي وتعليقات مراتشي[1] القيِّمة في تحريره للقرآن، تفسير البيضاوي للسورة العاشرة (في عمل هنتسيل كسرات عربية *Fragmenta Arabica*)، وجزءان من تفسير ممتاز غير منشور لإلفيرار الذي يبدأ بالسورة السابعة وكان قد اشتراه زيتسن الشهير في القاهرة عام 1807، وهو الآن في المكتبة العامّة في غوثا، حيث وصلني من خلال وساطة لطيفة للبروفيسور

(1) لويجي مراتشي (1612 ـ 1700)، عمله هو *Prodromus ad refutationem Alcorani*، مترجم عربي.

فرايتاغ على حساب مكتبة الجامعة في بون. إلى هذه الأمور يمكن إضافة عمَلَي أبي الفداء *Annales Maslemitici* (حوليّات إسلاميّة) و*Historia Anteislamica* (*تاريخ إسلامي*)، عمَلَي بوكوك، وعمل د.هربلو المسمى، *المكتبة المشرقيّة*، والعديد من الأعمال الأخرى التي ستجدون شواهد منها في الكتاب نفسه. جميع الملاحظات المستمدة من الكتابات التي وصلت إليها للمرّة الأولى بينما كان العمل في الطباعة ترد في الملحق. إن مزايا السجل ثلاثي الأقسام، أي الأعمال العربية والحاخامية المفسّرة، المقاطع الواردة من القرآن، والاقتباسات من الكتّاب العرب الآخرين (باستثناء الفيرار ومراشيوس اللذين يستشهد بهما على الدوام) لا ينبغي أن يتم تناولها بالتفصيل. إن الكتابات اليهودية التي استعملتها تتكوّن بالكامل تقريباً من الكتاب المقدس، التلمود، والمدراشيم، ووفقاً لتصميمي على رفض جميع الكتابات اليهودية التي تأتي من زمن ما بعد محمد، وهكذا كان يجب أن تكون محدودة. أمّا المقاطع القليلة التي تؤخذ من الكتابات الأخرى، والتي لا يعرف عصرها على وجه الدقّة، مثل أقوال الحاخام إليعيزر، سفر هايشّار، والتحريرين المختلفين للترغوم الأورشليمي على أسفار العهد القديم الخمسة الأولى (التي يقول تسونتس في عمله القيّم الأخير، *Die Gottesdienstlichen Vorträge der Juden historisch entwickelt*، برلين، 1832، آ. آشر؛ إنها تنتمي إلى حقبة تأتي إلى حد ما بعد حقبة توليف القرآن) فإنها كلّها من ذلك النوع الذي يمكن للمرء فيه أن يشير بشكل عام إلى نص معيّن في الكتاب المقدس نفسه الذي نشأت منه هذه الآراء والتقاليد، ومن ثم يمكن القبول بأولوياتها في الوجود في اليهودية دون تردد.

لا بد لي من تقديم شكري علناً للأستاذ فرايتاغ على كثير من لطفه المختلف الذي أبداه في سياق هذا العمل، وأيضاً لصديقي العزيزين س. فرينزدورف وس. درنبورغ لمساعدتهما في تصحيح البراهين. وأخيراً، أود أن أعرب عن أمنيتي

القلبية بأن يكون هذا العمل الصغير حقيقياً لروح عصرنا، السعي إلى المعرفة، وأن يقدّم لي المثقفون فائدة انتقادهم له.

المؤلّف، فيسبادن

أيار ـ مايو، 12، 1833.

اليهودية والإسلام

مدخل

سوف نجد، إذا ما تحدّثنا عموماً عن مجمل مجال الفكر البشري، سواء أكنا نأخذ بعين الاعتبار المسائل التي أصبحت بالفعل من أملاك البشريّة الواضحة والمحدّدة، أو تلك التي تُركت للمستقبل كي يكشف عنها ويحدّدها بدقّة علمية، أنّ حدساً صحيحاً يسبق على نحو شبه دائم المعرفة العلمية، وهكذا فإن فكرة صحيحة عموماً، وإن لم تكن تحظى بدعم من الأدلة الكافية، تكتسب نوعاً من الاستيلاء على عقول البشر. بهذه الطريقة فإنّ أطروحة هذه الرسالة نظر إليها منذ فترة طويلة على أنها محتملة، وهي أن محمداً في قرآنه استعار الكثير من اليهودية بحسب ما قُدّم إليه في زمنه، على الرغم من هذا الرأي لم يُقدّم له حتى الآن الأسباب الكافية. وتبدو المحاولة بالذات لإعطاء هذا التخمين المجرّد مكانته بين اليقينيات العلمية قد أنتجت في المَلَكة الرغبة في رؤية الموضوع وقد عُمل عليه من قبل الباحثين، الملمّين بكلّ من القرآن واليهودية في مصادرهما الأصلية؛ ولتلبية هذه الرغبة أخذت على عاتقي مهمتي الحالية، واعياً في الواقع للقوى الضعيفة، وإن كنت عاقد العزم على استخدام الصناعة غير المقتصدة في السعي الثابت نحو هدفي. هذا هو الهدف الذي نضعه نصب أعيننا، أي عرض علمي، وليس مجرد قائمة من الاقتباسات الظاهرية من اليهوديّة، ولا بياناً بحقائق معزولة مستلّة بمعزل عن سياقها التاريخي. لهذا يجب أن ندرس علاقة الحقائق

التي يجب إثباتها بحياة محمد وأعماله ككل، وكذلك بتلك الأحداث في زمنه، إما التي حدّدت ممارساته أو التي تم تحديدها من قبله. وهكذا تنقسم هذه الرسالة إلى قسمين، كان على الأول منهما أن يجيب على الأسئلة التالية: هل كان محمد يرغب في الاستعارة من اليهودية؟ هل كان يمكن لمحمد أن يستعير من اليهودية، وإذا كان الأمر كذلك، كيف كانت هذه الاستعارة ممكنة بالنسبة له؟ هل كان متوافقاً مع خطته أن يستعير من اليهودية؟ ويتعين على القسم الثاني أن يُقدّم الوقائع لإثبات الاستعارة، التي ذكرت بناء على أسباب عامة أنها وقعت. فقط بهذه الطريقة يمكن لبرهان فردي من النوع المشار إليه اكتساب قيمة علمية، جزئياً كإلقاء للضوء على طبيعة خطة محمد، وجزئياً بإظهار الضرورة الجوهرية للحقيقة وأهميتها الفعلية بحكم ارتباطها مع وقائع أخرى من حياة محمد وعصره. إلى هذا ستتم إضافة تذييل، والذي سيقدّم فيه مجموعة من تلك المقاطع التي يبدو فيها محمد أنه لم يستعر كثيراً من اليهودية، بقدر ما راجع الأمر وذلك أيضاً بروح عدائيّة.

القسم الأول

هل كان محمد يرغب في *الاستعارة من اليهودية*؟ هل كان يمكن *لمحمد* أن يستعير من *اليهودية، وإذا كان الأمر كذلك، كيف كانت هذه الاستعارة* ممكنة *بالنسبة له*؟ هل كان متوافقاً مع خطته أن يستعير من *اليهودية*؟

لا يكفي أن نقدّم ملخصاً هزيلاً جافّاً عن المقاطع التي تبدو على صلة ما باليهودية، من أجل إظهار أن محمداً كان حقاً يمتلك معرفة بها، وقد استخدمها في تأسيس دينه الجديد، وأنه، علاوة على ما سبق، فإنّ مقارنة مع ذلك تجعل العديد من المقاطع واضحة في القرآن. إنّ مهمتنا بالأحرى هي أن نثبت أنه كم كانت مرتبطة روح محمد، نضاله وأهدافه، مع عقل زمانه ودستور محيطه، ومن ثمّ إثبات حقيقة أنه حتى إذا كنا حُرِمنا من جميع البراهين التي تظهر على نحو لا يمكن إنكاره أن اليهودية مصدرٌ للقرآن، فإن التخمين بأن استعارة من اليهودية كانت قد حدثت لا تزال تمتلك احتماليّة عظيمة. نتيجة لذلك، من الضروري بالنسبة لنا أولاً أن نأخذ بعين الاعتبار هذا بوصفه تطوّراً فلسفياً لصيرورة، ليتم تأكيدها بعد ذلك من قبل الأدلة التاريخية.

ثلاثة أسئلة تبرز هنا:

الأول:

هل اعتقد محمد حقاً أنه سيكسب أي شيء عن طريق الاستعارة من اليهودية؟
أو، بعبارة أخرى، هل وضع محمد نصب عينيه غرض الاستعارة من اليهودية؟

الثاني:

هل كان محمد يمتلك وسيلة، وما هي الوسيلة التي تمكنه من الوصول إلى معرفة باليهودية؟ أي هل كان بوسعه إذن الاستعارة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف كان الأمر ممكناً له؟

الثالث:

ألم تكن ثمة ظروف أخرى منعت، أو قيّدت في جميع الأحوال مثل تلك الاستعارة؟

هل كان متوافقاً مع بقية خطته أن يستعير؟ هل كان ذلك مسموحاً له، وإذا كان الأمر كذلك، فبناء على أية أسباب؟ تشكّل هذه الاستفسارات الثلاثة المقاطع الثلاثة من القسم الأول.

المقطع الأول

هل كانت لدى محمد الرغبة بأن يستعير من اليهودية؟

على الرغم من أنه لا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن ننسب لمحمد ميلاً خاصّاً لليهود واليهودية، بل إنه في حياته، وكذلك في الكتابات التي تركها وراءه كشرائع للأجيال القادمة، هناك آثار من الكراهية لليهود واليهوديّة على حد سواء ـ لا يزال من الواضح أن القوة التي أحرزها اليهود في شبه الجزيرة العربيّة، من جهة، كانت مهمة بما يكفيه لأن يتمنى أن يجعل منهم أتباعاً له، ومن جهة أخرى، فقد كان اليهود، على الرغم من أنهم كانوا جهلة، فقد كانوا متقدّمين على غيرهم من الهيئات الدينية الأخرى[1] في تلك المعرفة التي أعلن محمد أنه تلقاها عبر الوحي الإلهي[2]، كما أحب في الواقع أن يؤكد كل علومه. علاوة على

---

(1) انظر: Jost's *Geschichte des israelischen Volks*، Voll. II، pp. 207 ff.

(2) القرآن 47:29؛ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك. [ترقيم الآيات تركناه كما وضعه غايغر. مترجم].

ذلك، فقد سبّب اليهود له الكثير من المتاعب بتعليقاتهم البارعة والمثيرة للحيرة بحيث أن الرغبة في استعطافهم لا بدّ أنها نشأت بالتأكيد في داخله.

كون اليهود في الجزيرة العربية في زمن محمد كانوا يمتلكون قوة كبيرة إنما هو مبيّن من الحياة الحرة للعديد من القبائل المستقلة تماماً، والتي كان يواجهها أحياناً في معارك مفتوحة. وهذه حقيقة معروفة بشكل خاص عن بني قنيقاع[1] في السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة، وأيضاً عن بني النضير[2] في السنة الرابعة للّهجرة. ويتحدث عن الأخيرين جناب بوصفهم عائلة كبيرة من اليهود.[3] وهذه الحقيقة معروفة أيضاً عن اليهود في خيبر[4] الذين قاتلهم في السنة السابعة للّهجرة. ومن المفترض أن القرآن يشير إلى بني النضير في الآية الثانية من سورة الحشر.[5] فقد وصفوا بأنهم أقوياء للغاية حتى أنّ المسلمين يئسوا من غزوهم،

---

(1) Abulfeda (*Vita Mohammedis* ed. Gagnier، p. 67.

(2) In Pococke (*Spicemen Historiae Arabum*، p. 11)؛ انظر أيضاً تفاسير السورة 59 وكذلك أيضاً *Vita Mohammedis*، ص. 71.

(3) قبيلة كثيرة من اليهود.

(4) Pcc. Spec. p.11.

(5) 16) {2} هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ
فِيهِ ثَلَاث مَسَائِل: الْأُولَى: قَوْله تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْل الْكِتَاب مِنْ دِيَارهمْ «قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر: قُلْت لِابْنِ عَبَّاس: سُورَة الْحَشْر؟ قَالَ: قُلْ سُورَة النَّضِير؛ وَهُمْ رَهْط مِنْ الْيَهُود مِنْ ذُرِّيَّة هَارُون عَلَيْهِ السَّلَام، نَزَلُوا الْمَدِينَة فِي فِتَن بَنِي إِسْرَائِيل اِنْتِظَارًا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرهمْ مَا نَصَّ اللَّه عَلَيْهِ.
الثَّانِيَة: قَوْله تَعَالَى: «لِأَوَّلِ الْحَشْر «الْحَشْر الْجَمْع؛ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعَة أَوْجُه: حَشْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَحَشْرَانِ فِي الْآخِرَة؛ أَمَّا الَّذِي فِي الدُّنْيَا فَقَوْله تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْل الْكِتَاب مِنْ دِيَارهمْ لِأَوَّلِ الْحَشْر «قَالَ الزُّهْرِيّ: كَانُوا مِنْ سِبْط لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاء، وَكَانَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمْ الْجَلَاء؛ فَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَكَانَ أَوَّل حَشْر حُشِرُوا فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّام. قَالَ اِبْن عَبَّاس وَعِكْرِمَة: مَنْ شَكَّ أَنَّ الْمَحْشَر فِي الشَّام فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَة، وَأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُمْ: (اُخْرُجُوا) قَالُوا إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: (إِلَى أَرْض الْمَحْشَر). قَالَ قَتَادَة: هَذَا أَوَّل الْمَحْشَر. قَالَ اِبْن

عَبَّاس: هُمْ أَوَّل مَنْ حُشِرَ مِنْ أَهْل الْكِتَاب وَأُخْرِجَ مِنْ دِيَاره. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ أُخْرِجُوا إِلَى خَيْبَر، وَأَنَّ مَعْنَى «لِأَوَّلِ الْحَشْر «إِخْرَاجهمْ مِنْ حُصُونهمْ إِلَى خَيْبَر، وَآخِره إِخْرَاج عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ إِيَّاهُمْ مِنْ خَيْبَر إِلَى نَجْد وَأَذْرِعَات. وَقِيلَ تَيْمَاء وَأَرِيحَاء، وَذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ وَنَقْضِ عَهْدهمْ. وَأَمَّا الْحَشْر الثَّانِي: فَحَشْرهمْ قُرْب الْقِيَامَة. قَالَ قَتَادَة: تَأْتِي نَار تَحْشُر النَّاس مِنْ الْمَشْرِق إِلَى الْمَغْرِب، تَبِيت مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيل مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَأْكُل مِنْهُمْ مَنْ تَخَلَّفَ. وَهَذَا ثَابِت فِي الصَّحِيح، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي (كِتَاب التَّذْكِرَة). وَنَحْوه رَوَى اِبْن وَهْب عَنْ مَالِك قَالَ: قُلْت لِمَالِكٍ هُوَ جَلَاؤُهُمْ مِنْ دِيَارهمْ؟ فَقَالَ لِي: الْحَشْر يَوْم الْقِيَامَة حَشْر الْيَهُود. قَالَ: وَأَجْلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْيَهُود إِلَى خَيْبَر حِين سُئِلُوا عَنْ الْمَال فَكَتَمُوهُ؛ فَاسْتَحَلَّهُمْ بِذَلِكَ. قَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ: لِلْحَشْرِ أَوَّل وَوَسَط وَآخِر؛ فَالْأَوَّل إِجْلَاء بَنِي النَّضِير، وَالْأَوْسَط إِجْلَاء خَيْبَر، وَالْآخِر حَشْر يَوْم الْقِيَامَة. وَعَنْ الْحَسَن: هُمْ بَنُو قُرَيْظَة. وَخَالَفَهُ بَقِيَّة الْمُفَسِّرِينَ وَقَالُوا: بَنُو قُرَيْظَة مَا حُشِرُوا وَلَكِنَّهُمْ قُتِلُوا. حَكَاهُ الثَّعْلَبِيّ.

الثَّالِثَة: قَالَ إِلْكِيَا الطَّبَرِيّ: وَمُصَالَحَة أَهْل الْحَرْب عَلَى الْجَلَاء مِنْ دِيَارهمْ مِنْ غَيْر شَيْء لَا يَجُوز الْآن، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّل الْإِسْلَام ثُمَّ نُسِخَ. وَالْآن فَلَا بُدّ مِنْ قِتَالهمْ أَوْ سَبْيهمْ أَوْ ضَرْب الْجِزْيَة عَلَيْهِمْ.

...

يُرِيد لِعِظَمِ أَمْر الْيَهُود وَمَنَعَتهمْ وَقُوَّتهمْ فِي صُدُور الْمُسْلِمِينَ، وَاجْتِمَاع كَلِمَتهمْ.

... وَكَانُوا أَهْل حَلْقَة ـ أَيْ سِلَاح كَثِير ـ وَحُصُون مَنِيعَة؛ فَلَمْ يَمْنَعهُمْ شَيْء مِنْهَا.

... بِقَتْلِ سَيِّدهمْ كَعْب بْن الْأَشْرَف؛ وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ هُوَ مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة وَأَبُو نَائِلَة سِلْكَان بْن سَلَامَة بْن وَقْش ـ وَكَانَ أَخَا كَعْب بْن الْأَشْرَف مِنْ الرَّضَاعَة ـ وَعَبَّاد بْن بِشْر بْن وَقْش، وَالْحَارِث بْن أَوْس بْن مُعَاذ، وَأَبُو عَبْس بْن جَبْر. وَخَبَره مَشْهُور فِي السِّيرَة. وَفِي الصَّحِيح أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (نُصِرْت بِالرُّعْبِ بَيْن يَدَيْ مَسِيرَة شَهْر) فَكَيْفَ لَا يُنْصَر بِهِ مَسِيرَة مِيل مِنْ الْمَدِينَة إِلَى مَحَلَّة بَنِي النَّضِير. وَهَذِهِ خِصِّيصَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُون غَيْره.

... وَبَنُو النَّضِير لَمْ يَتْرُكُوهَا خَرَابًا وَإِنَّمَا خَرَّبُوهَا بِالْهَدْمِ؛

... وَحَكَى سِيبَوَيْهِ: أَنَّ مَعْنَى فَعَّلْت وَأَفْعَلْت يَتَعَاقَبَانِ؛ نَحْو أَخْرَبْته وَخَرَّبْته وَأَفْرَحْته وَفَرَّحْته. وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْد وَأَبُو حَاتِم الْأُولَى. قَالَ قَتَادَة وَالضَّحَّاك: كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يُخَرِّبُونَ مِنْ خَارِج لِيَدْخُلُوا، وَالْيَهُود يُخَرِّبُونَ مِنْ دَاخِل لِيَبْنُوا بِهِ مَا خَرِبَ مِنْ حِصْنهمْ. فَرُوِيَ أَنَّهُمْ صَالَحُوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَلَّا يَكُونُوا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ؛ فَلَمَّا ظَهَرَ يَوْم بَدْر قَالُوا: هُوَ النَّبِيّ الَّذِي نُعِتَ فِي التَّوْرَاة، فَلَا تُرَد لَهُ رَايَة. فَلَمَّا هُزِمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْم أُحُد اِرْتَابُوا وَنَكَثُوا، فَخَرَجَ كَعْب بْن الْأَشْرَف فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا إِلَى مَكَّة، فَخَالَفُوا عَلَيْهِ قُرَيْشًا عِنْد الْكَعْبَة، فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَام مُحَمَّد بْن مَسْلَمَة الْأَنْصَارِيّ فَقَتَلَ كَعْبًا غِيلَة ثُمَّ صَبَّحَهُمْ بِالْكَتَائِبِ؛ فَقَالَ لَهُمْ. اُخْرُجُوا مِنْ الْمَدِينَة. فَقَالُوا: الْمَوْت أَحَبّ إِلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ؛ فَتَنَادَوْا بِالْحَرْبِ. وَقِيلَ: اِسْتَمْهَلُوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَة أَيَّام لِيَتَجَهَّزُوا لِلْخُرُوجِ، فَدَسَّ إِلَيْهِمْ عَبْد اللَّه بْن أُبَيّ الْمُنَافِق وَأَصْحَابه لَا تَخْرُجُوا مِنْ الْحِصْن، فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَنَحْنُ مَعَكُمْ لَا نَخْذُلكُمْ، وَلَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ. فَدَرَّبُوا عَلَى الْأَزِقَّة وَحَصَّنُوهَا إِحْدَى وَعِشْرِينَ لَيْلَة. فَلَمَّا قَذَفَ اللَّه فِي قُلُوبهمْ الرُّعْب وَأَيِسُوا مِنْ نَصْر الْمُنَافِقِينَ طَلَبُوا الصُّلْح؛ فَأَبَى

والمعاقل التي كانت ملكهم كانت لتنفي عن أذهانهم أفكار أن يستولى عليهم، كما يعبّر محمد عن الأمر بمبالغة محتملة، فإنهم لم يدمّروا بيوتهم بأيديهم، أو كما يؤكّد أبو الفداء[1] باحتمالية تاريخية أكبر، فإنهم انسحبوا بأنفسهم، خوفاً من الحصار الطويل، وتحوّلوا إلى مناطق أكثر هدوءاً. إن الرغبة في الحياة المدنية

عَلَيْهِمْ إِلَّا الْجَلَاء؛ عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانه. وَقَالَ الزُّهْرِيّ وَابْن زَيْد وَعُرْوَة بْن الزُّبَيْر: لَمَّا صَالَحَهُمْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الْإِبِل؛ كَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ الْخَشَبَة وَالْعَمُود فَيَهْدِمُونَ بُيُوتهمْ وَيَحْمِلُونَ ذَلِكَ عَلَى إِبِلهمْ وَيُخَرِّب الْمُؤْمِنُونَ بَاقِيهَا. وَعَنْ اِبْن زَيْد أَيْضًا: كَانُوا يُخَرِّبُونَهَا لِئَلَّا يَسْكُنهَا الْمُسْلِمُونَ بَعْدهمْ. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: كَانُوا كُلَّمَا ظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى دَار مِنْ دُورهمْ هَدَمُوهَا لِيَتَّسِع مَوْضِع الْقِتَال، وَهُمْ يَنْقُبُونَ دُورهمْ مِنْ أَدْبَارهَا إِلَى الَّتِي بَعْدهَا لِيَتَحَصَّنُوا فِيهَا، وَيَرْمُوا بِالَّتِي أَخْرَجُوا مِنْهَا الْمُسْلِمِينَ. وَقِيلَ: لِيَسُدُّوا بِهَا أَزِقَّتهمْ. وَقَالَ عِكْرِمَة «بِأَيْدِيهِمْ «فِي إِخْرَاب دَوَاخِلهَا وَمَا فِيهَا لِئَلَّا يَأْخُذهُ الْمُسْلِمُونَ. و«أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ «فِي إِخْرَاب ظَاهِرهَا لِيَصِلُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ. قَالَ عِكْرِمَة: كَانَتْ مَنَازِلهمْ مُزَخْرَفَة فَحَسَدُوا الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْكُنُوهَا «فَخَرَّبُوهَا مِنْ دَاخِل وَخَرَّبَهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِج. وَقِيلَ: «يُخْرِبُونَ بُيُوتهمْ «بِنَقْضِ الْمُوَاعَدَة «وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ «بِالْمُقَاتَلَةِ؛ قَالَهُ الزُّهْرِيّ أَيْضًا. وَقَالَ أَبُو عَمْرو بْن الْعَلَاء «بِأَيْدِيهِمْ «فِي تَرْكهمْ لَهَا. و«أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ «فِي إِجْلَائِهِمْ عَنْهَا. قَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ: التَّنَاوُل لِلْإِفْسَادِ إِذَا كَانَ بِالْيَدِ كَانَ حَقِيقَة، وَإِذَا كَانَ بِنَقْضِ الْعَهْد كَانَ مَجَازًا؛ إِلَّا أَنَّ قَوْل الزُّهْرِيّ فِي الْمَجَاز أَمْثَل مِنْ قَوْل أَبِي عَمْرو بْن الْعَلَاء.

... أَيْ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْي كَمَا فَعَلَ بِبَنِي قُرَيْظَة. وَالْجَلَاء مُفَارَقَة الْوَطَن يُقَال: جَلَا بِنَفْسِهِ جَلَاء، وَأَجْلَاهُ غَيْره إِجْلَاء. وَالْفَرْق بَيْن الْجَلَاء وَالْإِخْرَاج وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُمَا فِي الْإِبْعَاد وَاحِدًا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا: أَنَّ الْجَلَاء مَا كَانَ مَعَ الْأَهْل وَالْوَلَد، وَالْإِخْرَاج قَدْ يَكُون مَعَ بَقَاء الْأَهْل وَالْوَلَد. الثَّانِي: أَنَّ الْجَلَاء لَا يَكُون إِلَّا لِجَمَاعَةٍ، وَالْإِخْرَاج يَكُون لِوَاحِدٍ وَلِجَمَاعَةٍ؛ قَالَهُ الْمَاوَرْدِيّ. إضافة من المترجم من تفسير القرطبي.

(1) يقول أبو الفداء: «وسار رسول الله (ص) إليهم وحاصرهم في ربيع الأول سنة أربع، ونزل تحريم الخمر وهو محاصر لهم؛ فلمّا مضى ست ليال محاصراً لهم، سألوا رسول الله أن يجليهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فأجابهم إلى ذلك. فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير مظهرين بذلك تجلّداً... ومضى إلى خيبر من بني النضير ناس، وإلى الشام ناس». (تاريخ أبو الفداء، ص 64، نسخة الكترونية؛ https://upload.wikimedia.org/wikisource/ar/f/fd/%D8%A7 86%%84%D9%8A%D8%B1%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%%D9 D8%AA%D8%A7%%_86%85%D9%8A%D8%A9_%D9%88%D9%D8%A8%D9 84%%8A_%D8%A7%D9%8A%D8%AE_%D8%A3%D8%A8%D9%D8%B1%D9 .(81%D8%AF%D8%A7%D8%A1.pdf%D9

المستقرة، التي استمرت في الجزيرة العربية حتى حُكْم محمد، كانت مفضلة جداً بالنسبة لليهود الذين فروا إلى هذا البلد بأعداد كبيرة بعد تدمير القدس، حيث مكّنتهم من التجمع معاً والحفاظ على استقلالهم. قبل قرن من ظهور محمد، كان هذا الاستقلال قد وصل إلى مثل ذلك الأوج حتى أنه بين الحميريين كان الحاكم اليهودي يفرض سلطانه القضائي فعلياً على أولئك الذين لم يكونوا من اليهود، وكان فقط الحماس الخاطئ للحاكم اليهودي الأخير، ذو نواس[1]، الذي أدّى به إلى محاولة قاسية لقمع المذاهب الأخرى (وهي المحاولة التي تصوِّر لنا بالألوان الكثيرة لكتّاب سير الشهداء)، هو الذي أدّى إلى سقوط العرش اليهودي من خلال قدوم الملك الحبشي المسيحي.[2] على الرغم من أنه يبدو أنه من غير المحتمل بالكامل أن الآية الرابعة من سورة البروج[3] إنما تشير إلى هذا

(1) في النص الاسم هو ابن نواس. مترجم.

(2) Comp. *Assemani Bibilotheca Orientalis*، I، 361، and *Michaelia Syrische Christomathio*، p. 19 ff.

(3) إضافة من المترجم عن القرطبي: فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ صُهَيْب: أَنَّ رَسُول اللَّه صَلىَّ اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ مَلِك فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِر؛ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْت فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمهُ السِّحْر؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ؛ فَكَانَ فِي طَرِيقه إِذَا سَلَكَ، رَاهِب، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامه، فَأَعْجَبَهُ؛ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِر مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا أَتَى السَّاحِر ضَرَبَهُ؛ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِب، فَقَالَ: إِذَا خَشِيت السَّاحِر فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيت أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِر. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّة عَظِيمَة قَدْ حَبَسَتْ النَّاس، فَقَالَ: الْيَوْم أَعْلَم السَّاحِر أَفْضَل أَمْ الرَّاهِب أَفْضَل؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمّ إِنْ كَانَ أَمْر الرَّاهِب أَحَبَّ إِلَيْك مِنْ أَمْر السَّاحِر فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّة، حَتَّى يَمْضِي النَّاس؛ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاس. فَأَتَى الرَّاهِب فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِب: أَيْ بَنِي؟ أَنْتَ الْيَوْم أَفْضَل مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرك مَا أَرَى، وَإِنَّك سَتُبْتَلَى؛ فَإِنْ ابْتُلِيت فَلَا تَدُلّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَام يُبْرِئ الْأَكْمَه وَالْأَبْرَص، وَيُدَاوِي النَّاس مِنْ سَائِر الْأَدْوَاء. فَسَمِعَ جَلِيس لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَة فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَك أَجْمَع إِنْ أَنْتَ شَفَيْتنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّه؛ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْت بِاَللَّهِ دَعَوْت اللَّه فَشَفَاك؟ فَآمَنَ بِاَللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّه. فَأَتَى الْمَلِك فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِس؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِك: مَنْ رَدَّ عَلَيْك بَصَرك؟ قَالَ رَبِّي. قَالَ: وَلَك رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّك اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَام؛ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِك: أَيْ بُنَيَّ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِك مَا تُبْرِئ الْأَكْمَه وَالْأَبْرَص، وَتَفْعَل وَتَفْعَل؟! قَالَ: أَنَا لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي

اللَّه. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِب؛ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِك. فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَار فِي مَفْرِق رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِك فَقِيلَ لَهُ: اِرْجِعْ عَنْ دِينك؛ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَار فِي مَفْرِق رَأْسه، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينك، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَر مِنْ أَصْحَابه فَقَالَ: اِذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَل كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَل، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَته فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينه وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَل فَقَالَ: اللَّهُمَّ اِكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْت؛ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَل، فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك، فَقَالَ لَهُ الْمَلِك: مَا فَعَلَ أَصْحَابك؟ قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّه. فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَر مِنْ أَصْحَابه فَقَالَ: اِذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُور، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْر، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينه وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ؛ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِم بِمَا شِئْت؛ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَة، فَغَرِقُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِك، فَقَالَ لَهُ الْمَلِك: مَا فَعَلَ أَصْحَابُك؟ قَالَ: كَفَانِيهِمْ اللَّه. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّك لَسْت بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَل مَا آمُرُك بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَع النَّاس فِي صَعِيد وَاحِد، وَتَصْلُبنِي عَلَى جِذْع، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْم فِي كَبِد الْقَوْس، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّه رَبّ الْغُلَام، ثُمَّ ارْمِنِي؛ فَإِنَّك إِذَا فَعَلْت ذَلِكَ قَتَلْتنِي. فَجَمَعَ النَّاس فِي صَعِيد وَاحِد، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْع، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَته، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْم فِي كَبِد الْقَوْس ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّه رَبّ الْغُلَام؛ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْم فِي صُدْغه، فَوَضَعَ يَده فِي صُدْغه، فِي مَوْضِع السَّهْم، فَمَاتَ؛ فَقَالَ النَّاس: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَام! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَام! آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَام فَأُتِيَ الْمَلِك فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْت مَا كُنْت، تَحْذَر؟ قَدْ وَاَللَّه نَزَلَ بِك حَذَرك، قَدْ آمَنَ النَّاس؛ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاه السِّكَك، فَخُدَّتْ، وَأُضْرِمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِع عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ـ أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ ـ فَفَعَلُوا؛ حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَة وَمَعَهَا صَبِيّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَع فِيهَا، فَقَالَ، لَهَا الْغُلَام: (يَا أُمَّهِ اِصْبِرِي فَإِنَّك عَلَى الْحَقّ). خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيّ بِمَعْنَاهُ. وَفِيهِ: (وَكَانَ عَلَى طَرِيق الْغُلَام رَاهِب فِي صَوْمَعَة) قَالَ مَعْمَر: أَحْسَب أَنَّ أَصْحَاب الصَّوَامِع كَانُوا يَوْمئِذٍ مُسْلِمِينَ. وَفِيهِ: (أَنَّ الدَّابَّة الَّتِي حَبَسَتْ النَّاس كَانَتْ أَسَدًا، وَأَنَّ الْغُلَام دُفِنَ ـ قَالَ ـ : فَيُذْكَر أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَن عُمَر بْن الْخَطَّاب وَأُصْبُعُهُ عَلَى صُدْغه كَمَا وَضَعَهَا حِين قُتِلَ). وَقَالَ: حَدِيث حَسَن غَرِيب. وَرَوَاهُ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: كَانَ مَلِك بِنَجْرَان، وَفِي رَعِيَّتِهِ رَجُل لَهُ فَتًى، فَبَعَثَهُ إِلَى سَاحِر يُعَلِّمُهُ السِّحْر، وَكَانَ طَرِيق الْفَتَى عَلَى رَاهِب يَقْرَأ الْإِنْجِيل؛ فَكَانَ يُعْجِبُهُ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ الرَّاهِب، فَدَخَلَ فِي دِين الرَّاهِب؛ فَأَقْبَلَ يَوْمًا فَإِذَا حَيَّة عَظِيمَة قَطَعَتْ عَلَى النَّاس طَرِيقَهُمْ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ بِاسْمِ اللَّه رَبّ السَّمَوَات وَالْأَرْض وَمَا بَيْنهمَا؛ فَقَتَلَهَا. وَذَكَرَ نَحْو مَا تَقَدَّمَ. وَأَنَّ الْمَلِك لَمَّا رَمَاهُ بِالسَّهْمِ وَقَتَلَهُ قَالَ أَهْل مَمْلَكَة الْمَلِك: لَا إِلَه إِلَّا إِلَه عَبْد اللَّه بْن ثَامِر، وَكَانَ اِسْم الْغُلَام، فَغَضِبَ الْمَلِك، وَأَمَرَ فَخُدَّتْ أَخَادِيد، وَجُمِعَ فِيهَا حَطَب وَنَار، وَعَرَضَ أَهْل مَمْلَكَته عَلَيْهَا، فَمَنْ رَجَعَ عَنْ التَّوْحِيد تَرَكَهُ، وَمَنْ ثَبَتَ عَلَى دِينِهِ قَذَفَهُ فِي النَّار. وَجِيءَ بِامْرَأَةٍ مُرْضِع فَقِيلَ لَهَا اِرْجِعِي عَنْ دِينِك وَإِلَّا قَذَفْنَاك وَوَلَدك ـ قَالَ ـ فَأَشْفَقَتْ وَهَمَّتْ بِالرُّجُوعِ، فَقَالَ لَهَا الصَّبِيّ الْمُرْضِع: يَا أُمِّي، اُثْبُتِي عَلَى مَا أَنْتِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا هِيَ غُمَيْضَة؛ فَأَلْقَوْهَا وَابْنهَا. وَرَوَى أَبُو صَالِح عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ النَّار ارْتَفَعَتْ مِنْ الْأُخْدُود فَصَارَتْ فَوْق الْمَلِك وَأَصْحَابه أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا فَأَحْرَقَتْهُمْ. وَقَالَ الضَّحَّاك: هُمْ قَوْم مِنْ النَّصَارَى كَانُوا بِالْيَمَنِ قَبْل مَبْعَث رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ سَنَة، أَخَذَهُمْ يُوسُف بْن شَرَاحِيل بْن تُبَّع الْحِمْيَرِيّ، وَكَانُوا نَيِّفًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا، وَحَفَرَ لَهُمْ أُخْدُودًا وَأَحْرَقَهُمْ فِيهِ. حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيّ، وَحَكَى الثَّعْلَبِيّ عَنْهُ أَنَّ أَصْحَاب الْأُخْدُود مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، أَخَذُوا رِجَالًا وَنِسَاء، فَخَدُّوا لَهُمْ الْأَخَادِيد، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهَا النَّار، ثُمَّ أُقِيمَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا. وَقِيلَ لَهُمْ: تَكْفُرُونَ أَوْ تُقْذَفُونَ فِي النَّار؟ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ دَانْيَال وَأَصْحَابه؛ وَقَالَ عَطِيَّة الْعَوْفِيّ. وَرُوِيَ نَحْو هَذَا عَنْ اِبْن عَبَّاس. وَقَالَ عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: إِنَّ مَلِكًا سَكِرَ فَوَقَعَ عَلَى أُخْته، فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَل ذَلِكَ شَرْعًا فِي رَعِيَّته فَلَمْ يَقْبَلُوا؛ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَخْطُب بِأَنَّ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَحَلَّ نِكَاح الْأَخَوَات، فَلَمْ يُسْمَع مِنْهُ. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَخُدّ لَهُمْ الْأُخْدُود، وَيُلْقِي فِيهِ كُلّ مَنْ عَصَاهُ. فَفَعَلَ. قَالَ: وَبَقَايَاهُمْ يَنْكِحُونَ الْأَخَوَات وَهُمْ الْمَجُوس، وَكَانُوا أَهْل كِتَاب. وَرُوِيَ عَنْ عَلِيّ أَيْضًا أَنَّ أَصْحَاب الْأُخْدُود كَانَ سَبَبهمْ أَنَّ نَبِيًّا بَعَثَهُ اللَّه تَعَالَى إِلَى الْحَبَشَة، فَاتَّبَعَهُ نَاس، فَخَدَّ لَهُمْ قَوْمُهُمْ أُخْدُودًا، فَمَنْ اِتَّبَعَ النَّبِيّ رُمِيَ فِيهَا، فَجِيءَ بِامْرَأَةٍ لَهَا بُنَيٌّ رَضِيع فَجَزِعَتْ، فَقَالَ لَهَا: يَا أُمَّاهُ، امْضِي وَلَا تَجْزَعِي. وَقَالَ أَيُّوب عَنْ عِكْرِمَة قَالَ: «قُتِلَ أَصْحَاب الْأُخْدُود «قَالَ: كَانُوا مِنْ قَوْمك مِنْ السِّجِسْتَان. وَقَالَ الْكَلْبِيّ: هُمْ نَصَارَى نَجْرَان، أَخَذُوا بِهَا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، فَخَدُّوا لَهُمْ سَبْعَة أَخَادِيد، طُول كُلّ أُخْدُود أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَعَرْضه اثْنَا عَشَر ذِرَاعًا. ثُمَّ طُرِحَ فِيهِ النِّفْط وَالْحَطَب، ثُمَّ عَرَضُوهُمْ عَلَيْهَا؛ فَمَنْ أَبَى قَذَفُوهُ فِيهَا. وَقِيلَ: قَوْم مِنْ النَّصَارَى كَانُوا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ زَمَان قُسْطَنْطِين. وَقَالَ مُقَاتِل: أَصْحَاب الْأُخْدُود ثَلَاثَة؛ وَاحِد بِنَجْرَان، وَالْآخَر بِالشَّامِ، وَالْآخَر بِفَارِس. أَمَّا الَّذِي بِالشَّامِ فَـ «أنطنيانوس «الرُّومِيّ، وَأَمَّا الَّذِي بِفَارِس فَـ «بَخْتُنَصَّرَ »، وَالَّذِي بِأَرْضِ الْعَرَب يُوسُف بْن ذِي نُوَاس. فَلَمْ يُنْزِلْ اللَّه فِي الَّذِي بِفَارِس وَالشَّام قُرْآنًا، وَأَنْزَلَ قُرْآنًا فِي الَّذِي كَانَ بِنَجْرَان. وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ كَانَ أَحَدهمَا بِتِهَامَة، وَالْآخَر بِنَجْرَان، أَجَّرَ أَحَدُهُمَا نَفْسه، فَجَعَلَ يَعْمَل وَيَقْرَأ الْإِنْجِيل؛ فَرَأَتْ اِبْنَة الْمُسْتَأْجِر النُّور فِي قِرَاءَة الْإِنْجِيل، فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا فَأَسْلَمَ. وَبَلَغُوا سَبْعَة وَثَمَانِينَ بَيْن رَجُل وَامْرَأَة، بَعْد مَا رُفِعَ عِيسَى، فَخَدَّ لَهُمْ يُوسُف بْن ذِي نُوَاس بْن تُبَّع الْحِمْيَرِيّ أُخْدُودًا، وَأَوْقَدَ فِيهِ النَّار؛ وَعَرَضَهُمْ عَلَى الْكُفْر، فَمَنْ أَبَى أَنْ يَكْفُر قَذَفَهُ فِي النَّار، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِين عِيسَى لَمْ يُقْذَف. وَإِنَّ اِمْرَأَة مَعَهَا وَلَدهَا صَغِير لَمْ يَتَكَلَّم، فَرَجَعَتْ، فَقَالَ لَهَا اِبْنهَا: يَا أُمَّاهُ، إِنِّي أَرَى أَمَامك نَارًا لَا تُطْفَأ، فَقَذَفَا ـ جَمِيعًا ـ أَنْفُسهمَا فِي النَّار، فَجَعَلَهَا اللَّه وَابْنهَا فِي الْجَنَّة. فَقُذِفَ فِي يَوْم وَاحِد سَبْعَة وَسَبْعُونَ إِنْسَانًا. وَقَالَ ابْن إِسْحَاق عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه: كَانَ رَجُل مِنْ بَقَايَا أَهْل دِين عِيسَى بْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَام، يُقَال لَهُ قيميون، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا مُجَاب الدَّعْوَة، وَكَانَ سَائِحًا فِي الْقُرَى، لَا يُعْرَف بِقَرْيَة إِلَّا مَضَى عَنْهَا، وَكَانَ بَنَّاء يَعْمَل الطِّين. قَالَ مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ، وَكَانَ أَهْل نَجْرَان أَهْل شِرْك يَعْبُدُونَ الْأَصْنَام، وَكَانَ فِي قَرْيَة مِنْ قُرَاهَا قَرِيبًا مِنْ نَجْرَان سَاحِر يُعَلِّم غِلْمَان أَهْل نَجْرَان السِّحْر؛ فَلَمَّا نَزَلَ بِهَا قيميون، بَنَى بِهَا خَيْمَة بَيْن نَجْرَان وَبَيْن تِلْكَ الْقَرْيَة الَّتِي بِهَا السَّاحِر، فَجَعَلَ أَهْل نَجْرَان يَبْعَثُونَ غِلْمَانهمْ إِلَى ذَلِكَ السَّاحِر يُعَلِّمهُمْ السِّحْر، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الثَّامِر عَبْد اللَّه بْن الثَّامِر، فَكَانَ مَعَ غِلْمَان أَهْل نَجْرَان، وَكَانَ عَبْد اللَّه إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الْخَيْمَة أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْ أَمْر صَلَاته وَعِبَادَته، فَجَعَلَ يَجْلِس إِلَيْهِ وَيَسْمَع مِنْهُ، حَتَّى أَسْلَمَ، فَوَحَّدَ اللَّه وَعَبَدَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلهُ عَنْ اسْم اللَّه الْأَعْظَم، وَكَانَ الرَّاهِب يَعْلَمهُ، فَكَتَمَهُ إِيَّاهُ وَقَالَ: يَا اِبْن

أخِي، إِنَّك لَنْ تَحْمِله، أَخْشَى ضَعْفك عَنْهُ؛ وَكَانَ أَبُو الثَّامِر لَا يَظُنّ إِلَّا أَنَّ اِبْنه يَخْتَلِف إِلَى السَّاحِر كَمَا يَخْتَلِف الْغِلْمَان. فَلَمَّا رَأَى عَبْد اللَّه أَنَّ الرَّاهِب قَدْ بَخِلَ عَلَيْهِ بِتَعْلِيمِ اسْم اللَّه الْأَعْظَم، عَمَدَ إِلَى قِدَاح فَجَمَعَهَا، ثُمَّ لَمْ يُبْقِ لِلَّهِ تَعَالَى اسْمًا يَعْلَمهُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي قِدْح، لِكُلِّ اِسْم قِدْح؛ حَتَّى إِذَا أَحْصَاهَا أَوْقَدَ لَهَا نَارًا، ثُمَّ جَعَلَ يَقْذِفهَا فِيهَا قِدْحًا قِدْحًا، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالِاسْمِ الْأَعْظَم قَذَفَ فِيهَا بِقِدْحِهِ، فَوَثَبَ الْقِدْح حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا لَمْ يَضُرّهُ شَيْء، فَأَخَذَهُ ثُمَّ قَامَ إِلَى صَاحِبه، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَلِمَ اِسْم اللَّه الْأَعْظَم الَّذِي كَتَمَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَكَيْف عَلِمْته؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ. فَقَالَ لَهُ: يَا اِبْن أَخِي، قَدْ أَصَبْته، فَأَمْسِكْ عَلَى نَفْسك، وَمَا أَظُنّ أَنْ تَفْعَل. فَجَعَلَ عَبْد اللَّه بْن الثَّامِر إِذَا دَخَلَ نَجْرَان لَمْ يَلْقَ أَحَدًا بِهِ ضُرٌّ إِلَّا قَالَ: يَا عَبْد اللَّه، أَتُوَحِّدُ اللَّه وَتَدْخُل فِي دِينِي، فَأَدْعُو اللَّه لَك فَيُعَافِيك مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنْ الْبَلَاء؟ فَيَقُول: نَعَمْ؛ فَيُوَحِّد اللَّه وَيُسْلِم، فَيَدْعُو اللَّه لَهُ فَيَشْفَى، حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَد بِنَجْرَان بِهِ ضُرّ إِلَّا أَتَاهُ فَاتَّبَعَهُ عَلَى دِينه وَدَعَا لَهُ فَعُوفِيَ؛ حَتَّى رُفِعَ شَأْنه إِلَى مَلِكِهِمْ، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْت عَلَيَّ أَهْل قَرْيَتِي، وَخَالَفْت دِينِي وَدِين آبَائِي، فَلَأُمَثِّلَنَّ بِك. قَالَ: لَا تَقْدِر عَلَى ذَلِكَ؛ فَجَعَلَ يُرْسِل بِهِ إِلَى الْجَبَل الطَّوِيل، فَيُطْرَح عَنْ رَأْسه، فَيَقَع عَلَى الْأَرْض لَيْسَ بِهِ بَأْس. وَجَعَلَ يَبْعَث بِهِ إِلَى مِيَاه نَجْرَان، بِحَار لَا يُلْقَى فِيهَا شَيْء إِلَّا هَلَكَ، فَيُلْقَى فِيهَا فَيَخْرُج لَيْسَ بِهِ بَأْس؛ فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لَهُ عَبْد اللَّه بْن الثَّامِر: وَاَللَّه لَا تَقْدِر عَلَى قَتْلِي حَتَّى تُوَحِّد اللَّه وَتُؤْمِن بِمَا آمَنْت بِهِ؛ فَإِنَّك إِنْ فَعَلْت ذَلِكَ سُلِّطْت عَلَيَّ وَقَتَلْتنِي. فَوَحَّدَ اللَّه ذَلِكَ الْمَلِك وَشَهِدَ شَهَادَته، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصًا فَشَجَّهُ شَجَّة صَغِيرَة لَيْسَتْ بِكَبِيرَةٍ، فَقَتَلَهُ، وَهَلَكَ الْمَلِك مَكَانه، وَاجْتَمَعَ أَهْل نَجْرَان عَلَى دِين عَبْد اللَّه بْن الثَّامِر، وَكَانَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى بْن مَرْيَم مِنْ الْإِنْجِيل وَحُكْمه. ثُمَّ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ أَهْل دِينهمْ مِنْ الْأَحْدَاث؛ فَمِنْ ذَلِكَ كَانَ أَصْل النَّصْرَانِيَّة بِنَجْرَان. فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاس الْيَهُودِيّ بِجُنُودِهِ مِنْ حِمْيَر، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّة، وَخَيَّرَهُمْ بَيْن ذَلِكَ أَوْ الْقَتْل، فَاخْتَارُوا الْقَتْل، فَخَدَّ لَهُمْ الْأُخْدُود، فَحَرَّقَ بِالنَّارِ وَقَتَلَ بِالسَّيْفِ، وَمَثَّلَ بِهِمْ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ أَلْفًا. وَقَالَ وَهْب بْن مُنَبِّه: اِثْنَيْ عَشَر أَلْفًا. وَقَالَ الْكَلْبِيّ: كَانَ أَصْحَاب الْأُخْدُود سَبْعِينَ أَلْفًا قَالَ وَهْب ثُمَّ لَمَّا غَلَبَ أَرْيَاط عَلَى الْيَمَن خَرَجَ ذُو نُوَاس هَارِبًا، فَاقْتَحَمَ الْبَحْر بِفَرَسِهِ فَغَرِقَ. قَالَ اِبْن إِسْحَاق: وَذُو نُوَاس هَذَا اِسْمه زُرْعَة بْن تُبَّان أَسْعَد الْحِمْيَرِيّ، وَكَانَ أَيْضًا يُسَمَّى يُوسُف، وَكَانَ لَهُ غَدَائِر مِنْ شَعْر تَنُوس، أَيْ تَضْطَرِب، فَسُمِّيَ ذَا نُوَاس، وَكَانَ فَعَلَ هَذَا بِأَهْلِ نَجْرَان، فَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُل اِسْمه دَوْس ذُو ثَعْلَبَان، فَسَاقَ الْحَبَشَة لِيَنْتَصِر بِهِمْ، فَمَلَكُوا الْيَمَن وَهَلَكَ ذُو نُوَاس فِي الْبَحْر، أَلْقَى نَفْسه فِيهِ، وَفِيهِ يَقُول عَمْرو بْن مَعْدِي كَرِب: أَتُوعِدُنِي كَأَنَّك ذُو رُعَيْنٍبِأَنْعَم عِيشَة أَوْ ذُو نُوَاسِ وَكَائِن كَانَ قَبْلك مِنْ نَعِيم وَمُلْك ثَابِت فِي النَّاس رَاسِ قَدِيم عَهْده مِنْ عَهْد عَادٍ عَظِيم قَاهِر الْجَبَرُوت قَاسِ أَزَالَ الدَّهْر مُلْكهمْ فَأَضْحَى يُنَقَّل مِنْ أُنَاس فِي أُنَاسِ وَذُو رُعَيْن: مَلِك مِنْ مُلُوك حِمْيَر. وَرُعَيْن حِصْن لَهُ وَهُوَ مِنْ وَلَد الْحَارِث بْن عَمْرو بْن حِمْيَر بْن سَبَأ. مَسْأَلَة: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: أَعْلَمَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة فِي هَذِهِ الْآيَة، مَا كَانَ يَلْقَاهُ مَنْ وَحَّدَ قَبْلهمْ مِنْ الشَّدَائِد، يُؤْنِسهُمْ بِذَلِكَ. وَذَكَرَ لَهُمْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِصَّة الْغُلَام لِيَصْبِرُوا عَلَى مَا يُلَاقُونَ مِنْ الْأَذَى وَالْآلَام، وَالْمَشَقَّات الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِيَتَأَسَّوْا بِمِثْلِ هَذَا الْغُلَام، فِي صَبْره وَتَصَلُّبه فِي الْحَقّ وَتَمَسُّكه بِهِ، وَبَذْله

الحدث، ويرجع ذلك جزئياً إلى عدم تحديد التلميح وجزئياً لأنه بناءً على هذا الافتراض يسمّى المسيحيون «المؤمنين»[1]، والتي لا نجدها على الإطلاق في أي موضع آخر، على الرغم من أن القاعدة تقول إن معاملة محمد للمسيحيين كانت متساهلة؛ وعلى الرغم من أنني أقدّم تفسيراً مختلفاً تماماً لهذا المقطع، تفسيراً تتحمله كل كلمة[2]، مع ذلك فإن هذا الخطأ بالذات من قبل المفسّرين يظهر الأهمية التي يعلّقها العرب على هذا الحاكم اليهودي، وهو دليل على عظمة سلطته السابقة. وكون بقايا هذه القوة، حتى عندما تحطمت ظلت تحتفظ بنوع

نَفْسه فِي حَقّ إِظْهَار دَعْوَته، وَدُخُول النَّاس فِي الدِّين مَعَ صِغَر سِنّه وَعِظَم صَبْره. وَكَذَلِكَ الرَّاهِب صَبَرَ عَلَى التَّمَسُّك بِالْحَقِّ حَتَّى نُشِرَ بِالْمِنْشَارِ. وَكَذَلِكَ كَثِير مِنْ النَّاس لَمَّا آمَنُوا بِاَللَّهِ تَعَالَى وَرَسَخَ الْإِيمَان فِي قُلُوبهمْ، صَبَرُوا عَلَى الطَّرْح فِي النَّار وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي دِينهمْ. اِبْن الْعَرَبِيّ: وَهَذَا مَنْسُوخ عِنْدنَا، حَسْب مَا تَقَدَّمَ بَيَانه فِي سُورَة «النَّحْل». قُلْت: لَيْسَ بِمَنْسُوخٍ عِنْدنَا، وَأَنَّ الصَّبْر عَلَى ذَلِكَ لِمَنْ قَوِيَتْ نَفْسه وَصَلُبَ دِينه أَوْلَى، قَالَ اللَّه تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ لُقْمَان: «يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلَاة وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنْكَر وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَك إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْم الْأُمُور «[لُقْمَان: 17]: وَرَوَى أَبُو سَعِيد الْخُدْرِيّ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَعْظَم الْجِهَاد كَلِمَة عَدْل عِنْد سُلْطَان جَائِر): خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ: حَدِيث حَسَن غَرِيب، وَرَوَى اِبْن سَنْجَر (مُحَمَّد بْن سَنْجَر) عَنْ أُمَيْمَة مَوْلَاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كُنْت أُوَضِّئ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُل، قَالَ: أَوْصِنِي فَقَالَ: (لَا تُشْرِك بِاَللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْت أَوْ حُرِّقْت بِالنَّارِ...) الْحَدِيث قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَلَقَدْ اُمْتُحِنَ كَثِير مِنْ أَصْحَاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْب وَالتَّعْذِيب الشَّدِيد، فَصَبَرُوا وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى شَيْء مِنْ ذَلِكَ وَيَكْفِيك قِصَّة عَاصِم وَخُبَيْب وَأَصْحَابهمَا وَمَا لَقُوا مِنْ الْحُرُوب وَالْمِحَن وَالْقَتْل وَالْأَسْر وَالْحَرْق، وَغَيْر ذَلِكَ، وَقَدْ مَضَى فِي «النَّحْل «أَنَّ هَذَا إِجْمَاع مِمَّنْ قَوِيَ فِي ذَلِكَ، فَتَأَمَّلْهُ هُنَاكَ. قَوْله تَعَالَى: «قُتِلَ أَصْحَاب الْأُخْدُود «دُعَاء عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّار بِالْإِبْعَادِ مِنْ رَحْمَة اللَّه تَعَالَى: وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْإِخْبَار عَنْ قَتْل أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ إِنَّهُمْ قُتِلُوا بِالنَّارِ فَصَبَرُوا: وَقِيلَ: هُوَ إِخْبَار عَنْ أُولَئِكَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ اللَّه قَبَضَ أَرْوَاح الَّذِينَ أُلْقُوا فِي الْأُخْدُود قَبْل أَنْ يَصِلُوا إِلَى النَّار، وَخَرَجَتْ نَار مِنْ الْأُخْدُود فَأَحْرَقَتْ الَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا قُعُود: وَقِيلَ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ نَجَوْا، وَأَحْرَقَتْ النَّار الَّذِينَ قَعَدُوا، ذَكَرَهُ النَّحَّاس، وَمَعْنَى «عَلَيْهَا «أَيْ عِنْدهَا وَعَلَى بِمَعْنَى عِنْد، وَقِيلَ: «عَلَيْهَا «عَلَى مَا يَدْنُو مِنْهَا مِنْ حَافَات الْأُخْدُود، كَمَا قَالَ: وَبَاتَ عَلَى النَّار النَّدَى وَالْمُحَلِّق الْعَامِل فِي «إِذْ «: «قُتِلَ «، أَيْ لُعِنُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْت.

(1) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (7:85). ـ مترجم عربي.

(2) انظر: القسم الثاني، المقطع الثاني؛ الفصل الثاني، المقطع الرابع.

من الأهمية إنما هو واضح في حد ذاته، بل إنه يزداد وضوحاً في مقطع سيقتبس للحال[1]، حيث يصور الحميريون على أنهم غير مؤمنين بشكل خاص. مؤلّف عربي آخر[2] يذكر القبائل الأخرى بجانب الحميريين كأتباع للديانة اليهودية، أي بنو قنيقاع، بنو الحارث بن كعب[3]، وكندة.[4]

وفي حين أن هذه القوة المادية لليهود أحدثت جزئياً الخوف، وجزئياً الاحترام في ذهن محمد، فإنه لم يكن أقل خوفاً من تفوقهم الفكري وظهوره أمامهم كجاهل؛ وهكذا فلا بدّ أن يكون هدفه الأول استمالتهم من خلال خضوع ظاهري لآرائهم. وأنّ منظومة الاعتقاد اليهودية كانت حتى في ذلك الحين منظومة وصلت إلى كمال تطوّرها، والتي اخترقت حياة كل فرد من أعضاء الجماعة، إنما يثبته قدمها، وحقيقة أن التلمود كان قد تم الانتهاء منه بالفعل على حدّ سواء. وعلى الرغم من أن يهود تلك المنطقة كانوا من بين الأكثر جهلاً، كما يتضح من صمت التلمود بشأنهم، وكذلك من خلال ذلك الذي استُعير منهم وأُدرِج في القرآن، مع ذلك فإن العديد من التقاليد والأقوال المصقولة حافظت على وجودها في فم الشعب، مما أعطى اليهود بلا شك فيها مظهر تفوقٍ فكري في

(1) تفسير البيضاوي، 91:11.

(2) Vide Pococke Spec، p. 136.

(3) ذكر ابن قتيبة في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية: أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وبعض قضاعة. وذكر الأمر ذاته ابن حزم الأندلسي الظاهري في جمهرة *أنساب العرب* عند حديثة عن نفس الموضوع، وبالمثل ياقوت الحموي في معجمه. ـ مترجم عربي.

(4) دليل جيد على الأهمية التي اكتسبتها عوائل يهودية يمكن أن نجده في قصيدة *الحماسة* (تحرير فرايتاغ، ص. 49)، والتي هي مليئة بروح الفروسية والاعتماد على الذات، لو أن الدليل أن العائلة المُشار إليها كانت عائلة يهودية كان مؤكّداً بما يكفي فحسب. الأمر الوحيد الذي يدلّ على ذلك هو اسم المؤلّف السموءل، الذي هو اسم عبراني (وقال أبو العلاء السموءل اسم عبراني وليس بعربي)، كما يقول المفسّر في الملاحظات التي أورها إلفيرار، لكن الذي راح يُستعمل بسهولة من قبل العرب.

تلك الأوقات المظلمة والمناطق الجاهلة فأسبغ عليهم من ثم مظهر الشرف في نظر الآخرين. وهكذا كان من الطبيعي أن يرغب محمد بتعلّم آرائهم ومن ثم إدراجهم ضمن جماعته. لم تكن فكرة تضخيم جماعته بهذه الأعداد من الأتباع[1] وحدها التي أنتجت هذه الرغبة فيه، بل أيضاً الطريقة التي كانوا يدافعون بها عن قضيتهم الخاصة وأسلوب تعاملهم معه. وحقيقة أن محمداً غالباً ما كان يحلّ في المرتبة الثانية في حلقات الجدل الديني إنما هو واضح من عدة أقوال، ولاسيما من القول الحاسم التالي بالذات: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسيك الشيطان[2]، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين». هذه العبارة القوية على نحو ملحوظ، والتي يجعل اللّه يعلن فيها أنه من عمل الشيطان أن يكون حاضراً في مجالس الجدل المتعلّق بحقيقة رسالته إنما تبيّن كم كان على محمد أن يخشى من الجدل. لقد بدا له أنّ تولّي اليهود[3] خطرٌ على مسلميه أيضاً، وهو يحذّرهم من التواصل المتكرر جداً أو من علاقة حميمة وثيقة جداً مع اليهود. وبطبيعة الحال فهو يدفع بهذا على أسس، غير تلك الأسس الصحيحة؛ بل من الواضح أنّ السبب الحقيقي لهذا التحذير هو أن محمداً كان يخشى من قوة اليهود على زعزعة إيمان الآخرين في الدين الذي أوحي له[4].

الأكثر تميزاً، ودونما شك بالاتفاق التام مع طريقة التفكير اليهودية، يظهر

---

(1) מורשת קהלת יעקב. (ميراثاً لجماعة يعقوب؛ تث 4:33).

(2) قرآن 67:6.

(3) لا تتولوا.

(4) قرآن 13:60. وعلى هذا يعلّق إلفيرار بالقول: وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار يتواصلونهم المسلمين فيصيبون من ثمارهم. (إضافة من المترجم: يقول القرطبي في تفسير آية من الممتحنة: قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب اللّه عليهم» يعني اليهود. وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك).

هذا في لعبة السؤال والجواب البارعة والساخرة، التي يشكو منها محمد بمرارة، والتي غالباً ما أعطته أسلحة ظاهرة ضد اليهود، من حيث أنه اعتبر كلامهم تعابير أصيلة عن الرأي وليس مجرّد استهزاءات تبعث على الضيق.

وهكذا، من أجل أن يكتسب سمعة، وأيضاً لأنه كان تحت تأثير انطباع يقول إنه إذا انضمّ إليه بضع (يقول عشرة[1]) يهود، فإن الباقين كلّهم سيصبحون من أتباعه،[2] فقد حاول مع بعضهم، الذين إما لم يكن لديهم الشجاعة للتصدّي له أو أنهم لم يرغبوا أن يدخلوا في جدال طويل معه. وكانوا يتخلّصون منه إما بإجابة لم يكن باستطاعته أن ينكرها، أو يخلطون الكلمات التي كان يطلبها منهم بكلمات أخرى من صوت مماثل، لكن لها معنى مختلف بل وحتى معنى معاكس. وهكذا فقد قالوا له ذات مرّة:[3] «لا يمكننا فعل شيء لعدم إيماننا، لأن

---

(1) يمكن لنا أن نتذكّر هنا مسألة المنيان מִנְיָן في الديانة اليهودية التي تعني مطلوبة مجموعة من عشرة رجال بالغين من أجل طقوس دينية معينة، كالصلاة. ـ مترجم عربي.

(2) قارن: سنّة، 445؛ Fundgruben des Orients, Vol. I, p. 256

(3) 33) قرآن 82:2؛ قلوبنا غلف: **ערלי לב אנחכי**. قارن: تث 16:10: [«فَاخْتِنُوا غُرْلَةَ قُلُوبِكُمْ وَلا تُصَلِّبُوا رِقَابَكُمْ بَعْدُ»].

{88} وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ:

بِسُكُونِ اللَّام جَمْع أَغْلَف، أَيْ عَلَيْهَا أَغْطِيَة. وَهُوَ مِثْل قَوْله: «قُلُوبنَا فِي أَكِنَّة مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ»[فُصِّلَتْ: 5] أَيْ فِي أَوْعِيَة. قَالَ مُجَاهِد: «غُلْف»عَلَيْهَا غِشَاوَة. وَقَالَ عِكْرِمَة: عَلَيْهَا طَابَع. وَحَكَى أَهْل اللُّغَة غَلَّفْت السَّيْف جَعَلْت لَهُ غِلَافًا، فَقَلْب أَغْلَف، أَيْ مَسْتُور عَنْ الْفَهْم وَالتَّمْيِيز. وَقَرَأَ اِبْن عَبَّاس وَالْأَعْرَج وَابْن مُحَيْصِن «غُلُف»بِضَمِّ اللَّام. قَالَ اِبْن عَبَّاس: أَيْ قُلُوبنَا مُمْتَلِئَة عِلْمًا لَا تَحْتَاج إِلَى عِلْم مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا غَيْره. وَقِيلَ: هُوَ جَمْع غِلَاف، مِثْل خِمَار وَخُمُر، أَيْ قُلُوبنَا أَوْعِيَة لِلْعِلْمِ فَمَا بَالهَا لَا تَفْهَم عَنْك وَقَدْ وَعَيْنَا عِلْمًا كَثِيرًا! وَقِيلَ: الْمَعْنَى فَكَيْف يَعْزُب عَنْهَا عِلْم مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

{88} وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ

بَيَّنَ أَنَّ السَّبَب فِي نُفُورهمْ عَنْ الْإِيمَان إِنَّمَا هُوَ أَنَّهُمْ لُعِنُوا بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كُفْرهمْ وَاجْتِرَائِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْجَزَاء عَلَى الذَّنْب بِأَعْظَم مِنْهُ. وَأَصْل اللَّعْن فِي كَلَام الْعَرَب الطَّرْد وَالْإِبْعَاد. وَيُقَال لِلذِّئْبِ: لَعِين. وَلِلرَّجُلِ الطَّرِيد: لَعِين، وَقَالَ الشَّمَّاخ: ذَعَرْت بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْت عَنْهُ مَقَام الذِّئْب كَالرَّجُلِ اللَّعِين وَوَجْه الْكَلَام: مَقَام الذِّئْب اللَّعِين كَالرَّجُلِ، فَالْمَعْنَى أَبْعَدَهُمْ اللَّه مِنْ رَحْمَته. وَقِيلَ: مِنْ تَوْفِيقه

قلوبنا غلف [غير مختونة]».[1] وفي مناسبة أخرى نصحوه أن يذهب إلى سوريا، باعتبارها المكان الوحيد الذي يمكن فيه الكشف عن الوحي النبوي، وفقاً للقول اليهودي[2] «لا توجد النبوة خارج الأرض المقدسة»[3]. وهذا ما يقدّمه بعض المفسّرين كسبب لنزول الآية 78:17،[4] لكن آخرين يعزون للآية سبباً مختلفاً.

وَهِدَايَته. وَقِيلَ: مِنْ كُلّ خَيْر، وَهَذَا عَامّ. «فَقَلِيلًا»نَعْت لِمَصْدَرٍ مَحْذُوف، تَقْدِيره فَإِيمَانًا قَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ. وَقَالَ مَعْمَر: الْمَعْنَى لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهمْ وَيَكْفُرُونَ بِأَكْثَرِهِ، وَيَكُون «قَلِيلًا» مَنْصُوب بِنَزْعِ حَرْف الصِّفَة. و«مَا» صِلَة، أَيْ فَقَلِيلًا يُؤْمِنُونَ. وَقَالَ الْوَاقِدِيّ: مَعْنَاهُ لَا يُؤْمِنُونَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، كَمَا تَقُول: مَا أَقَلّ مَا يَفْعَل كَذَا، أَيْ لَا يَفْعَلهُ أَلْبَتَّة. وَقَالَ الْكِسَائِيّ: تَقُول الْعَرَب مَرَرْنَا بِأَرْضٍ قَلّ مَا تُنْبِت الْكُرَّاث وَالْبَصَل، أَيْ لَا تُنْبِت شَيْئًا. مترجم.

(1) نلاحظ هنا بوضوح التماثل في مسألة الغرلة والغلف بين التثنية والقرآن. مترجم.

(2) **אין הנביאה שורה פחוצת לארץ.**

(3) 36) {76} وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً هَذِهِ الْآيَة قِيلَ إِنَّهَا مَدَنِيَّة؛ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّل السُّورَة. قَالَ اِبْن عَبَّاس: حَسَدَتْ الْيَهُود مَقَام النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ فَقَالُوا: إِنَّ الْأَنْبِيَاء إِنَّمَا بُعِثُوا بِالشَّامِ، فَإِنْ كُنْت نَبِيًّا فَالْحَقْ بِهَا؛ فَإِنَّك إِنْ خَرَجْتَ إِلَيْهَا صَدَّقْنَاك وَآمَنَّا بِك؛ فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قَلْبه لِمَا يُحِبّ مِنْ إِسْلَامهمْ، فَرَحَلَ مِنْ الْمَدِينَة عَلَى مَرْحَلَة فَأَنْزَلَ اللَّه هَذِهِ الْآيَة. وَقَالَ عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنْم: غَزَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَة تَبُوك لَا يُرِيد إِلَّا الشَّام، فَلَمَّا نَزَلَ تَبُوك نَزَلَ «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض» بَعْد مَا خُتِمَتْ السُّورَة، وَأَمَرَ بِالرُّجُوعِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا مَكِّيَّة. قَالَ مُجَاهِد وَقَتَادَة: نَزَلَتْ فِي هَمّ أَهْل مَكَّة بِإِخْرَاجِهِ، وَلَوْ أَخْرَجُوهُ لَمَا أُمْهِلُوا وَلَكِنَّ اللَّه أَمَرَهُ بِالْهِجْرَةِ فَخَرَجَ، وَهَذَا أَصَحّ؛ لِأَنَّ السُّورَة مَكِّيَّة، وَلِأَنَّ مَا قَبْلهَا خَبَر عَنْ أَهْل مَكَّة، وَلَمْ يَجْرِ لِلْيَهُودِ ذِكْر. وَقَوْل: «مِنْ الْأَرْض» يُرِيد أَرْض مَكَّة. كَقَوْلِهِ: «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْض» [يُوسُف: 80] أَيْ أَرْض مِصْر؛ دَلِيله «وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَة هِيَ أَشَدّ قُوَّة مِنْ قَرْيَتك الَّتِي أَخْرَجَتْك» [مُحَمَّد: 13] يَعْنِي مَكَّة. مَعْنَاهُ: هَمّ أَهْلهَا بِإِخْرَاجِهِ؛ فَلِهَذَا أَضَافَ إِلَيْهَا وَقَالَ «أَخْرَجَتْك». وَقِيلَ: هَمّ الْكُفَّار كُلّهمْ أَنْ يَسْتَخِفُّوهُ مِنْ أَرْض الْعَرَب بِتَظَاهُرِهِمْ عَلَيْهِ فَمَنَعَهُ اللَّه. مترجم.

(4) جلال الدين (Maracoi in Loco). نزل لما قال اليهود إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء. إضافة من المترجم:

أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي

قوله تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ...} الآية. [76].

قال ابن عباس: حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبياً فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها صدَّقناك وآمنا بك. فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.

وقال عبد الرحمن بن غنم: إن اليهود أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن كنت صادقاً أنك نبي [الله] فالحق بالشام، فإن الشام أرض المَحْشِرِ والمَنْشرِ وأرض الأنبياء. فصدَّق ما قالوا، وغزا غزوة «تَبُوكَ» لا يريد بذلك إلا الشام. فلما بلغ «تَبُوكَ» أنزل الله تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ}.

وقال مجاهد وقتادة والحسن: همَّ أهل مكة بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فأمره الله تعالى بالخروج. وأنزل هذه الآية إخباراً عما هَمُّوا به.

تفسير ابن كثير

قيل: نزلت في اليهود حين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر، وأرض الأنبياء، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه: {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها} فأمره الله بالرجوع إلى المدينة، وقال: «فيها محياك ومماتك ومنها تبعث» أخرجه البيهقي عن عبد الله بن غنم، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم غزا تبوك عن أمر الله لا عن أمر اليهود»». وقيل: نزلت في كفار مكة لما هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف، حتى جمعهم الله وإياه ببدر على ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم، ولهذا قال تعالى: {سنة من قد أرسلنا} الآية أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب، ولولا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا ما لا قبل لأحد به، قال تعالى: {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} الآية.

تفسير الجلالين

ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء {وإن} مخففة {كادوا ليستفزونك من الأرض} أرض المدينة {ليخرجوك منها وإذا} لو أخرجوك {لا يلبثون خلافك} فيها {إلا قليلاً} ثم يهلكون.

تفسير الطبري

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَقُول عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنْ كَادَ هَؤُلَاءِ الْقَوْم لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض: يَقُول: لَيَسْتَخِفُّونَك مِنْ الْأَرْض الَّتِي أَنْتَ بِهَا لِيُخْرِجُوك مِنْهَا {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَقُول: وَلَوْ أَخْرَجُوك مِنْهَا لَمْ يَلْبَثُوا بَعْدك فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى أُهْلِكَهُمْ بِعَذَابٍ عَاجِل. وَاخْتَلَفَ أَهْل التَّأْوِيل فِي الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجُوهُ مِنْ الْأَرْض وَفِي الْأَرْض الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنْهَا؛ فَقَالَ بَعْضهمْ: الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْيَهُود، وَالْأَرْض الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنْهَا الْمَدِينَة. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17012 ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّد

بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: زَعَمَ حَضْرَمِيّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بَعْض الْيَهُود قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَرْض الْأَنْبِيَاء أَرْض الشَّام، وَإِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ الْأَنْبِيَاء، فَأَنْزَلَ اللَّه {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا} وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ الْقَوْم الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَالْأَرْض مَكَّة. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17013 ـ حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، قَوْله {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} وَقَدْ هَمَّ أَهْل مَكَّة بِإِخْرَاجِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمَا تَوَطَّنُوا، وَلَكِنَّ اللَّه كَفَّهُمْ عَنْ إِخْرَاجه حَتَّى أَمَرَهُ، وَلَقَلَّمَا مَعَ ذَلِكَ لَبِثُوا بَعْد خُرُوج نَبِيّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة حَتَّى بَعَثَ اللَّه عَلَيْهِمْ الْقَتْل يَوْم بَدْر. * ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا مُحَمَّد بْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة {لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض} قَالَ: قَدْ فَعَلُوا بَعْد ذَلِكَ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّه يَوْم بَدْر، وَلَمْ يَلْبَثُوا بَعْده إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَهْلَكَهُمْ اللَّه يَوْم بَدْر. وَكَذَلِكَ كَانَتْ سُنَّة اللَّه فِي الرُّسُل إِذَا فَعَلَ بِهِمْ قَوْمهمْ مِثْل ذَلِكَ. 17014 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء، جَمِيعًا عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد {خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} قَالَ: لَوْ أَخْرَجَتْ قُرَيْش مُحَمَّدًا لَعُذِّبُوا بِذَلِكَ. * ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قَوْل قَتَادَة وَمُجَاهِد، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْله: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض} فِي سِيَاق خَبَر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَنْ قُرَيْش وَذِكْره إِيَّاهُمْ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْيَهُودِ قَبْل ذَلِكَ ذِكْر، فَيُوَجَّه قَوْله {وَإِنْ كَادُوا} إِلَى أَنَّهُ خَبَر عَنْهُمْ، فَهُوَ بِأَنْ يَكُون خَبَرًا عَمَّنْ جَرَى لَهُ ذِكْر أَوْلَى مِنْ غَيْره. وَأَمَّا الْقَلِيل الَّذِي اِسْتَثْنَاهُ اللَّه جَلَّ ذِكْره فِي قَوْله {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} فَإِنَّهُ فِيمَا قِيلَ، مَا بَيْن خُرُوج رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة إِلَى أَنْ قَتَلَ اللَّه مَنْ قَتَلَ مِنْ مُشْرِكِيهِمْ بِبَدْرٍ. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17015 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْله: {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَعْنِي بِالْقَلِيلِ يَوْم أَخْذهمْ بِبَدْرٍ، فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْقَلِيل الَّذِي لَبِثُوا بَعْد. 17016 ـ حُدِّثْت عَنْ الْحُسَيْن، قَالَ: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ يَقُول: ثنا عُبَيْد، قَالَ: سَمِعْت الضَّحَّاك يَقُول فِي قَوْله: {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} كَانَ الْقَلِيل الَّذِي لَبِثُوا بَعْد خُرُوج النَّبِيّ مِنْ بَيْن أَظْهُرهمْ إِلَى بَدْر، فَأَخَذَهُمْ بِالْعَذَابِ يَوْم بَدْر. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ خِلَافك بَعْدك، كَمَا قَالَ الشَّاعِر: عَقَبَ الرَّذَاذ خِلَافهَا فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنهنَّ حَصِيرًا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: خِلَافهَا: بَعْدهَا. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضهمْ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: خَلْفك. وَمَعْنَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى الْخِلَاف فِي هَذَا الْمَوْضِع وَاحِد. الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَقُول عَزَّ وَجَلَّ: وَإِنْ كَادَ هَؤُلَاءِ الْقَوْم لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض: يَقُول: لَيَسْتَخِفُّونَك مِنْ الْأَرْض الَّتِي أَنْتَ بِهَا لِيُخْرِجُوك مِنْهَا {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَقُول: وَلَوْ أَخْرَجُوك مِنْهَا لَمْ يَلْبَثُوا بَعْدك فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى أَهْلَكَهُمْ بِعَذَابٍ عَاجِل. وَاخْتَلَفَ أَهْل التَّأْوِيل فِي الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجُوهُ مِنْ الْأَرْض وَفِي الْأَرْض الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنْهَا؛ فَقَالَ بَعْضهمْ:

الَّذِينَ كَادُوا أَنْ يَسْتَفِزُّوا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ الْيَهُود، وَالْأَرْض الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يُخْرِجُوهُ مِنْهَا الْمَدِينَة. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17012 ـ حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا الْمُعْتَمِر بْن سُلَيْمَان، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: زَعَمَ حَضْرَمِيّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ بَعْض الْيَهُود قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَرْض الْأَنْبِيَاء أَرْض الشَّام، وَإِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ الْأَنْبِيَاء، فَأَنْزَلَ اللَّه {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا} وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ الْقَوْم الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ قُرَيْشًا، وَالْأَرْض مَكَّة. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17013 ـ حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، قَوْله {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض لِيُخْرِجُوك مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} وَقَدْ هَمَّ أَهْل مَكَّة بِإِخْرَاجِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمَا تَوَطَّنُوا، وَلَكِنَّ اللَّه كَفَّهُمْ عَنْ إِخْرَاجه حَتَّى أَمَرَهُ، وَلَقَلَّمَا مَعَ ذَلِكَ لَبِثُوا بَعْد خُرُوج نَبِيّ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة حَتَّى بَعَثَ اللَّه عَلَيْهِمْ الْقَتْل يَوْم بَدْر. * ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: ثنا مُحَمَّد بْن ثَوْر، عَنْ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَة {لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض} قَالَ: قَدْ فَعَلُوا بَعْد ذَلِكَ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّه يَوْم بَدْر، وَلَمْ يَلْبَثُوا بَعْده إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَهْلَكَهُمْ اللَّه يَوْم بَدْر. وَكَذَلِكَ كَانَتْ سُنَّة اللَّه فِي الرُّسُل إِذَا فَعَلَ بِهِمْ قَوْمهمْ مِثْل ذَلِكَ. 17014 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء، جَمِيعًا عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد {خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} قَالَ: لَوْ أَخْرَجَتْ قُرَيْش مُحَمَّدًا لَعُذِّبُوا بِذَلِكَ. * ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قَوْل قَتَادَة وَمُجَاهِد، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْله: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَك مِنْ الْأَرْض} فِي سِيَاق خَبَر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَنْ قُرَيْش وَذِكْره إِيَّاهُمْ، وَلَمْ يَجْرِ لِلْيَهُودِ قَبْل ذَلِكَ ذِكْر، فَيُوَجَّه قَوْله {وَإِنْ كَادُوا} إِلَى أَنَّهُ خَبَر عَنْهُمْ، فَهُوَ بِأَنْ يَكُون خَبَرًا عَمَّنْ جَرَى لَهُ ذِكْر أَوْلَى مِنْ غَيْره. وَأَمَّا الْقَلِيل الَّذِي اِسْتَثْنَاهُ اللَّه جَلَّ ذِكْره فِي قَوْله {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} فَإِنَّهُ فِيمَا قِيلَ، مَا بَيْن خُرُوج رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّة إِلَى أَنْ قَتَلَ اللَّه مَنْ قَتَلَ مِنْ مُشْرِكِيهِمْ بِبَدْرٍ. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 17015 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْله: {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} يَعْنِي بِالْقَلِيلِ يَوْم أَخْذهمْ بِبَدْرٍ، فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْقَلِيل الَّذِي لَبِثُوا بَعْد. 17016 ـ حُدِّثْت عَنْ الْحُسَيْن، قَالَ: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ يَقُول: ثنا عُبَيْد، قَالَ: سَمِعْت الضَّحَّاك يَقُول فِي قَوْله: {وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافك إِلَّا قَلِيلًا} كَانَ الْقَلِيل الَّذِي لَبِثُوا بَعْد خُرُوج النَّبِيّ مِنْ بَيْن أَظْهُرهمْ إِلَى بَدْر، فَأَخَذَهُمْ بِالْعَذَابِ يَوْم بَدْر. وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ خِلَافك بَعْدك، كَمَا قَالَ الشَّاعِر: عَقَبَ الرَّذَاذ خِلَافهَا فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنهنَّ حَصِيرًا يَعْنِي بِقَوْلِهِ: خِلَافهَا: بَعْدهَا. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ بَعْضهمْ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: خَلْفك. وَمَعْنَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى الْخِلَاف فِي هَذَا الْمَوْضِع وَاحِد.»

تفسير القرطبي

هذه الآية قيل إنها مدنية؛ حسبما تقدم في أول السورة. قال ابن عباس: حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبياً فالحق بها؛

ويعطى هذا بعض المفسّرين كسبب للوحي في السورة السابعة عشرة. وعلاوة على ذلك فإن بعض المفسّرين يروون بانشراح العديد من الحكايات من أجل تفسير السبب لمقاطع بعينها، والتي تبدو لغير المتحيزين في الضوء ذاته تماماً. وحول سبب نزول الآية 91:2 [97]، يروي البيضاوي القصة التالية:[1] «قيل، دخل

فإنك إن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك؛ فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة فأنزل الله هذه الآية. وقال عبد الرحمن بن غنم: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما نزل تبوك نزل {وإن كانوا ليستفزونك من الأرض} بعد ما ختمت السورة، وأمر بالرجوع. وقيل: إنها مكية. قال مجاهد وقتادة: نزلت في همّ أهل مكة بإخراجه، ولو أخرجوه لما أمهلوا ولكن الله أمره بالهجرة فخرج، وهذا أصح؛ لأن السورة مكية، ولأن ما قبلها خبر عن أهل مكة، ولم يجر لليهود ذكر. وقول {من الأرض} يريد أرض مكة. كقوله {فلن أبرح الأرض} [يوسف: 80] أي أرض مصر؛ دليله {وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك} [محمد: 13] يعني مكة. معناه: همّ أهلها بإخراجه؛ فلهذا أضاف إليها وقال {أخرجتك}. وقيل: همّ الكفار كلهم أن يستخفوه من أرض العرب بتظاهرهم عليه فمنعه الله، ولو أخرجوه من أرض العرب لم يمهلوا، وهو معنى قوله {وإذا لا يلبثون خلافك} وقرأ عطاء بن أبي رباح {لا يلبثون} الباء مشددة. {خلفك} نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو، ومعناه بعدك. وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي {خلافك} واختاره أبو حاتم، اعتباراً بقوله {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله} [التوبة: 81] ومعناه أيضاً بعدك؛ قال الشاعر: عفت الديار خلافهم فكأنما ** بسط الشواطب بينهن حصيراً بسط البواسط؛ في الماوردي. يقال: شطبت المرأة الجريد إذا شقته لتعمل منه الحصر. قال أبو عبيد ثم تلفيه الشاطبة إلى المنقية. وقيل {خلفك} بمعنى بعدك. {وخلافك} بمعنى مخالفتك؛ ذكره ابن الأنباري. {إلا قليلا} فيه وجهان: أحدهما ـ أن المدة التي لبثوها بعده ما بين إخراجهم له إلى قتلهم يوم بدر؛ وهذا قول من ذكر أنهم قريش. الثاني ـ ما بين ذلك وقتل بنى قريظة وجلاء بن النضير؛ وهذا قول من ذكر أنهم اليهود.

(1) أخرج ابن أبي شيبة في مسنده، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن الشعبي، أنه دخل عمر رضي الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل، فقالوا: ذاك عدونا، يطلع محمداً على أسرارنا، وأنه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلام. فقال: ما منزلتهما من الله تعالى؟ قالوا:

جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره ـ وبينهما عداوة ـ فقال: لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين، ولأنتم أكفر من الحمير، ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو لله. ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «لقد وافقك ربك يا عمر» قال عمر: لقد رأيتني بعد ذلك أصلب من الحجر؛ وقيل: نزلت في عبد الله بن صوريا ـ كان يهوديا من أحبار فدك ـ سأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمن ينزل عليه فقال: «جبريل» فقال: ذاك عدونا عادانا مرارا،

عمر (رض) مدراس[1] اليهود يوماً، فسألهم عن جبريل؛ فقالوا: ذلك عدونا، يطلع محمد على أسرارنا، وأنه صاحب كل خسف وعذاب؛ وميكايل صاحب الخصب والسلام. فقال: وما منزلتهما عند اللّه تعالى؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكايل عن يساره؛ وبينهما عداوة. فقال: لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين، ولأنتم أكفر من الحمير[2]، ومن كان عدو أحدهما وهو عدو اللّه تعالى. ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي؛ فقال عليه الصلاة والسلام: قد وافقك ربّك يا عمر».

على الرغم من أن ما تقدم هنا هو، إلى حد ما، ما يعتقد به اليهود فعليّاً، أي أن جبريل هو رسول العقاب،[3] وعلى الرغم من أنه نتيجة لذلك هنالك الكثير من الحقيقة في هذه الرواية؛ إلا أنه حتى القول المستشهد به كان قد تمّ تحريفه، لأن جبريل يعتبر رسول اللّه لمعاقبة الخطاة فقط، وفي مقطع آخر من التلمود[4] يُقال عنه في الواقع إنه يُدعى[5] الذي يتخطّى، لأنه يتخطى خطايا إسرائيل أي يمسحها، ومن ثم لا يمكنه أبداً أن يُمثل للإسرائيليين كعدو لهم.

وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر، فبعثنا من يقتله فرآه ببابل، فدفع عنه جبريل وقال: إن كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه، وإلا فبم تقتلونه؟ وصدقه الرجل المبعوث ورجع إلينا، وكبر بختنصر وقويّ وغزانا، وخرّب بيت المقدس، روى ذلك بعض الحُفّاظ، وقال العراقي: لم أقف له على سند، فلعل الأول أقوى منه. مترجم.

(1) בית מדרש.

(2) خطأ في الترجمة حيث يترجم غايغر «حمير» بمعنى «حميريين». مترجم.

(3) الحاخام شلومو بن أدريت في الرسالة التلمودية، بابا بترا: **חכמינו זכרונם לברכח ככו בכל מקום מרת חדיו לגבריאל כאמרם בא גבריאל וחבטו בקרקע גבריאל בא להפרוך את סדום**: حاخاماتنا، المباركة ذكراهم، عزوا تنفيذ أحكام اللّه العقابية لجبريل، كما، على سبيل المثال، جاء جبريل وأطاحهم في الأرض (رسالة سنهدرين التلمودية، 19. 1). وجاء جبريل لتدمير سدوم». قارن أيضاً: رسالة سنهدرين التلمودية، 21. 26. 95. 2. 96.

(4) رسالة سنهدرين التلمودية، 44.

(5) שאוטם עונתיחם של ישראל.

علاوة على ذلك، يظهر تحريف محمد المتعمد[1] عبر تغييره للمنظومة التي يعزوها اليهود للملائكة. ويؤكد اليهود أن ميكائيل يقف عن يمين اللّه ويقف جبريل عن يساره.[2] يعكس محمد هذا الموقف، كي يعطي جبريل[3] المكانة الأعلى، فهو الذي يعزو له كل ما أوحي إليه. هذا على الرغم من أن الرأي الآخر يتفق تماماً مع روح عقيدة الملائكة المقبولة من قبل اليهود، والتي بموجبها الموقف «عن اليمين» و«عن اليسار» يعني فقط القرار باعتماد إما تدابير رحيمة أو عقابية. لا يمكن بالطبع أن يكون هنالك أي مسألة عداوة بين جبريل واليهود، أو بين جبريل وميكائيل، والخطاب ليس سوى جواباً بارعاً، والذي هو بالنسبة لتفكير محمد سوّغ له مع ذلك أن يشهر تهمة بحق اليهود. بل يظهر الأمر على نحو أكثر وضوحاً في القصّة التالية التي رواها مفسّر لكلمتي «اللّه فقير»[4]. قاله اليهود لمّا سمعوا من ذا الذي يقرض اللّه قرضاً حسناً؟ (قرآن 246:2 [245]). وروي أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي اللّه عنه إلى يهود بني قنيقاع، يدعوهم إلى الإسلام، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا اللّه قرضاً

---

(1) يجب أن تؤخذ هذه الكلمات بالمعنى المفسرّ في نهاية المقطع الثالث من القسم الأول.

(2) قارن الصلاة المسائية عند اليهود: **מימיני מיכאל ומשמאלי גבריאל**. [على يميني ميكائيل وعلى يساري جبرائيل]. إضافة المترجم: النص من قريات الشماع: **בשם ה' אלהי ישראל מימיני מיכאל ומשמאלי גבריאל ומלפני אוריאל ומאחורי רפאל ועל ראשי שכינת אל'**»....

الصلاة نجدها أيضاً في عيد الغفران [يوم كيبور]: **מיכאל מימינ מחלל גבריאל משמאל ממלל**.

(3) قارن أيضاً: مدراش تنحوما، القسم **וינש**، الورقة 21، السطر 2؛ نسخة الفاتيكان، 1545، حيث نجد مكتوباً: **המשל נפחד עפו המשל זה מיכאל ופחד זה בבריאל מיכאל מן חםים גבריאל מן האש ואנן מזיקיו זה את זה הוי אמר עשת שלום במרומיו**. تشير الآية من سفر أيوب، 2:25، السلطان والهيبة عنده، إلى ميكائيل وجبرائيل، في أن الأول مصنوع من الماء، والثاني مصنوع من النار. مع ذلك فإن أحدهما لا يؤذي الآخر، لأنه «صانع السلام في أعاليه». وهنا تُعطى كل الوقائع التي نبحث عنها على نحو منفصل بشكل مختصر. ميكائيل هو الألطف، وجبرائيل هو الأكثر إرعاباً، لكنهما مع ذلك متناغمان أبدياً.

(4) البيضاوي في تفسير الآية 177:3.

حسناً. فقال فنحاص بن عازوراء[1]: إن اللّه فقير حين سأل القرض! فلطمه أبو بكر رضي اللّه عنه، [وقال]: فشكاه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وجحد ما قاله، فنزلت [هذه الآية تصديقاً لأبي بكر][2]. الشيء ذاته نجده في مقطع آخر:[3] «وقالت اليهود يد اللّه مغلولة». وتُظهر الشخصية التي لا معنى لها للجملة ذاتها أن اليهود لم يكونوا جدّيين وحين نأخذ في الاعتبار مناسبة الملاحظة، والطريقة التي تم تقديمها بها، فسوف نرى ميل اليهود صراحة إلى الإغاظة والسخرية في تعاملهم مع محمد. كان ذلك جواباً على تعبير، الذي بمعناه البسيط «يقرض اللّه» كان يجب أن يبدو لهم سخيفاً، وكان لا بدّ أن يفضي بسهولة إلى الرد القائل «إذا كان اللّه يحتاج الآن إلى المال، لا بدّ أنه فقير». ولم يكن بمقدور محمد أن يحرّف هذا الكلام إلى اتهام ضد اليهود إلا بمقدار معين من التشويه والبتر. قصّة لا بأس بها تُحفظ لنا في أحد نصوص السُنّة، 608، وتسير على النحو التالي: «بعد غزو خيبر وضع اليهود حملاً مسموماً أمام محمد، وعندما اكتشف هذا دعاهم جميعاً إليه، وجعلهم يقسمون على قول الحقيقة له، وسأل إذا كانوا

---

(1) فنحاص بن عازوراء פנחס בן עזריה، هو ذاته الذي تعزا إليه مقولة إن عزرا هو ابن اللّه (30:9). قال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء؛ وهو الذي قال إن اللّه فقير ونحن أغنياء. (إلفيرار على 30:9). إضافة من المترجم: في تفسير البغوي على الآية ذاتها، نقرأ: قوله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن اللّه وقالت النصارى المسيح ابن اللّه) روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال: أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، والنعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن اللّه؟ فأنزل اللّه عز وجل: (وقالت اليهود عزير ابن اللّه).

وقال عبيد بن عمير: إنما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء. وهو الذي قال: «إن اللّه فقير ونحن أغنياء» (آل عمران ـ 181).

(2) النص من تفسير الرازي، وما بين الأقواس المربعة أضفناه من النص الأصلي للرازي، 493:44. مترجم عربي.

(3) القرآن 69:5.

قد سمموا الحمل. فاعترفوا، ثم استفسر سائلاً «لأي سبب؟»، «كي نتخلّص منك، إن كنت مخادعاً»، كان جوابهم؛ وأردفوا: «لأنه إذا كنت نبياً، لن يضرّك السمّ»[1]. من يستطيع أن يفشل أن يرى في هذا الرد الرغبة في تحرير أنفسهم من لجاجة محمد بجواب قارس؟

وفي أوقات أخرى، كانوا يغيّرون كلماته، أو يستخدمون كلمات ذات معنى مزدوج. في التحيّة المقرّرة كانوا فعليّاً يقولون «راعنا»، لكن ليس بالمعنى الذي يقصده محمد، أي «انظر إلينا». بل إنما بمعنى اعتبرنا مذنبين، أو باللعب على الكلمة العبرية «رع»، بمعنى الشرير.[2] حتى أنه كان مضطراً إلى استبدالها بـ«انظرنا»[3]،

(1) أحد النصوص الهامة: عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا لي من كان هاهنا من اليهود». فجمعوا له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقيّ عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبتم، بل أبوكم فلان». قالوا: صدقت وبررت. فقال: هل أنتم صادقيّ عن شيء إن سألتكم عنه؟ «قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لا نخلفكم فيها أبداً». ثم قال لهم: «هل أنتم صادقي عن شيء سألتكم؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟» فقالوا: نعم. قال: «ما حملكم على ذلك؟». قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبيّاً لم يضرّك . مترجم.

(2) רע. يقول جلال الدين (Maracci in loco): وهو بلغة اليهود سب من الرعونة.

(3) 53) القرآن 98:2؛ 48:4 ـ 49. إضافة من المترجم، والنص هنا من تفسير القرطبي: {104} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
ذَكَرَ شَيْئًا آخَر مِنْ جَهَالَات الْيَهُود وَالْمَقْصُود نَهْي الْمُسْلِمِينَ عَنْ مِثْل ذَلِكَ. وَحَقِيقَة «رَاعِنَا» فِي اللُّغَة أَرْعِنَا وَلْنَرْعَك، لِأَنَّ الْمُفَاعَلَة مِنْ اِثْنَيْنِ، فَتَكُون مِنْ رَعَاك اللَّه، أَيْ اِحْفَظْنَا وَلْنَحْفَظْك، وَارْقُبْنَا وَلْنَرْقُبْك. وَيَجُوز أَنْ يَكُون مِنْ أَرْعِنَا سَمْعك، أَيْ فَرِّغْ سَمْعك لِكَلَامِنَا. وَفِي الْمُخَاطَبَة بِهَذَا جَفَاء، فَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَخَيَّرُوا مِنْ الْأَلْفَاظ أَحْسَنهَا وَمِنْ الْمَعَانِي أَرَقّهَا. قَالَ اِبْن عَبَّاس: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَاعِنَا. عَلَى جِهَة الطَّلَب وَالرَّغْبَة ـ مِنْ الْمُرَاعَاة ـ أَيْ اِلْتَفِتْ

وهو ما يعني أيضاً «انظر إلينا».[1] علاوة على ذلك فبدلًا من حطّة[2]، «الغفران»، ربما كانوا يقولون «خطيئة»[3]. يقدّم جلال الدين[4] تنويعة أخرى

إِلَيْنَا، وَكَانَ هَذَا بِلِسَانِ الْيَهُود سَبًّا، أَيْ اِسْمَعْ لَا سَمِعْت، فَاغْتَنَمُوهَا وَقَالُوا: كُنَّا نَسُبّهُ سِرًّا فَالْآن نَسُبّهُ جَهْرًا، فَكَانُوا يُخَاطِبُونَ بِهَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَضْحَكُونَ فِيمَا بَيْنهمْ، فَسَمِعَهَا سَعْد بْن مُعَاذ وَكَانَ يَعْرِف لُغَتهمْ، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: عَلَيْكُمْ لَعْنَة اللَّه! لَئِنْ سَمِعْتهَا مِنْ رَجُل مِنْكُمْ يَقُولهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَضْرِبَن عُنُقه، فَقَالُوا: أَوَلَسْتُمْ تَقُولُونَهَا؟ فَنَزَلَتْ الْآيَة، وَنُهُوا عَنْهَا لِئَلَّا تَقْتَدِي بِهَا الْيَهُود فِي اللَّفْظ وَتَقْصِد الْمَعْنَى الْفَاسِد فِيه.
«لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» نَهْي يَقْتَضِي التَّحْرِيم، عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقَرَأَ الْحَسَن «رَاعِنًا» مُنَوَّنَة. وَقَالَ: أَيْ هَجْرًا مِنْ الْقَوْل، وَهُوَ مَصْدَر وَنَصْبه بِالْقَوْلِ، أَيْ لَا تَقُولُوا رُعُونَة. وَقَرَأَ زِرّ بْن حُبَيْش وَالْأَعْمَش «رَاعُونَا» يُقَال لِمَا نَتَأَ مِنْ الْجَبَل: رَعْن، وَالْجَبَل أَرْعَن. وَجَيْش أَرْعَن أَيْ مُتَفَرِّق. وَكَذَا رَجُل أَرْعَن، أَيْ مُتَفَرِّق الْحُجَج وَلَيْسَ عَقْله مُجْتَمِعًا، عَنْ النَّحَّاس. وَقَالَ اِبْن فَارِس: رَعُنَ الرَّجُل يَرْعُن رَعْنًا فَهُوَ أَرْعَن، أَيْ أَهْوَج. وَالْمَرْأَة رَعْنَاء. وَسُمِّيَتْ الْبَصْرَة رَعْنَاء لِأَنَّهَا تُشَبَّه بِرَعْنِ الْجَبَل، قَالَ اِبْن دُرَيْد ذَلِكَ، وَأَنْشَدَ لِلْفَرَزْدَقِ: لَوْلَا اِبْن عُتْبَة عَمْرو وَالرَّجَاء لَهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَة الرَّعْنَاء لِي وَطَنَا
{104} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ
أُمِرُوا أَنْ يُخَاطِبُوهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْإِجْلَالِ، وَالْمَعْنَى: أَقْبِلْ عَلَيْنَا وَانْظُرْ إِلَيْنَا، فَحَذَفَ حَرْف التَّعْدِيَة، كَمَا قَالَ: ظَاهِرَات الْجَمَال وَالْحُسْن يَنْظُرْنَ كَمَا يَنْظُر الْأَرَاك الظِّبَاء أَيْ إِلَى الْأَرَاك. وَقَالَ مُجَاهِد: الْمَعْنَى فَهِّمْنَا وَبَيِّنْ لَنَا. وَقِيلَ: الْمَعْنَى اِنْتَظِرْنَا وَتَأَنَّ بِنَا، قَالَ: فَإِنَّكُمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنْ الدَّهْر يَنْفَعنِي لَدَى أُمّ جُنْدُب وَالظَّاهِر اِسْتِدْعَاء نَظَر الْعَيْن الْمُقْتَرِن بِتَدَبُّرِ الْحَال، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى رَاعِنَا، فَبُدِّلَتْ اللَّفْظَة لِلْمُؤْمِنِينَ وَزَالَ تَعَلُّق الْيَهُود. وَقَرَأَ الْأَعْمَش وَغَيْره «أَنْظِرْنَا» بِقَطْعِ الْأَلِف وَكَسْر الظَّاء، بِمَعْنَى أَخِّرْنَا وَأَمْهِلْنَا حَتَّى نَفْهَم عَنْك وَنَتَلَقَّى مِنْك، قَالَ الشَّاعِر: أَبَا هِنْد فَلَا تَعْجَل عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْك الْيَقِينَا.

(1) انظر الهامش السابق.
(2) القرآن 4:161، 162.
(3) بمعنى الإثم.
(4) جلال الدين (Maracci in loco): حبّة، أي حب؛ حبّة في شعيرة.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَكَانَ مِنْ تَبْدِيلِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ صَالِحٍ مَوْلَى التَّوْءَمَةِ بِنْتِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سُجَّدًا يَزْحَفُونَ، وَهُمْ يَقُولُونَ حِنطٌ فِي شَعِيرٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرْوَى: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ.
قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَاسْتِسْقَاءَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَأَمْرَهُ (إِيَّاهُ) أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ لَهُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْطٍ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ مِنْهَا، قَدْ عَلِمَ كُلُّ سِبْطٍ عَيْنَهُ الَّتِي مِنْهَا يَشْرَبُ، وَقَوْلَهُمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا. إضافة من المترجم.

فيقول إنّه بدلاً من الكلمة المطلوبة «حُبّة»، حب، كان اليهود يقولون «حبّة في شعيرة». ثم غيروا التحية «السلام عليك»، إلى السأم عليك، الذي يعني «الأذى عليك»[1]، وهذا هو سبب شكوى محمد في الآية 9:58.[2] على الرغم من أن مثل هذه الأحداث أدت في وقت لاحق إلى كراهية كبيرة من جانبه حيال اليهود، لا بد أنها في البداية، عندما كان لا يزال لديه أمل في اعتناقهم ديانته، دفعت به إلى محاولة كل ما يمكنه فعله من أجل استرضائهم؛ لأنهم لم يكونوا مهمِّين سياسياً فحسب، بل كانوا قادرين أيضاً على إيصاله إلى تخوم السخرية عبر العقل والذكاء. لذلك كان حريصاً على إقناعهم بأن آراءه كانت على مثل آرائهم عموماً مع بعض الاختلافات القليلة.

لقد قدمنا ما يكفي من الأسباب لتعامل محمد مع اليهود باحترام، وسنقدّم

---

(1) وذلك أن اليهود كان يدخلون على النبي (صلعم) فيقولون: السأم عليك؛ والسأم هو الموت، يوهمونه أنهم يقولون، السلام عليك. المعنى «موت» الذي ينسبه إلفيرار لكلمة سأم غريب عليها تماماً، وكذلك أيضاً «احتقار»، الذي يبدو أنه يتناسب أكثر مع كلمة سوم. نتيجة لذلك، يبدو أن المفسرين العرب كانوا يضعون في أذهانهم الكلمة العبرية סם [سم]، التي مع המות [ها موت] ستفهم على أنها سم.

(2) قال صاحب المنتقى شرح الموطأ: وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (فَإِنَّمَا يَقُولُ السَّامُ عَلَيْكُمْ) يُرِيدُ أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ كَمَا وَصَفَهُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَيَقُولُونَ مَكَانَ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» السَّامُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: وَالسَّامُ الْمَوْتُ... فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أَنْ يَقُولَ لَهُمْ الرَّادُّ عَلَيْهِمْ: عَلَيْكُمْ... فَيَرُدُّ مَا دَعَوْا بِهِ مِنْ الشَّرِّ عَلَيْهِمْ، قَالَ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ، وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا يُرَدُّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَإِنْ رَدَدْت فَقُلْ: عَلَيْك... وَهَذَا قَوْلُ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ؛ لِأَنَّهُ مَنَعَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ وَأَشْهَبَ عَنْ مَالِكٍ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ وَذَلِكَ غَيْرُ مَشْرُوعٍ بَلْ هُوَ مَمْنُوعٌ...وَالْمَشْرُوعُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ ذِمِّيٌّ فَلَا يَرُدَّ عَلَيْهِ وَلْيَقُلْ: عَلَيْك... فَاقْتَضَى هَذَا أَنَّ الرَّدَّ هُوَ رَدُّ السَّلَامِ وَأَنَّ قَوْلَهُ وَعَلَيْك لَيْسَ بِرَدٍّ لِلسَّلَامِ يُرِيدُ وَإِنَّمَا هُوَ رَدٌّ لِقَوْلِهِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (النساء: 86)... فَقَالَ عَطَاءٌ الْآيَةُ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً، وَهَذَا مُقْتَضَى قَوْلِ مَالِكٍ فَإِنَّهُ مَنَعَ أَنْ يُرَدَّ عَلَى الْيَهُودِ بِأَحْسَنَ مِمَّا حَيُّوا بِهِ وَهُوَ مَعْنَى حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.مترجم.

الآن البراهين على أنه فعلاً بذل جهوداً كبيرة كي يكسبهم إلى طريقة تفكيره. إلى جانب الجدل الديني المتكرر الذي أشير إليه للتو، هنالك العديد من المقاطع في القرآن موجهة خصيصاً لليهود، يُحذّر فيها كلّها بطريقة ودية جداً بأن القرآن سيكون بمثابة حَكَم في نزاعاتهم الخاصة. ليس فقط أنه خاطبهم بلطف واحترام، فقد قام في الواقع بعمل أشياء كثيرة بهدف استرضائهم. في البداية ببساطة وبسبب اليهود وحدهم غُيِّرت القبلة أو المكان الذي يتم التوجه إليه في الصلاة، من قبل محمد إلى القدس، من مكّة البقعة التي كانت تعتبر من قبل العرب القدماء دائماً مقدسة؛ ولم يرجع إلى الاتجاه الأول إلا بعد أن أدرك أن لا جدوى من محاولة استرضاء الإسرائيليين.

الحقيقة أن التبديل الأوّل غير مذكور بعديد كلمات في القرآن، وحدها شكوى حول التغيير الثاني يتمّ تقديمها، لكن بعض المفسّرين يؤكّدون على أن الإشارة هي إلى التغيير الأول.[1] في الجدل بين المسلمين واليهود كان لربما يظهر

(1) القرآن 16:2. ما وليتهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. ويفسرّ جلال الدين (Maracci in loco)، بقوله: لمّا هاجر أُمر باستقبال بيت المقدس (בית המקדש) تآلفاً لليهود، ستة أو سبعة عشر شهراً؛ ثم حوّل. إضافة المترجم من تفسير الجلالين: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم.

«وكذلك» كما هديناكم إليه «جعلناكم» يا أمة محمد «أمة وسطاً» خياراً عدولاً «لتكونوا شهداء على الناس» يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم «ويكون الرسول عليكم شهيداً» أنه بلغكم «وما جعلنا» صيرنا «القبلة» لك الآن الجهة «التي كنت عليها» أولاً وهي الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول «إلا لنعلم» علم ظهور «من يتبع الرسول» فيصدقه «ممن ينقلب على عقبيه» أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين وظناً أن النبي. صلى الله عليه وسلم في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة «وإن» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وإنها «كانت» أي التولية إليها «لكبيرة» شاقة على الناس «إلا على الذين هدى الله» منهم «وما كان الله ليضيع إيمانكم» أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات

نفسه في بعض الأحيان على أنه متساهلٌ جداً. ويقال إن هذا أعطى الفرصة لبعض المؤمنين لرفض الإذعان لحكمه، وهو ما يشتكي منه في الآية[1] 63:4. في

قبل التحويل «إن الله بالناس» المؤمنين «لرؤوف رحيم» في عدم إضاعة أعمالهم والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة.

(1) (61) {64} وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوك فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُول إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّه} يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: لَمْ نُرْسِل يَا مُحَمَّد رَسُولًا إِلَّا فَرَضْت طَاعَته عَلَى مَنْ أَرْسَلْته إِلَيْهِ، يَقُول تَعَالَى ذِكْره: فَأَنْتَ يَا مُحَمَّد مِنْ الرُّسُل الَّذِينَ فَرَضْت طَاعَتهمْ عَلَى مَنْ أَرْسَلْته إِلَيْهِ. وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ اللَّه تَوْبِيخ لِلْمُحْتَكِمِينَ مِنْ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا اِخْتَصَمُوا فِيهِ إِلَى الطَّاغُوت، صُدُودًا عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَقُول لَهُمْ تَعَالَى ذِكْره: مَا أَرْسَلْت رَسُولًا إِلَّا فَرَضْت طَاعَته عَلَى مَنْ أَرْسَلْته إِلَيْهِ، فَمُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أُولَئِكَ الرُّسُل، فَمَنْ تَرَكَ طَاعَته وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ وَاحْتَكَمَ إِلَى الطَّاغُوت، فَقَدْ خَالَفَ أَمْرِي وَضَيَّعَ فَرْضِي. ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ رُسُله، فَإِنَّمَا يُطِيعهُمْ بِإِذْنِهِ، يَعْنِي بِتَقْدِيرِهِ ذَلِكَ وَقَضَائِهِ السَّابِق فِي عِلْمه وَمَشِيئَته. كَمَا: 7827 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، عَنْ عِيسَى، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح عَنْ مُجَاهِد، فِي قَوْل اللَّه: {إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّه} وَاجِب لَهُمْ أَنْ يُطِيعهُ مَنْ شَاءَ اللَّه، وَلَا يُطِيعهُمْ أَحَد إِلَّا بِإِذْنِ اللَّه. * ـ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حُذَيْفَة، قَالَ: ثنا شِبْل، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. * ـ حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا سُوَيْد بْن نَصْر، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن الْمُبَارَك، عَنْ شِبْل، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد مِثْله. وَإِنَّمَا هَذَا تَعْرِيض مِنْ اللَّه تَعَالَى ذِكْره لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ تَرْكهمْ طَاعَة اللَّه وَطَاعَة رَسُوله وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، إِنَّمَا هُوَ لِلسَّابِقِ لَهُمْ مِنْ خِذْلَانه وَغَلَبَة الشَّقَاء عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا مِمَّنْ أُذِنَ لَهُ فِي الرِّضَا بِحُكْمِهِ وَالْمُسَارَعَة إِلَى طَاعَته.

{64} وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوك فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ جَاءُوك فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُول} يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَلَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتهمْ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، الَّذِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى حُكْم اللَّه وَحُكْم رَسُوله صَدُّوا صُدُودًا، إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ بِاكْتِسَابِهِمْ إِيَّاهَا الْعَظِيم مِنْ الْإِثْم فِي اِحْتِكَامهمْ إِلَى الطَّاغُوت وَصُدُودهمْ عَنْ كِتَاب اللَّه وَسُنَّة رَسُوله، إِذَا دُعُوا إِلَيْهَا جَاءُوك يَا مُحَمَّد حِين فَعَلُوا مَا فَعَلُوا مِنْ مَصِيرهمْ إِلَى الطَّاغُوت رَاضِينَ بِحُكْمِهِ دُون حُكْمك، جَاءُوك تَائِبِينَ مُنِيبِينَ، فَسَأَلُوا اللَّه أَنْ يَصْفَح لَهُمْ عَنْ عُقُوبَة ذَنْبهمْ بِتَغْطِيَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَسَأَلَ لَهُمْ اللَّهَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْل ذَلِكَ. وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْله: {فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُول}. وَقَالَ مُجَاهِد: عُنِيَ بِذَلِكَ: الْيَهُودِيّ وَالْمُسْلِم اللَّذَانِ تَحَاكَمَا إِلَى كَعْب بْن الْأَشْرَف. 7828 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، عَنْ عِيسَى، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْل

مقطع آخر[1] يحمي نفسه من تهمة إصدار حكم خاطىء بالقول إنه لا يحكم إلا وفقاً للحق؛ ومرة أخرى في مقطع آخر[2] يسأل، ما إذا كانوا يخافون أن يحيف اللّه عليهم ورسوله، على الرغم من أنَّ المفسّرين يروون حدثاً آخر كمناسبة لهذا الكلام. وينصح مسلميه أيضاً أن يسلكوا سبيل اللطف في جدالهم مع اليهود،[3] كما على سبيل المثال في المقطع التالي: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم؛ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم؛ وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن مسلمون»[4]. دليل قوي على أن محمداً كان يكنّ لليهود

اللَّه: {ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ}... إِلَى قَوْله: {وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} قَالَ: إِنَّ هَذَا فِي الرَّجُل الْيَهُودِيّ وَالرَّجُل الْمُسْلِم اللَّذَيْنِ تَحَاكَمَا إِلَى كَعْب بْن الْأَشْرَف. إضافة من المترجم عن تفسير القرطبي.

(1) القرآن 106:4: ولا تكن للخائنين خصيمًا.

(2) القرآن 49:24: أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله.

(3) وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

إضافة من المترجم: فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة، أنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول اللّه (ص): لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا (قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيكُم). صحيح البخاري 136/9 كتاب الاعتصام، باب قول النبي (ص): لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، 237/3 كتاب الشهادات، باب لا يُسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، 25/6 كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة.

تنبيه: الرواية التي نقلناها بلفظ البخاري من كتاب الاعتصام فيها تصريح بأن قوله (آمنا باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) آية من القرآن، ولهذا عقّب الجملة بقوله: (الآية) كما في الطبعة المصرية، مطابع الشعب سنة 1378، وإن كانت كلمة (الآية) قد حُذفت من الطبعة المحققة بتحقيق الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري 2296/4، طبع المكتبة العصرية في لبنان، سنة 1417هـ ، مع أنهما أدرجا الجملة بين قوسين قرآنيين، وأشارا في الحاشية إلى أنها الآية 136 من سورة البقرة مع إدراج كلمة (إليكم) داخل القوسين بغير الخط القرآني. وهذا يدل أنهما قد تنبّها إلى أن كلمة (إليكم) ليست من الآية، لكنهما لم ينبّها القارئ على ذلك ستراً على البخاري.

(4) برأي المفسّرين العرب فإن هذا المقطع دليل على الخوف من اليهود أكثر منه توصية بتعامل لطيف معهم. ويقول إلفيرار عبر سلسلة طويلة من المراجع تبدأ بعبد المليحي وانتهاء بأبي هريرة: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسّرونها بالعربية لأهل الإسلام؛ فقال رسول اللّه (صلعم): لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم؛ وقولوا آمنا باللّه وما أنزل.

احتراماً كبيراً إنما يكمن في حقيقة أنه في المقاطع التي تعدّد مختلف العقائد[1] يذكر اليهود مباشرة بعد المسلمين.

في اثنين من هذه المقاطع فإنه يعد حتى اليهود الذين يخشون اللّه بالمساواة المطلقة مع المسلمين، على الرغم من أنه في الثالث والأخير ليس متساهلاً جداً، ويهدّد بأن سيتم التمييز بينهم، لكن حتى في هذا المقطع من الواضح جداً أنه تعطى الأسبقية على هيئات الأديان الأخرى لليهود. في التقاليد الإسلامية يقال أن الخاطئ بين المسلمين سيذهب إلى جهنم الأولى، الأخف بين كل أنواع جهنم السبعة،[2] اليهود في الثانية، والمسيحيون[3] في الثالثة، وهلم جرا.[4]

في رواية أخرى مماثلة، إضافة إلى ما سبق، أبو سعيد عبد اللّه بن أحمد الظاهري، والتي تُعزى لأبي نملة الأنصاري، نجد التالي: أنه بينما هو جالس عند رسول اللّه (صلعم)، جاءه رجل من اليهود ومرّ بجنازة؛ فقال: يا محمد! هل تتكلّم هذه الجنازة؟ فقال رسول اللّه (صلعم): أحدثكم (؟) أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم؛ ولكن قولوا: آمنا باللّه وملائكته وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً لم تصدقوهم، وإن كان حقاً لم تكذبوهم. وهكذا يبدو أن المعنى هنا متطابق مع التعبير لا تتولوا المشار إليه آنفاً.

إضافة من المترجم: وأخرج أبو داود وأحمد والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه: أنه بينما هو جالس عند رسول اللّه (ص) وعنده رجل من اليهود مرَّ بجنازة، فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال النبي (ص): اللّه أعلم. فقال اليهودي: إنها تتكلم. فقال رسول اللّه (ص): ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنّا باللّه ورسله. فإن كان باطلاً لم تصدّقوه، وإن كان حقاً لم تكذّبوه. سنن أبي داود 318/3 حديث 3644. مسند أحمد 136/4. المستدرك على الصحيحين 358/3. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان 52/8. شرح السنة 268/1.
الزاملة: هو البعير الذي يحمل عليه الرجل متاعه وطعامه. والزاملتان حمل بعيرين.

(1) القرآن 59:2؛ 73:5؛ 17:22. الذين آمنوا، المسلمون؛ الذين هادوا، اليهود.

(2) انظر القسم الثاني، المقطع الثاني، الفصل الأول.

(3) يقول Barthélemy d'Herbelot في عمله، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient* (تحت عنوان «يهود»، ص 441)، إن المسلمين بعكس ما يقال يجعلون اليهود في موضع أدنى من موضع المسيحيين، والرأي ربما يكون قد جاء من أزمنة متأخرة. (تصحيح الاسم وعنوان العمل من المترجم).

(4) Pocoke، *notŒ miscollanŒ*، Cap 7، p. 289.

إضافة إلى كل هذا، الذي أنتج في محمد الرغبة في تبني الكثير من المنظومة الدينية اليهودية، علينا أن ننظر في التطور الرائع الذي وصلت إليه التقاليد والتاريخ اليهوديان في فم الشعب، وهو ما اجتذب بقوة حتماً العبقرية الشعرية عند النبي، وهكذا لا يمكن لنا أن نشكّ في أنه بقدر ما كانت لديه وسيلة للاستعارة من اليهودية، وطالما لم تكن الآراء اليهودية معارضة لآرائه على نحو مباشر، كان محمد حريصاً على إدراج الكثير مما استعير من اليهودية في قرآنه. أما مسألة ما إذا كانت لديه تلك الوسيلة فهو ما سيناقش في المقطع الثاني.

المقطع الثاني

هل كان بوسع محمد الاستعارة من اليهوديّة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف كان الأمر ممكناً له؟

تقبع إمكانية الاستعارة من اليهودية لمحمد، جزئياً في المعرفة التي يمكن أن تصل إليه شفوياً من خلال الوصال مع اليهود، وجزئياً في المعرفة الشخصية بكتابهم المقدس؛ وفي حين نوافقه على المصدر الأول للمعلومات، يجب أن ننكر الثاني.

من المقاطع المستشهد بها للتو ـ التي يمكن أن نضيف إليها كثيراً من المقاطع الأخرى ـ يمكن أن نصل إلى أنه لا بدّ أنه كان ثمة علاقة حميمة كبيرة بين محمد واليهود، وهو ما يودي في بعض الأحيان حتى إلى نقاش تبادلي لوجهات النظر لكن لا يزال ما هو الأكثر وضوحاً ما يظهر في مقطع من السورة الثانية،[1] حيث يتم تمثيل اليهود على أنهم بوجهين، فهم يقرّون بالإيمان حين يكونون معه ومع أتباعه، وحين يكونون وحدهم يقولون: «أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به؟». وهذا يدل على أن المسلمين تعلموا الآراء اليهودية

(1) القرآن 71:2: أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ.

من المحادثة فقط. وسوف نتحدّث لاحقاً عن علاقة محمد الحميمة مع عبد الله بن سلام، ومع ورقة، ابن عم خديجة، الذي كان لفترة من الزمن يهودياً، رجل متعلّم واطلع على اللغة والأسفار المقدّسة العبريتين[1]، كذلك كان حبيب بن مالك، وهو أمير عربي قوي[2]، الذي اعترف لوقت قصير أنه يهودي الديانة. وأصبح كل هؤلاء بعد ذلك من أتباع النبي. وهكذا كان لدى محمد فرصة كبيرة للتعرف على اليهودية. وكون معرفته بها لم يتمّ اكتسابها من الكتاب المقدس إنما هو واضح من المادة المتبناة، لأن هنالك أخطاءً، والتي لا يمكن اعتبارها تحويلات متعمدة، والتي كان سيتجنبها حتماً كلّ من كانت له أدنى معرفة بالمصادر.[3] وهو واضح أيضاً من المستوى المنخفض للثقافة الذي كان محمد نفسه ويهود زمنه وبلده قد بلغوه. فالازدراء الذي تعامل به جامعو التلمود مع اليهود العرب، على الرغم من سلطتهم السياسية، لا يمكن أن يعزى إلا إلى جهل هؤلاء الأخيرين. وعلى الرغم من أننا يجب أن لا نستنتج من ذلك أن اليهود لا يعرفون شيئاً عن الكتاب المقدس، وعلى الرغم من أننا نسمع عن مدارس بينهم[4] وحتى قراءتهم للأسفار المقدسة باللغة الأصلية،[5] لا يزال يتعين علينا أن نشك، إذا كان هناك أية معرفة نقدية بالكتاب المقدّس منتشرة على نطاق واسع، ويمكن أن نكون متأكدين تماماً أن محمد نفسه لم يمتلك من ذلك شيئاً. والعديد من المقاطع يشهد على ذلك. أولاً، يمكن أن نأخذ مقطعاً تم الاستشهاد به للتو،[6] حيث يقول إنه لم يكن سابقاً يعرف شيئاً عن القراءة والكتابة، ومن

---

(1) Vid. Elbecar in Marco. Predomi I, p. 4; and Wahl, *Einleitung zur Ubersetzung des Koran*, XXX.

(2) Wahl, *Einleitung zur Ubersetzung des Koran*, XXXV.

(3) سيُفسرّ هذا لاحقاً.

(4) قارن المقطع المستشهد به للتو من البيضاوي في القسم الأول.

(5) قارن المقطع المستشهد به للتو من إلفيرار في القسم الأول. (هامش).

(6) القرآن 47:29.

ثم لدينا الآية 52:42 حيث ينكر أية معرفة سابقة «بالكتاب» أو «الإيمان». حتى حين تكون هذه مجرد أشكال كلام لإثبات الطابع الإلهي لرسالته، يظل واضحاً منها أنه لم يتمتع قط بأي سمعة في التعلم، كذلك الذي كان سيسبغ بالضرورة عليه، لو كان يعرف حقاً أي شيء عن الكتابات اليهودية، ويمتلك المعرفة التي كانت ستجعله يعيش خائفاً من أن تثبت أنه مدعٍ.

الترتيب الذي يقدّم محمد فيه الأنبياء أمر مثير للاهتمام، لأنه مباشرة بعد الآباء يضع أولاً يسوع، ثم أيوب، يونس، هارون، سليمان، وأخيراً داود.[1] في مقطع آخر[2] نجد أن الترتيب أكثر لا معقولية، فهنا لدينا داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، يسوع، إلياس، إسماعيل، اليسع، يونس، ولوط! إن التهجئة غير الصحيحة لأسماء هؤلاء الأنبياء، فضلاً عن الأدوار التي يعزوها لهم في التاريخ، تثبت أنه حتى لم ينظر في الكتاب المقدس العبري. إنه يؤكّد في الواقع أنه قبل يوحنا المعمدان لم يكن أحد يحمل اسم يوحنا. ولو كان يعرف شيئاً عن التاريخ اليهودي لكان سيدرك أنه بغض النظر عن بعض الأشخاص غير المهمين تاريخياً الذين يحملون هذا الاسم وهم مذكورون في سفر في أخبار الأيام، فإن والد الكاهن المكابي المشهور، متيّاس، وابنه على حدّ سواء كانا يحملان الاسم يوحنا. لا بدّ أن هذا الخطأ كان واضحاً للمفسّرين العرب، لأنهم يحاولون إعطاء معنى آخر للكلمات الواضحة وغير الملتبسة. كان محمد نفسه على بينة من عدم معرفته،[3] فهو يدافع عن نفسه بدقة شديدة ضد التهمة المحتملة. فعلى سبيل المثال يؤكّد في مقطعين أن اللّه قال له «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك»؛ وهكذا

(1) القرآن 161:4.

(2) القرآن 84:6 وما بعد.

(3) القرآن 162:4؛ 78:40.

فهو يدافع بذكاء عن نفسه ضد اتهامه بإغفال بعض الأنبياء. لدينا ما يكفي من البراهين في هذه المقاطع، بصرف النظر عن تلك التي سنقدّمها كاملة في الجزء الثاني، من أنّ محمداً كان جاهلاً للغاية بالكتابات اليهودية، ولذا فإنه يمكن لنا أن نتحمّل التخلي عن أحد الأمور الذي يُقدّم بشكل عام كإثبات لما نطرح. يتجسّد هذا في واقعة أن محمداً يسمي نفسه[1] في بعض المقاطع «بالأمي»[2]، وهي كلمة تعني عادة «عير متعلّم» أو «جاهل». يأخذ فال الأمر على هذا النحو، ويذكره كدليل على جهل محمد. لكن هذه الكلمة لها هنا المعنى ذاته الذي يعبّر عنه في مقاطع أخرى، أي ينتمون إلى العرب. إنها تستخدم مثل كلمة «جاهلية»[3] العرب في جهلهم السابق بالإسلام، ولأن محمداً قام من بينهم، فهو يسمّي نفسه[4] دون الإشارة إلى معرفته الفردية.[5] لكن، وكما ذكرنا سابقاW، حتى بدون هذا الدليل فاستنتاجنا يحمل علامات طيبة، أي أنه بسبب جهله

(1) في النص ترد أمي بصيغة الجمع. مترجم.
(2) القرآن 156:12.
(3) القرآن 148:3؛ 69:3.
(4) من الأميين أو أمي.
(5) يبدو لي أن اشتقاق الكلمة يدعم هذا المنظور. لقد تم اقتراح اشتقاقات عديدة مختلفة، لكنها كلها لم تكن مرضية. فبعض المفسّرين، الذين استشهد بهم إلفيرار، يشتقونها من أمة، ويضربون مثلاً صيغة مماثلة هي مكي، من مكة، ومدني من مدينة (انظر: Ewald, *critical grammar to the arabic language*، I, § 26. 2)؛ لكنهم لم يفسّروا الرابط بين معاني الكلمتين. لكن هذا يضحي واضحاً حين نأخذ بعين الاعتبار التطور في معنى الكلمة الحاخاميّة المماثلة، גוי (غوي). هذه الكلمة، التي تعني بالعبريّة «شعباً»، صارت تعني لاحقاً «غير اليهودي»؛ لأن اليهود أدركوا أنهم جماعة صغيرة ضمن سكان الأرض، الذين كان الاسم «شعب» ملائماً لهم (قارن مع التعبير עם הארץ). وهكذا فلا بدّ أن المسلمين نظروا إلى أنفسهم في البداية كجماعة صغيرة وسط الشعب، الأمة، فاعتبروا كل إنسان لا ينتمي لهم على أنه واحد من الأمة، أو أمي، وهكذا صارت الكلمة تستخدم على كل من لا يؤمن بالدين الموحى به، إن ماضياً أو حاضراً.
ملاحظة من المترجم: עם הארץ (عوام الأرض)، تعبير يمتلك معان كثيرة؛ منها: غير اليهودي الذي يعيش في الأرض المقدّسة؛ العوام؛ غير المثقفين؛ الجهلة؛ والعلمانيون.

خاصة، لكن أيضاً بسبب جهله باليهود حوله أيضاً، لم يكن باستطاعة محمد الوصول إلى معرفة بالكتب العبرية المقدّسة، وإن كانت لديه من ناحية أخرى فرصة نادرة لدراسة اليهودية بثروتها من التقليد والأسطورة كما كانت تعيش في فم الشعب.

في المقطع الأول أظهرنا أن محمداً كان لديه أسباب وجيهة لإدماج ما أخذ من اليهودية في قرآنه. ومن خلال ذلك كان يأمل في تعزيز الرأي القائل إنه كان يُعلّم عبر وحي مباشر من اللّه كما كانت لديه أيضاً رغبة عارمة في اكتساب اليهود إلى ملكوت المؤمنين على الأرض، وبعد ذلك، أيضاً، الأساطير والأحاديث الخيالية التي لليهود والتي تتناغم مع طبيعته الشعرية. في المقطع الثاني أظهرنا أنه كان لديه وفرة فرص للتعرف إلى اليهودية؛ والآن في المقطع الثالث، قبل أن نحدد نهائياً ما إذا كانت هذه الاستعارة من اليهودية قد حدثت حقاً، علينا أن نفكّر ملياً ونطرح السؤال: هل كانت هذه الاستعارة متسقة مع الآراء والمنظورات الأخرى التي كان يؤمن بها محمد؟

المقطع الثالث

هل كان متوافقاً مع خطته أن يستعير من اليهودية؟

يجب أن ننظر في هذه المسألة من جانبين. أولاً، قد يبدو لمحمد أنه من غير الصواب الاستعارة من أي منظومة لهيئة دينية أخرى خشية أن يُتهم بالرغبة في الفردية؛ وثانياً، ربما كان ثمّ شيء في واقعة الاستعارة من اليهودية بالذات والذي من شأنه أن يتعارض مع خططه الأخرى. مع ذلك، إذا ما اختبرنا الأمر عن كثب أكثر، فسوف نجد أن الحالتين لا تنطبقان عليه. وعموماً كان يحبّذ الاستعارة من الديانات السابقة. لم يكن يرغب بأية خصوصية، لم يكن يرغب بدين جديد والذي كان ينبغي أن يعارض كل ما مضى قبله؛ لكنه سعى بالأحرى إلى تأسيس

ديانة تقوم على أسس من العقائد القديمة المنقاة من التغييرات والإضافات اللاحقة، ديانة كانت ستتبنى هذه الفكرة الجديدة أو تلك، والتي ينبغي قبل كل شيء أن تعترف به باعتباره نبياً بتكليف إلهي. لقد ترك كل ذلك المؤسس على حاله، كما يتضح من قوائم الأنبياء المذكورة أعلاه؛ واعتبر ذلك نقطة لصالح قرآنه بمعنى أنه[1] متساوق مع الكتابات السابقة التي اعترف بها على أنها موحاة. بل إنه يقول مرة أخرى إن القرآن مشابه للكتابات الدينية التي قبله، أي أنه ليس سوى تكرار لهم، أي إذا لم أكن مخطئاً في إهمال التفسير العام وترجمة المقطع من السورة 39:24 على النحو التالي: «لقد أنزل اللّه البشرى الأفضل،[2] كتابات مثل الكتابات الأخرى، إعادة».[3] وحين يكون هذا هو المعنى، فإنه من غير المفهوم كيف استطاع محمّد أن يحاول إثبات تفوق قرآنه من خلال الإشارة إلى تكراراته المستمرة والمرهقة تقريباً. لكن إذا كان توكيده صحيحاً، كان يمكن له اكتساب بعض الميزات من خلال كونه يتفق مع الكتابات السابقة، واستعادة موقعها الصحيح لتلك التي كانت قد أُفسدت من قبل الإضافات والانحرافات، وتلك التي لم يحسب حسابها إلا بشكل ضئيل للغاية. إنه يدَّعي لذاته فقط بالشرف ذاته الذي أُسبغ على الذين قدّموا شرائع موحاة؛[4] لكنه بهذا التمايز

---

(1) القرآن 11:46: مُصَدِّقٌ لِّماَ مَعَهُمْ؛ ملاحظة من المترجم: سورة الأحقاف التي يستشهد بها غايغر تقول: وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (10:46). النص المستشهد به هو من سورة البقرة، 89.

(2) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ. (سورة الزمر، 23).

(3) بشأن الكلمة «مثاني»، التي يحذفها إلفيرار، انظر لاحقاً، القسم الثاني، الفصل الثالث.

(4) يبدو أنه يميّز بين المشّرعين والأنبياء، لأنه في حين يقدّم أسماء الأخيرين بنوع من التشويش المطلق، فإنه يذكر الأخيرين في منظومتهم الصحيحة، أي نوح، إبراهيم، موسى، ويسوع (القرآن 7:33؛ 11:42). يعترف المفسّرون العرب بهذا التمايز، وهكذا فإلفيرار يقول في تفسيره للآية 7:33: خصّ هؤلاء الخمسة من النبيين بالذكر لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل.
ملاحظة من المترجم: يقول البغوي في تفسيره: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً (7))

يعتبر، كآخر الأنبياء، ختم الأنبياء،[1] ونتيجة لذلك على أنه الأكمل بينهم، لأن كتابه واضح[2] إلى درجة أنه لا يمكن لأي نزاع أو سوء فهم أن ينشأ بشأنه، ومن ثم، لن تكون هنالك حاجة إلى رسول بعده. وهكذا فمن الواضح أن الاستعارة من الأديان الأخرى كانت متوافقة تماماً مع هدف محمد العام. إن أخذه بعين الاعتبار لأتباعه العرب، أي الخوف من أن يُدعى مجرد جامع، توبيخٌ لم ينج منه تماماً، لم يعقه، عن هذه الاستعارة، جزئياً، لأنه اعتقد أنه يمكنه الاعتماد على جهلهم؛ وجزئياً، لأنه كان عليه أن يثبت فقط التناغم الذي يجب أن يكون موجوداً بالضرورة بين مختلف النصوص الموحاة من الإله ذاته. لقد أكّد محمد أنه كان كله وحياً، أنه لا يأخذ شيئاً من اليهود أو المسيحيين، بل إن الله نفسه كشف له محتويات الأسفار المقدسة التي جاءت قبله، والحقائق التاريخية المتعلقة بها. وفيما يتعلق باليهودية على وجه الخصوص لم يجد محمد صعوبة خاصة. وقد لاحظنا للتو أن كثيراً مما فيها يتوافق مع الروح الشعرية للنبي، ومن يستطيع

قوله ـ عز وجل ـ : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً ويبشر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبد وا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل،...

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الحديثي، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ، أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان الساعدي، أخبرنا هارون بن محمد بن بكار بن بلال، أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد ـ يعني ابن بشير ـ عن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث».

قال قتادة: وذلك قول الله ـ عز وجل ـ : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) فبدأ به ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبلهم.

(وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا.

(1) خاتم النبيين؛ 40:33.

(2) كتاب مبين.

الآن أن يؤكّد أن أي اعتراض على التوافق مع اليهودية قد أثير من قبل معاصري محمد؟ في تلك الأيام لم يكن الناس قد وصلوا إلى مثل تلك القمة التي تدعى بعصر التنوير، وذلك لاعتبار أتباع عقيدة واحدة فقط على أنهم على حق، واعتبار كلّ ما يخص عقيدة أخرى على أنه باطل؛ لحصر المسيحيين بالعناصر المشتركة للإنسانية، وإدانة اليهودية باعتبارها ماكرة وميتة. وهكذا كان من الممكن لمحمد أن يضع أمام اليهود نقاط الاتحاد بين ديانته وديانتهم، وتجنب بعناية في تلك الآونة تلك النقاط في عقيدته التي كانت غير مقبولة لهم.

من الواضح بحدّ ذاته أنه لم يستطع تبنّي كلّ ما في اليهودية في منظومته، بل أجزاء منها فقط، وحتى تلك الأجزاء فقد كان مضطراً إلى تغييرها وإعادة ترتيبها. وفي جلبه اليهود لرأيه كان حريصاً على عدم تنفير الآخرين؛ فلم يكن باستطاعته، نتيجة لذلك، أن يتبنى منهم مثل تلك النقاط التي تتناقض تماماً مع آراء الهيئات الدينية الأخرى؛ وهكذا، في حين كان يستبعد تماماً بعض الأشياء، فقد كان ملزماً بتوسيع وتغيير أشياء أخرى لم يكن بوسعه الاستغناء عنها، من أجل أنها قد تكون أقوى من موقفه الخاص. بهذا أضحى إما مدركاً لذاته، أو وبّخه عليه آخرون، حتى أنه اضطر للتأكيد[1] على أن القرآن ليس قصّة ملفقة. لم يستطع أن يؤكّد لليهود أن شرعهم غير قابل للتغيير، لأن ذلك كان سيبدو قاتلاً لنظامه القائم على التوفيقية الدينية؛ كذلك لم يكن باستطاعته أن ينتظر معهم مَسِيًّا، لأنه إذا كان هنالك نبي آخر لم يأت بعد، لن يعود باستطاعة محمد أن يكون خاتم الأنبياء. هذه النقطة الأخيرة استمرّت إلى درجة أن العرب في وقت لاحق خلطوا بين عقيدة الدجال أو المخادع، التي كانوا قد استعاروها من المسيحيين، وعقيدة المَسِيًّا المنتظر عند اليهود المتأخرين؛ وهنالك قول

(1) القرآن 3:12؛ ما كان حديثاً يُفترى.

معروف يعلن صراحة أن[1] «اسم الدجال عند اليهود مسيح بن داود»[2]. وسيجري تقديم الكثير مما يؤكّد ما ذكر أعلاه في المقطع الثاني من القسم الثاني، وكذلك في التذييل.

في حين أن معظم هذا التحقيق كان يتألف من الاستعلام حول ما كان، أو ربما كان، في ذهن محمد، لا يمكن التصوّر بأية حال أننا نعتبره مخادعاً والذي كان يخدع عمداً، وبتمعّن موزون جيّداً في كلّ خطوة فيما إذا كانت ستساعد أم لا في هدفه بخداع الآخرين. على العكس من ذلك، يجب أن نحمي أنفسنا بعناية من مثل هذا الرأي وأن ننظر إليه على أنه آية على التحامل المستمر وإساءة الفهم التامة للقلب الإنساني. يبدو محمد بالأحرى وكأنه كان متحمسّاً حقيقياً، الذي كان هو ذاته مقتنعاً برسالته الإلهية، والذي بدا له اتحاد جميع الأديان ضرورياً لرفاهية البشرية. وهكذا فقد عمل بكامل طاقته على هذه الفكرة في الفكر، في الشعور وفي الفعل، بحيث بدا له كل حدث إلهاماً إلهيّاً. وكلّ شيء ضروري للوصول إلى هدفه كان يقف بوضوح أمامه، لمجرد أن هذه الفكرة الواحدة كانت تتحكّم به. ولم يكن باستطاعته أن يفكّر إلا بما يتناسب معها، لم يكن باستطاعته أن يشعر إلا بما ينسجم معها، لم يكن باستطاعته أن يفعل إلا

(1) اسم الدجال عند اليهود مسيح بن داود. appendix to Porta Mosis، Cap 7، p. 260 ،Pococke، *notæ miscollanæ*.

(2) و الدجال عند اليهود اسمه المسيح بن داود ، وهم يزعمون أنه يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر، وتكون معه الأنهار، وهم يزعمون أنه آية من آيات اللّه، ويرد إليهم الملك في وقته، وقد كذبوا في زعمهم هذا، بل هو مسيح الضلالة الكذاب، أما مسيح الهدى عيسى بن مريم فإنه يقتل الدجال مسيح الضلالة كما يقتل أتباعه من اليهود، والمسلمون والنصارى ينتظرون نزول المسيح عيسى للمرة الثانية، واليهود ينتظرون مجيء المسيح للمرة الأولى، والنصارى يزعمون أنه يعود بصفته ابن اللّه، وثالث ثلاثة والعياذ باللّه! فضلت النصارى كاليهود في هذا، أما أهل الحق فيعتقدون أن المسيح عيسى ينزل داعية إلى دين الإسلام، ومتبعاً لسنة خير الأنام صلى اللّه عليه وسلم، وحاكماً بالقرآن والسنة، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم الناس بكتاب اللّه تبارك وتعالى. مترجم.

ما تتطلبه منه. ليس ثمة مسألة تصميم هنا، لأن هذه الفكرة الواحدة تملّكت للغاية روحه، قلبه وإرادته لتصبح الفكرة الوحيدة في عقله، بحيث أن كل ما دخل ذهنه كان بالمشاركة مع هذه الفكرة. وبطبيعة الحال، ففي الأذهان الأكثر تعصّباً هنالك فترات متقطعة تصادفيّة يتنقى فيها التفكير، وخلال هذه الفترات كان محمد بالتأكيد يخدع نفسه والآخرين؛ لا يمكن إنكار أن الطموح وحب السلطة كانا في بعض الأحيان محفزين لأفعاله، لكن حتى في ذلك فإن إطلاق أحكام قاسية عليه عموماً أمرٌ لا مبرر له.

يمكننا القول، كنتيجة لهذا السبر، أنه سيكون من الرائع جداً إذا كان هنالك الكثير مما يمكن أن نجده في القرآن والذي من الواضح انسجامه مع اليهودية. ومن الجلي أن محمداً سعى إلى كسب اليهود إلى جانبه، وهذا يمكن القيام به على أفضل وجه عن طريق التقارب من آرائهم الدينية؛ ومن الجلي أيضاً أنه كانت لديه وسائل كثيرة كي يطلع على هذه الآراء؛ وأخيراً، فإن اعتبارات أخرى كانت تفضل بدل أن تعيق مثل هذه الاستعارة من اليهودية. والآن يتبقى لدينا العمل الرئيس الذي ينتظر أن يتم القيام به، أي أن نثبت من خلال إشارة متأنية إلى القرآن أن الاستعارة من اليهودية كانت قد حدثت بالفعل.

القسم الثاني

هل استعار محمد من اليهودية؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا استعار؟

قبل أن نصل لأن نأخذ بعين الاعتبار المقاطع الفردية كحالات للاستعارة من اليهودية، علينا أن نبيّن بعض الأسباب التاريخية العامة للرأي القائل بأن الاستعارة من هذا المصدر قد حدثت؛ ومن ثم فإن هذا القسم ينقسم من جديد إلى مقطعين، عام وخاص.

المقطع الأول

هل استعار محمد من اليهودية؟

للإجابة على هذا السؤال فإننا نعتمد أنفسنا مرة أخرى تماماً على القرآن[1]،

(1) يروي قزوين القصّة التالية (Pococke (*Spicemen Historiae Arabum*, p. 309: روي أن رسول الله لمّا قدم المدينة وجد يهوداً يصومون عاشوراء، فسألهم عن ذلك، فقالوا: إنه الذي غرق فرعون وقومه ونجى موسى ومن معه؛ فقال: أنا أحق بموسى منهم، فأمر بصوم عاشوراء. إن سبب عرف صوم يوم عاشوراء، الذي هو עשור، اليوم العاشر من الشهر السابع، (لاويون 27:23)، الذي يعني بوضوح أنه يوم الغفران، إنما هو سبب بعيد للغاية عن التوكيد. وإلفيرار ليس أكثر دقة، لأنه يقدّم لنا سبباً خاطئاً أيضاً. فهو يقول تعليقاً على الآية 46:11: وهبطوا يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه بالصوم شكراً لله عزّ وجل. وبأية حال، تبقى مع ذلك الحقيقة الهامة القائلة إن محمداً تبنّى أحد أعياد اليهود، والذي ألغي من ثم مثل القبلة اليهودية. انظر: Barthélemy d'Herbelot, *Bibliothèque orientale, ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient*، الكلمة آشور، ص. 127.

تعقيب من المترجم: وقد ورد في كتب الحديث أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء، كما كان

حيث لا نمتلك أدباً آخر من التاريخ ذاته والذي يتناول المسألة المعنية. فلا يزال هناك كثير من المقاطع المحفوظة فيه لنا، التي بشكل عام تثبت بما فيه الكفاية وجهة نظرنا؛ وفي الواقع فهي تحتوي إما التقريع الذي عبّر عنه معاصرو محمد عند استعارته من اليهودية، أو أيضاً توسّلاً من قبله إلى اليهود، كشهود على صحة تأكيداته. إنه يشكو بشدّة في كثير من المقاطع من أن العرب قالوا إنّ كلماته ليست أصلية،[1] بل دعوها إفك قديم.[2] بل قالوا أكثر من ذلك أحياناً حيث أكّدوا أنه إنما يعلّمه بشر،[3] وإضافة عبارة:[4] «لسان الذي يلحدون إليه

اليهود يصومون ذلك اليوم. ويوم عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم. وإن الرسول حين قدم المدينة وجد اليهود يصومونه. وأن الرسول كان يصومه في الجاهلية أيضاً. ولما قدم المدينة، كان يصومه، وأمر بصيامه. فلما فرض رمضان، ترك عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه. وورد «أن قريشاً كانت تعظم هذا اليوم، وكانوا يكسون الكعبة فيه، وصومه من تمام تعظيمه، ولكن إنما كانوا يعدون بالأهلة، فكان عندهم عاش المحرم. فلما قدم المدينة، وجدهم يعظمون ذلك اليوم ويصومونه، فسألهم عنه، فقالوا: هو اليوم الذي نجىّ اللّه فيه موسى وقومه من فرعون». جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، 5060:1.

ملاحظة من المترجم: اسم ليوم يصوم فيه المسلمون ويصادف العاشر من شهر محرّم (أول شهر في السنة الهجرية ـ الإسلامية). تقول رواية قديمة إن هذا العرف أدخله محمد حين جاء إلى يثرب ـ المدينة عام 622. يستمر صوم هذا اليوم من الفجر إلى المغرب، أي إنه يستمر ليوم كامل. إن كلاً من تسمية هذا الصوم وتاريخه يدلان على أن محمداً اعتمد هنا على يوم كيبور (يوم التكفير)؛ [راجع سفر اللاويين، 29:16]. لكن محمداً، وبعد سنة ونصف على استقراره في المدينة، ونتيجة لصراعه مع الجالية اليهودية هناك، ألغى صوم عاشوراء واستبدله بصوم رمضان (قرآن 2: 179ـ 181). مع ذلك، فتعليمات هذا الصوم، إن في القرآن أو في الروايات الإسلامية، تظهر أدلة على الأثر اليهودي. ومع أن عاشوراء كصوم إجباري توقف اليوم، إلا أن العاشر من محرّم ما يزال يعتبر إلى اليوم يوماً يناسب صوماً طوعياً. يحتل هذا اليوم أهمية خاصة عند المسلمين الشيعة باعتباره اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي في معركة كربلاء عام 650. وتقام في هذا اليوم مواكب عديدة وفيه يصوم زُهّاد الشيعة.

(1) أساطير الأولين. قارن: القرآن 31:8؛ 16:26؛ 85:23؛ 6:25؛ 70:27؛ 16:46؛ 15:48؛ 83:13.

(2) القرآن 10:46.

(3) القرآن 105:6.

(4) النحل 103. مترجم.

أعجمي وهذا لسان عربي مبين»، تُظهر بوضوح أن هذا البشر كان يهودياً. يعلّق المفسّرون على هذا الرأي وهم يعتقدون بالفعل أنه كان عبد الله بن سلام، الحاخام المتعلّم، الذي كان محمد على علاقة مستمرة ووثيقة معه، والذي كثيراً ما ذُكر في التفاسير.[1] عبارة أخرى أكثر عمومية ربما تسير على النحو التالي[2]: «أعانه عليه قوم آخرون» والتي علّق عليها إلفيرار بالقول:[3]»يقول مجاهد، إنه يعني بهذا اليهود». هل يمكن لأي شخص أن يرغب بشاهدٍ تاريخيٍ أوضح من هذه التهمة، التي كثيراً ما وجّهت ضد محمد، والتي بدت له هامة إلى درجة أنه كان يشير إليها باستمرار على أمل دحض التهمة؟ مع ذلك، فهو نفسه يعترف أن كثيراً مما يقصّه موجود في الأسفار المقدّسة التي كانت قبله. وعلى السؤال المحرج، الذي كانت فحواه لماذا لم يصنع معجزة على الإطلاق، كان يجيب باستمرار بأنه هو الذي كان يسمّى بشيراً فقط، وليس صانع عجائب، أخبرهم بصراحة مع ذلك عن المعجزات المذكورة في الكتابات السابقة،[4] والتي عرفها جيداً اليهود المتعلّمون.[5]

---

(1) أبو الفداء، I، 238 *annules Moslemitici*.

(2) القرآن 5:25.

(3) قال مجاهد، يعني اليهود.

(4) القرآن في الصحف الأولى، 133:20؛ في زبر الأولين، 196:226.

(5) القرآن 197:26؛ يعلّمه علماء بني إسرائيل. وعليه يعّلّق إلفيرار: قال ابن عطيّة: كانوا خمسة ـ عبد الله بن سلام، وابن ياسين، وثعلبة، وأسد، وأسيد.
إضافة من المترجم من تفسير البغوي للآية: (أولم يكن لهم آية) [قرأ ابن عامر: «تكن» بالتاء «آية» بالرفع، جعل الآية اسما وخبره: (أن يعلمه) وقرأ الآخرون بالياء، «آية» نصب، جعلوا الآية خبر يكن، معناه: أولم يكن لهؤلاء المنكرين علم بني إسرائيل آية، أي: علامة ودلالة على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لأن العلماء الذين كانوا من بني إسرائيل، كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم، وهم: عبد الله بن سلام وأصحابه. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوهم عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية على صدقه.
قوله تعالى: (أن يعلمه) يعني: يعلم محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، (علماء بني إسرائيل) قال عطية: كانوا خمسة: عبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد.)

لقد استطاعوا أن يشهدوا على صحّة هذه الروايات،[1] ومن بينهم أحد الرجال،[2] وخاصة الذي سبق ذكره «عبد اللّه بن سلام»[3]، الذي يقال إن المقطع المليء بالثناء من الآية 68:3 يشير إليه. ولم يقتصر الأمر على تأكيد كلماته للآخرين فحسب، وإنما أيضاً لإزالة أي شك من عقل محمد ذاته حول حقيقة بعثته. لكن لدينا في أحد المواضع أمر موجّه إليه[4]: «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك».[5] حين يعترف إذن، مهما بدا

(1) القرآن 103:17: لما سأل بني إسرائيل.

(2) القرآن 9:46: وشهد شاهد من بني إسرائيل.

(3) يقول إلفيرار باسم مفسرّين كثر: هو سلام عبد اللّه بن سلام، شهد على نبوة المصطفى محمد (صلعم)، آمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

إضافة المترجم من تفسير البغوي: قوله: (إن اللّه لا يهدي القوم الظالمين) وقال الحسن: جوابه: فمن أضل منكم، كما قال في سورة السجدة.

واختلفوا في هذا الشاهد، قال قتادة والضحاك: هو عبد اللّه بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد اللّه النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد اللّه بن منير سمع عبد اللّه بن بكير، حدثنا حميد، عن أنس قال: «سمع عبد اللّه بن سلام بمقدم رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفا، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: «قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه» (البقرة ـ 97)، فأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت، قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه، [يا رسول اللّه] إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال: أي رجلٍ عبد اللّه فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد اللّه بن سلام؟ قالوا: أعاذه اللّه من ذلك، فخرج عبد اللّه، فقال: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، فقالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول اللّه».

(4) القرآن 94:10: فإن كنت في شكّ مما أنزل إليك فاسأل الذين أوتوا الكتاب من قبلك.

(5) على هذا يعلّق إلفيرار قائلًا: فإنْ... يعني القرآن فاسأل... يخبرونك إنك مكتوب عندهم في التوراة؛ ثم يقول من جديد: يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد اللّه بن سلام وأصحابه.

الأمر مليئاً بالخداع، أن اليهود إلى حد ما هم شهود على ما كان يوحى إليه، لدينا مبرراتنا في التعبير عن رأينا القائل إن اليهودية كانت أحد مصادر نصوص في القرآن، وبهذه اليقينية نمضي قدماً للتو في مناقشة المقاطع المستعارة فعليّاً.

المقطع الثاني

ماذا استعار محمد من اليهودية؟

في حالة أية حالة استعارة مفردة، يجب أن يكون الدليل على أن المقطع هو حقاً من أصل يهودي قائماً على دعامتين. أولاً، يجب أن يُظهر بأنه موجود في اليهودية، ولإثبات هذا لدينا كلّ الوسائل المساعدة. ثانياً، من أجل الوصول إلى اليقينية يجب علينا أن نثبت أنه مستعار فعلاً، أي أنه لا يمتلك أي أساس في

إضافة من المترجم من تفسير الزمخشري: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)

{أَفَمَن كَانَ على بَيِّنَةٍ} معناه: أمّن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم، يريد أنّ بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيِّناً، وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد اللّه بن سلام وغيره، كان على بينة {مّن رَّبّهِ} أي على برهان من اللّه وبيان أنّ دين الإسلام حق وهو دليل العقل {وَيَتْلُوهُ} ويتبع ذلك البرهان {شَاهِدٌ مّنْهُ} أي شاهد يشهد بصحته، وهو القرآن {مِنْهُ} من اللّه، أو شاهد من القرآن، فقد تقدّم ذكره آنفاً {وَمِن قَبْلِهِ} ومن قبل القرآن {كِتَابُ موسى} وهو التوراة، أي: ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى. وقرىء: «كتاب موسى» بالنصب، ومعناه: كان على بينة من ربه، وهو الدليل على أنّ القرآن حق، {وَيَتْلُوهُ}: ويقرأ القرآن {شَاهِدٌ مّنْهُ} شاهد ممن كان على بينة. كقوله: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مّن بَنِى إسراءيل على مِثْلِهِ} [الأحقاف: 10]، {قُلْ كفى باللّه شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكتاب} [الرعد: 43]، {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى} ويتلو من قبل القرآن والتوراة {إِمَاماً} كتاباً مؤتّماً به في الدين قدوة فيه {وَرَحْمَةً} ونعمة عظيمة على المُنزَّل إليهم {أولئك} يعني من كان على بينة {يُؤْمِنُونَ بِهِ} يؤمنون بالقرآن {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحزاب} يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزِّبين على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم {فالنار مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِى مِرْيَةٍ} وقرىء: «مُرية» بالضم وهما الشك {مّنْهُ} من القرآن أو من الموعد.

التقليد العربي القديم، الذي استخدمه محمد إلى حد كبير كأساس على الرغم من أنه عارض بعض النقاط فيه. ثم مرة أخرى يجب أن نبيّن أنه كان له أصله في اليهودية وليس في المسيحية. ومن أجل مناقشة كاملة للنقطتين الأخيرتين، يبدو من الضروري كتابة رسالتين مماثلتين لتلك التي أنهمك بها الآن، واللتين سيكون موضوعاهما على الترتيب ـ (1) نقاط الاحتكاك بين الإسلام والتقليد القديم للعرب، و(2) نقاط الاحتكاك بين الإسلام والكنيسة المسيحية؛ وبهذه الطريقة فقط يمكن الوصول إلى اليقينية بشأن هذه النقاط. لكن هذه البحوث، من ناحية، من شأنها أن تقودنا بعيداً جداً عن موضوعنا الخاص، ومن ناحية أخرى، فإنها تحتاج إلى معالجة أكثر دقة مما يمكن تقديمه ونحن نتناول موضوعنا الرئيس. من ثم، أيضاً، تُجعل غير ضرورية من خلال الوسائل التي نستخدمها في كل حالة على حدة، والتي سوف تظهر في الأقسام المختلفة من العمل؛ وهكذا بحيث أنه في معظم النقاط يمكننا دونها الوصول إلى درجة عالية من الاحتمالية، كافية عمليّاً لجميع الأغراض العلمية. ومن أجل الوضوح، قد يكون من المفيد تقسيم المادة المستعارة من اليهودية إلى أفكار تنتمي إليها، وروايات مأخوذة عنها، وبعد ذلك علينا أن نقوم بتقسيم جانبي مرة أخرى.

الفصل الأول

أفكار تنتمي إلى اليهودية والتي عبرت إلى القرآن

تمتلك الأفكار الجديدة المستعارة من دين إلى دين آخر طابعاً مزدوجاً. إما أنها جديدة جذرياً، وهنالك لا يكون حتى ذلك الوقت في الدين المستعير حتى إنذار بها، بحيث أن المفاهيم بالذات جديدة، وتتطلب وفقاً لذلك كلمات جديدة للتعبير عن ذواتها؛ أو أن تكون الأجزاء المكونة لهذه الأفكار موجودة منذ زمن طويل لكنها ليست بهذا التركيب، الشكل الذي يتم فيه مزج هذه المفاهيم يكون جديداً، ومن ثم فالمنظور الذي ينشأ عن هذا العرض غير العادي يكون جديداً. وعلينا نتيجة لذلك تقسيم هذا الفصل وفقاً لهذه الفروق.

المقطع الأول

مفاهيم مستعارة من اليهودية

بما أن الإيذان بمفاهيم لديانات غير معروفة حتى ذلك الوقت يبدو مميزاً دائماً بإدخال كلمات جديدة للتعبير عنها، وبما أن اليهود في الجزيرة العربية، حتى عندما يكونون قادرين على التحدث باللغة العربية، كانوا يحتفظون لأنفسهم بتسميات حاخامية عبرية لمفاهيمهم الدينية، وهكذا فالكلمات التي من اشتقاقها يتبين أنها ليست عربية بل عبرية، أو من الأفضل القول أيضاً إنها

حاخاميّة، يجب أن تقدّم لإثبات الأصل اليهودي للمفاهيم التي أعرب عنها. ويبدو أنّ المقطع الذي تم اقتباسه للتو عن اللغة الأجنبية التي يتحدّث بها أولئك الذين اتُّهِموا بمساعدة محمد في كتابة القرآن إنما يشير إلى استخدام اليهود للغة غير العربية. والهدف من هذا الفصل هو تعداد الكلمات التي عبرت من العبرية الحاخامية إلى القرآن، وهكذا إلى اللغة العربية.

تابوت،[1] النهاية ـوت دليل مؤكد إلى حد ما على أن الكلمة ليست من أصل عربي بل من أصل عبري حاخامي؛[2] لأنّ هذه اللَّهجة من العبرية كانت قد تبنت مكان نهايات أخرى هذه النهاية، وهو أمر شائع جداً أيضاً في الكلدانيّة والسريانية بحيث يمكن لي أن أغامر بالتأكيد أنه لا توجد كلمة عربية نقية تنتهي بهذه الطريقة.[3] تظهر كلمتنا في مقطعين مختلفتين بمعنيين مختلفين: أولاً، حيث يقال لأم موسى أن تضع ابنها في تابوت،[4] والمعنى الموجود هنا

---

(1) تابوت. תיבה. إضافة من المترجم: בגאומטריה של המרחב, תיבה היא פאון תלת־ממדי בן שש פאות, שכולן מלבנים.
אף שצורת התיבה נדירה בטבע, היא נוחה מאוד לשימושים תעשייתיים, למשל משום שאפשר לרצף בה חללים מרחביים בקלות יחסית. לתיבות אריזה, ספרים, חדרים בבניין ובניינים, יש בדרך כלל צורת תיבה.
תיבה היא מקרה פרטי של מקבילון. תיבה שכל פאותיה הן ריבועים נקראת קובייה.

(2) العبرية الحاخامية، תיבתא (تيبوتا).

(3) قارن: ملكوت وطاغوت.

(4) القرآن 39:20. قارن תֵּבַת גֹּמֶא. ملاحظة من المترجم: العبارة من سفر الخروج، 3:2: [וְלֹא־יָכְלָה עוֹד הַצְּפִינוֹ וַתִּקַּח־לוֹ תֵּבַת גֹּמֶא וַתַּחְמְרָה בַחֵמָר וּבַזָּפֶת וַתָּשֶׂם בָּהּ אֶת־הַיֶּלֶד וַתָּשֶׂם בַּסּוּף עַל־שְׂפַת הַיְאֹר׃ [وَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهَا أَنْ تُخَبِّئَهُ بَعْدُ أَخَذَتْ لَهُ سَفَطاً مِنَ الْبَرْدِيِّ وَطَلَتْهُ بِالْحُمَرِ وَالزِّفْتِ وَوَضَعَتِ الْوَلَدَ فِيهِ وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحَلْفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ.]

عبري بحت[1]؛ ومن هذا نشأ أن تابوت العهد[2] كان يسمى أيضاً بهذا الاسم. وهكذا يتم استخدامه خاصة[3] بمعنى المجيء إلى أمام التابوت في الصلاة. في السورة الثانية[4] نجده مذكوراً كعلامة على الحاكم الشرعي الذي من خلاله سيعود[5] تابوت العهد[6].

التوراة، أو الشريعة.[7] هذه الكلمة مثل المكافئ اليوناني في العهد الجديد تستخدم فقط للوحي اليهودي؛ وعلى الرغم من أن محمداً، الذي يمتلك فقط تقليداً شفوياً، لم يكن قادراً على التمييز على نحو دقيق للغاية، فمن الواضح مع ذلك أنه فهم أسفار موسى الخمسة فحسب تحت هذا الاسم؛[8] لأنه من بين

---

(1) {39} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي. مترجم.

(2) ארון في التوراة. ملاحظة من المترجم: من تلك المواقع في التوراة، مثلًا، تث 26:31: «לָקֹחַ אֵת סֵפֶר הַתּוֹרָה הַזֶּה וְשַׂמְתֶּם אֹתוֹ מִצַּד אֲרוֹן בְּרִית־יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם וְהָיָה־שָׁם בְּךָ לְעֵד». [خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِداً عَلَيْكُمْ.]

(3) עבר לפני התיבה. قارن مشنا بيراخوت 4:5. تعليق المترجم: الجملة معناها مر أمام التابوت. من أجل مزيد من المعلومات الليتورجية عن ذلك، راجع: https://archive.org/details/jstor-1451037.

(4) يستخدم العرب عبارة تابوت السكينة بمعنى تابوت العهد أيضاً. Barthélemy d'Herbelot, *Bibliothèque orientale, ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l'Orient*، كلمة أشمويل).

(5) تُعطى صيغة المذكّر لهذه الكلمة هنا، وهو ما نجد دليلًا عليه في واقعة أن فيه إنما تشير إليه، الأمر الذي يبدو غريباً، ما لم يكن أن الكلمة القديمة ארון في الذهن ربما، والحرفان النهائيان ـوت كونهما غريبان على اللغة العربية، فليسا إشارة مؤكدة على جنس الكلمة. (ملاحظة المترجم: راجع الهامش 114).

(6) القرآن 249:2.

(7) توراة. תּוֹרָה. βιβλίον.

(8) أكّد العرب المتأخرون العكس تماماً؛ يقول أحمد بن عبد الحليم (Maracoi in Loc, I, p. 5): فقوله أخبرني بصفة رسول اللّه في التوراة قد يراد فيه نفس الكتب كلّها وكلّها تسمى توراة؛ ثم يضيف: ولفظ التوراة قد عُرف أنه الكتب؛ يراد جنس الشيء يقرأها أهل الكتاب فيدخل في ذلك الزبور ونبوة إشعيا وسائر النبوات خلا الإنجيل.

أنبياء اليهود بعد الآباء فإنه يعدّ موسى وحده كمشرّع. لأن القسم الأعظم من الشريعة يُذكر في سياق الإنجيل.[1]

جنّة عدن، أو الجنّة.[2] كلمة «عدن» ليست معروفة باللغة العربية بمعنى المتعة أو السعادة، لكن هذا هو المعنى الذي يناسب الكلمة في هذا السياق.[3] في العبرية هذا معنى راديكالي؛ مع ذلك فهذا التفسير، أي جنّة عدن، الذي غالباً ما يرد في الكتاب المقدس، لا يمكن أن يفسر على أنه الفردوس؛ لكن عدن[4] هناك هي بالأحرى اسم علم للمنطقة التي كان يسكنها أوّل أبوين في براءتهم، والجزء الذي كانا يعيشان فيه بالفعل كان حديقة من الأشجار. ومن الطبيعي فقط أن هذه المنطقة الدنيوية من العصر الذهبي يجب أن تمتلك تدريجياً أحجار زاوية حتى تعتبر كفردوس، وبذلك فالكلمة نفسها[5] لم تعد تعني اسم مكان بل تُطلق على حالة من النعيم؛[6] على الرغم من أن اليهود ظلّوا يعتقدون أن عدن مكان أيضاً. ومن الواضح من ترجمة «حدائق المتعة» أن يهود ذلك

لكن هذا لا يغيّر من قناعتنا التي أعربنا عنها للتو.

في كتاب محمد (ص) في الكتب المقدّسة، لسامي العامري، وجدنا ما يلي: ولفظ التوراة، قد عرف أنه يراد به جنس الكتب التي يقرّ بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك الزبور، ونبوة أشعيا، وسائر النبوات غير الإنجيل. مترجم.

(1) الإنجيل. قارن: القرآن: 2:3، 43، 58، 86: 70:5؛ 157:7؛ 112:9؛ 5:62.

(2) جنّات عدن גַּן עֵדֶן.

(3) يقدّم المفسرّون العرب مروحة كبيرة متنوعة من المعاني لهذه الكلمة، لكنهم لا يعرفون شيئاً عن المعنى الذي نقدّمه نحن فقط لأنه غريب على اللغة العربية. ويبدو أن إلفيرار يحدد المنظور القائل إن أقاما إضافة إلى عدن على أنه يعني الدوامية، لأن الأتقياء سيبقون هناك إلى الأبد.

(4) עֵדֶן.

(5) مثلًا، עֵדֶן.

(6) يستخدمه محمد على هذا النحو في القرآن، 73:9؛ 23:13؛ 33:16؛ 30:18؛ 62:19؛ 78:20؛ 30:35؛ 50:38؛ 8:60؛ 12:61؛ وفي مواضع أخرى يترجم المصطلح بعبارة، جنّات النعيم، مثلاً، 70:5؛ 9:10؛ 55:12؛ 7:31؛ 42:37؛ 34:48؛ يستخدم المصطلح أحياناً بصيغة المفرد أيضاً، جنّة النعيم، 85:27؛ وأحياناً دون أداة التعريف، جنة نعيم، 88:56؛ 38:70.

الزمن لم ينقلوا التسمية عدن إلى اللغة العربية فحسب، بل حملوا إيتمولوجيتها المفترضة أيضاً. نادراً ما يرد الاسم المسيحي الأكثر تميزاً[1] في القرآن، على الرغم من أنه أيضاً ليس غريباً تماماً على اليهوديّة المتأخرة، كما يتضح من قصة الأربعة الذين ذهبوا أحياء إلى الفردوس.[2]

جهنم، أو الجحيم[3]. هذه الكلمة أيضاً، مثل الجنة المقابلة لها، من أصل

---

(1) جنّات الفردوس. Παραδεισος

(2) פרדס فروس؛ قارن رسالة حاغيغاه التلمودية، الورقة 14. قارن أيضاً، القرآن 107:18؛ 11:2.

بين كثير من التفاسير الخاطئة، يعطي إلفيرار التفسير الصحيح التالي: قال مجاهد هو البستان بالرومية، وقال الزجاج هو منقول إلى لفظ العربية.

ملاحظة من المترجم: فردوس موجود كلفظ في التوراة، من ذلك: παραδεισον וְאִגֶּרֶת אֶל־אָסָף שֹׁמֵר הַפַּרְדֵּס אֲשֶׁר לַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר יִתֶּן־לִי עֵצִים לְקָרוֹת אֶת־שַׁעֲרֵי הַבִּירָה אֲשֶׁר־לַבַּיִת וּלְחוֹמַת הָעִיר וְלַבַּיִת אֲשֶׁר־אָבוֹא אֵלָיו וַיִּתֶּן־לִי הַמֶּלֶךְ כְּיַד־אֱלֹהַי הַטּוֹבָה עָלָי׃ وَرِسَالَةٌ إِلَى آسَافَ حَارِسِ فِرْدَوْسِ الْمَلِكِ لِيُعْطِيَنِي أَخْشَاباً لِسَقْفِ أَبْوَابِ الْقَصْرِ الَّذِي لِلْبَيْتِ وَلِسُورِ الْمَدِينَةِ وَلِلْبَيْتِ الَّذِي أَدْخُلُ إِلَيْهِ)). فَأَعْطَانِي الْمَلِكُ حَسَبَ يَدِ إِلَهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ. (نح 8:2).

ملاحظة أخرى من المترجم نقلاً عن تفسير البغوي: (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً (106) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً (107))

(ذلك) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم. ثم ابتدأ فقال: (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزواً) أي سخرية ومهزوءاً بهم. قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

قال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال قتادة: «الفردوس»: ربوة الجنة، وأوسطها وأفضلها وأرفعها. قال كعب: «الفردوس»: هو البستان الذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال عكرمة: هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية. وقال الضحاك: هي الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هي الروضة المستحسنة. وقيل: هي التي تنبت ضروباً من النبات، وجمعه فراديس. (نزلا) قيل أي: منزلاً. وقيل: ما يهيأ للنازل، على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً، ومعنى «كانت لهم» أي: في علم الله قبل أن يخلقوا.

(3) جهنم גיהנם.

يهودي. ووفقاً للمفهوم الأساسي والاستخدام الكتابي فهي أيضاً اسم لمكان، على الرغم من أنه موقع أقل أهميّة بكثير من ذلك الذي أعطى اسمه للجنة. لم يكن وادي هنّوم أكثر من بقعة مخصصة لعبادة وثنية ومن اللافت للنظر أن الخوف من الوثنية أوصل إلى استخدام اسمها لتعيين الجحيم. ولا يحتاج إلى دليل أنّ هذه هي التسمية الاعتيادية لها في التلمود، ومن هذه التسمية اشتُقت التسمية (غهنّا) في العهد الجديد. الآن، يمكن التأكيد أن محمداً حصل على هذه الكلمة من المسيحيين؛ ولكن حتى ولو وضعنا جانباً البرهان أنها، مثل الاسم الذي يطلق على الفردوس، يهودية، تظلّ الاحتمالات لصالح أصل يهودي لكلمة الجحيم أيضاً، فشكل الكلمة نفسها يتحدث عن اشتقاقها من اليهودية. ونحن لا نركز على واقعة أن الكلمة الملفوظة بملء النَفَس aspirate، التي هي هيه *he*، التي لا يعبّر عنها في اليونانية، إنما تظهر من جديد في اللغة العربية، لأن هذه الكلمة الملفوظة بملء النفس مع أنه لا يُشار إليها دائماً من قبل علماء النحو في الكتابة، إلا أنها تبدو مسموعة الصوت في الكلام على الدوام. وهذا يصحّ على الكلمات اليونانية الأخرى التي عبرت إلى السريانية.[1] فالحرف ميم الذي نجده في نهاية الكلمة العربية (جهنم)، كونه غير موجود في الكلمة السريانية، إنما يثبت الاشتقاق من الكلمة العبرية، (غيهينوم). والكلمة موجودة في العديد من المواضع في القرآن.[2]

أحبار.[3] هذه الكلمة موجودة في عدة أماكن في القرآن بمعنى المعلم. أقول الآن إن الكلمة[4] العبرية الحقيقية حبر، أي رفيق، اكتسبت في المشنا معنى

(1) مثلًا، συνοδος، أي سندس، وبشكل خاص γεεννα، التي تلفظ بالسريانية، غيابنو.

(2) القرآن 201:2؛ 10:3، 196؛ 58:4، 95، 99، 115، 120. الخ!

(3) أحبار. חברים. القرآن 48:5، 68؛ 31:9، 34.

(4) חבר (حبر).

مماثلاً لمعنى كلمة «باروش»؛[1] فقط أن الأخيرة كانت اسماً لطائفة والأولى اسم لحزب ضمن طائفة. الكلمة باروش تعني، إذا ما تكلّمنا بشكل صحيح، الذي هو منفصل، أي من ينسحب بدوافع التقوى، أو الفريسي، وذلك باعتباره متمايزاً عن ذلك الذي يطارد دون تردّد كل ملذات هذه الحياة، أي الصدوقي. وهكذا فبين أولئك الذين انفصلوا نشأ هناك فرقٌ عن الآخرين ليس فقط في العادات الاجتماعية، بل خصوصاً في أنهم اعتمدوا وجهة نظر عقائدية مختلفة، أي الاعتقاد بالتقليد الشفوي. وكانت لديهم أيضاً مبادئ صارمة جداً لتوجيه حياتهم. لكن المسألة لم تعد مجرّد مسألة حرص شديد في الحياة والسلوك، فقد أصبحت مسألة معرفة وتعلّم خاصين، اللذين بطبيعة الحال لم يكن مستطاعاً نقلهما على قدم المساواة لجميع أعضاء هذه الطائفة. ومن ثم فإن هؤلاء الرجال المتعلمين، الذين يمتلك كل منهم بعض المعرفة الخاصة، أصبحوا يتمتعون باحترام عظيم، وبهذه الطريقة فمرة أخرى تمّ تشكيل مجتمع بتمايز ـ معاكس والذي دُعي فيه ما تبقى من الناس في البلاد بالعلمانيين.[2] ومع ذلك، فقد كان يطلق على أفراد هذه الجماعة اسم حبريم،[3]، أي «الزملاء»؛ ومن ثم، فعلى الرغم من أن المعنى ‹معلّم›، إذا ما تكلّمنا بشكل صحيح، ليس في الكلمة ذاتها، مع ذلك فالتطوّر المميز لهذا المجتمع هو السبب للمعنى الجديد للكلمة. إن التبجيل المفرط الذي كان يكنّه اليهود لهؤلاء «الزملاء» هو ما أوصل إلى التأنيب من قبل محمد في المقطعين المشار إليهما أخيراً. وهو أيضاً يوبّخ المسيحيين في الموضعين على حدّ سواء[4] بسبب التقدير الذي كانوا يعاملون به الرهبان. وربما أن هذه

---

(1) פרוש.

(2) עם הארץ، λαϊκος، من λαος. ملاحظة من المترجم: في ترجمة التعبير العبري في هامش سابق، قلنا إنه يعني، ضمن أمور أخرى «علماني»؛ وهنا الترجمة إلى اليونانية تأخذ هذا المعنى.

(3) חברים.

(4) القرآن 9:31، 4. رهبان.

الكلمة، أي رهبان، ليست مشتقة من رَهِبَ،[1] أي الخوف (ومن ثم الخوف من الله)، بل مثل قسيسون[2]، الكلمة التي ترافقها في سورة 85:5، إنما هي مشتقة عن السريانية، اللغة التي حافظت على تفوقها بين المسيحيين في تلك المناطق؛ ونتيجة لذلك فإن رهبان مشتقة من الكلمة السريانيّة رابهويه، وقسيسون من الكلمة السريانية قيشيشويه.

وهكذا إذن فإن رهبان لا تعني حقاً الرهبان العاديين، الذين يدعون ديره، بل رجال الدين؛ في حين أن قسيس تعني الشيخ، الكاهن، الذي يدعى قشيشو بالسريانية.

دَرَس،[3] وتعني الوصول إلى المعنى العميق للكتاب المقدس من خلال البحث الدقيق والحريص. ويرد ذكر هذا الاستعلام الدؤوب الملتهب في عدة مقاطع.[4] لكن هذا النوع من التفسير، الذي هو غير قانع بقبول المعنى الواضح والمقبول عموماً لمقطع ما، بل الذي يلتمس التلميحات البعيدة ـ هذا (على الرغم من أنه قد يلقي الضوء على الكثير مما هو هام وقيّم، حين يُستخدم بلباقة وبمعرفة بحدود ما هو مفيد في مثل تلك الدراسة) عرضة جداً لأن يفسد ويصبح مجرّد تأكيد على ما هو غير ذي أهمية، بحث عن المعاني حيث لا وجود لها، وعن

---

(1) رهب.

(2) قسيسون.

(3) דרש.

(4) القرآن 73:3؛ 43:34؛ 37:48؛ 168:7؛ بالنسبة للمقطع الأخير يقول إلفيرار: ودرس الكتاب قراءته وتدبيره مرة بعد أخرى.
إضافة من المترجم من تفسير البغوي: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق، أي: أخذ عليهم العهد في التوراة أن لا يقولوا على الله الباطل، وهي تمني المغفرة مع الإصرار، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار، (ودرسوا ما فيه) قرؤوا ما فيه، فهم ذاكرون لذلك، ولو عقلوه لعملوا للدار الآخرة، ودَرْسُ الكتاب: قراءته وتدبره مرة بعد أخرى، (والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون)

التوضيحات التي هي عرضية بحتة. ومن ثم فقد اكتسبت الكلمة معنى ثانوياً، بمعنى، يبدّد الوقت، يخترع معنى ويقحمه في مقطع ما. قارن التعبير القائم[1] المتداول بين العديد من الذين يسعون[2] إلى معنى أساسي بسيط. الكلمة بهذا النوع من الاستخدام ترد في القرآن، وخاصة في فم معارضي محمد؛ لكن حتى الآن لم يتم الاعتراف بهذه الحقيقة. إن المقطع المساء فهمه على نحو جلي في الآية 105:6 [3] إنما يُفسّر على هذا النحو، وكذلك المقطع في الآية 157:6.[4] المقطع الأول يمكن ترجمته كما يلي: «وكذلك نصرف الآيات، وليقولوا درست، ولنبيّنه لقوم يعلمون»؛[5] أما المقطع الثاني فيترجم على النحو التالي: «أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، وإن كنّا عن دراستهم لغافلين»[6]، أي إنهم تركوا الكتب المقدسة لنا وقد أضيف إليها وشوهت بحيث لا يمكننا اتباعها. ومن الملاحظ أن هذه الكلمة، التي هي ليست كلمة عادية في القرآن، إنما تظهر بهذا المعنى فقط في السورة السادسة حيث ترد مرّتين؛ وهذا ما يدل على أنه في وقت توليف هذه السورة تماماً كانت الكلمة بمعناها الثانوي تستخدم من قبل بعض الناس كنوع من التبكيت لمحمد. علاوة على ذلك، قد تفيد هذه الملاحظة أيضاً في توضيح وحدة هذه السورة.

رباني،[7] أي معلّم. هذه الكلمة الحاخامية على الأرجح تُشكّل عبر إضافة

---

(1) והדרשת תדרש.

(2) פשטנים.

(3) وليقولوا درستَ.

(4) عن دراستهم.

(5) طبعاً النص منقول عن القرآن مباشرة. مترجم.

(6) الترقيم في النص الأصلي ليس دقيقاً، فهو من سورة الأنعام، الآية 156. النص هنا مأخوذ عن القرآن مباشرة. ترجمة غايغر للجملة الأخيرة من الآية، تقول: «لقد أغفلنا منظومة تفسيرهم القسري». ـ مترجم عربي.

(7) רבן.

اللاحقة (ـان)[1] مثل (ـنو) إلى كلمة «راب»، لتعني من ثم، سيدنا أو معلّمنا. لأنه على الرغم من أن النهاية «ان» «شائعة في العبرية المتأخرة،[2] فإن الكلمة الأضعف «رابي» تظهر أن الشعب مع ذلك لم يتردّد في إضافة لاحقة لكلمة راب، ومن ثم معالجة الناتج الكلّي ككلمة جديدة. ومهما يكن ذلك، ربان هي كلمة قائمة بذاتها الآن، وتقدّم فقط كلقب للمعلمين الأكثر تميزاً. تسير القاعدة الحاخامية على النحو التالي:[3] «أكبر من الرابي (الحاخام) الربان». يبدو وكأنه لقب تشريفي في الآية 73:3،[4] والآيتين 48:5، 68.[5] ومن الواضح أن كلمة رباني ذات معنى أضيق من المعنى الذي لكلمة أحبار الموضحة أعلاه؛ وهذا ما يفسر لماذا ترد رباني قبل أحبار في المقطعين المذكورين أخيراً، حيث يظهر الاثنان على حدّ سواء، وكذلك الإغفال الصارخ لكلمتنا في الموضعين الآخرين حيث ترد أحبار، وحيث يجد محمد خطأً في التبجيل الإلهي المقدّم للمعلمين، واصفاً إياهم بكلمة أكثر عمومية.[6] والحالة هي نفسها مع القسيسين والرهبان. الصنفان على حدّ سواء يذكران مع نوع من الثناء في الآية 85:5، وبنوع من اللوم في الآيتين 31:9، 34، لكن الصنف الأخير يُذكر فقط في سياق الحديث عن أحبار، وبذلك فللرهبان (مثل الأحبار) معنى أوسع؛ وعلاوة على ذلك، بسبب الجمع في مقطع واحد بين الصنفين

---

(1) اللاحقة ־ָן مثل ־ַן.

(2) اللاحقة ־ָן السريانية، أونو، هي مثل اللاحقة (ـان) العربية.

(3) גדול מרבי רבן.

(4) في النص القرآني، 79:3، نقرأ: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون». مترجم.

(5) في النص القرآني، 44:5، نقرأ: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار»؛ ونقرأ: «لولا ينهاهم الربانيون والأحبار» (63:5).

(6) «يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل اللّه» (34:9)؛ «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه» (31:9). مترجم.

المختلفين عند اليهود والمسيحيين، أي الأحبار والرهبان، (راجع غيرها من أشكال الجمع)، لم تتم محاولة تفريق خاص.

السبت،[1] أي يوم الراحة. استمر إطلاق هذا الاسم على السبت في جميع أنحاء الشرق من قبل المسيحيين وكذلك المسلمين، على الرغم من أنه توقف عن أن يكون يوماً للراحة.[2] في أحد المواضع[3] يبدو محمد وكأنه بالأحرى يحتج على المحافظة على قدسيته. ويعلّق الشهير بن عزرا [1092 ـ 1167؛ إضافة من المترجم] على هذا في تعليقه على نص الخروج 1:16،[4] حيث يقول «في اللغة العربية تسمّى خمسة أيام وفق العدد، اليوم الأول، اليوم الثاني، الخ؛ لكن السادس يُسمّى يوم التجمع[5] لأنه اليوم المقدّس من الأسبوع؛ مع ذلك فالشبات يُدعى السبت من قبل العرب سبت، لأن الشين[6] وسامك [الحرف الخامس عشر في الأبجدية العبريّة ـ مترجم] (أي العربية سين[7] التي تُنطق مثل العبرية سامك) تتبادلان المواقع في كتاباتهم. لقد أخذوا الكلمة من إسرائيل».

السكينة[8]، أي حضور اللّه. في تطور اليهودية، ومن أجل الحماية من تشكيل فكرة بشرية للغاية عن الإله، كان من العادة أن نعزو كلام اللّه، عندما يرد في الكتاب المقدس، إلى الكلمة المجسدة للّه[9]، لأنها كانت تجسد ذلك الانبثاق من

---

(1) שבת.

(2) القرآن 61:2؛ 163:7.

(3) القرآن 125:16.

(4) בלשון ערבי קראו חמשת ימים על דרך המספר ויום ששי אלגומע על שם חבורם כי הוא לחם היום הנכבד בשבוע ויום שבת קראו אותו סבת כי השין והסמך מתחלפים בכתיבתם ואלה מישראל למדו.

(5) الجمعة.

(6) ש. شين.

(7) خطأ في النص حيث يقال آن التي لا معنى لها في الأبجدية العربية. مترجم.

(8) سكينة. שכינה.

(9) מימרא דיי. Του θεουλόγος.

الإله الذي وصل في المسيحية إلى تجسّد حقيقي. وبطريقة مماثلة أيضاً عندما يرد في الكتاب المقدس الثابت الباقي، أو سكينة اللّه، شيء محسوس ينبثق منه يمكن التفكير به. وهذا هو الحال خاصة في مسألة سكن الله في الهيكل؛[1] هذا الانبثاق من الألوهة، إذا ما تبنينا خطاب الغنوصيين، كان يدعى بسبب ذلك الشيكيناه، الراحة. من هذا الاشتقاق جاءت الشيكيناه لتكون كلمة هذا الجانب من العناية الإلهية الذي يسكن، إذا صح القول، بين بني البشر وتمارس تأثيراً غير مرئي بينهم. بالمعنى الأصلي، أي معنى الحضور في الهيكل على تابوت العهد بين الكروبين،[2] نجد الكلمة في الآية 249:2. أما بمعنى التدخل الفعال وتقديم العون الفاعل المرئي فنجدها في الآيتين 26:9، 40؛[3] وفي الآيات 4:48، 18، 26،[4] نجدها بمعنى إتاحة سلام الذهن وفي الوقت نفسه تقديم المعونات

---

(1) וְשָׁכַנְתִּי בְּתוֹכָם [لَأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ]؛ خر 8:25؛ قارن تث 12:33، 16.

(2) خر 22:25: إضافة من المترجم: النص هو، וְנוֹעַדְתִּי לְךָ שָׁם וְדִבַּרְתִּי אִתְּךָ מֵעַל הַכַּפֹּרֶת מִבֵּין שְׁנֵי הַכְּרֻבִים אֲשֶׁר עַל־אֲרוֹן הָעֵדֻת אֵת כָּל־אֲשֶׁר אֲצַוֶּה אוֹתְךָ אֶל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל׃ وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(3) لا يبدو أن المفسّرين العرب يرغبون بالإقرار بهذا المعنى. ففي تفسير إليفرار للآية 26:9 يقول إن الكلمة تعني الأمن والطمأنينة. وفي تفسيره للآية 4:48، يقول على نحو مميز: قال ابن عبّاس كل سكينة في القرآن هي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة. لكن حتى حين لا تعني الطمأنينة السلام الداخلي للذهن، نظل بحاجة إلى عدم استبعاد معنى الأمان الخارجي.
إضافة المترجم من تفسير البغوي: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)
(هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة والوقار (في قلوب المؤمنين) لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم. قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم).

(4) يستخدم إلفيرار التعبير الطمأنينة والوقار لتفسير الآية الرابعة، وتعبير الطمأنينة والرضا لتفسير الآية الثامنة عشرة. بالطريقة ذاتها يقدّم الباحث Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، ص. 862، للتسمية تفسير المفسرين تسكين الخاطر.

الروحية. ومن اللافت للنظر أن الكلمة تظهر في ثلاث سُوَر فقط، (لكن عدة مرات في الاثنتين المذكورتين أخيراً)، بمعنى مختلف إلى حد ما في كل سُورَة؛ ويبدو هنا مرة أخرى، كما لاحظنا أعلاه في الكلمة درس كما لو أن تأثيراً خارجياً كان يعمل هناك، أي يبدو أن استخدام هذه الكلمة من قبل أشخاص آخرين ترك تأثيره على محمد وقت توليف هذه السُّوَر.

طاغوت[1]، أي الخطأ. على الرغم من أن هذه الكلمة اللطيفة التي تطلق على الوثنية غير موجودة في الكتابات الحاخامية،[2] يبقى أنه يبدو أنّ يهود شبه الجزيرة العربية كانوا يستخدمونها للإشارة إلى عبادة الآلهة الكاذبة، لأنها تظهر في القرآن[3] بهذا المعنى.[4]

فرقان،[5] أي خلاص،[6] فداء. هذه كلمة مهمة جداً، والتي هي كلمة لا تزال

---

(1) طاغوت. טעות.

(2) لكن يجب أن نلاحظ أن كافة أسفار الترغوم تستخدم مراراً وتكراراً هذه الكلمة بصيغة الجمع טעוָרא كتسمية للأوثان ذاتها، لكن ليس للوثنية.

(3) القرآن 275:2، 259؛ 68:4؛ 38:16؛ 19:39.

(4) الأوثان كما يفسرّها إلفيرار.

(5) פרקן. فرقان.

(6) يفسرّ ابن سعيد [ربما ابن زيد ـ مترجم] هذه الكلمة بحسب إلفيرار كما يلي: الفرقان النصر على الأعداء.

إضافة من المترجم:

تفسير ابن كثير

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال: {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان}، قال مجاهد: يعني الكتاب، وقال قتادة: التوراة حلالهما وحرامهما وما فرق الله بين الحق والباطل، وقال ابن زيد: يعني النصر، وجامع القول في ذلك أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والظلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب، وهداية وخوفاً، وإنابة وخشية، ولهذا قال: {الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين} أي تدبيراً لهم وعظة، ثم وصفهم فقال: {الذين يخشون ربهم بالغيب}، كقوله: {من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب}، وقوله:

{إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير}، {وهم من الساعة مشفقون} أي خائفون وجلون، ثم قال تعالى: {وهذا ذكر مبارك أنزلناه} يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد {أفأنتم له منكرون} أي أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟.

تفسير الجلالين

{ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان} أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام {وضياءً} بها {وذكراً} عظة بها {للمتقين}.

تفسير الطبري

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان وَضِيَاء وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ}. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بْن عِمْرَان وَأَخَاهُ هَارُون الْفُرْقَان، يَعْنِي بِهِ الْكِتَاب الَّذِي يُفَرِّق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاة فِي قَوْل بَعْضهمْ؛ ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 18585 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء جَمِيعًا، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {الْفُرْقَان} قَالَ. الْكِتَاب. * ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. 18586 ـ حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} الْفُرْقَان: التَّوْرَاة حَلَالهَا وَحَرَامهَا، وَمَا فَرَّقَ اللَّه بِهِ بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَكَانَ اِبْن زَيْد يَقُول فِي ذَلِكَ مَا: 18587 ـ حَدَّثَنِي بِهِ يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب، قَالَ: قَالَ اِبْن زَيْد فِي قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} قَالَ: الْفُرْقَان: الْحَقّ آتَاهُ اللَّه مُوسَى وَهَارُون، فَرَّقَ بَيْنهمَا وَبَيْن فِرْعَوْن، فَقَضَى بَيْنهمْ بِالْحَقِّ. وَقَرَأَ: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدنَا يَوْم الْفُرْقَان} 8 41 قَالَ. يَوْم بَدْر. قَالَ أَبُو جَعْفَر: وَهَذَا الْقَوْل الَّذِي قَالَهُ اِبْن زَيْد فِي ذَلِكَ أَشْبَه بِظَاهِرِ التَّنْزِيل، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاو فِي الضِّيَاء، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَان هُوَ التَّوْرَاة كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيل: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان ضِيَاء؛ لِأَنَّ الضِّيَاء الَّذِي آتَى اللَّه مُوسَى وَهَارُون هُوَ التَّوْرَاة الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا وَلِمَنْ اِتَّبَعَهُمَا أَمْر دِينهمْ فَبَصَّرَهُمْ الْحَلَال وَالْحَرَام، وَلَمْ يَقْصِد بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِع ضِيَاء الْإِبْصَار. وَفِي دُخُول الْوَاو فِي ذَلِكَ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْفُرْقَان غَيْر التَّوْرَاة الَّتِي هِيَ ضِيَاء. فَإِنْ قَالَ قَائِل: وَمَا يُنْكَر أَنْ يَكُون الضِّيَاء مِنْ نَعْت الْفُرْقَان، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاو فَيَكُون مَعْنَاهُ: وَضِيَاء آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ {بِزِينَةٍ الْكَوَاكِب وَحِفْظًا} 37 6: 7 قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَام يَحْتَمِلهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَب مِنْ مَعَانِيه مَا قُلْنَا. وَالْوَاجِب أَنْ يُوَجَّه مَعَانِي كَلَام اللَّه إِلَى الْأَغْلَب الْأَشْهَر مِنْ وُجُوههَا الْمَعْرُوفَة عِنْد الْعَرَب مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِب التَّسْلِيم لَهُ مِنْ حُجَّة خَبَر أَوْ عَقْل. الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان وَضِيَاء وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ}. يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى بْن عِمْرَان وَأَخَاهُ هَارُون الْفُرْقَان، يَعْنِي بِهِ الْكِتَاب الَّذِي يُفَرِّق بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَذَلِكَ هُوَ التَّوْرَاة فِي قَوْل بَعْضهمْ؛ ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 18585 ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء جَمِيعًا، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {الْفُرْقَان} قَالَ. الْكِتَاب. * ـ حَدَّثَنَا

الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله. 18586 ـ حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} الْفُرْقَان: التَّوْرَاة حَلَالهَا وَحَرَامهَا، وَمَا فَرَّقَ اللَّه بِهِ بَيْن الْحَقّ وَالْبَاطِل. وَكَانَ اِبْن زَيْد يَقُول فِي ذَلِكَ مَا: 18587 ـ حَدَّثَنِي بِهِ يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب، قَالَ: قَالَ اِبْن زَيْد فِي قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان} قَالَ: الْفُرْقَان: الْحَق آتَاهُ اللَّه مُوسَى وَهَارُون، فَرَّقَ بَيْنهمَا وَبَيْن فِرْعَوْن، فَقَضَى بَيْنهمْ بِالْحَقِّ. وَقَرَأَ: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدنَا يَوْم الْفُرْقَان} 8 41 قَالَ. يَوْم بَدْر. قَالَ أَبُو جَعْفَر: وَهَذَا الْقَوْل الَّذِي قَالَهُ اِبْن زَيْد فِي ذَلِكَ أَشْبَه بِظَاهِرِ التَّنْزِيل، وَذَلِكَ لِدُخُولِ الْوَاو فِي الضِّيَاء، وَلَوْ كَانَ الْفُرْقَان هُوَ التَّوْرَاة كَمَا قَالَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، لَكَانَ التَّنْزِيل: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُون الْفُرْقَان ضِيَاء؛ لِأَنَّ الضِّيَاء الَّذِي آتَى اللَّه مُوسَى وَهَارُون هُوَ التَّوْرَاة الَّتِي أَضَاءَتْ لَهُمَا وَلِمَنْ اِتَّبَعَهُمَا أَمْر دِينهمْ فَبَصَّرَهُمْ الْحَلَال وَالْحَرَام، وَلَمْ يَقْصِد بِذَلِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِع ضِيَاء الْإِبْصَار. وَفِي دُخُول الْوَاو فِي ذَلِكَ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْفُرْقَان غَيْر التَّوْرَاة الَّتِي هِيَ ضِيَاء. فَإِنْ قَالَ قَائِل: وَمَا يُنْكَر أَنْ يَكُون الضِّيَاء مِنْ نَعْت الْفُرْقَان، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ وَاو فَيَكُون مَعْنَاهُ: وَضِيَاء آتَيْنَاهُ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ {بِزِينَةٍ الْكَوَاكِب وَحِفْظًا} 37 6: 7 قِيلَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ الْكَلَام يَحْتَمِلهُ، فَإِنَّ الْأَغْلَب مِنْ مَعَانِيه مَا قُلْنَا. وَالْوَاجِب أَنْ يُوَجَّه مَعَانِي كَلَام اللَّه إِلَى الْأَغْلَب الْأَشْهَر مِنْ وُجُوههَا الْمَعْرُوفَة عِنْد الْعَرَب مَا لَمْ يَكُنْ بِخِلَافِ ذَلِكَ مَا يَجِب التَّسْلِيم لَهُ مِنْ حُجَّة خَبَر أَوْ عَقْل.، وَقَوْله: {وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} يَقُول: وَتَذْكِيرًا لِمَنْ اِتَّقَى اللَّه بِطَاعَتِهِ وَأَدَاء فَرَائِضه اِجْتِنَاب مَعَاصِيه، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَى مُوسَى وَهَارُون مِنْ التَّوْرَاة.وَقَوْله: {وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} يَقُول: وَتَذْكِيرًا لِمَنْ اِتَّقَى اللَّه بِطَاعَتِهِ وَأَدَاء فَرَائِضه اِجْتِنَاب مَعَاصِيه، ذَكَّرَهُمْ بِمَا آتَى مُوسَى وَهَارُون مِنْ التَّوْرَاة.،

تفسير القرطبي

قوله تعالى {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء} وحكي عن ابن عباس وعكرمة {الفرقان ضياء} بغير واو على الحال. وزعم الفراء أن حذف الواو والمجيء بها واحد، كما قال عز وجل {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا} [الصافات: 6 ـ 7] أي حفظا. ورد عليه هذا القول الزجاج. قال: لأن الواو تجيء لمعنى فلا تزاد قال: وتفسير [الفرقان] التوراة؛ لأن فيها الفرق بين الحرام والحلال. قال {وضياء} مثل {فيه هدى ونور} وقال ابن زيد [الفرقان] هنا هو النصر على الأعداء؛ دليله قوله تعالى {وما أنزلنا على عبد نا يوم الفرقان} [الأنفال: 41]

تفسير البغوي: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذِكراً للمتقين (48) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (49) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (50) ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (51))

قوله عز وجل: (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل، وهو التوراة. وقال ابن زيد: الفرقان النصر على الأعداء، كما قال الله تعالى: (وما أنزلنا على عبد نا يوم الفرقان) (الأنفال: 41)، يعني يوم بدر، لأنه قال (وضياء) أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة.

برأيي يساء فهمها حتى الآن تماماً. بالمعنى الأولي نجدها ترد في السورة الثامنة: «يا أيها الذين آمنوا، إن تتقوا اللّه، يجعل لكم فرقاناً،[1] إلخ». يقدم إلفيرار خمسة تفسيرات مختلفة لهذه الآية، كلها غير مناسبة مثلها مثل ترجمة فابي Wabi والمقطع يبدو بالنسبة لي كلاسيكياً حقاً بالنسبة للمعنى الأولي للكلمة. وهذا المعنى يظهر أيضاً في الآية 42:8، حيث يسّمى يوم انتصار بدر يوم الفرقان،[2] وفي الآية 181:2، يُطلق هذا الاسم على شهر رمضان كشهر الفرقان والخلاص من الخطيئة. يبتعد محمد تماماً عن الأفكار اليهودية، هادفاً إلى تأسيس دينه كدين للعالم بشكل عام، ثم يمضي بإدانة العصور السابقة كلّها داعياً إياها أزمنة الجاهليّة.[3]. لقد أعلن أن عقيدته أوحيت عبر رسل اللّه منذ أقدم العصور، وأنها جُدّدت ووُضِعت من قبله هو ذاته في صيغة أوضح وأكثر إقناعاً ليس إلا. ومن ثم فإن حالة أي إنسان خارج إيمانه يجب أن تبدو له خاطئة، وقد ظهر الوحي الإلهي الذي مُنح له ولأتباعه في ضوء الخلاص من تلك الحياة الخاطئة التي لم يكن ممكناً أن توصل إلا إلى العقاب؛ ومن ثم فهو يدعو الوحي ذاته في العديد من المواضع بالفرقان، مثلما يدعوه في مواضع

ومن قال: المراد بالفرقان التوراة، قال: الواو في قوله: (وضياء) زائدة مقحمة، معناه: آتيناه التوراة ضياء، وقيل: هو صفة أخرى للتوراة، (وذكراً) تذكيراً، (للمتقين (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه، (وهم من الساعة مشفقون) خائفون. (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به، مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير، (أفأنتم) يا أهل مكة، (له منكرون) جاحدون وهذا استفهام توبيخ وتعبير. قوله عز وجل: (ولقد آتينا إبراهيم رشده) قال القرطبي: أي: صلاحه، (من قبل) أي: من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون: رشده، أي: هداه «من قبل» أي: من قبل البلوغ، وهو حين خرج من السرب وهو صغير، يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيى عليه السلام: (وآتيناه الحكم صبيّاً) (مريم: 12)، (وكنا به عالمين) أنه أهل للّهداية والنبوة.

(1) القرآن 20:8. يجعل لكم فرقاناً.

(2) يوم الفرقان.

(3) جاهلية.

كثيرة رحمة.[1] في بعض المقاطع يطبّق المصطلح على القرآن،[2] وفي مقاطع أخرى على الوحي الموسوي.[3]

بهذه الطريقة فإنّ جميع المقاطع تناسب في إطار الدلالة الأولية للكلمة، وما من حاجة لتخمين معنى مختلف لكل منها.

ماعون،[4]أي ملجأ. هذه الكلمة تحمل انطباعاً أجنبياً للغاية، وهي تُفسّر من قبل المفسرين العرب في مجموعة متنوعة من الطرق. وغوليوس يتبعهم، فارضاً المعاني الأكثر تنوعاً عليها. إنها تظهر في الآية 7:107، حيث تبدو لي أنها تعني ملجأ ـ «يمنعون الماعون»، أي لا يقدّمون مأوى لأولئك الذين يطلبون المساعدة. في وقت لاحق يبدو أن الكلمة صارت تعتبر على أنها مشتقة من عان[5] (بالتأكيد ليست من مَعَنَ التي يشير إليها غليوس)، ومن ثم اكتسبت معنى الصدقات المعينة.

مثاني،[6]، أي تكرار. كان هنالك الكثير من الحيرة حول هذه الكلمة، وذلك أساساً لأنها اعتبرت كلمة عربية ولم يتم إرجاعها إلى مصدرها. ومع النمو التدريجي لتعاليم أخرى، أي التقليد،[7] بجانب تلك الواردة في الكتاب المقدس، انقسمت المجموعة الكلّية إلى قسمين،[8] التعاليم المكتوبة، وهو ما يعني العهد القديم، والتعاليم بكلمة الفم، أو التقليد. وحين يشغل المرء ذاته بالأولى

(1) رحمة.
(2) القرآن 2:3؛ 25، العنوان والآية الأولى.
(3) القرآن 50:2؛ 49:21.
(4) מעון. ماعون.
(5) عان ليست من معن.
(6) משנה. مثاني
(7) قارن تحت عنوان أخبار.
(8) תורה שבכתב وתורה שבעל פה.

فإن ذلك كان يُدعى «يقرأ»؛[1] أما أن يشغل ذاته بالثانية فإن ذلك كان يُدعى «يقول».[2] في الغمارا الكلدانية فإن الكلمة الأخيرة تعني أن يتكلّم بعد، أن يعيد كلمات المعلم بعده. بطريقة مماثلة فإن كلمة تنّاه[3] كانت تُستخدم حصرياً في الموسيقى الكورالية، التي تكرّر فيها الجوقة الآيات خلف قائد جوقة المرتلين. وهكذا فالتعليم عن طريق كلمة الفم كانت تُسمّى مشناه،[4] وكذلك أيضاً مجموعة التعاليم الشفوية ـ التقليد ككل؛ وبعد ذلك عندما كُتب كل هذا حمل الكتاب الاسم ذاته. مع ذلك، نقول الآن إن خطأً اشتقاقياً قام بالتسلل واشتق هذه الكلمة من شاناه بمعناها العبري الحقيقي، أي «يكرّر»، ومن ثم تطبيقها على تكرار التعليم المكتوب.[5] يظهر خطأ هذا التفسير في كل من استخدام الكلمة وتصريفها على حدّ سواء.[6] مع ذلك يبدو أنها قُبِلت من قبل اليهود الرومان، ومن ثم نجد أن المشناه تُدعى في المنظومة التشريعية ليوستنيانس بالتحرير الثاني secunda editio.[7] الشيء نفسه حدث في حالة اليهود العرب، وهكذا نحصل على كلمتنا ماساني. ومحمد الذي يضع كتابه في مكان التعليم اليهودي كله لا يدعوه فقط بالقرآن (مقرا) بل أيضاً ماساني.[8]

ملكوت،[9] أي حكم. يتم استخدام هذه الكلمة فقط على حكم اللّه، الذي في

---

(1) קרא.

(2) שנה مرتبطة مع الكلمة الشعرية תנה والكلمة السريانية تانو.

(3) תנה.

(4) משנה.

(5) משנה תורה.

(6) משנה مركّبة، وليس משנה.

(7) δευτέρωσιι.

(8) القرآن 87:15؛ 24:39.

(9) מלכות.

سياقه تظهر أيضاً دونما تبديل في الكتابات الحاخامية.[1] إنها ترد في عدة مقاطع من القرآن.[2] من هذا الاستخدام الضيق للكلمة، ومن اشتقاق مزيف من ملاك، أو ملك[3] (الكلمة التي تأتي من جذر مختلف تماماً، والتي في اللغة العربية لديها معنى رسول اللّه فقط) صارت تطلق على عالم الأرواح.[4]

---

(1) מלכות שמים [ملكوت السماء]. η βασιλεια των ουρανων [راجع متى 2:3 ـ مترجم].

(2) القرآن 6:75؛ 7:184؛ 23:90؛ 226:83.

(3) (מלאך). ملك أو ملاك.

(4) قارن كلمتي عالم الملكوت في عمل البروفيسور فرايتاغ، *فاكهة الخلفاء*، 85. 3.

إضافة من المترجم: النص من *فاكهة الخلفاء*: قال العفريت فائدة العقل، (قال العالم) فائدته الإرشاد في بيداء الجهالة إلى جادة الرشاد والإعانة في الشدائد والوقوع في مصايد المكايد وحصول الخلاص من شرك الاقتناص وإجابة الإغاثة عند الاستعانة والاستغاثة ومد المعونة إذا انكسرت من الجبل السفينة في بحر الملامة والخلاص إلى بر السلامة والإغناء من كنز السعادة والصبر عند استيلاء نوائب الفقر. قال فمن العاقل في العالم ومن يطلق عليه هذا الاسم من بني آدم قال العالم: العاقل من يحتمل إذا ضيم ومن هو في الغضب حليم فإذا أعطي شكر وإذا منع صبر ويعفو إذا قدر ويستهين بأمور الدنيا ولا يغفل عن أمور الآخرة (قال العفريت) ما الفائدة في حب الدنيا والرغبة إلى ما فيها من الأشياء ولأي معنى غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على أهلها وبنيها (قال العالم) لأجل قيام العالم وانتظامه على المنهج الأقوم وبقائه المطلوب إلى الأجل المضروب الذي قدره موجده القديم الذي أنشأه أول مرة وهو بكل خلق عليم ولابد من أن تتم كلمته وتنفذ مشيئته ولولا الحرص والأمل لبطل العلم والعمل فإنهما لحجاب الغفلة يغشيان أعين البصائر ويغطيان طرق الاستدلال والضمائر فلذلك ذهلت العقول عن التأمل في العواقب واستغلت بالتهائها عما يجب عليها أن تراقب ولولا طول الأمل لما رجي العمل ولما انتظم أمر المعاش ولا اهتم لادخار قوت ورياش ولا افتكر صاحب اليوم في أحوال غد ولارتفعت المعاملات وما داين أحد ولا زرع زارع ولا غرس غارس ولا بنى بان ولا اخضر يابس ولانقرض إذ ذاك ظلم العالم وبانقراضه تنقرض أمور بني آدم (قال العفريت) أخبرني عن أصل الإنسان ومم جوهره جوهر الملك والجان (قال) الشيخ أما جوهر الملك فمن العقل المحض براه رب السماوات والأرض ولذلك لا يصدر من الملائكة إلا الشيم المباركة من الطاعات لمولاهم والانقياد لأوامر من أنشاهم وامتثال ما أمر من أمر مروم وما منا إلا له مقام معلوم لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأما جوهر الجان وأصلك يا أخس شيطان فمن الأخلاق الذميمة والصفات المشومة، فلهذا لا يوجد منكم إلا المكر والبيلسة والشيطنة والوسوسة، وأنجِسْ بصفاتكم من صفة ولم يكن بينكم وبين الحق معرفة فأنتم يا أنحس بغيض وأنجس نهيض مع الملائكة في طرفي نقيض، وأما جوهر الإنسان

هذه الكلمات الأربع عشرة، التي هي مستمدة بوضوح من العبرية المتأخرة، أو العبرية الحاخامية، تظهر المفاهيم الدينية الهامة جداً التي عبرت من اليهودية إلى الإسلام، ـ أي فكرة التوجيه الإلهي، السكينة، الملكوت؛[1]الوحي، الفرقان، المساني؛ المحاكمة بعد الموت، جنّة عدن، وجهنم، إضافة إلى غيرها التي ستقدّم على أنها خاصة باليهودية.

فما اشتملت عليه صفتا الملك والجان. فمن غلب عقله شهوته ألبس من مكارم الشيم خلعته واضمحلت ظلمات نفسه في أنواع الطاعة وتجلت صفات ذاته من سنن الأبرار في جماعة وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين، كلا إن كتاب أبرار لفي عليين وما أدرك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون، فهو وإن كان بجسمانه مع الأنس له حضور وأنس لكن بسره في عالم الملكوت حضرة القدس فهو بصفاته المباركة أشرف من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله واستولت على قلبه حجب الغفلة فانغمس في بحر الشهوات واستحوذتم أنتم عليه بذميم الصفات وأشقاه القدر السابق ولم يعقكم عن التصرف فيه عائق فهو بالنهار ساه وبالليل لاه استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون فهو أخسر من أرذل الحيوانات وأدنى من أدك الجمادات فقد خاب مآباً وتعس انقلاباً ويقول يوم القيامة يا ليتني كنت تراباً (قال الراوي) فلما انتهى الكلام إلى هذا المقام أمسك العفريت عنانه وأخرس الله لسانه وظهر فضل الزاهد وعلمه ووفور حكمه وفهمه وإنه أصاب فيما أجاب ولزم العفريت ومن معه من الجن والعفاريت وطوائف المردة والشياطين والعندة المتمردين وذوي الإبلاس والوسواس الخناس ما شرطوه على أنفسهم من التخفي وعدم الظهور والتفرق في الخرائب والكفور فتفرقوا واختفوا مصلمين ومجدعين انتفوا وسكنوا الخرائب والحمامات والحانات والخانات فلم يظهروا بعد ذلك للأنس وحصل منهم بذلك للأنس الأنس واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحة واستمرت إلى يوم القيامة من تلك القبائح مستريحة. وهذا آخر الباب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) سكينة ملكوت. حضور الله الهادي.
فرقان مثاني. الوحي
جنات عدن جهنم. يوم الحساب بعد الموت.

المقطع الثاني

آراء مستعارة من اليهودية

في حين أننا في القسم السابق كنا قانعين أن نعتبر أنه من المؤكد أن مفهوماً ما كان مشتق من اليهودية، إذا كانت الكلمة التي تعبر عن هذا المفهوم أمكن إظهار أنها من أصل يهودي، علينا أن ننتقل الآن من هذا الأسلوب من الحكم وأن نعتمد اختباراً جديداً. علينا أن نبحث أولاً بالتفصيل أن الفكرة المعنية إنما تنبع من جذور يهودية؛ وكي نصل إلى اليقين علينا أن نؤكّد أن الفكرة تنسجم مع روح اليهودية، وأنه دون اليهودية فإن المفهوم يضيع في الأهمية والقيمة، وأنه في الواقع مجرّد فرع من شجرة كبيرة. ويمكن أن يُضاف إلى هذه الحجة الاعتراض، الذي أشير إليه في القرآن نفسه، والذي قابله هذا الطعم [النبتة المطعمة] عند كل من العرب والمسيحيين. من أجل ترتيب أفضل لهذه الآراء علينا تقسيمها إلى ثلاث مجموعات: أ. مسائل العقيدة أو الآراء العقائدية، ب. القواعد الأخلاقية القانونية، وجـ آراء الحياة.

الآراء العقائدية

علينا هنا أن نضع حداً متميزاً لأنفسنا، فمن جهة، لا يجوز لنا أن ننزلق بعيداً إلى عمل لا نهاية له، ونحاول أن نشرح القرآن كله؛ ومن جهة أخرى لا يجوز لنا أن ننصرف إلى موضوع آخر تماماً ونحاول شرح لاهوت القرآن: محاولة بدأت بنجاح كبير في *مجلة توبنغن للاهوت الإنجيلي*، 1881، الكتاب الثالث. علاوة على ذلك، فإن بعض نقاط الاعتقاد العامة مشتركة بين البشرية جمعاء بحيث أن وجود أي منها في أحد الأديان لا ينبغي أن ينظر إليه على أنه إثبات للاستعارة من ديانة أخرى. من جديد نقول إن وجهات نظر أخرى معروفة جداً وقد تم العمل عليها بشكل كامل بحيث لا نحتاج إلى مناقشتها بالتفصيل، لكننا نجد أن مجرد ذكرها

كاف. ومن هذه النوعية فكرة وحدانية اللّه، المذهب الأساسي لإسرائيل والإسلام. وفي زمن صعود الأخير، كان هذا الرأي موجوداً في اليهودية وحدها،[1] ولا بدّ أن محمداً كان قد استعاره من ذلك الدين. ويمكن اعتبار هذا مبرهناً دون أي عرض لا لزوم له للتعاليم حول هذه النقطة. إن فكرة الثواب والعقاب المستقبليين أمر شائع بين جميع الأديان، إلا أن الاعتقاد بها يكون بطرق مختلفة كثيرة بحيث نجد أنفسنا مضطرين للنظر فيها في حججنا. لقد عبرت نقاط الإيمان الرئيسة أيضاً من اليهودية إلى المسيحية. ولنقرّر ما إذا كانت هذه النقاط كما تم تبنيها في القرآن إنما جاءت من اليهود أو من المسيحيين، لا بدّ أن نوجه اهتمامنا الخاص إلى مقارنة بين الأشكال التي يُؤمن بها بالمعتقدات في كل من هاتين الديانتين، والشكل الذي يتم تقديمها لنا به من قبل محمد. وهذا للرد على الاعتراض القائل، إنه في ما يلي من النقاش لا نجد سوى القليل جداً عن العقائد الكبيرة، لأنه حتى تعدادهم غريب على هدفنا.

كل دين والذي يتصور اللّه باعتباره عناية عاملة فاعلة لا بدّ له من امتلاك بعض التعاليم المتمايزة المتعلقة بالخلق، ومحمد يقدّم هذا وفقاً للتوارة، أي أن اللّه خلق السماء والأرض وكل ما بينهما في ستة أيام؛[2] على الرغم من أنه في موضع آخر يحيد إلى حد ما عمّا سبق ويقول إن الأرض خُلقت في غضون يومين، الجبال والأعشاب الخضراء في أربعة أيام، والسماء مع كل أقسامها في يومين إضافيين.[3] وعلى الرغم من أن هذا المقطع ليس سوى نزوة شعرية عابرة، يظل يبدي كم كانت معرفة محمد بالتوراة ضئيلة، حيث أنه لم يكن على بينة من شيء سوى الحقيقة العامة القائلة إن الخلق كان قد حدث في ستة أيام، وإنه

(1) تعلّم المسيحية أيضاً أن اللّه واحد.
(2) القرآن 3:10؛ 9:11؛ 37:50؛ 4:57.
(3) القرآن 8:41 ـ 11.

لم تكن لديه أدنى معرفة بالعمل المنفصل لكل يوم. وقد لاحظنا للتو أنه يدعو اليوم السابع سبتاً، لكنه لا يقرّ بقدسيته. يبقى أن يضاف هنا أن محمداً يبدو وكأنه يلمّح إلى الاعتقاد اليهودي بأن اللّه استراح في اليوم السابع ويرفض هذا الاعتقاد.[1] لقد اعتقد بوضوح أن ضرورة الراحة بعد العمل الشاق كانت ضمنية، لأنه بعد أن ذكر الخلق باعتباره حدث في غضون ستة أيام، يضيف «وما مسّنا من لغوبٍ».[2] وعلى هذا يعلّق جلال الدين كما يلي[3]: «نزل ردّاً على اليهود في قولهم إن اللّه استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه». والشيء نفسه نجده في تفسير ألفيرار[4] لكنه لم يتم التعبير عنه بمثل هذا الوضوح.

(1) القرآن 37:50.

(2) 203 {38} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُماَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ وَاللُّغُوب التَّعَب وَالْإِعْيَاء، تَقُول مِنْهُ: لَغَبَ يَلْغُب بِالضَّمِّ لُغُوبًا، وَلَغِبَ بِالْكَسْرِ يَلْغَب لُغُوبًا لُغَة ضَعِيفَة فِيهِ. وَأَلْغَبْته أَنَا أَيْ أَنْصَبْته. قَالَ قَتَادَة وَالْكَلْبِيّ: هَذِهِ الْآيَة نَزَلَتْ فِي يَهُود الْمَدِينَة زَعَمُوا أَنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض فِي سِتَّة أَيَّام، أَوَّلهَا يَوْم الْأَحَد وَآخِرهَا يَوْم الْجُمُعَة، وَاسْتَرَاحَ يَوْم السَّبْت؛ فَجَعَلُوهُ رَاحَة، فَأَكْذَبَهُمْ اللَّه تَعَالَى فِي ذَلِكَ.(سورة ق). مترجم.

(3) Maracci: نزل ردّاً على اليهود في قولهم إن اللّه استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه.

إضافة من المترجم: في تفسير الجلالين نقرأ:

{38} وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّام وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَيْنهمَا فِي سِتَّة أَيَّام» أَوَّلهَا الْأَحَد وَآخِرهَا الْجُمُعَة «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب» (تَعَب) نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُود فِي قَوْلهمْ: إنَّ اللَّه اسْتَرَاحَ يَوْم السَّبْت وَانْتِفَاء التَّعَب عَنْهُ لِتَنَزُّهِهِ تَعَالَى عَنْ صِفَات الْمَخْلُوقِينَ وَلِعَدَمِ الْمُمَاسَّة بَيْنه وَبَيْن غَيْره «إنَّمَا أَمْره إذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُون».

(4) المعني هنا تفسير البغوي؛ ومنه نقرأ: (الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (35) والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (36) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (37)).
(الذي أحلّنا) أنزلنا (دار المقامة) أي: الإقامة (من فضله لا يمسنا فيها نصب) أي: لا يصيبنا فيها عناء ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) إعياء من التعب. قوله تعالى: (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) أي: لا يهلكون فيستريحوا كقوله ـ عز وجل ـ : «فوكزه موسى فقضى عليه» (الشعراء ـ 15)، أي: قتله. وقيل: لا يقضي عليهم الموت فيموتوا، كقوله: «ونادوا يا مالك

فكرة العديد من السماوات، والتي يشار إليها في التعبير الكتابي «سماء السماوات»[1] وصلت إلى محمد ربما من اليهود، وأيضاً فكرة أنها سبع عدداً، فكرة تعود إلى الأسماء المختلفة التي تُطلق على السماء. في رسالة الحغيغاه[2] التلمودية نجد التأكيد أن هنالك سبع سماوات، ومن ثم تُطلق الأسماء عليها. وكل هذه الأسماء ترد في الكتاب المقدس باستثناء الأول، أي فيلون، من فيلوم اللاتينية.[3] وهذا الاسم الذي يقارن السماء بستارة، التي تحجب مجد اللّه، هو اسم مهم جداً

ليقض علينا ربك» (الزخرف ـ 77)، أي: ليقض علينا الموت فنستريح (ولا يخفف عنهم من عذابها) من عذاب النار (كذلك نجزي كل كفور) كافر، قرأ أبو عمرو: «يجزى» بالياء وضمها وفتح الزاي، «كل» رفع على غير تسمية الفاعل، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي «كل» نصب. (وهم يصطرخون) يستغيثون ويصيحون (فيها) وهو: يفتعلون، من الصراخ، وهو الصياح، يقولون: (ربنا أخرجنا) منها؛ من النار (نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) في الدنيا من الشرك والسيئات، فيقول اللّه لهم توبيخاً: [ص: 425] (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قيل: هو البلوغ. وقال عطاء وقتادة والكلبي: ثمان عشرة سنة. وقال الحسن: أربعون سنة. وقال ابن عباس: ستون سنة، يروي ذلك عن علي، وهو العمر الذي أعذر اللّه تعالى إلى ابن آدم. ـ مترجم.

(1) שמי שמים [سماء السموات].

(2) يقدّم غايغر نصّاً من رسالة حغيغاه التلمودية؛ وقد آثرنا أن نقدّم النص كاملًا: من آراء التلمود في هذا السياق، ما تقوله حاغيغاه (12 ب): ר' לוי אמר שבעה· ואלהן: וילון، רקע، שחקים، זבול، מעון، מכון، ערבות· וילון אינו משמש כלום، אלא נכנס שחרית ויוצא ערבית ומחדש בכל יום מעשה בראשית··· רקיע שבו חמה ולבנה، כוכבים ומזלות קבועים··· שחקים שבו רחיים עומדות וטוחנות מן לצדיקים···זבול שבו ירושלים ובית ···ומעון שבו כתות של מלאכי השרת שאומרות שריה···ערבות··· שם אפנים ושרפים וחיות הקדש ומלאכי השרת וכסא הכבוד· מלך אל חי רם ונשא שוכן עליהם בערבות. قال ح ليفي: توجد سبع (سموات)، وهذه [السموات] هي: فيلون (= فيلوم)، رقعيا، شحقيم، زبول، معون، مكون، عربوت. لا تفيد فيلون في شيء، فهي تدخل في الصباح وتخرج في المساء وتجدّد كل يوم عمل الخلق... في رقعيا تُثبت الشمس، القمر، النجوم، والكواكب... في شحقيم توجد الطواحين التي تطحن المن للأبرار.. في معون توجد مجموعات الملائكة الخدم، الذين يسبّحون بحمد اللّه في الليل.. في عربوت يوجد الأوفانيم، السرافيم والأرواح المقدسة والملائكة الخدم والعرش الإلهي، أما في عربوت فيجلس الملك القدير الجليل على العرش. مترجم.

(3) וילון.

في التلمود[1]. غالباً ما يتحدّث محمد عن السماوات السبع،[2] وفي أحد المقاطع يدعو السماوات «سبع شداد»[3] وفي مقطع آخر «سبع طرائق»[4] والتعبير الأخير يرد أيضاً في التلمود.[5] مع ذلك، فأثناء الخلق، كان عرش اللّه على المياه.[6] وهذه الفكرة مستعارة أيضاً من اليهود، الذين يقولون:[7] «وقف عرش المجد عندئذٍ في الهواء، ثم حام فوق المياه بأمر من اللّه». وقد عبّر إلفيرار عن هذا على نحو أوضح إلى حد ما حيث يقول: «وكان هذا الماء[8] في وسط الهواء».[9]

---

(1) قارن المدراش على المزامير، نهاية المزمور 11.

(2) سبع السموات أو السموات السبع. القرآن 27:2؛ 46:17؛ 11:41؛ 12:45؛ 3:47؛ 14:71.

(3) القرآن 12:78.

(4) القرآن 17:23.

(5) שבילי דרקיע.

(6) القرآن 9:11: كان عرشه على الماء.

(7) راشي على تكوين 2:1: «כסא הכבוד עומד באויר ומחף על פני המים ברוח פיו של הקב"ה»: «عرش العظمة يقف في الفضاء ويتعلّق على المياه عبر نَفَس الإله». ـ مترجم. قارن العرش العظيم، القرآن 88:23؛ 26:27؛ العرش الكريم، القرآن 117:23؛ العرش المجيد، القرآن 15:85، مع כסא כבוד [كرسي المجد].

(8) يقول القرطبي: {7} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ بَيَّنَ أَنَّ خَلْق الْعَرْش وَالْمَاء قَبْل خَلْق الْأَرْض وَالسَّمَاء. قَالَ كَعْب: خَلَقَ اللَّه يَاقُوتَة خَضْرَاء فَنَظَرَ إِلَيْهَا بِالْهَيْبَةِ فَصَارَتْ مَاء يَرْتَعِد مِنْ مَخَافَة اللَّه تَعَالَى ; فَلِذَلِكَ يَرْتَعِد الْمَاء إِلَى الْآن وَإِنْ كَانَ سَاكِنًا، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيح فَجَعَلَ الْمَاء عَلَى مَتْنهَا، ثُمَّ وَضَعَ الْعَرْش عَلَى الْمَاء. وَقَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس: إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: «وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء» فَقَالَ: عَلَى أَيّ شَيْء كَانَ الْمَاء؟ قَالَ: عَلَى مَتْن الرِّيح. وَرَوَى الْبُخَارِيّ عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْن. قَالَ: كُنْت عِنْد النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْم مِنْ بَنِي تَمِيم فَقَالَ: (اِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيم) قَالُوا: بَشَّرْتنَا فَأَعْطِنَا [مَرَّتَيْنِ] فَدَخَلَ نَاس مِنْ أَهْل الْيَمَن فَقَالَ: (اِقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْل الْيَمَن إِذْ لَمْ يَقْبَلهَا بَنُو تَمِيم) قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَا لِنَتَفَقَّه فِي الدِّين، وَلِنَسْأَلك عَنْ هَذَا الْأَمْر مَا كَانَ؟ قَالَ: (كَانَ اللَّه وَلَمْ يَكُنْ شَيْء غَيْره وَكَانَ عَرْشه عَلَى الْمَاء ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَكَتَبَ فِي الذِّكْر كُلّ شَيْء) ثُمَّ أَتَانِي رَجُل فَقَالَ: يَا عِمْرَان أَدْرِكْ نَاقَتك فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْت أَطْلُبهَا فَإِذَا هِيَ يَقْطَع دُونهَا السَّرَاب ; وَاَيْم اللَّه لَوَدِدْت أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ. ـ مترجم.

(9) وكان ذلك الماء على متن الريح.

المحور الثاني في كلّ دين موحى به هو الاعتقاد بدينونة بعد الموت؛ وفي حين أن حقيقة الخلق تحدّد كليّة قدرة الخالق، فإن مذهب الحساب الختامي يعلّمنا أنّ إرادة اللّه تقتضي أن شرائعه الموحاة يجب أن تُطاع. وهذا، من ثم، تطوّر في اليهودية إلى جنّة محلية وجحيم، والمفهومان على حدّ سواء، كما سبق وأظهرنا، انتقلا إلى الإسلام. هذه الأمور المحليّة، على الرغم من أنها كانت في البداية رموزاً، هي مجرّد تجسيدات للأفكار الروحيّة لدولة ما، وبعد ذلك أصبحت متبلورة، وعانت من مصير كل رمز، أي أُخذ منها الشيء الذي ترمز إليه، والأماكن صار يُشار إليها على نحو أكثر تحديداً. وهكذا فاليهود لديهم قول مفاده:[1] «العالم هو الجزء الستون من الحديقة، والحديقة هي الجزء الستون من عدن؛»[2] وفي القرآن نجد تعبيراً مماثلًا، أي «جنة عرضها السماوات والأرض»[3]. وبصفة عامة، فإن الخوف أقوى من الأمل، والرعب من إدانة رهيبة يتوسّل على نحو أقوى بكثير من أمل بأبدية إلى طبيعة والتي لا يحثّها الشعور الديني النقي على تقوى الحياة. وهذا هو السبب في أنّ وصف الجحيم يُقدّم بطريقة أكثر تفصيلاً وتميّزاً من الفردوس.

سبع جهنمات يتم تصويرها على أنها تشكّل درجات مختلفة من العقاب، وهذه الجهنمات كانت قد طوّرت عن الأسماء السبعة المختلفة المذكورة في التلمود.[4] هذه الأسماء باستثناء وحيد[5](إريتس تحتيث، أي العالم ما تحت الأرضي، التي هي متبناة بوضوح عن الأفكار الرومانية زمن صعودها) كتابيّة. في وقت لاحق صارت هذه الأسماء تُفسّر على أنها الجهنمات السبع، كما على سبيل

---

(1) עולם אחר מששים בגן נן אחר מששים בעדן.

(2) تعنيت 10؛ بيساحيم 94.

(3) القرآن 127:3؛ عرضها السموات والأرض.

(4) **שאול ואבדון ואבר שחת ובור שזאון ומיט חיון וצלמות וארץ תחתית**؛ انظر عروبين 1:19.

(5) ארץ תחתית.

المثال في المدراش على المزامير عند نهاية المزمور الحادي عشر حيث[1] يُقال، «هنالك سبعة مساكن للأشرار في الجحيم»، وبعد ذلك تُذكر الأسماء المذكورة أعلاه مع بعض الاختلافات. ويقال أيضاً إنّ داوود بصرخة تتكرّر سبع مرّات تقول، «يا بني בני»، تمكّن من إنقاذ أبشالوم من منازل الجحيم السبعة[2]. علاوة على ذلك يقال إن للجحيم بوابات سبع.[3] محمد ليس متأخراً عن ذلك، لأننا نقرأ في أحد المقاطع[4] «لها (جهنم) سبعة أبواب، لكلّ باب منهم جزء مقسوم». ووفقاً لليهود، فإن شجرة تقف عند مدخل جهنم:[5] «تنمو نخلتان في وادي بن هنوم، دخان ينبعث من بينهما، وهذا هو مدخل الجحيم»، لكن محمد يعرف أنّ شجرة الجحيم تسمى الزقوم[6] التي تقدّم للخطأة الغذاء، والتي لديه الكثير كي يقوله عنها. الخطوة من مثل هذه الفكرة المحددة حول الجحيم إلى مفهوم الشخصية

---

(1) שבעה בתי דירות לרשעים בניהכם.

(2) 2 صم 19:1 ـ 5: «فَأُخْبِرَ يُوآبُ: ((هُوَذَا الْمَلِكُ يَبْكِي وَيَنُوحُ عَلَى أَبْشَالُومَ)). فَصَارَتِ الْغَلَبَةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَنَاحَةً عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ، لأَنَّ الشَّعْبَ سَمِعُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ تَأَسَّفَ عَلَى ابْنِهِ. وَتَسَلَّلَ الشَّعْبُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا يَتَسَلَّلُ الْقَوْمُ الْخَجِلُونَ عِنْدَمَا يَهْرُبُونَ فِي الْقِتَالِ. وَسَتَرَ الْمَلِكُ وَجْهَهُ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: ((يَا ابْنِي أَبْشَالُومُ، يَا أَبْشَالُومُ ابْنِي يَا ابْنِي!)). فَدَخَلَ يُوآبُ إِلَى الْمَلِكِ إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ: ((قَدْ أَخْزَيْتَ الْيَوْمَ وُجُوهَ جَمِيعِ عَبِيدِكَ، مُنْقِذِي نَفْسِكَ الْيَوْمَ وَأَنْفُسِ بَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَأَنْفُسِ نِسَائِكَ وَأَنْفُسِ سَرَارِيِّكَ»: «וַיִּרְגַּז הַמֶּלֶךְ וַיַּעַל עַל־עֲלִיַּת הַשַּׁעַר וַיֵּבְךְּ וְכֹה ׀ אָמַר בְּלֶכְתּוֹ בְּנִי אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי אַבְשָׁלוֹם מִֽי־יִתֵּן מוּתִי אֲנִי תַחְתֶּיךָ אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי׃ וַיֻּגַּד לְיוֹאָב הִנֵּה הַמֶּלֶךְ בֹּכֶה וַיִּתְאַבֵּל עַל־אַבְשָׁלֹם׃ וַתְּהִי הַתְּשֻׁעָה בַּיּוֹם הַהוּא לְאֵבֶל לְכָל־הָעָם כִּֽי־שָׁמַע הָעָם בַּיּוֹם הַהוּא לֵאמֹר נֶעֱצַב הַמֶּלֶךְ עַל־בְּנוֹ׃ וַיִּתְגַּנֵּב הָעָם בַּיּוֹם הַהוּא לָבוֹא הָעִיר כַּאֲשֶׁר יִתְגַּנֵּב הָעָם הַנִּכְלָמִים בְּנוּסָם בַּמִּלְחָמָה׃ וְהַמֶּלֶךְ לָאַט אֶת־פָּנָיו וַיִּזְעַק הַמֶּלֶךְ קוֹל גָּדוֹל בְּנִי אַבְשָׁלוֹם בְּנִי בְנִי». (رسالة سوتاه التلمودية، 19): שבעה מדורי.

(3) שבעה פתחין אנון לניהנים. زوهار 150:2.

(4) القرآن 44:15.

(5) שתי תמרות יש בני בן הנם ועלה עשן מביניהם וזו היא פתחה של גהנם.

(6) شجرة الزقوم؛ القرآن 60:37؛ 43:44.

المرتبط بها هي خطوة سهلة، ونجد مثل هذا الفرد الذي ذكره الحاخامات باسم «أمير غيهينوم»؛[1] مع ذلك فهو يسمّى في القرآن ببساطة جهنّم. في أحد الأسفار الحاخامية[2] نجد التالي: «وكون أمير الجحيم يقول يومياً، أعطوني الطعام لإشباعي، إنما تأتي من إشعياء، الآية 14». ويقول محمد بالمثل:[3] «يوم نقول لجهنم، هل امتلأت، وتقول هل من مزيد؟».

عندما أصبح مفهوما الجنة والجحيم محددين للغاية، ولم يعد اسماهما مصطلحين عامين للثواب والعقاب، كان لا بدّ من تقديم مصير ثالث لأولئك الذين لم يكن سلوكهم يؤهلهم للأولى ولا يدينهم بحيث يكون مأواهم الثانية. وهكذا ففي حين أنّ الصالحين[4] وجدوا مثواهم في الجنة، كانت قسمة الخطاة هي الجحيم، أمّا أولئك الذين لا ينتمون لأي من الفئتين فقد وضعوا في المكان بين الجنة والجحيم، والذي يقال عنه في مدراش على سفر الجامعة، 14:7[5]: «ما هو مدى المسافة بينهما؟ يقول الحاخام يوحنان: جدار؛ ويقول ح. آحا مسافة؛ لكن معلمين آخرين يرون أنهما قريبتان من بعضهما إلى درجة أن الناس يمكنهم أن ينظروا من واحدة إلى الأخرى».[6] الفكرة التي تم التطرّق إليها للتو في هذا

---

(1) שר של ניהנם.

(2) أتيوت الرابي عقيبا אותיות דרבי עקיבא، 1:8: מנין ששרה של גיהנם אמר בכל יום ויום תן לי מאכל כדי ספוק שנאמר לכן חרחיבה שאול נפשה ופערה פרה לבלי חק וירד הדרה יהמונה ושאונה ועלז בה.

(3) القرآن 20:50.

(4) צדיקים أخيار، רשעים خطاة، בינובים أولئك الذين يقفون بين الطرفين.

(5) כמח רות ביניחם רבי יוחנו אמר כתל רבי אחא אמר טפח ורבנן שתיחו שוות כדי שיתיו מציצות מזו לזו.

(6) بالنسبة للموقع الوسطي هذا يلاحظ سعدي بذكاء أنه يبدو بالنسبة للمنعمين كجهنم، بالنسبة للضالين كالجنة (Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الكلمة أعراف، ص 113).

المقطع استنفذت بأقصى شعرية ممكنة في الآية 44:7[1]: «وبينهما حجاب؛

---

(1) يعلّق إلفيرار على هذا النص على النحو التالي: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنّة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك حتى يقيض اللّه فيهم ما يشاء.
ومن ثم، حين يقدّم تفسيره للآية 45 في سلسلة طويلة من التقاليد، يقول:
ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنّة وأهل النار فإذا رؤوا أهل الجنّة قالوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار...!
إضافة من المترجم: قال ابن القيم: فقوله تعالى (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) أي: بين أهل الجنة والنار حجاب، قيل: هو السور الذي يُضرب بينهم، له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبَله العذاب؛ باطنه الذي يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره الذي يلي الكفار من جهتهم العذاب.
والأعراف: جمع عَرف، وهو المكان المرتفع، وهو سور عال بين الجنة والنار عليه أهل الأعراف.
قال حذيفة وعبد اللّه بن عباس: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي اللّه فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته.
عن ابن مسعود قال: ... «ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرَفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا (سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ) وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار (قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأما أصحاب الحسنات فإنهم يُعطون نوراً يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطى كل عبد يومئذ نوراً فإذا أتوا على الصراط سلب اللّه تعالى نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون (قَالُوا رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا).
وأما أصحاب الأعراف: فإن النور لم ينزع من أيديهم فيقول اللّه (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فكان الطمع للنور الذي في أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً».
يريد: آخر أهل الجنة دخولاً، ممن لم يدخل النار.
وقيل: هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم، فقتلوا، فأعتقوا من النار لقتلهم في سبيل اللّه، وحبسوا عن الجنة لمعصية آبائهم، وهذا من جنس القول الأول.
وقيل: هم قوم رضي عنهم أحدُ الأبوين دون الآخر يحبسون على الأعراف حتى يقضي اللّه بين الناس ثم يدخلهم الجنة، وهي من جنس ما قبله فلا تناقض بينهما.
وقيل: هم أصحاب الفترة وأطفال المشركين.
وقيل: هم أولو الفضل من المؤمنين علوا على الأعراف فيطلعون على أهل النار وأهل الجنة جميعاً.
وقيل: هم الملائكة لا من بني آدم.
والثابت عن الصحابة هو القول الأول، وقد رويت فيه آثار كثيرة مرفوعة لا تكاد تثبت أسانيدها، وآثار الصحابة في ذلك المعتمدة.

وعلى الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم، ونادوا أصحاب الجنة، أن سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا [هم][1] صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، قالوا ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

من المثير للاهتمام أن يُقارن هذا الرأي الذي يجعل للموتى مواضع ثلاثة مع فكرة أفلاطونية مشابهة جداً.[2]

يشترك القرآن واليهودية في فكرة نعيم الحياة الأبدية، وكذلك في الاستعارة التي تعبر عن صعوبة تحقيقه. هنالك قول حاخامي[3] مفاده أن «ساعة واحدة من النشوة في ذاك العالم أفضل من حياة كاملة في هذا». ومع هذا يمكن لنا مقارنة القرآن:[4] «وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع؟» ثم بالنسبة لصعوبة الوصول إلى الجنة يمكننا مقارنة الصورة الحاخامية[5] عن دخول الفيل بثقب الإبرة مع الكلمات في الآية 38:7[6]: «لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم الخياط». ويبدو أن الاستعارة الأخيرة هذه مأخوذة عن المسيحية، ويرجع ذلك جزئياً إلى تشابه في الشكل، في أن «الجمل» هو الاستعارة المستخدمة في الأناجيل، وجزئياً بسبب الذكر المتواتر للأمر ذاته من قبل أصحاب الأناجيل[7]، وهو وحده يستحق أن يذكر هنا، بسبب واقعة أن الفيل إنما يُذكر في التلمود في نوع من التأكيد على ما يبدو على الترجمة العادية للكلمة اليونانية في

---

(1) هم، أي الناس ما بين بين، لا كما فسرّ فال وآخرون المسألة.

(2) Phaedon، Chap. 62

(3) مشناه، رسالة أبوت، 17:4: **יפה שעה אחת של קורת רוח בעולם הבא מכל חיי העולם הזה.**

(4) القرآن 38:9؛ 26:13.

(5) כמא דמעיל פילא בקפא דמחטא

(6) القرآن 38:7.

(7) متى 24:19؛ مرقص 25:10؛ لوقا 22:28. إضافة من المترجم: وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللّٰهِ! (متى 24:19).

الأناجيل، والكلمة العربية في القرآن، وإزالة الشك حول ما إذا كان أفضل أن يترجموها «حبل».

إذا ما سلّمنا أن المفهوم الخالص للخلود، أي أن حياة النفس لن تتوقف أبداً، فإنه يصبح لا لزوم له وقت قيامة الدينونة؛ وهكذا ففي معظم المقاطع التلمودية يتم تصوير[1] عالم مستقبلي يتم التجرّد فيه من كل شيء أرضي وتمتع النفوس التقية بسطوع حضور اللّه.[2] أصداء هذه التعاليم موجودة في القرآن. ففي أحد المقاطع[3] نقرأ عن نفس تنظر إلى ربّها وفي آخر[4] يوصف بشكل جميل وضع نفس سلمية تماماً. لكن هذه الفكرة الروحية تماماً لا تنفذ على نحو شامل. بل بالأحرى فإلى جانب المفهوم الخالص لحياة مستمرة للنفس بعد موت الجسد،[5] كان موجوداً هناك المفهوم الخالص لإعادة الموتى إلى الحياة.[6] وهكذا لأن الإنسان لا يمكنه تلقي الجزاء على أعماله في حين لا يزال في حالة موت، فإن زمن القيامة يجب أن يكون الوقت المناسب للدينونة.[7]

---

(1) עולם הבא.

(2) כהנין מזיו השכינה.

(3) إلى ربّها ناظرة؛ القرآن 23:75.

(4) مطمئنة. القرآن 27:89، وما بعد.

(5) لنأخذ القول الحاخامي، على سبيل المثال: דיקים אפלו כמיחתם קרוים חיים: حتى في موتهم يُدعى الصالحون أحياء؛ وفي القرآن 149:2، 163:3، يُطلب أن لا يسمّى الذين يسقطون أثناء الجهاد أمواتاً بل أحياء.

(6) תחית המתים. إن الرأي القائل إن المقصود بتعبير تحيات هميتيم תחית המתים هو العالم المستقبلي أو الحياة المتواصلة (الروحية) للميت (جسدياً)، يُقدم بوضوح في التفسير الذي تضيفه البارايتا إلى كلام المشناه. إلى الكلمات التي تقول «إن من يؤكّد أن الاعتقاد بالـتحيات هميتيم תחית המתים ليس جزءاً من المعتقد اليهودي ليس له نصيب في العالم المستقبلي»، يضيف: «إن من ينكر الـتحيات هميتيم תחית המתים، لن يكون له حصّة من ثم فيها». وهنا يُعتبر تعبير الـتحيات هميتيم תחית המתים و«العالم المستقبلي» متماثلان في المعنى. قارن أيضاً سفر عكريم، 31:4.

(7) יום הדין.

هذان الرأيان حول القيامة ويوم الدينونة، وإن كانا مختلفين في حد ذاتيهما، يرتبطان ارتباطاً وثيقاً باليهودية، وبشكل أكثر خصوصيّة بالإسلام.[1] في اليهودية هنالك حقبة ثالثة هي قدوم المَسِيًا، التي ليس من السهل أن تُفصل عن الحقبتين الأخريين. وبطبيعة الحال فهذا الزمن، والذي يؤدي إلى مثل هذين الحدثين الهامين كالدينونة والقيامة، سوف تُنذر به علامات فظيعة. في اليهودية الأقوال التي تفيد بهذا المعنى إنما توجد فقط بشأن الحقبة الثالثة، التي ترتبط عموماً مع الحقبتين الأخريين، أي الحقبة الدنيوية للمَسِيًا؛ في الإسلام على العكس من ذلك يُعزا كل شيء إلى اليوم الأخير. إن الكلام الذي يتفق بأكثر ما يمكن مع التلمود هو ذلك الموجود في نصين من السُنّة 41 و141، حيث يقال إن التعاليم سوف تختفي، الجهل سوف يتجذّر، وسيزداد السُكر والفجور. مع هذا يجب مقارنة مقطع من رسالة سنهدرين التلمودية [2]97: «في الوقت الذي يأتي فيه ابن داوود سيفنى المتعلمون، ويستخدم مكان الاجتماعات المتعلمة للفجور». تشير الأوصاف في القرآن أكثر إلى اليوم الأخير نفسه، وتذكّرنا بالعديد من المقاطع في الكتاب المقدس، حيث يقال أيضاً عن تلك الأيام إن العالم سوف ينحني بنفسه أمام اللّه، السماوات سوف تلتف على بعضها[3] وتتلاشى في الدخان،[4] سيتم تدمير جميع المدن،[5] ويكون البشر في حالة سكر لكنهم ليسوا بسكارى.[6]

---

(1) قارن على سبيل المثال: القرآن 87:26، 88.

(2) דור שבן דוד בא תלמידי חכמים מתמעמים ובית הועד יהיה לזנות.

(3) נָגֹלּוּ כַסֵּפֶר הַשָּׁמָיִם؛ إشعياء 4:34. إضافة من المترجم: الآية كاملة تقول: وَيَفْنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ وَتَلْتَفُّ السَّمَاوَاتُ كَدَرْجٍ وَكُلُّ جُنْدِهَا يَنْتَثِرُ كَانْتِثَارِ الْوَرَقِ مِنَ الْكَرْمَةِ وَالسُّقَاطِ مِنَ التِّينَةِ.

(4) القرآن 9:44 وما بعد.

(5) القرآن 60:17.

(6) القرآن 2:22؛ قارن: 89:27؛ 68:39؛ 13:69 وما بعد.

علامة أخرى متميزة جداً لقدوم المسيًا، التي تم التلميح إليها عن بعد في العهد القديم، لكن التي حققت تطوراً استثنائياً في التلمود وخاصة في الكتابات المتأخرة، ألا وهي معركة يأجوج، أمير ماجوج.[1] لكن يأجوج ومأجوج يدعيان من

---

(1) حزقيال 38 و39. إضافة من المترجم: نصا حزقيال: وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: ((يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى جُوجٍ أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ. وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. وَأُرْجِعُكَ، وَأَضَعُ شَكَائِمَ فِي فَكَّيْكَ، وَأُخْرِجُكَ أَنْتَ وَكُلَّ جَيْشِكَ خَيْلاً وَفُرْسَاناً كُلَّهُمْ لاَبِسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، جَمَاعَةً عَظِيمَةً مَعَ أَتْرَاسٍ وَمَجَانَّ، كُلَّهُمْ مُمْسِكِينَ السُّيُوفَ. فَارِسَ وَكُوشَ وَفُوطَ مَعَهُمْ، كُلُّهُمْ بِمِجَنٍّ وَخُوذَةٍ،. وَجُومَرَ وَكُلَّ جُيُوشِهِ، وَبَيْتَ تُوجَرْمَةَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ مَعَ كُلِّ جَيْشِهِ، شُعُوباً كَثِيرِينَ مَعَكَ. اسْتَعِدَّ وَهَيِّئْ لِنَفْسِكَ أَنْتَ وَكُلُّ جَمَاعَاتِكَ الْمُجْتَمِعَةِ إِلَيْكَ فَصِرْتَ لَهُمْ مُوَقَّراً. بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ تُفْتَقَدُ. فِي السِّنِينَ الأَخِيرَةِ تَأْتِي إِلَى الأَرْضِ الْمُسْتَرَدَّةِ مِنَ السَّيْفِ الْمَجْمُوعَةِ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي كَانَتْ دَائِمَةً خَرِبَةً، لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنَ الشُّعُوبِ وَسَكَنُوا آمِنِينَ كُلُّهُمْ. وَتَصْعَدُ وَتَأْتِي كَزَوْبَعَةٍ، وَتَكُونُ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ أَنْتَ وَكُلُّ جُيُوشِكَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ. وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أُمُوراً تَخْطُرُ بِبَالِكَ فَتُفَكِّرُ فِكْراً رَدِيئاً، وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ. آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ وَلاَ مَصَارِيعُ. لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنِ فِي أَعَالِي الأَرْضِ. شَبَا وَدَدَانُ وَتُجَّارُ تَرْشِيشَ وَكُلُّ أَشْبَالِهَا يَسْأَلُونَكَ: هَلْ لِسَلْبِ سَلْبٍ أَنْتَ جَاءٍ؟ هَلْ لِغُنْمِ غَنِيمَةٍ جَمَعْتَ جَمَاعَتَكَ، لِحَمْلِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، لأَخْذِ الْمَاشِيَةِ وَالْقُنْيَةِ، لِنَهْبِ نَهْبٍ عَظِيمٍ؟ لِذلِكَ تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ وَقُلْ لِجُوجٍ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عِنْدَ سُكْنَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ آمِنِينَ، أَفَلاَ تَعْلَمُ؟ وَتَأْتِي مِنْ مَوْضِعِكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ أَنْتَ وَشُعُوبٌ كَثِيرُونَ مَعَكَ، كُلُّهُمْ رَاكِبُونَ خَيْلاً جَمَاعَةٌ عَظِيمَةٌ وَجَيْشٌ كَثِيرٌ. وَتَصْعَدُ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ كَسَحَابَةٍ تُغَشِّي الأَرْضَ. فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ يَكُونُ. وَآتِي بِكَ عَلَى أَرْضِي لِتَعْرِفَنِي الأُمَمُ، حِينَ أَتَقَدَّسُ فِيكَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ يَا جُوجُ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ أَنْتَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكَ يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ وَأُصْعِدُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. حز 39ـ3: وَأَضْرِبُ قَوْسَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُسْرَى، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. فَتَسْقُطُ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذِلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ. عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ لأَنِّي تَكَلَّمْتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأُرْسِلُ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسَطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يَتَنَجَّسُ بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ. وَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ

وَيُشْعِلُونَ وَيُحْرِقُونَ السِّلاَحَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوقِدُونَ بِهَا النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ. فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنَ الْحَقْلِ عُوداً، وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْوُعُورِ لأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ السِّلاَحَ بِالنَّارِ، وَيَنْهَبُونَ الَّذِينَ نَهَبُوهُمْ وَيَسْلُبُونَ الَّذِينَ سَلَبُوهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَنِّي أُعْطِي جُوجاً مَوْضِعاً هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ، وَوَادِي عَبَارِيمَ بِشَرْقِيِّ الْبَحْرِ، فَيَسُدُّ نَفَسَ الْعَابِرِينَ. وَهُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجاً وَجُمْهُورَهُ كُلَّهُ، وَيُسَمُّونَهُ وَادِيَ جُمْهُورِ جُوجٍ. وَيَقْبِرُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ لِيُطَهِّرُوا الأَرْضَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ. كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَقْبِرُونَ، وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمُ تَمْجِيدِي مَشْهُوراً يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيُفْرِزُونَ أُنَاساً مُسْتَدِيمِينَ عَابِرِينَ فِي الأَرْضِ، قَابِرِينَ مَعَ الْعَابِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. تَطْهِيراً لَهَا. بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَفْحَصُونَ. فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ وَإِذَا رَأَى أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبِرَهُ الْقَابِرُونَ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ. وَأَيْضاً اسْمُ الْمَدِينَةِ هَمُونَةُ فَيُطَهِّرُونَ الأَرْضَ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَهَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالُوا احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ لِتَأْكُلُوا لَحْماً وَتَشْرَبُوا دَماً. تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ، كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ. وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشِّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ. فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَجْعَلُ مَجْدِي فِي الأُمَمِ، وَجَمِيعُ الأُمَمِ يَرَوْنَ حُكْمِي الَّذِي أَجْرَيْتُهُ وَيَدِي الَّتِي جَعَلْتُهَا عَلَيْهِمْ، فَيَعْلَمُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِداً. وَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أُجْلُوا بِإِثْمِهِمْ لأَنَّهُمْ خَانُونِي، فَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَسَلَّمْتُهُمْ لِيَدِ مُضَايِقِيهِمْ، فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ بِالسَّيْفِ. كَنَجَاسَتِهِمْ وَكَمَعَاصِيهِمْ فَعَلْتُ مَعَهُمْ وَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ. لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ. فَيَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَكُلَّ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي إِيَّاهَا عِنْدَ سَكَنِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ وَلاَ مُخِيفٌ. عِنْدَ إِرْجَاعِي إِيَّاهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَجَمْعِي إِيَّاهُمْ مِنْ أَرَاضِي أَعْدَائِهِمْ، وَتَقْدِيسِي فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرِينَ، يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ بِإِجْلاَئِي إِيَّاهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَداً مِنْهُمْ، وَلاَ أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ بَعْدُ، لأَنِّي سَكَبْتُ رُوحِي عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. الذينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ سِنِيناً أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أَنَّ غَضَبِي يَصْعَدُ فِي أَنْفِي. وَفِي غَيْرَتِي فِي نَارِ سَخَطِي تَكَلَّمْتُ، أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ رَعْشٌ عَظِيمٌ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَرْعَشُ أَمَامِي سَمَكُ الْبَحْرِ وَطُيُورُ السَّمَاءِ وَوُحُوشُ الْحَقْلِ وَالدَّابَّاتُ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلُّ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَتَنْدَكُّ الْجِبَالُ وَتَسْقُطُ الْمَعَاقِلُ وَتَسْقُطُ كُلُّ الأَسْوَارِ إِلَى الأَرْضِ. وَأَسْتَدْعِي السَّيْفَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ جِبَالِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَيَكُونُ سَيْفُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَى أَخِيهِ. وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَإِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَراً جَارِفاً وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَاراً وَكِبْرِيتاً. فَأَتَعَظَّمُ وَأَتَقَدَّسُ وَأُعْرَفُ فِي عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرَةٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَنَبَّأْ عَلَى جُوجٍ وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكَ

يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ مَاشِكَ وَتُوبَالَ. وَأَرُدُّكَ وَأَقُودُكَ وَأُصْعِدُكَ مِنْ أَقَاصِي الشِّمَالِ وَآتِي بِكَ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ. وَأَضْرِبُ قَوْسَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُسْرَى، وَأُسْقِطُ سِهَامَكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى. فَتَسْقُطُ عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ أَنْتَ وَكُلُّ جَيْشِكَ وَالشُّعُوبُ الَّذِينَ مَعَكَ. أَبْذِلُكَ مَأْكَلاً لِلطُّيُورِ الْكَاسِرَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلِوُحُوشِ الْحَقْلِ. عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ تَسْقُطُ لأَنِّي تَكَلَّمْتُ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأُرْسِلُ نَاراً عَلَى مَاجُوجَ وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي الْجَزَائِرِ آمِنِينَ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. وَأُعَرِّفُ بِاسْمِي الْمُقَدَّسِ فِي وَسَطِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَدَعُ اسْمِي الْمُقَدَّسَ يُنَجَّسُ بَعْدُ، فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. هَا هُوَ قَدْ أَتَى وَصَارَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ. وَيَخْرُجُ سُكَّانُ مُدُنِ إِسْرَائِيلَ وَيُشْعِلُونَ وَيُحْرِقُونَ السِّلاَحَ وَالْمَجَانَّ وَالأَتْرَاسَ وَالْقِسِيَّ وَالسِّهَامَ وَالْحِرَابَ وَالرِّمَاحَ، وَيُوقِدُونَ بِهَا النَّارَ سَبْعَ سِنِينَ. فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنَ الْحَقْلِ عُوداً، وَلاَ يَحْتَطِبُونَ مِنَ الْوُعُورِ لأَنَّهُمْ يُحْرِقُونَ السِّلاَحَ بِالنَّارِ، وَيَنْهَبُونَ الَّذِينَ نَهَبُوهُمْ وَيَسْلُبُونَ الَّذِينَ سَلَبُوهُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَنِّي أُعْطِي جُوجاً مَوْضِعاً هُنَاكَ لِلْقَبْرِ فِي إِسْرَائِيلَ، وَوَادِي عَبَارِيمَ بِشَرْقِيِّ الْبَحْرِ، فَيَسُدُّ نَفَسَ الْعَابِرِينَ. وَهُنَاكَ يَدْفِنُونَ جُوجاً وَجُمْهُورَهُ كُلَّهُ، وَيُسَمُّونَهُ وَادِيَ جُمْهُورِ جُوجٍ. وَيَقْبِرُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ لِيُطَهِّرُوا الأَرْضَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ. كُلُّ شَعْبِ الأَرْضِ يَقْبِرُونَ، وَيَكُونُ لَهُمْ يَوْمُ تَمْجِيدِي مَشْهُوراً يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَيُفْرِزُونَ أُنَاساً مُسْتَدِيمِينَ عَابِرِينَ فِي الأَرْضِ، قَابِرِينَ مَعَ الْعَابِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. تَطْهِيراً لَهَا. بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ يَفْحَصُونَ. فَيَعْبُرُ الْعَابِرُونَ فِي الأَرْضِ وَإِذَا رَأَى أَحَدٌ عَظْمَ إِنْسَانٍ يَبْنِي بِجَانِبِهِ صُوَّةً حَتَّى يَقْبِرَهُ الْقَابِرُونَ فِي وَادِي جُمْهُورِ جُوجٍ. وَأَيْضاً اسْمُ الْمَدِينَةِ هَمُونَةُ فَيُطَهِّرُونَ الأَرْضَ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَهَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا، وَتَعَالُوا احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ لِتَأْكُلُوا لَحْماً وَتَشْرَبُوا دَماً. تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ، كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ. وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشِّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ. فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَجْعَلُ مَجْدِي فِي الأُمَمِ، وَجَمِيعُ الأُمَمِ يَرُونَ حُكْمِي الَّذِي أَجْرَيْتُهُ وَيَدِي الَّتِي جَعَلْتُهَا عَلَيْهِمْ، فَيَعْلَمُ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِداً. وَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ قَدْ أُجْلُوا بِإِثْمِهِمْ لأَنَّهُمْ خَانُونِي، فَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ وَسَلَّمْتُهُمْ لِيَدِ مُضَايِقِيهِمْ، فَسَقَطُوا كُلُّهُمْ بِالسَّيْفِ. كَنَجَاسَتِهِمْ وَكَمَعَاصِيهِمْ فَعَلْتُ مَعَهُمْ وَحَجَبْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ. لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ. فَيَحْمِلُونَ خِزْيَهُمْ وَكُلَّ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُونِي إِيَّاهَا عِنْدَ سَكَنِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ وَلاَ مُخِيفٌ. عِنْدَ إِرْجَاعِي إِيَّاهُمْ مِنَ الشُّعُوبِ وَجَمْعِي إِيَّاهُمْ مِنْ أَرَاضِي أَعْدَائِهِمْ، وَتَقْدِيسِي فِيهِمْ أَمَامَ عُيُونِ أُمَمٍ كَثِيرِينَ، يَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ بِإِجْلاَئِي إِيَّاهُمْ إِلَى الأُمَمِ، ثُمَّ جَمْعِهِمْ إِلَى أَرْضِهِمْ. وَلاَ أَتْرُكُ بَعْدُ هُنَاكَ أَحَداً مِنْهُمْ، وَلاَ أَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُمْ بَعْدُ، لأَنِّي سَكَبْتُ رُوحِي عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ)).

قبل الحاخامات كأميرين، وهذا المنظور تجذّر في القرآن في صيغة حاخاميّة،[1] كون هذين الشخصين، يُذكران على أنهما من ساكني أقصى أجزاء الأرض.[2]

في تفاصيل فكرة القصاص في المستقبل يوجد العديد من التشابهات، والتي، بفضل وحدة المنظور اليهودي واشتقاقه من الكتب المقدسة، تظهر أنها استعارات من اليهودية. وهكذا فوفقاً للتلمود، فإن أوصال الإنسان تشهد عليه؛[3] وفي أحد المقاطع نجد تلك الكلمات: «أوصال الإنسان بالذات[4] ستشهد عليه، لأنه يُقال، «أنتم أنفسكم شهودي يقول الرب». ويمكن أن نقارن مع هذا الآية 24:24: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، بما كانوا يعملون».[5] يكتسب يوم الدينونة أيضاً أهمية أكبر من حقيقة أنه ليس فقط الأفراد والأمم يظهرون فيه، وإنما أيضاً تلك الكائنات التي كانت تكرّمها الأمم باعتبارها آلهة، فهم كذلك سينالون العقاب مع الذين كانوا يتعبد ون لهم. وفي رسالة السوكاه التلمودية 29 نجد الكلام التالي:[6] «كما تنال عقابها (بسبب الوثنية) كأمة، فإن تلك الكائنات التي تُكرّم من قبلها كآلهة تُعاقب أيضاً، لأنه مكتوب:[7]وبجميع آلهة المصريين أنفّذ أحكاماً». لا يُعبّر بوضوح أن هذه الجملة العامة تعترف بإشارة

---

(1) القرآن يأجوج ومأجوج 96:21.

(2) القرآن 93:18.

(3) حغيغاه 16، تعنيت 11. אף איבריי של אדם מעידים בו שנ׳ ואתם עדי נאם ה״.

(4) إشعياء 12:43. إضافة من المترجم: نص إشعياء: أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَنَا اللّٰهُ.

(5) قارن أيضاً: القرآن: 65:36؛ 19:41.

(6) אין לך כל אמה ואמה שהוא לקוה שאין אלהיה לוקין עמה שנ׳ ובכל אלהי מצרים אעשה שפטים.

(7) سفر الخروج، 12:12. إضافة من المترجم، نص الآية كاملاً: וְעָבַרְתִּי בְאֶרֶץ־מִצְרַיִם בַּלַּיְלָה הַזֶּה וְהִכֵּיתִי כָל־בְּכוֹר בְּאֶרֶץ מִצְרַיִם מֵאָדָם וְעַד־בְּהֵמָה וּבְכָל־אֱלֹהֵי מִצְרַיִם אֶעֱשֶׂה שְׁפָטִים אֲנִי יְהוָה: فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ.

إلى عقاب اليوم الأخير. مع ذلك فمحمّد يعبّر عن نفسه على نحو أوضح في المسألة:[1] «إنكم وما تعبد ون من دون الله عصب جهنم».

إنه منظور متشابك بشكل وثيق مع اليهودية والإسلام ومفاده أن العقوبة الانتقاميّة مقيدة بالكامل بحالة ما بعد الموت،[2] وأن أي ميزة يكتسبها الخاطئ

---

(1) القرآن 98:21.

(2) من العقائد الهامة المتعلقة بمسألة العقاب ما بعد الموت، قبل يوم القيامة، أسطورة عذاب القبر. واضح تماماً من النصوص الإسلامية أن محمداً لم يكن يعرف بعذاب القبر لولا حادث بعينه؛ نقرأ في موطأ مالك ـ كِتَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ ـ أن يتعوذوا من عذاب القبر: 446 وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْ تَسْأَلُهَا فَقَالَتْ أَعَاذَكِ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُعَذَّبُ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ مَرْكَبًا فَخَسَفَتْ الشَّمْسُ فَرَجَعَ ضُحًى فَمَرَّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ الْحُجَرِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي وَقَامَ النَّاسُ وَرَاءَهُ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا ـ ص 151 ـ طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

في اليهودية، وفي مجموعة المدراش אוצר מדרשים، نجد رسالة تحمل عنوان عذاب القبر. ومنها نقرأ: מסכתחבוט הקבר

ב [ראשית חכמה שער היראה פי"ב; בית המדרש ח"א]

ג פרק ראשון: כיצד אדם מת באין אליו מלאכי הרקיע, אחד ממלאכי השרת ואחד ממלאכי מות ואחד סופר ואחד שממונה עמו ואומרים לו קום הגיע קצך (גירסא אחרת: מיד יושב הסופר ומחשב ימיו ושנותיו), אומר להם עדיין לא הגיע קצי, מיד פותח את עיניו ורואה מלאך (נוסחא ב': מיד מזדעזע ונופל על פניו), ארכו מסוף העולם ועד סופו מכף רגלו ועד קדקדו מלא עינים, לבושו אש כסותו אש כלו אש, וסכין בידו וטפה של מרה תלוי בו, ממנה מת ממנה מסריח ממנה פניו מוריקות, ואינו מת עד שרואה הקב"ה בעצמו שנאמר כי לא יראני האדם וחי (שמות ל"ג ג'), בחייהם אינם רואים אבל רואים במיתתם, שנאמר לפניו יכרעו כל יורדי עפר ונפשו לא חיה (תהלים כ"ב ל').

سوف تُجزى في هذا العالم، وهو ما يعني أن ما من شيء يمكن له أن يعيق مسار الحساب في العالم الآخر. وجهة النظر نفسها، معكوسة فقط، تصح في حالة الصالحين. إنه منظور اعتُقد أنه يفسّر مسار المصير على الأرض، والذي غالباً ما يبدو أنه يسير بعكس مزايا البشر وعيوبهم.

يتم التعبير عن وجهة نظر الحاخامية في المقطع التالي:[1] «بماذا يجب مقارنة الأتقياء في هذا العالم؟ بشجرة تقف تماماً في مكان نظيف. وعندما ينحني فرع على مكان غير نظيف، إنه يقطع وتقف الشجرة نفسها هناك نظيفة تماماً. هكذا يرسل الله آلاماً في هذا العالم إلى الصالحين، بحيث يمكنهم أن يمتلكوا ذلك الذي يأتي، كما هو مكتوب «فتكون حالتك الأولى وضيعة، وتكون حالتك الأخيرة مزدهرة»[2] الخاطئون مثل شجرة تقف في مكان غير نظيف تماماً؛ وحين ينحني فرع إلى مكان نظيف، يتم قطعه والشجرة نفسها تقف

מיד מעיד והקב"ה חותם. אם צדיק הוא מוסר נפשו לבעליו, אם רשע גמור הוא מקשה ערפו ומגביר יצרו. מכאן אמרו חז"ל אפילו בפטירתו של אדם רשע יצרו מתגבר עליו. ר"א בן יעקב אומר כשם שמקשה ערפו בעוה"ז כך מקשה ערפו בשעת פטירתו שעומד בדין שנאמר רשע יראה וכעס וגו' (שם קי"ב י'). בשעת פטירתו של צדיק מהו אומר הצדיק אבד וגו' (ישעיה נ"ז), ובשעת פטירתו של רשע מהו אומר ובליעל כקוץ מונד וגו' (ש"ב כ"ב). راجع كتابنا، مدخل *إلى مشروع الدين المقارن*. مترجم.

(1) **למה צדיקים כמשלים בעולם הזה לאילן שכלו עמר במקום מהרה ונופו כמה למקום ממאת נקצץ כופו נמצא כלו עסד במקום טהור כך חק" ב' ח מביא יסורים על צדיקים בעחז כדי שיירשו העולם הבא שנ' והיה ראשיתך מצער ואהריתך ישנא מאד ולמה רשעים דומים בעהז לאן שכלו עמד במקום טמאח ונופו נטה למקום טהרה נקצץ כופו כלו עמד במקום כך חק" ב' ח משפיע להםם טובה בעהז כדי לטרדן ולהורישן למדרנה התחתונה של גיהנם שנ' יש דרך ישר לפני איש ואחריתה דרכי מות.**

إضافة من المترجم: لم نجد النص السابق في مراجعنا.

(2) أيوب 7:8. إضافة من المترجم: النص هو: وَإِنْ تَكُنْ أُولَاكَ صَغِيرَةً فَآخِرَتُكَ تَكْثُرُ جِدّاً: וְהָיָה רֵאשִׁיתְךָ מִצְעָר וְאַחֲרִיתְךָ יִשְׂגֶּה מְאֹד.

هناك غير نظيفة تماماً. وهكذا يسمح االلّه لغير المؤمنين باللّه بالازدهار، كي يغرقهم في أدنى أعماق الجحيم، كما هو مكتوب: «ربّ طريق يستقيم في عيني الربّ، وأواخره طرق إلى الموت»»[1].

يعبّر محمد عن هذا الرأي في العديد من المقاطع، لكنه يقيد نفسه بالرأي الأخير الذي يشير إلى ازدهار الخطاة، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنّ أفكاره الخاصة كانت غير روحانية بحيث يفترض أن يكون قادراً على تخيل الصالحين سعداء حقاً دون متاع أرضي، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه في فعله ذلك فإن تعاليمه كانت ستضيع في تقبله لمعاصريه الفاسدين للغاية. وهكذا ففي أحد المقاطع[2]، نقرأ: «إنّا نملي لهم ليزدادوا إثماً»،[3] ومع ذلك فالرأي الثاني موجود بين العرب، من

(1) أمثال 12:14. رسالة قدوشين التلمودية، 2:40. قارن: دريرخ ايريص؛ رسالة سوتاه التلمودية، نهاية الفصل الثاني؛ رسالة أبوت للحاخام ناتان، نهاية الفصل التاسع؛ عروبين، 2:26؛ وأيضاً أسفار الترغوم وتفاسيرها لنص التثنية 10:7.
إضافة من المترجم: نص الأمثال: יֵ֤שׁ דֶּ֥רֶךְ יָ֭שָׁר לִפְנֵי־אִ֑ישׁ וְ֝אַחֲרִיתָ֗הּ דַּרְכֵי־מָֽוֶת: تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ؛ نص التثنية: וּמְשַׁלֵּ֧ם לְשֹׂנְאָ֛יו אֶל־פָּנָ֖יו לְהַאֲבִיד֑וֹ לֹ֤א יְאַחֵר֙ לְשֹׂנְא֔וֹ אֶל־פָּנָ֖יו יְשַׁלֶּם־לֽוֹ: وَالمُجَازِي الذِينَ يُبْغِضُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ لِيُهْلِكَهُمْ. لا يُمْهِلُ مَنْ يُبْغِضُهُ. بِوَجْهِهِ يُجَازِيهِ.

(2) القرآن 172:3.

(3) قارن: القرآن، 55:9، 86؛ 23:31؛ في النص الأول، 55:9، 86، نجد أن كلمات «في الحياة الدنيا» ترتبط بوضوح مع كلمة «أولادهم»، وليس مع ما سبقها مباشرة.
وهكذا يقول إلفيرار في تعليقه على الآية 55:9: «قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد اللّه ليعذبهم بها في الآخرة».
إضافة من المترجم: في تفسير البغوي للآية، نقرأ: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) والإعجاب هو السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد لأن العبد إذا كان من اللّه في استدراج كثر اللّه ماله وولده، (إنما يريد اللّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فإن قيل: أي تعذيب في المال والولد وهم يتنعمون بها في الحياة الدنيا؟ قيل: قال مجاهد وقتادة: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد اللّه ليعذبهم بها في الآخرة. وقيل: التعذيب بالمصائب الواقعة في المال والولد. وقال الحسن: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكاة منها والنفقة في سبيل اللّه. وقيل: يعذبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه،

ذلك على سبيل المثال، ما يقوله إلفيرار في تفسيره للآية 42:12[1]: «يُقال إن الأخيار يُعاقبون ويُمتحنون، كي يمكنهم أن يكونوا في يوم القيامة كاملين في النور والقوة، حيث يكون قد تم للتو التكفير عن تمرّد الصالحين». لقد تجنّب محمد بشكل طبيعي تحديد أي وقت يمكن فيه لهذه الدينونة أن تحدث، على الرغم من أنه تعرّض لكثير من الضغوط كي يقوم بذلك. ووجد عذراً لنفسه في القول اليهودي إنه عند الله ألف سنة تعادل يوماً مما نعد،[2] والتي تم تجريدها من الزينة الشعرية وأخذت عند الحاخامات معنى حرفيّاً بحتاً.[3] يقول محمد:[4] «إن يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدّون»؛ ويقول مرة أخرى[5] «في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون».

كما أُظهر للتو، فمع تأسيس مذهب يوم الحساب، فإن الرأي المتعلّق بالقيامة وقيامة الموتى كان قد تمّ تشكيله أيضاً؛ وهذا صار بجاهزية أكثر، لأنه وجد الدعم له في تعابير من الكتاب المقدس، كما على سبيل المثال ما يقال في سفر

والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره. (وتزهق أنفسهم) أي: تخرج، (وهم كافرون) أي: يموتون على الكفر.

(1) وقيل إنه ابتلاهم بالذنوب لينفرد بالطهارة والعزّة يوم القيامة على انكسار المعصية.
إضافة من المترجم: قَالَ الْحسن الْبَصْرِيّ: إن الله تَعَالَى لم يذكر ذنُوب الْأَنْبِيَاء فِي الْقُرْآن ليعيرهم بهَا؛ وَلَكِن ذكرهَا ليبين موقع النِّعْمَة عَلَيْهِم بِالْعَفو، وَلِئَلَّا ييأس أحد من رَحمته وَقيل: إِنَّه ابْتَلَاهُم بِالذنُوبِ ليتفرد بِالطَّهَارَةِ والعزة، ويلقاه جَمِيع الْخلق يَوْم الْقِيَامَة على انكسار الْمعْصِيَة. وَقَوله: {لَوْلَا أَن رأى برهَان ربه} أَكثر أهل التَّفْسِير: أَنه رأى يَعْقُوب صلوَات الله عَلَيْهِ [صَكه] فِي صَدره وَهُوَ يَقُول لَهُ: أتعمل عمل السُّفَهَاء وَأَنت فِي ديوَان الْأَنْبِيَاء؟

(2) المزمور، 4:90: إضافة من المترجم: نص الآية من المزمور: כִּי אֶלֶף שָׁנִים בְּעֵינֶיךָ כְּיוֹם אֶתְמוֹל כִּי יַעֲבֹר וְאַשְׁמוּרָה בַלָּיְלָה: لأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ فِي عَيْنَيْكَ مِثْلُ يَوْمِ أَمْسِ بَعْدَ مَا عَبَرَ وَكَهَزِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ.

(3) رسالة سنهدرين التلمودية، 2:96. انظر أيضاً مقدمة تفسير بن عزرا لأسفار التوراة الخمسة حيث يعارض هذا المنظور.

(4) القرآن، 46:22.

(5) القرآن، 4:32.

حزقيال، 37:[1] «حين أفتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم يا شعبي»، وما إلى ذلك؛ وتلك الموجودة في مقاطع أخرى التي تشير جزئياً إلى القيامة المجازية للموتى في أرض إسرائيل. عن هذا المذهب يقال إنه ثمة تعليم أساسي من العقيدة اليهودية والذي يقول إنه لا ينتمي إلى الشريعة ما ينطوي على استبعاده هو الذي يتحدث من الحياة الأبدية.[2] القرآن، إذا صحّ القول، مؤسّس على هذا المذهب جنباً إلى جنب مع مذهب وحدانيّة اللّه، ونادراً ما نجد صفحة فيه لم يذكر هذا المذهب فيها. وتقديم البراهين هنا سيكون سهلاً بقدر ما سيكون بلا فائدة؛ وهو غير مطلوب من قبل غرضنا، لأن المسيحية أيضاً ورثت هذا الرأي عن اليهودية، كما هو مبين في حجة يسوع في الرد على الصدوقيين[3]. نقطة واحدة فقط تستحق الذكر بشكل خاص، لأنها من ناحية تحتوي تفصيلاً متبنى عن اليهودية، ومن ناحية أخرى فإنها تدلّ على مستوى متدنٍ من التفكير في ذلك الوقت. حالما يصبح الأمر ليس مجرّد مسألة خلود نفس، بل أيضاً قيامة جسد، فالنفس عندئذٍ دون الجسد لا تعود تعتبر الشخص نفسه، والسؤال يطرح

---

(1) سفر حزقيال، 13:37: אֶת־קִבְרוֹתֵיכֶם. إضافة من المترجم: نص الآية: וִידַעְתֶּם כִּי־אֲנִי יְהוָה בְּפִתְחִי אֶת־קִבְרוֹתֵיכֶם וּבְהַעֲלוֹתִי אֶתְכֶם מִקִּבְרוֹתֵיכֶם עַמִּי: فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.
القرآن، 9:100.

(2) مشناه سنهديرين، 1:10.

(3) نص متى 23:22 وما بعد: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ إِلَيْهِ صَدُّوقِيُّونَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: ((يَا مُعَلِّمُ، قَالَ مُوسَى: إِنْ مَاتَ أَحَدٌ وَلَيْسَ لَهُ أَوْلاَدٌ، يَتَزَوَّجْ أَخُوهُ بِامْرَأَتِهِ وَيُقِمْ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ عِنْدَنَا سَبْعَةُ إِخْوَةٍ، وَتَزَوَّجَ الأَوَّلُ وَمَاتَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسْلٌ تَرَكَ امْرَأَتَهُ لأَخِيهِ. وَكَذلِكَ الثَّانِي وَالثَّالِثُ إِلَى السَّبْعَةِ. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضاً. فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنَ السَّبْعَةِ تَكُونُ زَوْجَةً؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ لِلْجَمِيعِ!)). فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: ((تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللّهِ. لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللّهِ فِي السَّمَاءِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ، أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللّهِ الْقَائِلِ: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ اللّهُ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ)). فَلَمَّا سَمِعَ الْجُمُوعُ بُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ. ـ مترجم.

لبيعة الحال نفسه على الفهم العادي: «كيف يمكن لهذا الجسد الذي شهدناه يتفسّخ أن يقوم مرة أخرى، بحيث أن الشخصية ذاتها سوف تعاود الظهور؟». لا النفس وحدها ولا الجسم وحده هو الشخص، بل اتحاد الاثنين. نقول الآن إن أحد جزئي هذا الاتحاد قد تحلّل؛ وجسد آخر يمكن أن يُعطى في الواقع لهذه النفس، لكن بهذا يعني أن الذي مات لن يعاود الظهور، بل إنسان جديد، شخصية أخرى، ووعي آخر يأتي إلى الوجود. هذا السؤال كان يتوقع على نحو خافت أنه سيكون متطفلاً، ولا يمكنه أن يستقرّ إلا عبر أن الشخصية ذاتها يمكن أن تظهر مرة أخرى. وبدلاً عن هذا يقنع محمد نفسه بالمثل، المستخدم أيضاً في بعض الأحيان في التلمود، حول إحياء الأرض الجافة بالأمطار المخصبة. غير أنه وجد أنه لا يمكنه إسكات القناعات المشتركة بين الناس حوله،[1] وهكذا اضطر إلى العودة إليه مراراً وتكراراً. لقد سعى اليهود أيضاً إلى إعطاء أهمية لهذا التشابه، فقدّموا التقريظ[2] القائل، «الذي ينزل المطر» في البركة الثانية التي تتناول القيامة.[3] وواقعة أن الأخيار يقومون فعلياً بملابسهم[4] (التي هي في نهاية الأمر ليست أكثر عجائبية من أن يقوموا بأجسادهم) إنما تفسّر بمثل حبوب القمح، التي توضع في الأرض دون غطاء، لكنها تظهر ثانية بأغطية عديدة. والآية القرآنية 96:6 تحتوي عبارة مماثلة. هذا الرأي ليس غريباً على الإسلام، لأن قولاً يعزى إلى محمد يتحدّث إلينا بما يلي:[5] «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

---

(1) القرآن، 95:6؛ 49:30؛ 33:36؛ 39:41؛ 10:43 الخ.

(2) מוריד הגשים.

(3) تعنيت، البداية.

(4) سنهدرين، 2:9؛ كتوبوت، 2:3.

(5) Pococke، *notæ miscollanæ*، Cap 7، p. 271.

إضافة من المترجم: في سنن أبي داود، نقرأ: قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: ما يستحب من تطهير ثياب الميت عند الموت.

حدثنا الحسن بن علي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب عن ابن الهاد عن محمد بن

لا يحتاج إلى دليل بالطبع أنه من منظور الدين الموحى به فإن الاقتضاب في إمكانية الوحي حاجة أساسية، وفي هذا فإن آراء جميع الأديان الموحى بها متشابهة؛ مع ذلك فالاختلافات يمكن أن توجد في طريقة تصور الوحي، وهنا لا يسعنا إلا أن نقرّ مرة أخرى أن محمداً استمدّ رأيه بشأنه من اليهودية، وبطبيعة الحال مع بعض التعديل.

اليهود لديهم قول مفاده أن «جميع الأنبياء نظروا من خلال زجاج داكن، لكن موسى نظر من خلال زجاج نقي»،[1] ويقول محمد:[2]«وما كان لبشر أن يكلّمه اللّه إلا وحياً أو من وراء حجاب»؛[3]

إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: أنه لما حضره الموت دعا بثياب جُدُد فلبسها، ثم قال: (سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها)].

(1) رسالة يباموت التلمودية، 49: כל הנביאים ראו באספקלריא שאינה מאירה משה באספקלריא המאירה.

(2) القرآن، 50:42.

(3) يورد المفسرّون هذه الآية باعتبارها النص الذي يتمّ التنازع فيه حول أولوية موسى؛ ومن ثم يقول الفيرار: وذلك أن اليهود قالوا للنبي (صلعم): أتكلّم اللّه وتنظر إليه إن كنت نبيّاً كما كلّمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى اللّه عزّ وجل؛ فأنزل اللّه عز وجل: وما كان لبشر أن يكلّمه اللّه إلا وحياً إليه في المنام أو بالإلهام أو من وراء حجاب، يسمعه كلامه ولا يراه، كما كلّم موسى عليه السلام.

إضافة من المترجم من تفسير البغوي [لم نجد نصّاً مشابهاً في مجموعة التفاسير، القرطبي، الجلالين، الطبري، وابن كثير]: قوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم.

فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحياً سبب ذلك أن اليهود قالوا للنبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : ألا تكلم اللّه وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك. فقال النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : إن موسى لم ينظر إليه فنزل قوله: وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحياً، ذكره النقاش والواحدي والثعلبي. (وحياً) قال مجاهد: نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، ومنه قوله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ : إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب. خذوا ما حل ودعوا ما حرم. أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً كإرساله جبريل

ومن ثم يضيف[1] «أو يرسل رسولًا فيوحى بإذنه ما يشاء». هذا الرسول هو الروح القدس،[2] أو ببساطة الروح،[3] مثل الروح في قصة رؤيا ميخا.[4] والمفسّرون العرب يعتبرون أن هذا الروح القدس يعني جبريل، وهو رأي ليس غير معروف لليهود، لأن المفسرين اليهود يفهمون الكلمات التي تقول[5] «روح يتحدّث بالتأكيد» على أنها إشارة إلى جبريل. أحد أقوال محمد الخاصة، وهو قول مختبر تماماً من قبل السنّة 52، ملفت للنظر أكثر من ذلك بكثير:[6] «ويسألونك عن الروح، قل الروح (تخرج) من أمر ربّي».

مع هذا فالتعاليم بشأن الملائكة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، وكان لها هي أيضاً

عليه السلام. وقيل: إلا وحياً رؤيا يراها في منامه، قاله محمد بن زهير. أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً قال زهير: هو جبريل عليه السلام. فيوحي بإذنه ما يشاء وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم للأنبياء يسمعونه نطقاً ويرونه عياناً. وهكذا كانت حال جبريل ـ عليه السلام ـ إذا نزل بالوحي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس: نزل جبريل ـ عليه السلام ـ على كل نبي فلم يره منهم إلا محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام. فأما غيرهم فكان وحياً إلهاماً في المنام. وقيل: إلا وحياً بإرسال جبريل أو من وراء حجاب كما كلم موسى. أو يرسل رسولاً إلى الناس كافة. وقرأ الزهري وشيبة ونافع (أو يرسل رسولاً فيوحي) برفع الفعلين. الباقون بنصبهما. فالرفع على الاستئناف، أي: وهو يرسل. وقيل: (يرسل) بالرفع في موضع الحال، والتقدير إلا موحياً أو مرسلاً. ومن نصب عطفوه على محل الوحي؛ لأن معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي أو يرسل. ويجوز أن يكون النصب على تقدير حذف الجار من أن المضمرة. ويكون في موضع الحال، التقدير أو بأن يرسل رسولاً. ولا يجوز أن يعطف (أو يرسل) بالنصب على (أن يكلمه) لفساد المعنى؛ لأنه يصير: ما كان لبشر أن يرسله أو أن يرسل إليه رسولاً، وهو قد أرسل الرسل من البشر وأرسل إليهم.

(1) راجع الهامش السابق ـ مترجم.

(2) روح قدس רוח הקדש، πνευμα αγιου το.

(3) القرآن، 38:78؛ 4:97.

(4) سفر الملوك الأول، 21:22: וַיֵּצֵא הָרוּחַ וַיַּעֲמֹד לִפְנֵי יְהוָה וַיֹּאמֶר אֲנִי אֲפַתֶּנּוּ וַיֹּאמֶר יְהוָה אֵלָיו בַּמָּה: ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَسَأَلَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟
ملاحظة من المترجم: لا يورد غايغر غير الكلمات الثلاث الأولى من الآية.

(5) רוח פסקנית، سنهدرين، 44.

(6) القرآن، 87:17.

بداياتها في الأسفار المقدّسة، لكن يبدو أنها تطوّرت في الأيام اللاحقة وخاصة من خلال البارسية[1]. محمد لا يناله التعب في وصفه للملائكة؛ وكذلك أيضاً اليهود المتأخرون في صلواتهم العديدة في يوم الغفران، لكن هذه الصلوات من أصل متأخر نوعاً ما.[2] ملاك الموت[3] يذكر بشكل خاص في الآية 11:32.

في حين كانت الملائكة تعتبر كائنات روحية والذين ينفذّون أوامر اللّه، تمّ تصوّر فئة من كائنات تقف بين الإنسان والأرواح الأنقى؛ وكان هؤلاء أرواح مختلطة، والتي جُعلت من النار،[4] الذين يمتلكون قوى عقلية فائقة، لكن الذين كانوا بمعظمهم يميلون إلى الشر، وكانوا يدعون[5] بالشياطين، لكن لهم العديد من الأسماء الأخرى باللغة العربية. في التلمود نجد النص التالي بشأنهم:[6] «يقال إن الشياطين لديهم ست صفات، ثلاث منها ملائكية وثلاث بشريّة. الثلاث التي تخص الملائكة هي أن لديهم أجنحة، وأنهم يمكنهم أن يطيروا من أقصى الأرض إلى أقصاها (أي أنهم غير مقيدين بالمكان)، وأنهم يعرفون المستقبل مسبقاً. يعرفون المستقبل مسبقاً؟ لا! ولكنهم يسترقون السمع من

---

(1) لقد أظهرنا في عملنا غير المنشور، تاريخ الملائكة، أن أصل الملائكة اليهود زرادشتي [بارسي] بالكامل. مترجم.

(2) القرآن، 1:35؛ 1:37؛ 7:40؛ 1:77 وما بعد؛ 11:79 وما بعد.

(3) מלאך המות.

(4) القرآن، 27:15.

(5) שדים جن.

ملاحظة من المترجم: باحثون كثيرون يعتبرون «جن» قادمة من «جيني» الأفستية الزرادشتية، التي تعني «روحاً أنثوية شريرة». ثمة علاقة بين شديم العبرية وجن العربية، ناقشها بالتفصيل هاينريش شباير في عمله، قصص أهل *الكتاب في القرآن*.

(6) ששה דברים נאמרים בשדים שלשה כמלאכי השרת לשלשה כבני אדם שלשה כמלאכי השרת יש להם כנפים וטסין מסוף העולם ועד סוף ו ויודעין מה שעתיד להיות יודעין סלקא דעתתך אלא שמעין מאחורי הפרגוד ו שלשה כבני אדם אוכלין ישתין פרין ומתין.

وراء ستار. أما الثلاث البشرية فهي أنهم يأكلون ويشربون، يتزايدون ويكثرون،[1] ويموتون».[2] لا يقدّم التقليد الإسلامي ما يكفي لوصفهم، فليس هنالك سوى القليل عنهم في القرآن. وواقعة أنهم كانوا يسترقون السمع في قبّة السماء أكسبت واحدهم في القرآن اللقب رجيم،[3] لأن الملائكة، كما يقول المفسّرون، كانت ترجمهم بالحجارة لإبعادهم عندما كانوا يجدونهم يسترقون السمع.[4] وهكذا يقال صراحة[5] «وجعلناها (مصابيح السماء) رجوماً للشياطين». والسورة الثانية والسبعين تتناولهم بالتفصيل، وتسعى بشكل خاص إلى إقرار موافقتها على المذهب الجديد. ويذكر التلمود أيضاً أنهم يحضرون عند إعطاء التعاليم. والمقطع التالي من رسالة بيراخوت التلمودية يظهر هذا. «الضغط في المدرسة هم سببه، أي الشياطين»[6]. مع هذا يمكننا أن نقارن القرآن، «وأنه عندما قام

---

(1) الجن قيل هم نوع من الملائكة وإبليس أبو الجن فله ذريّة ذكرت معه، والملائكة لا ذرية لهم. جلال الدين في Maracci in Prodr. 2:1. ملاحظة من المترجم: النص من تفسير الجلالين. في نص غايغر يقال جلال الدين؛ ولا فكرة لدينا إن كان المقصود بذلك الجلالين: الآية 50 من سورة الكهف:

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين.

«وإذ» منصوب باذْكُرْ «قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له. «فسجدوا إلا إبليس كان من الجن» قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم. «ففسق عن أمر ربه» أي خرج عن طاعته بترك السجود. «أفتتخذونه وذريته» الخطاب لآدم وذريته والهاء في الموضعين لإبليس. «أولياء من دوني» تطيعونهم «وهم لكم عدو» أي أعداء حال «بئس للظالمين بدلاً» إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة اللّه.

(2) حغيغاه، 1:16. ملاحظة من المترجم: ترجمنا من التلمود البابلي نصين هامين، رسالة عبدة الأوثان، ورسالة الحغيغاه. نشرنا الأول وبقي الثاني في خزانتنا الخاصة.

(3) القرآن، 17:15، 34؛ 78:38؛ 24:81؛ رجيم.

(4) التفسير الإسلامي للنجوم الساقطة.

(5) القرآن، 5:47؛ قارن: 7:37.

(6) הוא דחקא דבית כלה מניהו הוא.

عبد اللّه يدعوه، كادوا يكونون عليه لبداً»[1]. لا يمكن التأكيد بأن الجزء الأكبر من التعاليم المتعلّقة بالجن كانت متبناة عن اليهودية، بل يجب بالأحرى القول إنها قد جاءت من المصدر المظلم ذاته الذي استمدّ منه يهود تلك الأوقات هذه المفاهيم، أي البارسيّة[2].

حتى هنا، كما هي الحال مع أي نقطة التي هي من أصل لا يمكن الوصول إليه، فالإشارة إلى تشابه مجرّد لا تخلو من فائدة.

في ظل هذه العناوين الكبيرة الأربعة إذن، أي (1) الخلق، (2) القصاص بما في ذلك الدينونة الأخيرة والقيامة، (3) شكل الوحي، و(4) عقيدة الأرواح، توجد تفاصيل، يمكن النظر إلى تبنيها من اليهودية على أنه مثبت بما فيه الكفاية. والتحفظ في الشرح، بدافع حبنا لموضوعنا، الذي هو مشترك إما للمشاعر الدينية العامة للإنسانية، أو لجميع الأديان الموحى بها، أو على الأقل تلك التي تنتمي إلى أحزاب دينية معروفة في زمن محمد الخاصّة فقط باليهودية، يجبرنا على تثبيت هذه الحدود. وقد وجدنا الكثير من الاهتمام خاصة تحت العنوان الكبير الثاني، بحيث قد يبدو أن مطالب موضوعنا قد تمت تلبيتها جيداً نوعاً ما.

القواعد الأخلاقية والتشريعية

من الواضح أن جميع الوصايا الفردية تشكّل في الدين الموحى به جزءاً من الدين، ولا يمكن للمرء من ثمّ أن يرسم خطّاً حاسماً للتمييز بين «الديني» و«الأخلاقي». وبناء على ذلك لم نضع أي شيء والذي يتعلّق بالسلوك تحت العنوان الرئيس آ، حتى لو أنه قد يكون مرتبطاً على الفور بنقاط الاعتقاد قيد

(1) القرآن، 19:72.

(2) ثَمَّ نقش آرامي من بلدة قرب تدمر حول دفع الجزية لجنايه، الآلهة الطيبة والتي تقدم الثواب، ونعرف من نقوش من شمال الجزيرة الغربي أن قبائل عربية كانت تعبد الجن. ـ مترجم.

المناقشة، ولذا فإننا قادرون على أن نجمع هنا كل الوصايا المتعلقة بالسلوك. من حقيقة أن كل وصيّة فردية هي إلهية، يمكن أن ينشأ تضارب واجبات بسهولة، والذي لا يمكن إنهاؤه بسهولة بحكم خاص، على اعتبار أن جميع الوصايا متساوية،[1] بقدر ما يهم الأمر مؤلفها. ولذلك يجب وضع قواعد لمثل هذه الحالات. على سبيل المثال، نجد ما يلي في الكتابات الحاخامية[2] حين يقول أب (لابنه إذا كان كاهناً)، «دنّس نفسك»، أو حين يقول «لا تطلب استعادة (شيء الذي وجد مالكه)»، فهل عليه أن يطيعه؟ نتيجة لذلك، مكتوب[3] «ليهب كل إنسان أمه وأباه، واحفظوا سبوتي، أنا الرب إلهكم». ويقول محمد:[4] «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً، وإن جاهداك أن تشرك بي، ما ليس لك به علم، فلا تطعهما». ومن المعروف أن اليهودية غنية جداً بالوصايا الفرديّة، وقد استعار محمد منها الكثير مما بدا له مناسباً.

أولاً. *الصلاة*. محمد مثل الحاخامات يصف وضعيّة الوقوف[5] للمصلّي. وهكذا نقرأ: «وقوموا للّه قانتين؛ فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً»؛[6] وأيضاً: «الذين يذكرون اللّه، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم»[7].

---

(1) *فاكهة الخلفاء*، 94، يثبت أن هذا هو بالفعل الرأي العربي: قال بعض أهل الأفضال إن معاصي العباد ليس فيها صغيرة، وإنما كلّ ما يخالف الأمر كبيرة، وذلك بالنظر إلى جناب الآمر تعالى وتقدّس.

(2) يهاموت 6. אמר לו אביו הטמא או אמר לו אל תהזיר יכול ישמע לו תלמדו לאמר איש אמו ואביו תיראו ואת־שבתתי תשמרו כלכם חיבים בככודי.

(3) سفر اللاويين، 3:19: «אִ֣ישׁ אִמּ֤וֹ וְאָבִיו֙ תִּירָ֔אוּ וְאֶת־שַׁבְּתֹתַ֖י תִּשְׁמֹ֑רוּ אֲנִ֖י יְהוָ֥ה אֱלֹהֵיכֶֽם: تَهَابُونَ كُلُّ إِنْسَانٍ أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَتَحْفَظُونَ سُبُوتِي. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ».

(4) القرآن، 7:29.

(5) لاحظ التعبير التقني، أقام الصلاة؛ قارن مع التعبير الحاخامي، עמד בתפלה [وقف في الصلاة]. الترجمة من العبرية للمترجم.

(6) القرآن، 240:2.

(7) القرآن، 188:3.

هذه الأوضاع الثلاثة تُذكر مرة أخرى في الآية 13:10: «وإذا مسّ الإنسان الضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً»، حيث بإدراك حقيقي للترتيب الصحيح، فالوضعية الأقل أهمية هي التي تُذكر أولاً.[1]

وهكذا يفسرّ البيضاوي الآية 188:3، المقطع المشار إليه أعلاه: «معناه يصلّون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم، لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: «صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»». لم يكن اليهود صارمين جدّاً في هذه المسألة، لكن لديهم أيضاً قاعدة بأن الصلاة يجب أن تؤدّى وقوفاً؛[2] وفي الكتابات الحاخامية يُقال أيضاً إن من يركب حماراً يجب أن ينزل عنه لكن ثمة إضافة تفيد، أنه حين لا يستطيع النزول من على الحمار فيجب أن يُيَمِّمَ وجهَه (شطر القدس).[3] وكون الوضعية الجسدية يمكن لها أن تتغيّر، كذلك فالصلاة نفسها يمكن اختصارها في مناسبات مماثلة.[4] وهكذا نجد الإذن بتقصير الصلاة في زمن الحرب: «وإذا ضربتم في الأرض،[5] فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة». كذلك فقد سُمِح لليهود أيضاً بتقصير الصلاة عندما يكونون في مكان خطير.[6] يعترض محمد تماماً على الثرثرة التي لا معنى لها، لأنه يعتبر من ميزات المؤمنين أنهم «عن اللغو معرضون».[7] وذلك

---

(1) قارن أيضاً، القرآن، 46:4.

(2) תפלה מעמד. قارن: بيراخوت، 10.

(3) مشناه بيراخوت، 5:4: היה רוכב על החמור ירד ואם אנו יכול לירר יחזיר פניו.

(4) القرآن 102:4: وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة.

(5) قارن مع التعبير المشابه بالعبرية، שוט בארץ

(6) مشناه بيراخوت، 4:4: המהלך במקום סכנה מתפלל תפלה קצרה.

(7) القرآن، 33:23.

قارن: سفر الجامعة، 1:5: אַל־תְּבַהֵל עַל־פִּיךָ וְלִבְּךָ אַל־יְמַהֵר לְהוֹצִיא דָבָר לִפְנֵי הָאֱלֹהִים כִּי הָאֱלֹהִים בַּשָּׁמַיִם וְאַתָּה עַל־הָאָרֶץ עַל־כֵּן יִהְיוּ דְבָרֶיךָ מְעַטִּים:
اِحْفَظْ قَدَمَكَ حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللّهِ فَالاِسْتِمَاعُ أَقْرَبُ مِنْ تَقْدِيمِ ذَبِيحَةِ الْجُهَّالِ لأَنَّهُمْ لاَ يُبَالُونَ بِفَعْلِ الشَّرِّ.

لأن ما يُهدف إليه هو الانتباه والتركيز التقي للفكر، كما يطلب[1] من المؤمنين أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى. هذا عملاً بالقاعدة التلمودية: «الصلاة محرمة على السكارى».[2] وهي محرّمة على أولئك الذين لامسوا النساء.[3] فهؤلاء لا يحق لهم الصلاة قبل أن يغتسلوا بالماء، فالطهارة موصى بها كقاعدة عامة من قبل القرآن[4] والتلمود. بدلًا من الماء، يمكن أن تتم الطهارة بالتراب[5] وهكذا نقرأ في التلمود: «إنه يطهر نفسه بالتراب وهذا يكفي من ثم». وكما أن تركيز الفكر محرّضٌ عليه كواجب، يعقب ذلك أن الصلاة حتى وإن كانت مسموعة يجب أن لا تكون صاخبة،[6] ومن ثم يقول محمد: «لا تجاهر بصلاتك ولا تخافت بها، وابتغ بين ذلك سبيلاً»؛ وفي التلمود نجد:[7] «من سلوك حنا الذي كان في الصلاة يحرك شفتيه نتعلّم أن من يصلّي يجب أن يتلفظ بالكلمات، وأيضاً كون صوته لم يكن مسموعاً نتعلّم أنه يجب أن لا يرفع صوته عالياً». لكن لأن مزاجنا لا يدفعنا في جميع الأوقات نحو حماسة الصلاة، فإن الطقس الخارجي ضروري، والصلاة فعليّاً ضمن جماعة كبيرة، والتي من شأن تقواها أن تحفز تقوانا.[8]

---

(1) القرآن، 46:4: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى.

(2) שכור אסור לחתפלל؛ بيراخوت، 2:331؛ عروبين، 64.

(3) القرآن، 46:4: لامستم النساء؛ 9:5؛ قارن: مشناه بيراخوت، 4:33؛ בעל קרי.

(4) القرآن، 8:5؛ بيراخوت 46.

(5) تيمّم؛ 46:4؛ 9:5؛ قارن: العبارة التلمودية מקנח בצרור ודיו.

(6) القرآن، 110:17.

(7) صموئيل الأول، 13:1: וְחַנָּה הִיא מְדַבֶּרֶת עַל־לִבָּהּ רַק שְׂפָתֶיהָ נָּעוֹת וְקוֹלָהּ לֹא יִשָּׁמֵעַ וַיַּחְשְׁבֶהָ עֵלִי לְשִׁכֹּרָה: فَإِنَّ حَنَّةَ كَانَتْ تَتَكَلَّمُ فِي قَلْبِهَا، وَشَفَتَاهَا فَقَطْ تَتَحَرَّكَانِ، وَصَوْتُهَا لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ عَالِيَ ظَنَّهَا سَكْرَى؛ بيراخوت 2:31: רַק שְׂפָתֶיהָ נָּעוֹת מכן למתפלל צריך שיחתך בשפתיו וְקוֹלָהּ לֹא יִשָּׁמֵעַ מכן למתפלל שלו ישמיע קולו.

(8) قارن: السنّة 86، 87، 88، 89.

ملاحظة من المترجم: من نقاط الضعف القليلة في هذا البحث الطليعي، افتقاد غايغر لنوع من الاطلاع غير المبسّط على السنّة النبوية وضعف توثيقه لما يورده من نصوصها. هنا، على سبيل المثال، لا نتملك الوسيلة إلى معرفة هذه النصوص.

و«الصلاة جماعة»[1] يُشاد بها كثيراً من قبل اليهود. الفجر، الذي هو مذكور في التلمود بالعلاقة مع صلاة شماع[2]، باعتباره الوقت الذي «يمكن للمرء فيه أن يميّز بين الخيط الأزرق والخيط الأبيض»،[3] لا يذكر في هذا السياق في القرآن بالفعل، لأن القرآن لا يعرف شيئاً عن صلاة شماع، لكنه يظهر في سياق بداية يوم الصوم:[4] «حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر».

ثانياً. بعض الأحكام المتعلقة بالنساء في اليهودية. من ذلك مثلاً، تربّص المرأة المطلقة ثلاثة أشهر قبل أن يمكنها أن تتزوج مرة أخرى.[5] زمن الرضاعة يعتبره الطرفان على أنه حولان.[6] «على الأمهات أن يرضعن أبناءهن حولين كاملين». وبالمثل نقرأ في الآية 14:46: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً»، وهو ما يفسره إلفيرار على النحو التالي:[7] «إنه يأخذ أقصر مدة الحمل، بمعنى، ستة أشهر،

(1) תפלה בצבור.

(2) شماع يسرائيل שְׁמַע יִשְׂרָאֵל (اسمع يا إسرائيل): أول كلمتين من مقطع من التوراة تُقالان في صلاتي الصباح والمساء اليهوديتين. النص من تثنية 4:6 وما بعد: שְׁמַע יִשְׂרָאֵל יְהוָה אֱלֹהֵינוּ יְהוָה אֶחָד׃ וְאָהַבְתָּ אֵת יְהוָה אֱלֹהֶיךָ בְּכָל־לְבָבְךָ וּבְכָל־נַפְשְׁךָ וּבְכָל־מְאֹדֶךָ׃ וְהָיוּ הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה אֲשֶׁר אָנֹכִי מְצַוְּךָ הַיּוֹם עַל־לְבָבֶךָ׃ וְשִׁנַּנְתָּם לְבָנֶיךָ וְדִבַּרְתָּ בָּם בְּשִׁבְתְּךָ בְּבֵיתֶךָ וּבְלֶכְתְּךָ בַדֶּרֶךְ וּבְשָׁכְבְּךָ וּבְקוּמֶךָ׃ וּקְשַׁרְתָּם לְאוֹת עַל־יָדֶךָ וְהָיוּ לְטֹטָפֹת בֵּין עֵינֶיךָ׃ וּכְתַבְתָּם עַל־מְזֻזוֹת בֵּיתֶךָ וּבִשְׁעָרֶיךָ׃ إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلتَكُنْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ وَقُصَّهَا عَلى أَوْلادِكَ وَتَكَلمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ. وَارْبُطْهَا عَلامَةً عَلى يَدِكَ وَلتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ. وَاكْتُبْهَا عَلى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلى أَبْوَابِكَ. ـ مترجم عربي.

(3) مشناه بيراخوت: משיכיר בין תכלת ללבן.

(4) القرآن، 183:2.

قارن الهامش في القسم الأول حول الملاحظات المتعلّقة بيوم الصوم، عاشوراء.

(5) القرآن، 228:2؛ قارن: مشناه يباموت 10:4: גרושות לו ינשאו עד שיהיו להן שלשה חדשים.

(6) القرآن، 233:22: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين؛ قارن: القرآن، 13:31.

(7) إضافة من المترجم: فاد الفقهاء من قوله تعالى وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً بأن أقل مدة للحمل

وأقصر للرضاع، أي أربعة وعشرين شهراً». قارن مع القول التلمودي:[1] «على المرأة أن ترضع ابنها حولين، وبعد ذلك يكون الأمر كما لو أن دودة هي التي ترضع». أما بالنسبة لأولئك الأقارب الذين يحظر زواجهم في الكتاب المقدس فإنهم بالتحديد أولئك الذين يسمح لهم محمد[2] بأن يروا قريباتهم الأقرب دونما حجاب وهو ما لاحظه ميخائيليس للتو في المنظومة الموسوية، حيث أظهر العلاقة بين الشرعين.

بما أنه لم يكن محمد ينوي إلا على نحو ضئيل جداً على فرض منظومة جديدة لشرائع فردية، لأن هدفه كان يركّز أكثر بكثير على نشر آراء دينية نقيّة جديدة، أما بالنسبة لمسألة الممارسة، فقد كان عربياً إلى درجة كبيرة للغاية حتى يحيد عن الأعراف الموروثة، ما لم تكن تتعارض على نحو مباشر مع هذه الآراء الدينية الرفيعة، ومن السهل تفسير كيف أن القليل جداً من الاستعارات موجودة في هذا الجزء، بل إن كثيراً مما هو مستشهد به إنما يمكن أن يُزعم أنه عرف شرقي عام. علاوة على ذلك سنجد في الملحق أن محمداً يذكر العديد من الشرائع اليهودية التي كانت معروفة من قبله؛ فهو يلمح أحياناً إلى هذه الشرائع باعتبارها ملزمة لليهود، وأحياناً لمجرد التنازع

هي ستة أشهر، وأكثر مدة للرضاع أربعة وعشرون شهراً. قال ابن عباس: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحداً وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً... وقال الشوكاني: وقد استدل بهذه الآية على أن أقل الحمل ستة أشهر، لأن مدة الرضاع سنتان، أي: مدة الرضاع الكامل، كما في قوله ـ تعالى ـ : {والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرضاعة} فذكر ـ سبحانه ـ في هذه الآية أقل مدة الحمل، وأكثر مدة الرضاع.وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم، آكد من حق الأب، لأنها هي التي حملت وليدها بمشقة ووضعته بمشقة، وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب أ.هـ طنطاوي... وقال الشنقيطي: قَوْلُهُ ـ تَعَالَى ـ : وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا.

(1) אשה מיניקה את בנה שתי שנים מכן ואילך כיונק שקץ.
قارن: يوسيفوس، عاديات، 9:2.

(2) القرآن، 31:34.

فيها، ومن هنا نرى أنه لم تكن رغبة معرفتها التي منعته عن استخدامها، بل هدف مختلف تماماً. يجب أن تنطبق هذه الملاحظة أيضاً على عنواننا الكبير الثالث، حيث لا توجد تحته سوى حالات معزولة من التبني فقط، باستثناء تلك الأوضاع التي يكون فيها الرأي مرتبطاً ارتباطاً مباشراً ببنود الإيمان العليا المتبناة عن اليهودية، والتي سبق ذكرها.

آراء الحياة

في جمعنا لتلك الأقوال المتشظية المفردة، وجدنا أنها لا تكاد تستحق أن يتم ترتيبها وفقاً لأي نظام جديد، ولذا فإننا سوف نتبع نظام القرآن.

الموت مع الصالحين يجب أن تكون له قيمته العالية، ومن هنا كان الطلب في القرآن: «توفنا مع الأبرار»،[1] جعل لنا أن نموت مع الصالحين» الذي يتوافق مع طلب بلعام، «لتمت نفسي موت المستقيمين».

«لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء اللّه».[2]

يُنسب الفهم الكامل للمرة الأولى إلى الرجل عندما يبلغ من العمر أربعين عاماً،[3] ويقال في المشناه: «في سن الأربعين يصل الرجل إلى العقل». لذلك فإن البحث عن بعض الأشخاص، الذين تنطبق عليهم هذه الجملة من القرآن، كما

---

(1) القرآن، 191:3. قارن سفر العدد: 10:23: מִי מָנָה עֲפַר יַעֲקֹב וּמִסְפָּר אֶת־רֹבַע יִשְׂרָאֵל תָּמֹת נַפְשִׁי מוֹת יְשָׁרִים וּתְהִי אַחֲרִיתִי כָּמֹהוּ: إنْ كَانَ فِيكَ رَجُلٌ غَيْرَ طَاهِرٍ مِنْ عَارِضِ اللّيْلِ يَخْرُجُ إلى خَارِجِ المَحَلةِ. لا يَدْخُل إلى دَاخِلِ المَحَلةِ.

(2) القرآن، 23:18. قارن مع التعبير العبري: אם ירצה השם.

(3) بلغ أربعين سنة. قارن: أبوت، 21:5: בן ארבעים לבינה.

كون الفهم التام لا يتم الوصول إليه حتى إكمال الأربعين من العمر هو أمر يلحظه أيضاً فيلون السكندري (εβδομάδι) συνέσεως ά κμη εκτη) δε، الذي يعتبر هنا السنة الحادية والأربعين من العمر، فقط لأنه يعلّق فضيلة خاصّة على الرقم سبعة، وهو ما يتفق سولون معه فيه. (Ed. Pfeifer, I ،72 ـ Vid. Philo, *de Opificio Mundi*, pp. 70).

يفعل المفسّرون العرب، يبدو غير ضروري تماماً؛ كذلك فهي تصبح مشكوكاً فيها للغاية من خلال الاختلافات الواسعة بين الآراء المتباينة. في القرآن نجد المقارنة بين أولئك الذين يحملون حملاً دون فهم طبيعته وأولئك الذين يحملونه دون فائدة من ناحية، والحمار الذي يحمل أسفاراً[1]. «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها».[2] هذا مشابه جداً للقول العبري: «من يطلب الرحمة لآخر بينما يحتاج هو ذاته إلى الشيء ذاته إنما يحصل على العون أولاً». في نصّ من السُنّة 689: «ثلاثة أشياء تتبع الموتى، لكن اثنين منها يرجع، عائلته، متاعه، وأعماله تتبعه. تتخلّى عنه عائلته ومتاعه مرة أخرى، ووحدها أعماله تبقى معه». وهذا أيضاً موجود بتفصيل كبير في العبرية الحاخامية:[3] «للرجل ثلاثة أصدقاء في

---

(1) القرآن، 5:62. قارن التعبير العبراني: חמור נשא ספרים. (حمور نسا سفريم: حمار يحمل أسفاراً).

(2) القرآن، 87:4. قارن مع الرسالة التلمودية بابا قما: כל המבקש רחמים על חברו הוא צריך לאותו דבר הוא נענה תחלה.

(3) برقيه دراف إليعيزر (بالآرامية التلمودية **פרקי דרבי אליעזר**)، 34: ملاحظة من المترجم: نقدّم هنا نص البرقيه، الفقرة 34، كاملاً: **ויזרע יצחק בארץ ההיא ר׳ אליעזר אומ׳ וכי זרע דגן זרע יצחק חס ושלום אלא לקח כל מעשר ממונו וזרע צדקה לעניים ולאביונים כשם שאתה אומר זרעו לכם לצדקה קצרו לפי חסד וכל דבר ודבר שעישר פתח לו הב״ה מאה שערין של מיני ברכות שנ׳ וימצא בשנה ההיא מאה שערים ר׳ שמעון אומ׳ מכח צדקות המתים עתידים להחיות מניין אנו למדין מאליהו התשבי שהלך לו לצאת וקבלתו אשה אלמנה בכבוד גדול אמו של יונה ומפיתו ומשמן יצהרו היו אוכלין ושותין הוא והיא ובנה שנ׳ ותאכל היא והוא בזכות אליהו אכלו לאחר ימים חלה בן האשה ומת שנ׳ ויהי אחרי הדברים האלה חלה בן האשה וכו׳ אמרה לו האשה באת אלי בתשמיש המטה והזכרת עוני עלי ומת בני אלא טול כל מה שהבאת לי ותן לי את בני עמד אליהו ז״ל והיה מתפלל לפני הב״ה ואמ׳ לפניו רבון כל העולמים לא די׳ כל הרעות שעברו על ראשי אלא אף האשה הזאת שאני יודע שמתוך צרת בנה דברה דבר שלא נעשה הביאה עלי לעשקני עכשו ילמדו כל הדורות שיש תחיית המתים השב הנפש הילד הזה לקרבו ונעתר לו שנ׳ וישמע ה׳ בקול אליהו וכו׳ וכתיב אחר אומ׳ ויקח אליהו את הילד וכו׳ ר׳ יהושע בן קרחה אומ׳ ועל זה אתה תמה אל תתמה בא וראה מאלישע בן שפט שלא היתה אשה יכולה להסתכל בפניו שלא תמות והיה מהלך מהר אל הר וממערה אל מערה והלך לשונם וקבלתו אשה בכבוד גדול**

אחותה של אבישג השונמית אמו של עודד הנביא שנ׳ ויהי היום ויעבור אלישע אל שונם
אמרה האשה לבעלה איש האלהים הזה אין אשה יכולה להסתכל לפניו שלא תמות אלא
נעשה נא עלית קיר קטנה ונשים לו שם מטה ושלחן וכסא ומנורה וכל פעם שהוא עובר
יסור שם אל העליה שנ׳ ויהי היום ויבא שמה קרא לשונמית שנ׳ ויאמר קרא לה ויקרא לה
ותעמוד בפתח ולמה עמד בפתח אלא שלא היתה יכולה לעמוד בפניו שלא תמות אמ׳ לה
למועד הזה כעת חיה את חובקת בן מפרי מיעיך אמרה לה אדוני זקן מאד וחדלה ממני
אורח נשים ואי אפשר לעשות הדבר הזה אל אדוני איש האלהים אל תכזב בשפחתך ר׳
זכריה אומ׳ רצון יראיו יעשה עשה הב״ה רצונו של נביא והרתה וילדה וגדל הנער ויצא לו
לפוגת נפש לראות בקוצרים וקראו אסון ומת שנ׳ ויהי היום ויצא אל אביו אל הקוצרים
הדא כלהון עד מנו שנ׳ וישב על ברכיה עד הצהרים וימת הלכה האשה להר הכרמל ונפלה
פניה רצפה לפני אלישע ואמרה הלואי שיהיה כלי ריקם אלא שנתמלא ונשפך אמ׳ הנביא
כל דבר שהב״ה עושה הוא מגיד לי וזה הדבר העלים ממני שנ׳ ותבא אל איש וכו׳ מה הוא
להדפה מלמד שנתן את ידו בהוד שעל גבי דדיה שנ׳ ויאמר איש האלהים העלים ממני
ולא אמר לי לקח את המשענת אשר בידו ונתן לגחזי אל תדבר בפיך כל דבר מאומה
דע שאתה הולך ונותן את המשענת הזאת על פני הנער ויחיה היה הדבר כשוחק בעיניו
וכל אדם שהיה פוגע היה אומ׳ התאמין שהמטה הזה מחיה את המת לפיכך לא עלתה
בידו עד שהלך הוא ברגליו ונתן פיו על פיו ועיניו על עיניו והתחיל מתפלל לפני הב״ה
ואומ׳ לפניו רבון על העולמים כשם שעשית נסים ע״י אדני אליהו והחיה את המת כך יחיה
הנער הזה ונעתר לו הב״ה שנ׳ וישב וילך בבית אחת הנה ואחת הנה ויזורר הנער עד
שבע פעמים ר׳ זעירא אומ׳ תדע לך כח הצדקה בא וראה משלום בן תקות שהיה מגדולי
הדור והיה עושה צדקות בכל יום ומה היה עושה היה ממלא את החמת מים והיה יושב
על פתח העיר וכל אדם שהיה בא מן הדרך היה משקה אותו ומשיב נפשו עליו ובזכות
צדקות שעשה שרתה רוח הקדש על אשתו שנ׳ וילך חלקיהו הכהן אל חולדה הנביאה
אשת שלום בן תקות ולמפרע נקרא שמו בן סחרה כשם שאתה אומ׳ כי טוב סחרה וכתוב
אחר אומ׳ בן סחרה וכשמת בעלה חסרה צדקות בעליה ויצאו כל ישראל לגמול חסד עם
שלום בן תקות וראו את הגדוד שבא אליהם והשליכו את האיש אל הקבר מאלישע וחיה
שנ׳ ויגע האיש וכו׳ ואחר כך הוליד את חנמאל שנ׳ הנה חנמאל בן שלום דודך וכו׳ ר׳
אליעזר אומ׳ תדע לך כח הצדקה בא וראה משאול בן קיש שהסיר את האובות והידעונים
מן הארץ וחזרו אשר שנא והלך לו לעין דור לאשת צפניה אמו של אבנר ושאלה לו באוב
והעלה את שמואל הנביא וראו המתים את שמואל עולה ועלו עמו סבורים שהגיע תחיית
המתים וראתה האשה ונבהלה הרבה מאד שנ׳ ויאמר לה המלך אל תראי כי מה ראית ויש
אומרים צדיקים רבים כיוצא בו עלו עמו באותה שעה ר׳ אליעזר אומ׳ כל המתים עומדים

בתחיית המתים לובשים תכריכהם תדע לך שהוא כן בא וראה מן הזורע בארץ שהוא
זורע ערומים ועולים לבושים כמה קלפות והיורדים לבושים אין עולין לבושים ולא עוד
אלא בא וראה מן חנניא מישאל ועזריה שירדו לתוך כבשן של אש לבושים בתכריכיהן שנ׳
ומתכנשן אחשדרפניא וכו׳ למדו משמואל הנביא שעלה והוא מעוטף מעילו שנ׳ ותאמר
איש זקן עולה והוא עוטה מעיל וכו׳ ר׳ יוחנן אומ׳ כל הנביאים נתנבאו בחייהם ושמואל
נתנבא בחייו ולאחר מותו שנ׳ שמואל לשאול אם אתה שומע לעצתי לנפול בחרב ותהא
מיתתך כפרה עליך ויהא גורלך עמי במקום שאני שמי שם ושמע שאול לעצתו ונפל בחרב
הוא וכל בניו שנ׳ וימת שאול וכ׳ בניו למה שיהא חלקו עם שמואל הנביא לעתיד לבא שנ׳
ומחר אתה ובניך עמי מה הוא עמי ר׳ יוחנן אומ׳ עמי במחיצתי הלל הזקן אומ׳ אמ׳ שמואל
לשאול לא דייך שלא שמעת בקולו ולא עשית חרון אפו בעמלק אלא גם לשאול לו באוב
ולדרוש אוי לרועה אוי לצאנו בשבילך נתן הב״ה את ישראל עמך ביד פלשתים שנ׳ ויתן
ה׳ גם את ישראל ר׳ תחנא אומ׳ גלו ישראל לבבל ולא הניחו מעשיהם הרעים אחאב בן
קולייה וצדקייה בן מעשייה נעשו רופאים רופאי שקר והיו מרפאים את נשי כשדים ובאין
עליהם בתשמיש המטה שמע המלך וצוה לשרפן אמרו שניהם יהושע בן יהוצדק נאמר
שהיה עמנו והוא מצילנו משרפת האש אמרו לו אדני המלך האיש הזה היה עמנו בכל דבר
וצוה המלך לשרוף את שלשתן וירד מיכאל המלאך והציל את יהושע בן יהוצדק משריפת
האש והעלהו לפני כסא הכבוד שנ׳ ויראני את יהושע בן יהוצדק וכו׳ ושניהם נשרפו באש
ולוקח מהם קללה אשר קללם מלך בבל באש אין כתיב כאן אלא אשר קלם הא למדנו
שנתחתו שערותיו בעונותיהם שנ׳ בגאות רשע ידלק עני וכו׳ הלא זה אוד מוצל מאש ר׳
יהושע אומ׳ כשהביא נבוכד נצר עלילות של דברים על ישראל להרגן העמיד צלם בבקעה
דורא והוציא כרוז ואמ׳ כל מי שלא ישתחוה לצלם הזה ישרף באש וישראל לא בטחו בצל
יוצרם ובאו הם ונשיהם והשתחוו לע״ז ודניאל שהיו קוראים אותו אלהיהם היה גנאי להם
לשרפו באש שנ׳ ועד אחרן וכו׳ ונטלו את חנניא מישאל ועזריה ונתנו אותם לתוך כבשן
האש ובא גבריאל המלאך והצילו מכבשן האש אמ׳ להם המלך הייתם יודעים שיש לכם
אלוה משזיב ומציל למה שבקתון לאלהיכם והשתחוו לע״ז שאין בו כח להציל אלא כדרך
שעשיתם בארצכם והחרבתם אותם כן אתם מבקשים לעשות בארץ הזאת ולהחריב
אותה וצוה המלך והרגו כלם ומניין שהיו כלם הרוגי חרב שנ׳ ויאמר אלי בן אדם הנבא
בהרוגים האלה וחיו ר׳ פינחס אומ׳ לאחר עשרים שנה שנהרגו הרוגים בבבל שרתה רוח
הקדש על יחזקאל והוציאו לבקעת דורא והראהו עצמות יבשות הרבה מאד אמ׳ לו בן
אדם מה אתה רואה אמ׳ לו אני רואה כאן עצמות יבשות אמ׳ לו יש
בי כח להחיות יותר מכאן אלא אמ׳ ה׳ אלהים אתה ידעת כאילו
לא האמין לפיכך לא נקברו אבותי״ו עצמותיו בארץ טהורה

אלא בארץ טמאה כמה דאת אמר ואתה על ארץ טמאה תמות אמ' לו רבון כל העולמים מה הנבואה מביאה עליהם עצם ובשר שאכלו מהם ומתו בארץ אחרת היתה מקרבת עצם אל עצמו ר' יהושע בן קרחא אומ' ירד עליהם ט»ל תחיית טל מן השמים וכמעיין שהוא נובע והוציא מים כך היו נובעים ועולים עליהם בשר ועצמות וגידים שנ' וראיתי והנה עליהם גידים וכו' אמ' לו הנבא אל הרוח שנ' ויאמר אלי הנבא אל הרוח מארבע רוחות באי הרוח ופחי בהרוגים האלה ויחיו באותה שעה יצאו ארבע רוחות השמים ופתחו אוצרות הנשמות והחזיר כל רוח ורוח לגוף כאשר היה שנ' והתנבאתי כאשר צוני ותבא בהם הרוח ותיו וכו' כתוב במצרים ובני ישראל פרו וישרצו וירבו ויעצמו במאד מאד מהו במאד מאד מה להלן ששים רבוא אף כאן ששים רבוא וכולהון עמדו על רגליהון חוץ מאיש אחד אמ' הנביא רבון כל העולמים מה טבו של זה האיש אמ' לו בנשך נתן ובתרבית לקח וחיה חי אני לא יחיה באותה שעה היו ישראל יושבים ובוכים ואומרין היינו מקוים לאור ובא חשך והיינו מקוים לעמוד עם כל ישראל בתחיית המתים ועכשו אבדה תקותינו היינו מקוים להתקבץ עם כל ישראל ועכשו נגזרנו לנו באותה שעה אמ' הב»ה לנביא לכן אמור אליהם חי אני שאני מעמיד אתכם בתחיית המתים לעתיד לבא ומקבץ אתכם עם כל ישראל לארץ שנ' הנה אנכי פותח את קברותיכם והעלתי אתכם ונתתי את רוחי בכם:

ملاحظة من المترجم:

برقيه الحاخام إليعيزر Rabbi Eliezer ـ Pirke de هي عمل أغادي ـ مدراشي على التوراة يتضمن تفاسير وإعادة تلاوة للقصص التوراتية. حظي هذا العمل الهام ـ موجود على الإنترنت بلغات عديدة ـ بانتشار واسع وتقدير كبير في طول التاريخ اليهودي وعرضه؛ وما زال هذا الوضع قائماً حتى يومنا الحالي. لقد اعتقد كثيرون أن البرقية عمل تنائي نشأ على يد التانًا الحاخام إليعيزر بن هيراكوس، وهو تلميذ للحاخام يوحنان بن زكّاي، ومعلّم للحاخام الشهير، عقيبا. لكن الواقع يقول إن هذا العمل الهام يتضمّن إضافات كثيرة من القرن الثامن، وكان أول من لاحظ ذلك إيزاك جوست. إذن، العمل الذي اعتُقد أنه يرجع إلى القرن الأول الميلادي حتى القرن الثالث للميلاد، يتضمن نصوصاً من أزمنة لاحقة. ففي الفصل الثلاثين، نجد حديثاً في نهايته عن ثلاثة مراحل من الغزو العربي، غزو العربية (משא בערב)، إسبانيا،(איי הי׳)، وروما (כרך גדול

حياته، عائلته، ممتلكاته، وأعماله الصالحة. وقت رحيله عن الأرض يجمع أفراد عائلته، ويقول أرجوكم، تعالوا حرروني من هذا الموت الشرير. فيجيبون: ألم تسمع[1] أن ليس لأحد سلطة على يوم الوفاة. ومكتوب أيضاً:[2] الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي اللّه كفّارة عنه؛ وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر؛ فاذهب إلى النهاية، وستستريح وتقوم لنيل نصيبك في نهاية الأيام[3]. أرجو لنصيبك أن يكون مع الأخيار. حين يرى الإنسان هذا، يجمع ثرواته ويقول لها: لقد جهدت لأجلكم ليل نهار، وأنا أصلّي لكم لتخلصوني وتفدوني من هذا الموت. لكن الجواب يكون: ألم تسمع أن الثروات لا تفيد في يوم الغضب؟[4] فيجمع أعماله الصالحة ويقول: تعالوا إذن وخلصوني من هذا الموت، ادعموني، لا تدعوني أخرج من هذا العالم، لأنكم لا تزالون تملكون أملاً بي إن أنا فُديت. فيجيبون: ادخل بسلام! لكن قبل أن تغادر سوف نسرع أمامك؛ كما هو مكتوب، ويسير برّك أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك.[5]

רומי)؛ وظهور اسمي فاطمة وعائشة، قبل اسم إسماعيل، وهو ما يوحي أن العمل نشأ حين كان الإسلام مسيطراً في آسيا الصغرى. هذا يعني أن الاستعارة لا يجب أن تكون بالضرورة من النص اليهودي إلى القرآن.

(1) جامعة، 8:8: אֵ֣ין אָדָ֞ם שַׁלִּ֤יט בָּר֙וּחַ֙ לִכְל֣וֹא אֶת־הָר֔וּחַ וְאֵ֤ין שִׁלְטוֹן֙ בְּי֣וֹם הַמָּ֔וֶת וְאֵ֥ין מִשְׁלַ֖חַת בַּמִּלְחָמָ֑ה וְלֹֽא־יְמַלֵּ֥ט רֶ֖שַׁע אֶת־בְּעָלָֽיו: لَيْسَ لإِنْسَانٍ سُلْطَانٌ عَلَى الرُّوحِ لِيُمْسِكَ الرُّوحَ وَلاَ سُلْطَانٌ عَلَى يَوْمِ الْمَوْتِ وَلاَ تَخْلِيَةٌ فِي الْحَرْبِ وَلاَ يُنَجِّي الشَّرُّ أَصْحَابَهُ.
ملاحظة من المترجم: في نص غايغر لا تُذكر الآية.

(2) مزمور، 8:99.

(3) سفر دانيال، 13:12: וְאַתָּ֖ה לֵ֣ךְ לַקֵּ֑ץ וְתָנ֛וּחַ וְתַעֲמֹ֥ד לְגֹרָלְךָ֖ לְקֵ֥ץ הַיָּמִֽין: أَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ إِلَى النِّهَايَةِ فَتَسْتَرِيحَ وَتَقُومَ لِقُرْعَتِكَ فِي نِهَايَةِ الأَيَّامِ.
إضافة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(4) سفر الأمثال، 4:11: לֹא־יוֹעִ֣יל ה֭וֹן בְּי֣וֹם עֶבְרָ֑ה וּ֝צְדָקָ֗ה תַּצִּ֥יל מִמָּֽוֶת: لَا يَنْفَعُ الْغِنَى فِي يَوْمِ السَّخَطِ أَمَّا الْبِرُّ فَيُنَجِّي مِنَ الْمَوْتِ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(5) إشعياء، 8:58.

الفصل الثاني

أفكار مستعارة من اليهودية

سوف يثبت هذا القسم أنه الأكبر، جزئياً، لأن هذه الروايات، المكسوّة بثوب الخيال الأكثر عجائبيّة، عاش معظمها في فم الشعب؛ وجزئياً، لأن هذا الشكل الخرافي جذب الهوى الشعري عند محمد، ويتناسب مع المستوى الطفولي لمعاصريه. في حالة روايات العهد القديم، التي نادراً ما تروى بشكل جدّي، بل إنها في معظمها منمقة، فإنها لا تحتاج إلى سؤال، أو أكثر الاستعلامات سطحيّة، حول ما إذا كانت قد انتقلت من اليهود إلى محمد؛ لأن المسيحيين، وهم المصدر الوحيد الممكن الذي يمكن أن تُعزى لهم هذه الروايات، فقد كان اهتمامهم ضئيلاً في تلك الأيام بالعهد القديم، لكن رواياتهم التزمت بما هو مسيحي، أي أحداث حياة يسوع، تلاميذه وأتباعه، والكمية الكبيرة ممن تلا أولئك من قديسين وصانعي عجائب، الذين منحوا لهم مواداً وفيرة لزينة متعددة الغايات. فالمسيحيون، لأنهم جميعاً قبلوا بالعهد القديم كجزء من الكتاب المقدّس، وعلى الرغم من أنه في تلك الأيام لم يظهر شك عما إذا كان عليهم أو لم يكن أن يضعوا العهد القديم بمستوى الجديد فيما يتعلق بالقداسة والإلهام الإلهي، شك دفع به إلى مقدّمة الصورة شلايرماخر على سبيل المثال في الأوقات المتأخرة، فمسيحيو تلك الفترة، كما قلت، كان لهم مع ذلك مصلحة أكثر حيوية في العهد الجديد، لأنه كان التعبير عن انفصالهم واستقلالهم. كان العهد القديم مشتركاً بينهم وبين

واليهود، وبالفعل فهم لم يستطيعوا أن ينكروا على اليهود حقّاً أكبر في حيازته، لأن اليهود كانوا يمتلكونه تماماً، وكانوا على دراية فيه بأدق التفاصيل، وهي معرفة حميمة لا يمكننا أن نأتمن بها للمسيحيين. علاوة على ذلك، فقط تلك النقاط في العهد القديم التي كانت مناسبة خصيصاً للتعاليم المسيحية إنما وجدنا أنها نادراً ما تمّ التطرّق إليها في القرآن. وهكذا، على سبيل المثال، فإن سرد إثم الزوجين الإنسانين الأولين لا يُمثّل على الإطلاق على أنه سقوط في الخطيئة، التي تنطوي على فساد كامل للطبيعة البشرية التي يجب بعد ذلك أن تُفدى، بل إن محمداً أقنع ذاته بسرد سهل، بسيط للواقعة. وقد يكون هذا مثالاً لإثبات أن الروايات المتعلقة بالأشخاص المذكورين في العهد القديم إنما هي كلّها تقريباً من أصول يهودية، وهذا سيكون أكثر وضوحاً عندما نأتي إلى التفاصيل.

وبينما ننتقل إلى تعداد القصص الفردية المستعارة، فإن الضرورة تدفعنا إلى ترتيبها بشكل ما. ليس لدينا أي سبب لترتيبها وفقاً لمصادرها، (العهد القديم، المشناه، الغمارا، مدراش، إلخ) لأنّ محمداً لم يكتسب معرفته بهذه الروايات عن أي من هذه المصادر، لكنه تعلّمها شفوياً من أولئك الذين كانوا حوله، وهكذا كانت جميعها تمتلك القيمة ذاتها بالنسبة له، وكلها كانت تسمّى كتابيّة. علاوة على ذلك، يجب ألا نولي أي اهتمام لمحتوياتها، لأن هذه القصص لا تقدّم على أنها داعمة لأية عقائد إسلامية لكنها تُقتبس فقط كسجلات لحقائق التاريخية؛ وحتى في تلك الحالات التي يقصد منها أن تضع عقيدة، فالأمر يكون دائماً تقريباً عن عقيدة وحدانية اللّه، أو عن عقيدة قيامة الأموات. ولذلك، فإنه من المستحسن أن تُرتّب ترتيباً زمنياً، والذي يعني أنه سيكون من الأكثر سهولة الاعتراف بالعديد من المفارقات التاريخية فيما بينها. فإما أن محمداً لم يكن يعرف تاريخ الأمة اليهودية، وهو أمر محتمل جداً، أو أن سرده لم يتناسب مع

هدفه، لأنه لمرة واحدة فقط يُلخّص التاريخ بمجمله في نبذة مختصرة،[1] فلا تذكر سوى الأحداث التي وقعت في حياة عدد قليل من الأشخاص. وفي هذا الترتيب الزمني علينا أن نولي اهتماماً للأهمية الشخصية للأفراد أكثر من أي تغييرات في وضع وظروف الأمة، ومن ثم ففي هذا الترتيب سيكون لدينا الأقسام التالية: 1. الآباء. 2. موسى. 3. الملوك الثلاثة الذين حكموا المملكة المقسّمة، أي شاؤول، داود، وسليمان. و4. القديسون الذين عاشوا بعدهم.

الجزء الأول

الآباء ـ البطاركة: آ. من آدم إلى نوح

أعطى الحدث الكبير الذي تجلّى بخلق الإنسان الأول مناسبة للكثير من التزويقات الشعرية. قبل ظهور آدم، تصاعدت غيرة الملائكة، الذين تشاوروا ضد خلقه، فأخزاهم اللّه من خلال منحه آدم معرفة أغنى من التي لدى أي منهم. في القرآن لدينا الوصف التالي:[2] «وإذا قال ربّك للملائكة: إني جاعل في الأرض

(1) القرآن، 4:17 ـ 8. وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا. ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا.
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً. ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا. عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا.
ملاحظة من المترجم. ترقيم غايغر لآيات القرآن يختلف عن الترقيم الإسلامي. وإذا كان تلميذ غايغر، شباير، قال إنه اعتمد ترقيم الباحث الألماني البارز للقرآن، غوستاف ليبرشت فلوغيل، (1802 Gustav Leberecht Flügel ـ 1870)، فإنه يصعب التحقق من الرأي بأن غايغر اعتمد الترقيم ذاته؛ أقلّه أن فلوغيل نشر تحريره للقرآن عام 183344.
الآيات المضافة آنفاً غير موجودة في نص غايغر.

(2) القرآن، 28:2 ـ 32. ملاحظة من المترجم: الترقيم بحسب غايغر.

خليفة؛ قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؛ قال: إني أعلم ما لا تعلمون. وعلّم آدم الأسماء كلّها، ثم عرضهم على الملائكة؛ فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما عَلَّمْتَنَا، إنك أنت العليم الحكيم. قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلمّا أنبأهم بأسمائهم؛ قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون؟» يمكن ترجمة المقطع العبري المتطابق مع النص أعلاه على النحو التالي:[1] عندما أراد القدوس، المبارك خلق الإنسان، استشار الملائكة

(1) ملاحظة من المترجم: نقدّم النص هنا كاملًا من مدراش راباه على العدد:
שָׁלַח לוֹ לֹא הָיָה לְךָ תַּכְרִיכִין לִקְבֹּר אֶת מֵתֶיךָ, הֲרֵי לְךָ הֵן וְתַכְרִיכֵיהֶן. (מלכים א ה, יא): וַיֶּחְכַּם מִכָּל הָאָדָם, אָדָם הָרִאשׁוֹן מֶה הָיְתָה חָכְמָתוֹ, אַתְּ מוֹצֵא כְּשֶׁבִּקֵּשׁ הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא לִבְרֹאת אֶת הָאָדָם נִמְלַךְ בְּמַלְאֲכֵי הַשָּׁרֵת, אָמַר לָהֶם (בראשית א, כו): נַעֲשֶׂה אָדָם בְּצַלְמֵנוּ, אָמְרוּ לְפָנָיו (תהלים ח, ה): מָה אֱנוֹשׁ כִּי תִזְכְּרֶנּוּ. אָמַר לָהֶם אָדָם שֶׁאֲנִי רוֹצֶה לִבְרֹאת חָכְמָתוֹ מְרֻבָּה מִשֶּׁלָּכֶם, מֶה עָשָׂה כִּנֵּס כָּל בְּהֵמָה חַיָּה וָעוֹף וְהֶעֱבִירָן לִפְנֵיהֶם, אָמַר לָהֶם מַה שְּׁמוֹתָן שֶׁל אֵלּוּ, לֹא יָדְעוּ. כֵּיוָן שֶׁבָּרָא אָדָם הֶעֱבִירָן לְפָנָיו אָמַר לוֹ מַה שְּׁמוֹתָן שֶׁל אֵלּוּ, אָמַר, לָזֶה נָאֶה לִקְרוֹת שׁוֹר, וְלָזֶה אֲרִי, וְלָזֶה סוּס, וְלָזֶה חֲמוֹר, וְלָזֶה גָּמָל, וְלָזֶה נֶשֶׁר, שֶׁנֶּאֱמַר (בראשית ב, כ): וַיִּקְרָא הָאָדָם שֵׁמוֹת. אָמַר לוֹ וְאַתָּה מַה שְּׁמֶךָ, אָמַר לוֹ אָדָם, לָמָּה, שֶׁנִּבְרֵאתִי מִן הָאֲדָמָה. אָמַר לוֹ הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אֲנִי מַה שְּׁמִי, אָמַר לוֹ ה', לָמָּה, שֶׁאַתָּה אָדוֹן עַל כָּל הַבְּרִיּוֹת, הַיְינוּ דִּכְתִיב (ישעיה מב, ח): אֲנִי ה' הוּא שְׁמִי, הוּא שְׁמִי שֶׁקָּרָא לִי אָדָם הָרִאשׁוֹן, הוּא שְׁמִי שֶׁהִתְנֵיתִי בֵּינִי לְבֵין עַצְמִי, הוּא שְׁמִי שֶׁהִתְנֵיתִי בֵּינִי לְבֵין בְּרִיּוֹתַי. (מלכים א ה, יא): מֵאֵיתָן הָאֶזְרָחִי, זֶה אַבְרָהָם, שֶׁנֶּאֱמַר (תהלים פט, א): מַשְׂכִּיל לְאֵיתָן הָאֶזְרָחִי. (מלכים א ה, יא): הֵימָן, זֶה מֹשֶׁה, שֶׁנֶּאֱמַר (במדבר יב, ז): לֹא כֵן עַבְדִּי מֹשֶׁה וגו'. (מלכים א ה, יא): וְכַלְכֹּל, זֶה יוֹסֵף, שֶׁנֶּאֱמַר (בראשית מז, יב): וַיְכַלְכֵּל יוֹסֵף וגו', אָמְרוּ הַמִּצְרִיִּים כְּלוּם מָלַךְ עָלֵינוּ עֶבֶד זֶה אֶלָּא בְּחָכְמָתוֹ, מֶה עָשׂוּ לוֹ הֵבִיאוּ שִׁבְעִים פִּתְקִין וְכָתְבוּ עֲלֵיהֶם שִׁבְעִים לָשׁוֹן וְהָיוּ מַשְׁלִיכִין אוֹתָן לְפָנָיו וְקוֹרֵא כָּל אֶחָד וְאֶחָד בִּלְשׁוֹנוֹ, וְלֹא עוֹד אֶלָּא שֶׁהָיָה מְדַבֵּר בִּלְשׁוֹן הַקֹּדֶשׁ שֶׁלֹּא הָיָה בָּהֶן כֹּחַ לִשְׁמֹעַ, שֶׁנֶּאֱמַר (תהלים פא, ו): עֵדוּת בִּיהוֹסֵף שָׂמוֹ שְׂפַת לֹא יָדַעְתִּי אֶשְׁמָע. (מלכים א ה, יא):

الخدم. قال لهم: نريد أن نصنع إنساناً على صورتنا[1]! فقالوا له: ما الإنسان حتى تذكره؟[2]. ما هي خاصيته؟ فقال: حكمته أعظم من حكمتكم. فأحضر أمامهم الوحوش، الماشية، والطيور، وسألهم عن أسمائهم، لكنهم لم يعرفوها. وما إن خلق الإنسان، حتى جعل الحيوانات تمرّ أمامه، وسأله عن أسمائهم، فأجاب: هذا ثور، ذاك حمار، هذا حصان، وذاك جمل. وماذا تُدعى أنت؟ قال: آدم! ولماذا؟ لأني خلقت من أدمة الأرض. وأنت الرب، لأنك تتحكّم في كل خلائقك. عن هذه الأسطورة نشأت أسطورة أخرى[3] تقول إن اللّه، بعد خلق الإنسان، أمر الملائكة أن يسجدوا له، فسجدوا كلّهم له إلا إبليس،[4] الشرير. والأسطورة تحمل علامات لا لبس فيها لنوع من التطوير المسيحي، بحيث أنّ آدم يمثّل في البداية كإله ـ

قارنْ أيضاً مدراش راباه على التكوين، المقطعان 8 و17؛ وكذلك انظر أيضاً، سنهدرين 38. النصوص موجودة كلها على الإنترنت.

(1) سفر التكوين، 26:1: וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים נַעֲשֶׂה אָדָם בְּצַלְמֵנוּ כִּדְמוּתֵנוּ וְיִרְדּוּ בִדְגַת הַיָּם וּבְעוֹף הַשָּׁמַיִם וּבַבְּהֵמָה וּבְכָל־הָאָרֶץ וּבְכָל־הָרֶמֶשׂ הָרֹמֵשׂ עַל־הָאָרֶץ׃
وَقَالَ اللّهُ: ((نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ)).
ملاحظة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(2) المزمور، 5:8: מָה־אֱנוֹשׁ כִּי־תִזְכְּרֶנּוּ וּבֶן־אָדָם כִּי תִפְקְדֶנּוּ׃ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير مذكورة في نص غايغر.

(3) القرآن، 10:7 ـ 18؛ 28:15 ـ 44؛ 63:17 ـ 68؛ 48:18؛ 115:20؛ 71:38 ـ 86.

(4) إبليس διάβολος .

ملاحظة من المترجم: الأرجح أن إبليس العربية مشتقة من ديابولوس اليونانية، التي تعني المتهم، المفتري...! ديابولوس مذكور في النص اليوناني لسفر الرؤيا:.και εβληθη ο δρακων ο μεγας ο οφις ο αρχαιος ο καλουμενος διαβολος και ο σατανας ο πλανων την οικουμενην ολην εβληθη εις την γην και οι αγγελοι αυτου μετ αυτου εβληθησαν: فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ.

إنسان، يستحق التأليه ـ وهو ما كان اليهود بعيدين للغاية عن تأكيده.[1] والحقيقة أنه في الكتابات اليهودية يتم الحديث عن الشرف العظيم الذي أظهره الملائكة لآدم، ولكن هذا لم يصل إلى حد التأليه؛ وفي الواقع عندما كان هذا سيحدث ذات مرة خطأً، فإن اللّه يحبط العمل. ونجد في سنهدرين 29،[2] «جلس آدم في جنة عدن، وكانت الملائكة تشوي اللحم له، وتعدّ له النبيذ البارد»؛ وفي مقطع آخر، يقال،[3] «بعد أن خلق اللّه الإنسان، ضلّت الملائكة فيما يتعلّق به، وأرادت أن تقول أمامه، أيها القدّوس؛ عندئذٍ سمح اللّه للنوم بأن يقع عليه، فعرفوا كلّهم أنه كان من التراب». من أجل إثبات الأصل المسيحي لهذه الرواية يجب أن نعول على حقيقة أن الاسم الذي يطلقه المسيحيون على الشرير هو الاسم المستخدم في جميع المقاطع المشار إليها بدلاً من الاسم العبري العام.[4] من هذا الحدث وفقاً لمحمد تنشأ كراهية الشرير للجنس البشري، لأنه بسبب الجنس البشري صار ملعوناً من اللّه؛ وهكذا كان أول عمل له أن يشير على

---

(1) إن أسطورة رفض الشيطان السجود لآدم، التي أقدّمها كأسطورة مسيحية، إنما وجدت من قبل تسونتس، (*Die Die gottesdienstlichen Vorträge der Juden historisch entwickelt*) u. ـ : ein Beitrag zur Alterthumskunde u. biblischen Kritik، zur Literatur Sammlung، ـ Religionsgeschichte. Berlin : Asher، 1832. Digital Form Freimann Frankfurt.). في مخطوطة لمدراش حاخام موشيه هادرشان، الذي عاش في القرن الحادي عشر.

(2) אדם הראשון מסב בגן עדן היה והיו מלאכי השרת צולין לו בשר ומצננין לו יין.

(3) مدراش راباه على التكوين، الفقرة 8:

בְּשָׁעָה שֶׁבָּרָא הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אֶת אָדָם הָרִאשׁוֹן, טָעוּ בוֹ מַלְאֲכֵי הַשָּׁרֵת וּבִקְּשׁוּ לוֹמַר לְפָנָיו קָדוֹשׁ. מֶה עָשָׂה הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא, הִפִּיל עָלָיו תַּרְדֵּמָה וְיָדְעוּ הַכֹּל שֶׁהוּא אָדָם.

ملاحظة من المترجم: نص المدراش راباه موجود على الإنترنت كاملاً: /https://www.sefaria.org lang=bi?13 ـ Bereishit_Rabbah.8.1

(4) إبليس (διάβολος) بدلًا من الشيطان (שטן).

الإنسان في جنّة عدن[1] أن يأكل من شجرة المعرفة.[2] في هذا السرد يعطى الشرير مرة أخرى اسمه العبري،[3] لكن التفسير الأول للإغواء من خلال الأفعى باعتباره يأتي من الشرير إنما يبدو مسيحياً تماماً، إذ لا توجد إشارة كهذه في الكتابات اليهودية القديمة؛ والمقطع المذكور أدناه يمكن اعتباره مجرد إشارة بسيطة:[4] «من بداية الكتاب إلى هذه النقطة[5] لا نجد سامخ. مع ذلك فحالما خُلقت المرأة، خُلق الشيطان (بالحرف الأول سين مثل سامخ) أيضاً». مع ذلك فإننا نجد في أحد الأسفار، على الرغم من أنه مزوّر، إلا أنه بلا شكّ قديم،[6] النص التالي: «سمائيل، الأمير العظيم في السماء، أخذ أصحابه ونزل ليتفقد مخلوقات اللّه؛ فلم يجد من هو أخبث حكمة من الحيّة، فركبها، وكل ما قالته أو فعلته إنما كان بتحريض من سمائيل».[7] وهذه أسطورة، حتى لو لم تكن يهوديّة كلياً،

---

(1) لم يستخدم اسم العلم هذا قط من قبل محمد في هذه القصّة؛ فهو يستخدم في طول القصة وعرضها الاسم جنّة فحسب، والذي يُظهر تماماً أن اليهود عرفوا جيداً الفارق بين مسكن أول أبوين للبشرية والفردوس.

(2) القرآن، 18:7 ـ 25؛ 115:20 ـ 127.

(3) الشيطان.

(4) مدراش راباه على تكوين، الفقرة 17: מִתְּחִלַּת הַסֵּפֶר וְעַד כָּאן אֵין כְּתִיב סָמֶ״ךְ, כֵּיוָן שֶׁנִּבְרֵאת נִבְרָא שָׂטָן עִמָּהּ..

(5) سفر التكوين، 21:2: וַיַּפֵּל יְהוָה אֱלֹהִים ׀ תַּרְדֵּמָה עַל־הָאָדָם וַיִּישָׁן וַיִּקַּח אַחַת מִצַּלְעֹתָיו וַיִּסְגֹּר בָּשָׂר תַּחְתֶּנָּה: فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْماً.

(6) برقيه الحاخام إليعيزر: היה סמאל השר הגדול שבשמים לקח את חכת שלו וירד ויאה כל הבריות שברא הקדוש ברוך הוא ואל מצא חכם להרע כנחש עלה ורכב עליו וכל דבריו שדכר לו דבר ולא עשה אלא מעתו של סמאל.

(7) الفحوى ذاتها نجدها عند محمد بن قيس (انظر إلفيرار في تفسيره للآية 7:21): ناداه ربّه: يا آدمُ! لِمَ أكلت منها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ! لقد أطعمتني حواء! قال لحواء: لِمَ أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحيّةّ! قال للحيّة: لِمّ أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس.

انظر، أبو الفداء، *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، p.12؛

ملاحظة من المترجم: في تفسير البغوي، نقرأ: قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم أكلت منها

إلا إنه على ما يبدو فإن محمداً أخذها عن اليهود. وفي تفاصيل هذا السرد نجد بعض الارتباك بين شجرة المعرفة وشجرة الحياة. فالأولى وحدها مذكورة في العهد القديم على أنها محرّمة من قبل اللّه،[1] وقد حرّضت الحية حواء على أن

وقد نهيتك؟ قال: رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، فقال اللّه تعالى: أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة فتدمين كل شهر، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين على بطنك ووجهك، وسيشدخ رأسك من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون مدحور.

في تاريخ أبي الفداء، نقرأ: ذكر آدم عليه السلام وبنيه إلى نوح عليه السلام:

من الكامل لابن الأثير، قال: قال النبي صلى اللّه عليه وسلم إن اللّه تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، ومنهم السهل والحزن وبين ذلك، وإنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وخلق اللّه تعالى جسد آدم، وتركه أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة ملقى بغير روح، وقال اللّه تعالى للملائكة: {إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين} [الحجر: 29] فلما نفخ الروح، فسجد له الملائكة كلهم أجمعون {إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين} [البقرة: 34] ولم يسجد كبراً وبغياً وحسداً، فأوقع اللّه تعالى على إبليس اللعنة والإياس من رحمته، وجعله شيطاناً رجيماً، وأخرجه من الجنة بعد أن كان ملكاً على سماء الدنيا والأرض، وخازناً من خزان الجنة، وأسكن اللّه تعالى آدم الجنة، ثم خلق اللّه تعالى من ضلع آدم حواء زوجته، وسميت حواء لأنها خلقت من شيء حي. فقال اللّه تعالى له: {يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} [البقرة: 35] ثم إن إبليس أراد دخول الجنة ليوسوس لآدم، فمنعته الخزنة، فعرض نفسه على الدواب أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجه، فكل الدواب أبى ذلك غير الحية، فإنها أدخلته الجنة بين نابيها، وكانت الحية إذ ذلك على غير شكلها الآن، فلما دخل إبليس الجنة وسوس لآدم وزوجه، وحسن عندهما الأكل من الشجرة التي نهاهما اللّه عنها، وهي الحنطة، وقرر عندهما أنهما إن أكلا منها خلدا، ولم يموتا، فأكلا منها، فبدت لهما سوءاتهما، فقال اللّه تعالى: {اهبطوا بعضكم لبعض عدو} [الأعراف: 24] آدم وإبليس والحية، وأهبطهم اللّه من الجنة إلى الأرض، وسلب آدم وحواء كل ما كان فيه من النعمة والكرامة

سفر التكوين، 22:3: إضافة من المترجم، نص الآية: וַיֹּאמֶר ׀ יְהוָה אֱלֹהִים הֵן הָאָדָם הָיָה כְּאַחַד מִמֶּנּוּ לָדַעַת טוֹב וָרָע וְעַתָּה ׀ פֶּן־יִשְׁלַח יָדוֹ וְלָקַח גַּם מֵעֵץ הַחַיִּים וְאָכַל וָחַי לְעֹלָם׃ وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: ((هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ)).

(1) سفر التكوين، 17:2؛ و5:3: إضافة من المترجم: نص الآيتين: וּמֵעֵץ הַדַּעַת טוֹב וָרָע לֹא תֹאכַל מִמֶּנּוּ כִּי בְּיוֹם אֲכָלְךָ מִמֶּנּוּ מוֹת תָּמוּת׃ وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ

تأكل من هذه الشجرة فحسب. وبعد وقوع الخطيئة، نجد أن الخوف المذكور أن لا يأكل البشر من شجرة الحياة ويعيشوا إلى الأبد.[1] ومحمد يخلط بين الاثنتين. ففي أحد المقاطع يضع في فم الشرير القول بأن البشر من خلال الأكل من هذه الشجرة سيصبحون «ملائكة»، أو «خالدين»[2]، لكنه في مقطع آخر لا يذكر سوى شجرة الخلود.[3] ويتم حذف كل ما تبقى من تاريخ الزوجين الإنسانيين الأولين، عدا حدث واحد فقط في حياة قابيل وهابيل يتمّ تصويره. وهذا مصوّر بالنسبة لنا بألوانه اليهودية تماماً. وفي هذا المقطع، كما بالفعل في القرآن كله، يطلق عليها اسم ابني آدم، لكن في كتابات عربية لاحقة[4] يُطلق عليما الاسمين

مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ؛ כִּי יֹדֵעַ אֱלֹהִים כִּי בְּיוֹם אֲכָלְכֶם מִמֶּנּוּ וְנִפְקְחוּ עֵינֵיכֶם וִהְיִיתֶם כֵּאלֹהִים יֹדְעֵי טוֹב וָרָע: بَلِ اللّٰهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللّٰهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ.

(1) سفر التكوين، 22:3: וַיֹּאמֶר ׀ יְהוָה אֱלֹהִים הֵן הָאָדָם הָיָה כְּאַחַד מִמֶּנּוּ לָדַעַת טוֹב וָרָע וְעַתָּה ׀ פֶּן־יִשְׁלַח יָדוֹ וְלָקַח גַּם מֵעֵץ הַחַיִּים וְאָכַל וָחַי לְעֹלָם: وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: ((هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ)).

(2) القرآن، 19:7: ملكان أو من الخالدين.

(3) القرآن، 118:20؛ شجرة الخلد.

(4) انظر من أجل قابيل وهابيل، أبو الفداء، *Historica Anteislamica*، Fleischer،s editon، p. 12.

ملاحظة من المترجم: نص أبو الفداء: «ولما هبط آدم إلى الأرض، كان له ولدان: هابيل وقابيل. ويسمى قابيل قايين أيضاً، فقرب كل من هابيل وقابيل قرباناً، وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيل هابيل، وقيل بل كان لقابيل أخت توءمة، وكانت أحسن من توءمة هابيل، وأراد آدم أن يزوج توءمة قابيل بهابيل، وتوءمة هابيل بقابيل، فلم يطلب لقابيل ذلك، فقتل أخاه هابيل، وأخذ قابيل، توءمته، وهرب بها».

يلفت Barthélemy d’Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient* الانتباه إلى احتمالية أن يكون في الكلمة قابيل اشتقاق من الفعل قَبَلَ. قارن نص التكوين، 1:4: [النص مُضاف من المترجم العربي]: וְהָאָדָם יָדַע אֶת־חַוָּה אִשְׁתּוֹ וַתַּהַר וַתֵּלֶד אֶת־קַיִן וַתֹּאמֶר

قابيل وهابيل، واللذين يُختاران كما هو واضح بدافع الحب للأصوات المتناغمة. والحدث الوحيد المذكور هو القربان الذي يقدمانه والقتل الذي أدى إليه ذلك.(1) يجعل محمد الاثنين يدخلان في حوار قبل القتل، وهو حوار يُقدّم في الترغوم الأورشليمي(2) على قول كلمات التكوين، «قال قايين لهابيل شقيقه». ومع ذلك، فمادة المحادثة تُعطى على نحو مختلف للغاية بين الحالتين إلى درجة أننا لا

קָנִיתִי אִישׁ אֶת־יְהוָה: وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: ((اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ)).

ملاحظة من المترجم: كأسطورة عبرانية اخترقت القرآن، نعتقد أنّ هذه الأسطورة تعبير عن هزيمة ثقافة الرعي، ممثلة بهابيل، أمام الثقافة الزراعية، ممثلة بقابيل. الثقافة الرعوية، التي هي البيئة الحاضنة للفكر العبراني الأوّلي، هي أيضاً البيئة الحاضنة لعبادة يهوه، الإله الرعوي بامتياز؛ وحين يقبل يهوه بقربان هابيل ويرفض قربان قابيل، فتلك إشارة إلى أن يهوه يتبنى المجتمع الرعوي. مع ذلك، ورغم رفض يهوه للمجتمع الزراعي، فهو يقف مكتوف اليدين أمام اجتياح المجتمع الزراعي للمجتمع الرعوي. قابيل، المجتمع الزراعي، ملعون من يهوه لكنه الأقوى في صراع الحضارتين. أما بالنسبة للتسمية، قابيل، فهي أحد أخطاء محمد الميثولوجية، وما أكثرها. قابيل هو التسمية الخطأ لقايين، وقصة قَبَلَ غير واردة هنا، لأن يهوه لم يقبل تقدمة الزراعيين.

(1) سفر التكوين، 3:9 ـ 9: ملاحظة من المترجم: الآيات غير موجودة في نص غايغر: וַיְהִי מִקֵּץ יָמִים וַיָּבֵא קַיִן מִפְּרִי הָאֲדָמָה מִנְחָה לַיהוָה: וְהֶבֶל הֵבִיא גַם־הוּא מִבְּכֹרוֹת צֹאנוֹ וּמֵחֶלְבֵהֶן וַיִּשַׁע יְהוָה אֶל־הֶבֶל וְאֶל־מִנְחָתוֹ: וְאֶל־קַיִן וְאֶל־מִנְחָתוֹ לֹא שָׁעָה וַיִּחַר לְקַיִן מְאֹד וַיִּפְּלוּ פָּנָיו: וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־קָיִן לָמָּה חָרָה לָךְ וְלָמָּה נָפְלוּ פָנֶיךָ: הֲלוֹא אִם־תֵּיטִיב שְׂאֵת וְאִם לֹא תֵיטִיב לַפֶּתַח חַטָּאת רֹבֵץ וְאֵלֶיךָ תְּשׁוּקָתוֹ וְאַתָּה תִּמְשָׁל־בּוֹ: וַיֹּאמֶר קַיִן אֶל־הֶבֶל אָחִיו וַיְהִי בִּהְיוֹתָם בַּשָּׂדֶה וַיָּקָם קַיִן אֶל־הֶבֶל אָחִיו וַיַּהַרְגֵהוּ: וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־קַיִן אֵי הֶבֶל אָחִיךָ וַיֹּאמֶר לֹא יָדַעְתִּי הֲשֹׁמֵר אָחִי אָנֹכִי: وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَاناً لِلرَّبِّ: وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ: وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدّاً وَسَقَطَ وَجْهُهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: ((لِمَاذَا اغْتَظْتَ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ. وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا)). وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: ((أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟)) فَقَالَ: ((لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟)). قارن: القرآن، 30:3 ـ 36.

(2) المسمّى عموماً، يوناثان المنحول.

نعتبر أن الأمر يستحق مقارنة المقطعين عن كثب. وبعد القتل، وفقاً للقرآن، أرسل الله غراباً الذي نبش الأرض ليظهر لقابيل كيف يدفن هابيل. ما يعزى هنا إلى قابيل ينسبه اليهود إلى والديه، وفي نص حاخامي نجد المقطع التالي:[1] «جلس آدم وشريكته يبكيان ويندبانه (هابيل) ولم يعرفا ماذا يفعلان به، حيث كان الدفن غير معروف لها، ثم جاء غراب، والذي كان رفيقه ميتاً، فأخذ جسمه، نبش في الأرض وأخفاه من أمام أعينهما. فقال آدم، سأفعل كما فعل هذا الغراب، وللتو أخذ جثمان هابيل، فحفر في الأرض وأخفاه. في القرآن تعقب آية[2] والتي تبدو، دون معرفة بالمصدر الذي جاءت منه، أنه ليس لها علاقة بما جاء قبلها، لكن التي سوف تكون واضحة عبر التفسير التالي. الآية وفقاً لترجمتي تقول ما يلي: «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً». يُدرك المرء هنا أن ما من علاقة على الإطلاق، حين لا يأخذ بعين الاعتبار المقطع العبري التالي:[3] «نجد أنه يُقال في قضية قايين الذي قتل شقيقه: صوت دماء

(1) برقيه الحاخام إليعيزر، الفصل 21: הוא אדם ועזר ובוכים ומתאבלים עליו ולא היו ידעים מה לעשות לחבל שלא היו נחונים בקבורה בא ערב אחד שמת לו אחד מחחבריו לקח אותו וחפר בארץ וממנח לעיניהם אמר אדם כעורב אני עשח מיד לקח נבלתו של הבל וחפר בארץ וממנה.

(2) القرآن، 35:5.

(3) مشناه سنهدرين، 5:44: מָצִינוּ בְקַיִן שֶׁהָרַג אֶת אָחִיו, שֶׁנֶּאֱמַר (בראשית ד) דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים, אֵינוֹ אוֹמֵר דַּם אָחִיךָ אֶלָּא דְּמֵי אָחִיךָ, דָּמוֹ וְדַם זַרְעִיּוֹתָיו. דָּבָר אַחֵר, דְּמֵי אָחִיךָ, שֶׁהָיָה דָמוֹ מֻשְׁלָךְ עַל הָעֵצִים וְעַל הָאֲבָנִים. לְפִיכָךְ נִבְרָא אָדָם יְחִידִי, לְלַמֶּדְךָ, שֶׁכָּל הַמְאַבֵּד נֶפֶשׁ אַחַת מִיִּשְׂרָאֵל, מַעֲלֶה עָלָיו הַכָּתוּב כְּאִלּוּ אִבֵּד עוֹלָם מָלֵא.

ملاحظة من المترجم: نص المشناه سنهدرين موجود بالكامل على الإنترنت؛ https://www.sefaria.org/Mishnah_Sanhedrin.1.1 _ 6?lang=he&with=all&lang2=he.

أخيك صارخ.[1] وهنا لا يُقال دم بالمفرد، بل دم بالجمع، أي دمه ودماء ذريته. لقد خُلق الإنسان بالمفرد من أجل إظهار أن من يقتل فرداً واحداً، يجب أن يُحسب أنه ذبح السلالة كلها؛ أما من يحفظ حياة فرد واحد فإنه يحسب وكأنه حافظ على السلالة كلها». من خلال هذه المقارنة يتضح لنا ما الذي أدى بمحمد إلى هذا النوع من الاستطراد؛ فمن الواضح أنه تلقى هذه القاعدة من رواته حين قصّوا على مسمعه هذا الحدث الخاص. تلميح آخر لقابيل نجده في القرآن في مقطع حيث يُدعى الإنسان «الذي أضل من الأنس».[2] ولم يذكر أي شخص آخر من هذه الفترة باستثناء إدريس[3] الذي هو، وفقاً للمفسّرين، أخنوخ. وهذا

(1) سفر التكوين، 10:4: וַיֹּאמֶר מֶה עָשִׂיתָ קוֹל דְּמֵי אָחִיךָ צֹעֲקִים אֵלַי מִן־הָאֲדָמָה׃ فَقَالَ: مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. ليس دم דם (بالمفرد)، بل دمي דמי (بالجمع). قارن ترجمة أونقلوس.

ملاحظة من المترجم: ترغوم [ترجمة] أونقلوس תרגום אונקלוס هو الترجمة الآرامية البابلية الشرقيّة الرسمية للتوراة.

(2) القرآن، 92:41.

(3) القرآن، 57:19، 58؛ 85:21، 86.

يقول إلفيرار في تعليقه على القرآن، 57:19: وهو جد أبي نوح واسمه أخنوخ؛ لكن أبو الفداء في تاريخه يلفظ الاسم حنوخ، ويقول معبّراً عن ذلك بوضوح: بحاء مهملة ونون وواو وحاء معجمة. ليضيف لاحقاً: وأما حنوخ وهو إدريس.

ملاحظات من المترجم: نص أبو الفداء المتعلق بإدريس الذي بحوزتنا: وأما حنوخ، وهو إدريس، فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاثمائة وخمس وستون سنة، رفعه اللّه إلى السماء، فكان ذلك لمضي ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ، قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة، ونبأ اللّه إدريس المذكور، وانكشفت له الأسرار السماوية، وله صحف، منها: لا ترموا أن تحيطوا باللّه خبرة، فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين إلا من آثاره.

وأما متوشلح بن حنوخ فإنه توفي لمضي ستمائة سنة من عمر نوح، وذلك عند ابتداء مجيء الطوفان.

وكان عمر متوشلح لما توفي، تسعمائة وتسعاً وستين سنة، ولما صار لنوح خمسمائة سنة من العمر، ولد له: سام وحام ويافث.

من تفسير البغوي: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (56)

قوله عز وجل (واذكر في الكتاب إدريس) وهو جد أبي نوح واسمه «أخنوخ» سمي إدريس لكثرة

يبدو محتملاً من الكلمات،[1] «ورفعناه مكاناً عالياً»، وأيضاً من الكتابات اليهودية التي تحسبه ضمن تسعة ذهبوا إلى الجنة أحياء. يبرز جلال الدين هذه المسألة بشكل أوضح حين يقول إنه[2] «عاش في الجنة التي جيء به إليها بعد أن ذاق

درسه الكتب. وكان خياطاً وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار وأول من نظر في علم النجوم والحساب، (إنه كان صديقاً نبياً).

ثمة أسفار عديدة تُعتبر منحولة حول أخنوخ [إدريس] أشهرها سفر أخنوخ الإثيوبي، الذي ترجمناه وشرحناه دون أن ننشره، ويتضمن كثيراً من التداعيات مع أسطورة الإسراء والمعراج الإسلامية.

(1) القرآن، 58:19. قارن سفر التكوين، 24:5: וַיִּתְהַלֵּךְ חֲנוֹךְ אֶת־הָאֱלֹהִים וְאֵינֶנּוּ כִּי־לָקַח אֹתוֹ אֱלֹהִים׃ وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللّٰهِ وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللّٰهَ أَخَذَهُ.
رسالة دريخ أرص في مدراش يلقوط، الفصل 42.

(2) في Maraccio: هو حي في الجنة، أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيى، ولم يخرج منها.
إضافة من المترجم: المفسّرون وأسطورة إدريس:
تفسير ابن كثير:
ذكر إدريس عليه السلام بالثناء عليه، بأنه كان صدِّيقاً نبياً، وأن الله رفعه مكاناً علياً. وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ به في ليلة الإسراء، وهو في السماء الرابعة. وعن ابن عباس: أن إدريس كان خياطاً فكان لا يغرز إبرة إلا قال سبحان الله، فكان يمسي حين يمسي وليس في الأرض أحد أفضل عملاً منه، وقال مجاهد في قوله {ورفعناه مكانا عليا} قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى. وقال سفيان، عن مجاهد {ورفعناه مكانا عليا} قال: السماء الرابعة، وقال الحسن وغيره في قوله {ورفعناه مكانا عليا} قال: الجنة.
تفسير الجلالين:
{ورفعناه مكانا عليا} هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي ولم يخرج منها.
تفسير الطبري:
{وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} ذُكِرَ أَنَّ اللّه رَفَعَهُ وَهُوَ حَيّ إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة. فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} يَعْنِي بِهِ إِلَى مَكَان ذِي عُلُوّ وَارْتِفَاع. وَقَالَ بَعْضهمْ: رُفِعَ إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة. وَقَالَ آخَرُونَ: الرَّابِعَة. ذِكْر الرِّوَايَة بِذَلِكَ. ـ حَدَّثَنِي يُونُس بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِير بْن حَازِم، عَنْ سُلَيْمَان الْأَعْمَش، عَنْ شِمْر بْن عَطِيَّة، عَنْ هِلَال بْن يَسَاف، قَالَ: سَأَلَ اِبْن عَبَّاس كَعْبًا وَأَنَا حَاضِر، فَقَالَ لَهُ: مَا قَوْل اللّه تَعَالَى لِإِدْرِيس {وَرَفَعْنَا مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ كَعْب: أَمَّا إِدْرِيس، فَإِنَّ اللّه أَوْحَى إِلَيْهِ: إِنِّي رَافِع لَك كُلّ يَوْم مِثْل عَمَل جَمِيع بَنِي آدَم، فَأُحِبّ أَنْ تَزْدَاد عَمَلًا، فَأَتَاهُ خَلِيل لَهُ مِنْ الْمَلَائِكَة، فَقَالَ: إِنَّ اللّه أَوْحَى إِلَيَّ كَذَا وَكَذَا، فَكَلِّمْ لِي مَلَك الْمَوْت، فَلْيُؤَخِّرْنِي

حَتَّى أَزْدَاد عَمَلًا، فَحَمَلَهُ بَيْن جَنَاحَيْهِ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاء؛ فَلَمَّا كَانَ فِي السَّمَاء الرَّابِعَة، تَلَقَّاهُمْ مَلَك الْمَوْت مُنْحَدِرًا، فَكَلَّمَ مَلَك الْمَوْت فِي الَّذِي كَلَّمَهُ فِيهِ إِدْرِيس، فَقَالَ: وَأَيْنَ إِدْرِيس؟ فَقَالَ: هُوَ ذَا عَلَى ظَهْرِي، قَالَ مَلَك الْمَوْت: فَالْعَجَب بُعِثْت أَقْبِض رُوح إِدْرِيس فِي السَّمَاء الرَّابِعَة، فَجَعَلْت أَقُول: كَيْف أَقْبِض رُوحه فِي السَّمَاء الرَّابِعَة وَهُوَ فِي الْأَرْض؟ فَقَبَضَ رُوحه هُنَاكَ، فَذَلِكَ قَوْل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء، جَمِيعًا عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: إِدْرِيس رُفِعَ فَلَمْ يَمُتْ، كَمَا رُفِعَ عِيسَى. * ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَلَمْ يَمُتْ. ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ اِبْن عَبَّاس {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: رُفِعَ إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة، فَمَاتَ فِيهَا. ـ حُدِّثْت عَنْ الْحُسَيْن، قَالَ: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ يَقُول: أَخْبَرَنَا عُبَيْد بْن سُلَيْمَان، قَالَ: سَمِعْت الضَّحَّاك يَقُول فِي قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} إِدْرِيس أَدْرَكَهُ الْمَوْت فِي السَّمَاء السَّادِسَة. ـ حَدَّثَنَا اِبْن بَشَّار، قَالَ: ثنا عَبْد الرَّحْمَن، قَالَ: ثنا سُفْيَان، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: السَّمَاء الرَّابِعَة. ـ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، قَالَ: ثنا اِبْن يَمَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي هَارُون الْعَبْدِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: فِي السَّمَاء الرَّابِعَة. ـ حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن سُهَيْل، قَالَ: ثنا حَجَّاج، قَالَ: ثنا أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي الْعَالِيَة الرِّيَاحِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَوْ غَيْره وَشَكَّ أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ «قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ بِهِ جِبْرِيل إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيل، قَالُوا: وَمَنْ مَعَهُ؟ قَالَ: مُحَمَّد، قَالُوا: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّه مِنْ أَخ وَمِنْ خَلِيفَة، فَنِعْمَ الْأَخ وَنِعْمَ الْخَلِيفَة، وَنِعْمَ الْمَجِيء جَاءَ، قَالَ: فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيس رَفَعَهُ اللَّه مَكَانًا عَلِيًّا. ـ حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، فِي قَوْله {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَس بْن مَالِك أَنَّ نَبِيّ اللَّه حَدَّثَ أَنَّهُ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاء قَالَ: أَتَيْت عَلَى إِدْرِيس فِي السَّمَاء الرَّابِعَة. {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} ذُكِرَ أَنَّ اللَّه رَفَعَهُ وَهُوَ حَيّ إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة. فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} يَعْنِي بِهِ إِلَى مَكَان ذِي عُلُوّ وَارْتِفَاع. وَقَالَ بَعْضهمْ: رُفِعَ إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة. وَقَالَ آخَرُونَ: الرَّابِعَة. ذِكْر الرِّوَايَة بِذَلِكَ. ـ حَدَّثَنِي يُونُس بْن عَبْد الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب، قَالَ: أَخْبَرَنِي جَرِير بْن حَازِم، عَنْ سُلَيْمَان الْأَعْمَش، عَنْ شِمْر بْن عَطِيَّة، عَنْ هِلَال بْن يَسَاف، قَالَ: سَأَلَ اِبْن عَبَّاس كَعْبًا وَأَنَا حَاضِر، فَقَالَ لَهُ: مَا قَوْل اللَّه تَعَالَى لِإِدْرِيس {وَرَفَعْنَا مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ كَعْب: أَمَّا إِدْرِيس، فَإِنَّ اللَّه أَوْحَى إِلَيْهِ: إِنِّي رَافِع لَك كُلّ يَوْم مِثْل عَمَل جَمِيع بَنِي آدَم، فَأَحِبّ أَنْ تَزْدَاد عَمَلًا، فَأَتَاهُ خَلِيل لَهُ مِنْ الْمَلَائِكَة، فَقَالَ: إِنَّ اللَّه أَوْحَى إِلَيَّ كَذَا وَكَذَا، فَكَلِّمْ لِي مَلَك الْمَوْت، فَلْيُؤَخِّرْنِي حَتَّى أَزْدَاد عَمَلًا، فَحَمَلَهُ بَيْن جَنَاحَيْهِ، ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاء؛ فَلَمَّا كَانَ فِي السَّمَاء الرَّابِعَة، تَلَقَّاهُمْ مَلَك الْمَوْت مُنْحَدِرًا، فَكَلَّمَ مَلَك الْمَوْت فِي الَّذِي كَلَّمَهُ فِيهِ إِدْرِيس، فَقَالَ: وَأَيْنَ إِدْرِيس؟ فَقَالَ: هُوَ ذَا عَلَى ظَهْرِي، قَالَ مَلَك الْمَوْت: فَالْعَجَب بُعِثْت أَقْبِض رُوح إِدْرِيس فِي السَّمَاء الرَّابِعَة، فَجَعَلْت أَقُول: كَيْف أَقْبِض رُوحه فِي السَّمَاء الرَّابِعَة وَهُوَ فِي

الْأَرْض؟ فَقَبَضَ رُوحه هُنَاكَ، فَذَلِكَ قَوْل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} - حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن عَمْرو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِم، قَالَ: ثنا عِيسَى؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِث، قَالَ: ثنا الْحَسَن، قَالَ: ثنا وَرْقَاء، جَمِيعًا عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِد، قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: إِدْرِيس رُفِعَ فَلَمْ يَمُتْ، كَمَا رُفِعَ عِيسَى. * - حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: ثني حَجَّاج، عَنْ اِبْن جُرَيْج، عَنْ مُجَاهِد، مِثْله، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: وَلَمْ يَمُتْ. - حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ اِبْن عَبَّاس {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: رُفِعَ إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة، فَمَاتَ فِيهَا. - حُدِّثْتُ عَنْ الْحُسَيْن، قَالَ: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ يَقُول: أَخْبَرَنَا عُبَيْد بْن سُلَيْمَان، قَالَ: سَمِعْت الضَّحَّاك يَقُول فِي قَوْله: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} إِدْرِيس أَدْرَكَهُ الْمَوْت فِي السَّمَاء السَّادِسَة. - حَدَّثَنَا اِبْن بَشَّار، قَالَ: ثنا عَبْد الرَّحْمَن، قَالَ: ثنا سُفْيَان، عَنْ مَنْصُور، عَنْ مُجَاهِد {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: السَّمَاء الرَّابِعَة. - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، قَالَ: ثنا اِبْن يَمَان، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أَبِي هَارُون الْعَبْدِيّ، عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: فِي السَّمَاء الرَّابِعَة. - حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن سَهْل، قَالَ: ثنا حَجَّاج، قَالَ: ثنا أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ، عَنْ الرَّبِيع بْن أَنَس، عَنْ أَبِي الْعَالِيَة الرِّيَاحِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة أَوْ غَيْره وَشَكَّ أَبُو جَعْفَر الرَّازِيّ «قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَعِدَ بِهِ جِبْرِيل إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة، فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيل، قَالُوا: وَمَنْ مَعَهُ؟ قَالَ: مُحَمَّد، قَالُوا: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّه مِنْ أَخ وَمِنْ خَلِيفَة، فَنِعْمَ الْأَخ وَنِعْمَ الْخَلِيفَة، وَنِعْمَ الْمَجِيء جَاءَ، قَالَ: فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيس رَفَعَهُ اللَّه مَكَانًا عَلِيًّا. - حَدَّثَنَا بِشْر، قَالَ: ثنا يَزِيد، قَالَ: ثنا سَعِيد، عَنْ قَتَادَة، فِي قَوْله {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَس بْن مَالِك أَنَّ نَبِيّ اللَّه حَدَّثَ أَنَّهُ لَمَّا عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاء قَالَ: أَتَيْت عَلَى إِدْرِيس فِي السَّمَاء الرَّابِعَة. ‹

تفسير القرطبي:

قوله تعالى {واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً} إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر. الزمخشري: وقيل سمي إدريس إدريس لكثرة درسه كتاب الله تعالى؛ وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح؛ لأنه لو كان (إفعيلاً) من الدرس لم يكن فيه إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفاً، فامتناعه من الصرف دليل لعجمة؛ وكذلك إبليس أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون؛ ولا يعقوب من العقب، ولا إسرائيل بإسرال كما زعم ابن السكيت؛ ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات؛ يجوز أن يكون معنى إدريس عليه السلام في تلك اللغة قريباً من ذلك فحسبه الراوي من الدرس. قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما: وهو جد نوح وهو خطأ؛ وقد تقدم في [الأعراف]: بيانه وكذا وقع في السيرة أن نوحاً عليه السلام بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون؛ والله تعالى أعلم. وكان أول من أعطى النبوة من بني آدم، وخط بالقلم. ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى {ورفعناه مكاناً علياً} قال أنس بن مالك وأبو سعيد الخدري وغيرهما: يعني السماء الرابعة.

وروي ذلك عن النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ وقال كعب الأحبار. وقال ابن عباس والضحاك: يعني السماء السادسة؛ ذكره المهدوي. قلت: ووقع في البخاري عن شريك بن عبد اللّه بن أبي نمر قال سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من الكعبة، الحديث وفيه: كل سماء فيها أنبياء ـ قد سماهم ـ منهم إدريس في الثانية. وهو وهم، والصحيح أنه في السماء الرابعة؛ كذلك رواه ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى اللّه عليه وسلم؛ ذكره مسلم في الصحيح. وروى مالك بن صعصعة قال قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: (لما عرج بي إلى السماء أتيت على إدريس في السماء الرابعة). أخرجه مسلم أيضاً. وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس وكعب وغيرهما: أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: (يا رب أنا مشيت يوماً فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد! اللّهم خفف عنه من ثقلها. يعني الملك الموكل بفلك الشمس)؛ يقول إدريس: اللّهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها. فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل مالا يعرف فقال: يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي فيه؟ فقال اللّه تعالى (أما إن عبد ي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته) فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيني وبينه خلة. فأذن اللّه له حتى أتى إدريس، وكان إدريس عليه السلام يسأله. فقال أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي، فازداد شكراً وعبادة. فقال الملك: لا يؤخر اللّه نفساً إذا جاء أجلها فقال للملك: قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسي. قال نعم. ثم حمله على جناحه فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم قال لملك الموت: لي صديق من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله. فقال: ليس ذلك إلي ولكن إن أحببت علمه أعلمته متى يموت. قال (نعم) ثم نظر في ديوانه، فقال: إنك تسألني عن إنسان ما أراه يموت أبداً. قال (وكيف)؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس. قال: فإني أتيتك وتركته هناك؛ قال: انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات فواللّه ما بقي من أجل إدريس شيء. فرجع الملك فوجده ميتاً. وقال السدي: إنه نام ذات يوم، واشتد عليه حر الشمس، فقام وهو منها في كرب؛ فقال: اللّهم خفف عن ملك الشمس حرها، وأعنه على ثقلها، فإنه يمارس ناراً حامية. فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه، ومثلها عن يساره يخدمونه، ويتولون أمره وعمله من تحت حكمه؛ فقال ملك الشمس: يا رب من أين لي هذا؟. قال (دعا لك رجل من بني آدم يقال له إدريس) ثم ذكر نحو حديث كعب قال فقال له ملك الشمس: أتريد حاجة؟ قال: نعم وددت أني لو رأيت الجنة. قال: فرفعه على جناحه، ثم طار به، فبينما هو في السماء الرابعة التقى بملك الموت ينظر في السماء، ينظر يميناً وشمالاً، فسلم عليه ملك الشمس، وقال: يا إدريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت: سبحان اللّه! ولأي معنى رفعته هنا؟ قال: رفعته لأريه الجنة. قال: فإن اللّه تعالى أمرني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة. قلت: يا رب وأين إدريس من السماء الرابعة، فنزلت فإذا هو معك؛ فقبض روحه فرفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى {ورفعناه مكاناً عليّاً}. قال وهب بن منبه: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في

طعم الموت، لكنه بعد أن أحيا، لم يغادر ذلك الموضع مرة أخرى». يبدو أنه اكتسب اسمه[1] بسبب المعرفة بالقانون الإلهي المنسوبة إليه. ويقول إلفيرار: «كان يدعى إدريس (الباحث) بسبب بحثه الجاد في الأسفار الموحى بها». ومن الجدير بالملاحظة أنه في هذين المقطعين يُذكر في القرآن[2] بعد إسماعيل.

ب - من نوح إلى إبراهيم

لم يرد وصف الفساد الذي انتشر في زمن نوح بأية تفاصيل في القرآن، وحدث واحد والذي يذكره الحاخامات على أنه حدث في تلك الفترة، نقله محمد إلى زمن سليمان، والذي اعتبره أكثر ملاءمة، حيث أنه يتناول مسألة الملائكة

زمانه، فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدمي، وكان إدريس عليه السلام يصوم النهار؛ فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل. ففعل به ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس؛ وقال له: من أنت! قال أنا ملك الموت؛ استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي؛ فقال: إن لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: أن تقبض روحي. فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه؛ فقبضه ورده إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك؟ قال: لأذوق كرب الموت فأكون له أشد استعداداً. ثم قال له إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أخرى. قال: وما هي؟ قال أن ترفعني إلى السماء فانظر إلى الجنة والنار؛ فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال أرني الجنة؛ فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك. فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها. فبعث الله تعالى بينهما ملكاً حكماً، فقال مالك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال {كل نفس ذائقة الموت} [آل عمران: 185] وأنا ذقته، وقال {وإن منكم إلا واردها} [مريم: 71] وقد وردتها؛ وقال {وما هم منها بمخرجين} [الحجر: 48] فكيف أخرج؟ قال الله تبارك وتعالى لملك الموت (بإذني دخل الجنة وبأمري يخرج) فهو حي هنالك فذلك قوله {ورفعناه مكانا عليا} قال النحاس: قول إدريس {وما هم منها بمخرجين} يجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس، ثم نزل القرآن به. قال وهب بن منبه: فإدريس تارة يرتع في الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء.

(1) إدريس مشتق من درس. ويعلّق إلفيرار على القرآن، 57:19، بالقول: وسمّي إدريس لكثرة درسه الكتب.

ملاحظة المترجم: التفسير للبغوي.

(2) القرآن، 55:19، 56؛ 85:21.

والجن. يسير المقطع الحاخامي على النحو التالي،[1] «سئل الحاخام يوسف من

---

(1) مدراش أبخير في مدراش يلقوط، الفصل 44:
ملاحظة المترجم: بعض الأخطاء البسيطة في نص غايغر دفعتنا إلى العودة إلى النسخة الأصلية الموجودة على الإنترنت، الحديثة بما لا يقارن بالنسبة لنص غايغر، مع ملاحظة أن النص هنا كامل أي أنه أطول ببضع كلمات من نص غايغر: **שאלו תלמידיו את רב יוסף**، מהו עזאזל? א״ל כיון שעמדו דור המבול ועבדו ע״ז היה הקב״ה מתעצב, מיד עמדו שני המלאכים שמחזאי ועזאל ואמרו לפניו, רבש״ע! הלא אמרנו לפניך כשבראת עולמך, מה אנוש כי תזכרנו. א״ל, ועולם מה יהא עליו? א"ל, רבש״ע היינו מסתפקין בו. א״ל, גלוי וידוע לפני אם אתם שרויין בארץ היה שולט בכם יצר הרע והייתם קשים מבני אדם. א״ל, תן לנו רשות ונדור עם הבריות, ותראה איך אנו מקדשין שמך. א״ל, רדו ותדורו עמהן. מיד קלקלו עם בנות האדם שהיו יפות ולא יכלו לכבוש את יצרן. מיד ראה שמחזאי ריבה אחת ושמה איסטהר, נתן עיניו בה, אמר השמעי לי. אמרה לו, איני שומעת לך עד שתלמדני שם המפורש שאתה עולה בו לרקיע בשעה שאתה זוכרהו. למדה אותו שם והזכירה אותו ועלתה לרקיע ולא קלקלה. אמר הקב״ה, הואיל ופרשה עצמה מן העבירה, לכו וקבעוה בין שבעה כוכבים הללו כדי שתזכר בהן לעולם, ונקבעה בכימה. כיון שראו שמחזאי ועזאל כך, עמדו ונשאו נשים והולידו בנים ـ היווא והייא, ועזאל היה נמנה על מיני צבעונין ועל מיני תכשיטין של נשים שמפתים את בני האדם להרהור עבירה. מיד שגר מטטרון שליח לשמחזאי וא״ל עתיד הקב״ה להחריב עולמו ולהביא מבול לעולם. מיד עמד בבכי והיה מצטער על העולם ועל בניו, מה יעשו בניו ממה יאכלו אם העולם חרב, שכל אחד ואחד היה אוכל אלף גמלים ואלף סוסים ואלף שורים. בלילה ראו היווא והייא שניהם חלומות. אחד מהן ראה אבן גדולה פרוסה על הארץ כשלחן והיתה הארץ חרותה וכתובה שיטות שיטות, והיה מלאך יורד מהרקיע ובידיו כמין סכין, והיה גורר ומוחק כל אותן השיטות ולא היה משייר בהן אלא ארבע תיבות. והאחד ראה פרדס גדול נטוע משובח מכל מיני אילנות והיו בהן מלאכים ובידן קרדומות, והיו מקצצין כל האילנות ולא שיירו בו אלא

قبل تلاميذه: ما هو عزائيل؟ فأجاب: حين مارس البشر زمن الطوفان الوثنية، حزن اللّه من ذلك، فقال له اثنان من الملائكة، شماحزاي وعزائيل، يا ربّ العالم، ألم نقل لك عند الخليقة، ما الإنسان حتى تذكره؟[1] لكنه قال: «ما الذي سيصبح عليه العالم؟ أجابا: كنا قد استفدنا من ذلك. لكن من المعروف بالنسبة لي [اللّه] أنه، إذا كنتما تعيشان على الأرض، لكانت الشهوة ستتغلب عليكما، وسوف تصبحان أسوأ من الإنسان. إذن أعطنا الإذن للعيش مع البشر، وسوف ترى كيف سنقدس اسمك. اذهبا وعيشا معهم. عندئذٍ رأى شماحزاي عذراء اسمها عشتار. نظر إليها بعينيه وقال: اسمعيني؛ والذي ردّت عليه بالقول: لن أسمعك حتى تعلمني اسم اللّه الصريح، الذي من خلال لفظه تصعد إلى السماء. فعلّمها هذا الاسم الذي

אילן אחד של ג׳ ענפים. כיון שנגערו, עמדו בבהלה ובאו אצל אביהם. אמר להם, עתיד הקב״ה להביא מבול ולא ישייר אלא נח ובניו. כיון ששמעו כך היו צועקין ובוכין. א״ל אל תצטערו, ששמותיכם לא יכלו מן הבריות, שכל זמן שגוזר גזירות או מעלה אבנים או ספינות שמותיכם הם מזכירים היווא והייא. מיד נתקררה דעתן. שמחזאי חזר בתשובה ותלה עצמו בין השמים [לארץ] ראשו למטה ורגליו למעלה, ועדיין הוא תלוי בתשובה בין ארץ לשמים. עזאל לא חזר בתשובה ועדיין הוא עומד בקלקולו להסית בני אדם לדבר עבירה במיני צבעונין של נשים. ולכך היו ישראל מקריבין קרבנות ביוה״כ איל אחד לה׳ שיכפר על בני ישראל, ואיל אחד לעזאזל שיסבול עונותיהם של ישראל, והוא עזאזל שבתורה.

رابط النص: https://www.sefaria.org/Otzar_Midrashim,_Shamchazai_?amp_;Azael.1.3&lang=he

قارن أيضاً: رسالة يوما التلمودية، 67:2؛ وكذلك راشي. راجع أيضاً زوهار على التكوين، 26:1.

(1) المزمور، 5:8: מָֽה־אֱנ֥וֹשׁ כִּֽי־תִזְכְּרֶ֑נּוּ וּבֶן־אָ֝דָ֗ם כִּ֣י תִפְקְדֶֽנּוּ: فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!

ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر؛ وثمة اختلاف في ترقيم الآيات بين النص العبري (5:8) ونص فاندايك العربي (8:4).

لفظته عندئذٍ فصعدت غير ملوثة إلى السماء. عندئذٍ قال اللّه: لأنها أشاحت بوجهها عن الخطيئة، فسوف أثبتها جيداً بين النجوم السبع، بحيث يمكنكم أن تستمتعوا بها إلى الأبد. وهكذا تم تثبيتها في البيلياذز. لكنهم عاشوا بشكل غير أخلاقي مع بنات البشر، لأنهن كن يلبسن بشكل جميل، فلم يمكنهم ترويض شهواتهم. ثم اتخذوا زوجات وأنجبوا أولاداً، هوّا وهيا. كان عزائيل سيد الفنون البرّاقة وحلي النساء التي تضلّل الرجال نحو أفكار غير أخلاقية. ومن الواضح أن هذه القصة إنما يُشار إليها في مقطع من القرآن،[1]حيث يقال إن الملاكين هاروت وماروت قد علموا البشر سحراً الذي يمكنهم به أن يسببوا الانفصال بين الرجل وزوجته.[2] خلال هذه الحالة من الفساد الأخلاقي يظهر نوح، فيعلّم بني

---

(1) القرآن، 96:2؛ هاروت وماروت.

(2) هذه العلاقة وهذه المقارنة اللتان قد تبدوان مليئتين بالشك، واللتان بدتا حتى بالنسبة لي ليستا أكثر من حدس، تحظيان بدعم كامل من ذلك الذي يقوله الكتّاب العرب المتأخرون، المتناغمون للغاية مع مدراش يلقوط، عن الملائكة. ويمكن لنا أن نجد في Maraccius Prodromi، 82:4، ما يلي: وقال مجاهد: عجبت الملائكة من ظلم البشر وقد جاءتهم الرسل؛ فقال لهم ربّهم: اختاروا منكم اثنين يحكمان في الأرض؛ فكانا هاروت وماروت، فحكما فعدلا حتى نزلت عليهما الزهرة (النجمة المعروفة أيضاً بفينوس، والتي نجدها في اليلقوط باسم אסטהר، مثل אסתר، بالفارسية «ستارة» واليونانية αστήρ؛ في سفر أيوب، 26:31: אִם־אֶרְאֶה אוֹר כִּי יָהֵל וְיָרֵחַ יָקָר הֹלֵךְ: إِنْ كُنْتُ قَدْ نَظَرْتُ إِلَى النُّورِ حِينَ ضَاءَ أَوْ إِلَى الْقَمَرِ يَسِيرُ بِالْبَهَاءِ؛ يجعل الترغوم אסתהר مكان אוֹר العبرية) أحسن في صورة امرأة تخاصم زوجها، فافتتنا بها، وأرادا على نفسها، فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت... قال محمد: وقد ذكر يحيى من غير مجاهد أن المرأة التي افتتنا فيها كانت من أهل الدنيا.

يمكن أن نجد توحيداً لهذين المنظورين في مقاطع مستشهد بها من مدراش يلقوط.

ملاحظة من المترجم: الآية من أيوب غير مذكورة في نص غايغر.

إضافة من المترجم:

وقد حكاه القرطبي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدي والكلبي. «ذكر الحديث الوارد في ذلك إن صح سنده ورفعه وبيان الكلام عليه» قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللّه تعالى في مسنده أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أنه سمع نبي اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول «إن آدم عليه السلام لما أهبطه اللّه إلى الأرض قالت الملائكة أي رب «أتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون» قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال اللّه تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت لا واللّه حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا واللّه لا نشرك باللّه شيئاً أبداً فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا واللّه حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا واللّه لا نقتله أبداً فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا واللّه حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة واللّه ما تركتما شيئاً أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا.

وهكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن الحسن عن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن بكير ـ به وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير هذا وهو الأنصاري السلمي مولاهم المديني الحذاء وروي عن ابن عباس وأبي أمامة بن سهل بن حنيف ونافع وعبد اللّه بن كعب بن مالك وروى عنه ابنه عبد السلام وبكر بن مضر وزهير بن محمد وسعيد بن سلمة وعبد اللّه بن لهيعة وعمرو بن الحرث ويحيى بن أيوب وروى له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحك شيئاً من هذا ولا هذا فهو مستور الحال وقد تفرد به عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي اللّه عنهما عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وروي له متابع من وجه آخر عن نافع كما قال ابن مردويه حدثنا دملج بن أحمد حدثنا هشام بن علي بن هشام حدثنا عبد اللّه بن رجاء حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا موسى بن سرجس عن نافع عن ابن عمر سمع النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ يقول فذكره بطوله وقال أبو جعفر بن جرير رحمه اللّه حدثنا القاسم أخبرنا الحسين وهو سنيد بن داود صاحب التفسير أخبرنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان من آخر الليل قال يا نافع انظر طلعت الحمراء؟ قلت لا مرتين أو ثلاثاً ثم قلت قد طلعت قال لا مرحبا بها ولا أهلاً قلت سبحان اللّه نجم مسخر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أو قال: قال لي رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ «إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال إني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم قال فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت» وهذان أيضاً غريبان جداً. وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد اللّه بن عمر عن كعب الأحبار لا عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار قال: ذكرت الملائكة أعمال بني آدم وما يأتون من الذنوب فقيل لهم اختاروا منكم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما إني أرسل إلى بني آدم رسلا وليس بيني وبينكم رسول انزلا لا تشركا بي شيئاً ولا تزنيا ولا تشربا الخمر قال كعب فواللّه ما أمسيا من يومهما الذي أهبطا فيه حتى استكملا جميع

ما نهيا عنه رواه ابن جرير من طريقين عن عبد الرزاق به ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن عصام عن مؤمل عن سفيان الثوري به ورواه ابن جرير أيضاً حدثني المثنى أخبرنا المعلى وهو ابن أسد أخبرنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحبار فذكره فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر من الإسنادين المتقدمين وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع فدار الحديث ورجع إلى نقل الأحبار عن كتب بني إسرائيل والله أعلم. «ذكر الآثار الواردة في ذلك عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين»

قال ابن جرير: حدثني المثنى حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير بن سعيد قال: سمعت علياً ـ رضي الله عنه ـ يقول كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فأبت عليهما إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به أحد يعرج به إلى السماء فعلماها فتكلمت به فعرجت إلى السماء فمسخت كوكباً وهذا الإسناد رجاله ثقات وهو غريب جداً

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان أخبرنا محمد بن عيسى أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا معاوية عن أبي خالد عن عمير بن سعيد عن علي رضي الله عنه قال هما ملكان من ملائكة السماء يعني «وما أنزل على الملكين» ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بسنده عن مغيث عن مولاه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي مرفوعاً وهذا لا يثبت من هذا الوجه. ثم رواه من طريقين آخرين عن جابر عن أبي الطفيل عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت» وهذا أيضاً لا يصح وهو منكر جداً والله أعلم.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى بن إبراهيم أخبرنا الحجاج بن منهال حدثنا حماد عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا جميعاً لما كثر بنو آدم وعصوا دعت الملائكة عليهم والأرض والجبال: ربنا لا تمهلهم فأوحى الله إلى الملائكة إني أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم وأنزلت الشهوة والشيطان في قلوبهم ولو نزلتم لفعلتم أيضاً. قال فحدثوا أنفسهم أن لو ابتلوا اعتصموا فأوحى الله إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلكم فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض وأنزلت الزهرة إليهما في صورة امرأة من أهل فارس يسمونها بيذخت قال فوقعا بالخطيئة فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن في الأرض ألا إنَّ الله هو الغفور الرحيم. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا.

وقال: ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي أخبرنا عبد الله يعني ابن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو ويونس بن خباب عن مجاهد قال كنت نازلاً على عبد الله بن عمر في سفر فلما كان ذات ليلة قال لغلامه انظر هل طلعت الحمراء لا مرحبا بها ولا أهلا ولا حياها الله هي صاحبة الملكين قالت الملائكة يا رب كيف تدع عصاة بني آدم وهم يسفكون الدم الحرام وينتهكون محارمك ويفسدون في الأرض. قال إني ابتليتهم فلعل إن ابتليتكم

بمثل الذي ابتليتهم به فعلتم كالذي يفعلون قالوا لا قال: فاختاروا من خياركم اثنين فاختاروا هاروت وماروت فقال لهما إني مهبطكما إلى الأرض وعاهد إليكما أن لا تشركا ولا تزنيا ولا تخونا فأهبطا إلى الأرض وألقى عليهما الشهوة وأهبطت لهما الزهرة في أحسن صورة امرأة فتعرضت لهما فراوداها عن نفسها فقالت إني على دين لا يصح لأحد أن يأتيني إلا من كان على مثله قالا: وما دينك قالت المجوسية قالا: الشرك هذا شيء لا نقربه فمكثت عنهما ما شاء الله تعالى.

ثم تعرضت لهما فراوداها عن نفسها فقالت ما شئتما غير أن لي زوجاً وأنا أكره أن يطلع على هذا مني فأفتضح فإن أقررتما لي بديني وشرطتما لي أن تصعدا بي إلى السماء فعلت فأقرا لها بدينها وأتياها فيما يريان ثم صعدا بها إلى السماء فلما انتهيا بها إلى السماء اختطفت منهما وقطعت أجنحتهما فوقعا خائفين نادمين يبكيان وفي الأرض نبي يدعو بين الجمعتين فإذا كان يوم الجمعة أجيب. فقالا: لو أتينا فلانا فسألناه فطلب لنا التوبة فأتياه فقال: رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الأرض لأهل السماء قالا: إنا قد ابتلينا قال ائتياني يوم الجمعة فأتياه فقال: ما أجبت فيكما بشيء ائتياني في الجمعة الثانية فأتياه فقال: اختارا فقد خيرتما إن اخترتما معافاة الدنيا وعذاب الآخرة وإن أحببتما فعذاب الدنيا وأنتما يوم القيامة على حكم الله فقال أحدهما إن الدنيا لم يمض منها إلا القليل. وقال الآخر ويحك إني قد أطعتك في الأمر الأول فأطعني الآن إن عذاباً يفنى ليس كعذاب يبقى. فقال إننا يوم القيامة على حكم الله فأخاف أن يعذبنا قال لا: إني أرجو إن علم الله أنا قد اخترنا عذاب الدنيا مخافة عذاب الآخرة أن لا يجمعهما علينا قال: فاختارا عذاب الدنيا فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار عاليهما سافلهما ـ وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر ـ

وقد تقدم في رواية ابن جرير من حديث معاوية بن صالح عن نافع عنه رفعه وهذا أثبت وأصح إسناداً ثم هو والله أعلم من رواية ابن عمر عن كعب كما تقدم بيانه من رواية سالم عن أبيه وقوله إن الزهرة نزلت في صورة امرأة حسناء وكذا في المروي عن علي فيه غرابة جدا. وأقرب ما ورد في ذلك ما قال ابن أبي حاتم أخبرنا عصام بن رواد أخبرنا آدم أخبرنا أبو جعفر حدثنا الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لما وقع الناس من بعد آدم عليه السلام فيما وقعوا فيه من المعاصي والكفر بالله قالت الملائكة في السماء يا رب هذا العالم الذي إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك قد وقعوا فيما وقعوا فيه وركبوا الكفر وقتل النفس وأكل المال الحرام والزنا والسرقة وشرب الخمر فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم فقيل إنهم في غيب فلم يعذروهم فقيل لهم اختاروا من أفضلكم ملكين آمرهما وأنهاهما فاختاروا هاروت وماروت فأهبِطا إلى الأرض وجُعلت لهما شهوات بني آدم وأمرهما الله أن يعبداه ولا يشركا به شيئاً ونهيا عن قتل النفس الحرام وأكل المال الحرام وعن الزنا والسرقة وشرب الخمر فلبثا في الأرض زمانا يحكمان بين الناس بالحق وذلك في زمن إدريس عليه السلام وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول وأراداها على نفسها فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها فسألاها عن دينها فأخرجت لهما صنما فقالت:

هذا أعبده فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا فذهبا فعبرا ما شاء اللّه ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها ففعلت مثل ذلك فذهبا ثم أتيا عليها فأراداها على نفسها فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبد ا الصنم. قالت: لهما اختارا أحد الخلال الثلاث إما أن تعبد ا هذا الصنم وإما أن تقتلا هذه النفس وأما أن تشربا هذه الخمر فقالا: كلا هذا لا ينبغي وأهون هذا شرب الخمر فشربا الخمر فأخذت فيهما فواقعا المرأة فخشيا أن يخبر الإنسان عنهما فقتلاه فلما ذهب عنهما السكر وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة أرادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطيعا وحيل بينهما وبين ذلك وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه فعجبوا كل العجب وعرفوا أنه من كان في غيب فهو أقل خشية فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض فنزل في ذلك «والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض» فقيل لهما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فقالا أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له فاختارا عذاب الدنيا فجعلا ببابل فهما يعذبان.

وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولا عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن إسحق بن راهويه عن حكام بن سلم الرازي وكان ثقة عن أبي جعفر الرازي به: ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة واللّه أعلم.

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا أبي أخبرنا سلم أخبرنا القاسم بن الفضل الحذائي أخبرنا يزيد يعني الفارسي عن ابن عباس أن أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرؤوهم يعملون المعاصي فقالوا: يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال اللّه أنتم معي وهم في غيب عني فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض على أن يحكموا بين أهل الأرض جعل فيهم شهوة الآدميين فأمروا أن لا يشربوا خمراً ولا يقتلوا نفساً ولا يزنوا ولا يسجدوا لوثن فاستقال منهم واحد فأقيل فأهبط اثنان إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس يقال لها مناهية فهوياها جميعاً ثم أتيا منزلها فاجتمعا عندها فأراداها فقالت: لهما لا حتى تشربا خمري وتقتلا ابن جاري وتسجدا لوثني فقالا: لا نسجد ثم شربا من الخمر ثم قتلا ثم سجدا فأشرف أهل السماء عليهما وقالت: لهما أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما فأخبراها فطارت فمسخت جمرة وهي هذه الزهرة وأما هما فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والأرض وهذا السياق فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة واللّه أعلم بالصواب.

وقال عبد الرزاق: قال معمر قال قتادة والزهري عن عبيد اللّه بن عبد اللّه «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» كانا ملكين من الملائكة فأهبطا ليحكما بين الناس وذلك أن الملائكة سخروا من حكام بني آدم فحاكمت إليهما امرأة فحافا لها ثم ذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا. وقال معمر: قال قتادة فكانا يعلمان الناس السحر فأخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. وقال أسباط عن السدي أنه قال كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم فقيل لهما

البشر ويسعى عن طريق الموعظة الحسنة إلى تحويلهم عن طرقهم الشريرة. ثم يبني الفلك بيديه ويتم إنقاذه، في حين يفنى الباقون.[1] إن مظهره ككل كواعظ

إني أعطيت بني آدم عشراً من الشهوات فبها يعصونني قال: هاروت وماروت: ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل فقال: لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل دیناوند فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا فإذا أصبحا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنها واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية أناهيد. فقال أحدهما لصاحبه إنها لتعجبني قال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك. فقال الآخر هل لك أن أذكرها لنفسها؟ قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب اللّه؟ قال الآخر إنا لنرجو رحمة اللّه فلما جاءت تخاصم زوجها ذكر إليها نفسها فقالت: لا حتى تقضيا لي على زوجي فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء وبأي كلام تنزلان منها فأخبراها فتكلمت فصعدت فأنساها اللّه تعالى ما تنزل به فثبتت مكانها وجعلها اللّه كوكباً فكان عبد اللّه بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أما شأن هاروت وماروت فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات فقال لهم ربهم تعالى: اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الأرض فاختاروا فلم يألوا هاروت وماروت فقال لهما حين أنزلهما أعجبتم من بني آدم من ظلمهم ومعصيتهم وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراء وراء. وإنكما ليس بيني وبينكما رسول فافعلا كذا وكذا ودعا كذا وكذا فأمرهما بأمور ونهاهما ثم نزلا على ذلك ليس أحد أطوع للّه منهما فحكما فعدلا فكانا يحكمان في النهار بين بني آدم فإذا أمسيا عرجا فكانا مع الملائكة منزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان حتى أنزلت عليهما الزهرة في أحسن صورة امرأة تخاصم فقضيا عليها فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه فقال أحدهما لصاحبه وجدت مثل الذي وجدت؟ قال نعم فبعثا إليها أن ائتيانا نقض لك فلما رجعت قالا وقضيا لها فأتتهما فكشفا لها عن عورتيهما وإنما كانت سوآتهما في أنفسهما ولم يكونا كبني آدم في شهوة النساء ولذاتها فلما بلغا ذلك واستحلا افتتنا فطارت الزهرة فرجعت حيث كانت فلما أمسيا عرجا فزجرا فلم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتهما فاستغاثا برجل من بني آدم فأتياه فقالا ادع لنا ربك فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء فوعدهما يوماً وغدا يدعو لهما فدعا لهما فاستجيب له فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: ألا تعلم أن أفواج عذاب اللّه في الآخرة كذا وكذا في الخلد وفي الدنيا تسع مرات مثلها؟ فأمرا أن ينزلا ببابل فثم عذابهما وزعم أنهما معلقان في الحديد مطويان يصفقان بأجنحتهما.

(1) القرآن، 7:57 ـ 63؛ 10:72 ـ 75؛ 10:27 ـ 50؛ 22:43؛ 23:23 ـ 32؛ 25:39؛ 26:105 ـ 121؛ 29:13،

وراءٍ ليس كتابياً بل حاخامي، ويخدم أهداف محمد تماماً، حيث يكون نوح بهذه الطريقة نمطاً لمحمد ذاته. ووفقاً لكتابات حاخامية،[1] فإن أيوب، 5:12، تشير إلى نوح: «زجرهم نوح، الصدّيق، وقال لهم كلمات قاسية كالنار. لكنهم ازدروا به قائلين: أنت، أيها العجوز، لماذا هذا الفلك؟ أجابهم: سوف يرسل اللّه طوفاناً إليكم»[2]. جزئيات أخرى تتفق مع التقليد الحاخامي، منها على سبيل المثال «ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه»[3] تتناسب «سخروا وضحكوا عليه في كلماتهم». «وفار التنور»[4] تتناسب مع «يعاقب جيل الطوفان بالماء الساخن». مع ذلك، فإننا نجد العديد من عدم الدقة والانحرافات. منها

14: 78:37 ـ 81؛ 9:54 ـ 18؛ 1:71 ـ حتى النهاية.

(1) سنهدرين، 108 (قارن مع مدراش راباه على سفر التكوين، المقطعان، 330 و33، والمدراش راباه على سفر الجامعة، 14:9):

א«כ לא נפנה דרך כרמים דרש רבא מאי דכתיב לפיד בוז לעשתות שאנן נכון למועדי רגל מלמד שהיה נח הצדיק מוכיח אותם ואמר להם דברים שהם קשים כלפידים והיו (בוזים) [מבזין] אותו אמרו לו זקן תיבה זו למה אמר להם הקב«ה מביא עליכם את המבול.

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن مصدر عبري معاصر أكثر دقة وأقل أخطاء إملائية من نص غايغر. الرابط هو http://www.hebrewbooks.org/shas.aspx?mesechta=24&daf=108b &format=text

(2) النص هنا من سنهدرين، 108 ب؛ وهو لا يتطابق تماماً مع ترجمة غايغر. ـ مترجم عربي.

(3) القرآن، 40:11؛ قارن: مدراش تنحوما، قِسم نوح: היו משחקין ממנו ומלעינין בדברים.

(4) القرآن، 11:42؛ 27:23.

قارن رسالة روش هاشناه التلمودية، 2:16 ورسالة سنهدرين التلمودية، 108: דור המבול ומלעינין נדונו.

يبدو لي أن المفسّرين العرب أساؤوا تماماً فهم هذه المقاطع، لأنهم يفترضون مراجع خيالية. وتفسيرنا، الذي هو مبرّر تماماً بالتأويل الرمزي لكلمتي، وفار التنور، إنما يبدو لي مثبتاً بما يكفي من خلال مقارنة مع النص التلمودي. أيضاً فإن Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، كلمة نوح، ص. 671، يفهم وفار التنور بهذه الطريقة.

على سبيل المثال، هو أن محمداً يجعل نوح يعيش 950 سنة قبل الطوفان،[1] في حين أن هذا هو حقاً كل سنين حياته. كذلك فهو يقدّم أحد أبناء نوح كعاصٍ له، ويذكر أن هذا الابن نفسه لم يتبعه إلى داخل الفلك، بل أمّن نفسه على قمة أحد الجبال.[2] وربما نشأت هذه الفكرة من سوء فهم لسلوك حام الشرير بعد الطوفان.[3] كما يجعل محمد زوجة نوح غير مؤمنة،[4] على الرغم من أنه صامت بالنسبة لما يجعل منها غير مؤمنة، ولا أستطيع أن أجد أي سبب لهذا القول، الذي لم يذكر في الكتاب المقدس أو في الكتابات الحاخامية. ربما ضُلّلَ محمد

---

(1) القرآن، 13:29؛ قارن مع سفر التكوين، 29:9: וַיְהִי כָּל־יְמֵי־נֹחַ תְּשַׁע מֵאוֹת שָׁנָה וַחֲמִשִּׁים שָׁנָה וַיָּמֹת׃ فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَمَاتَ.

ملاحظة: الآية مضافة من المترجم.

(2) القرآن، 44:11، 45، 48.

(3) سفر التكوين، 22:9 وما بعد: וַיַּרְא חָם אֲבִי כְנַעַן אֵת עֶרְוַת אָבִיו וַיַּגֵּד לִשְׁנֵי־אֶחָיו בַּחוּץ׃ וַיִּקַּח שֵׁם וָיֶפֶת אֶת־הַשִּׂמְלָה וַיָּשִׂימוּ עַל־שְׁכֶם שְׁנֵיהֶם וַיֵּלְכוּ אֲחֹרַנִּית וַיְכַסּוּ אֵת עֶרְוַת אֲבִיהֶם וּפְנֵיהֶם אֲחֹרַנִּית וְעֶרְוַת אֲבִיהֶם לֹא רָאוּ׃ וַיִּיקֶץ נֹחַ מִיֵּינוֹ וַיֵּדַע אֵת אֲשֶׁר־עָשָׂה־לוֹ בְּנוֹ הַקָּטָן׃ וַיֹּאמֶר אָרוּר כְּנָעַן עֶבֶד עֲבָדִים יִהְיֶה לְאֶחָיו׃ וַיֹּאמֶר בָּרוּךְ יְהוָה אֱלֹהֵי שֵׁם וִיהִי כְנַעַן עֶבֶד לָמוֹ׃ יַפְתְּ אֱלֹהִים לְיֶפֶת וְיִשְׁכֹּן בְּאָהֳלֵי־שֵׁם וִיהִי כְנַעַן עֶבֶד לָמוֹ׃ וַיְחִי־נֹחַ אַחַר הַמַּבּוּל שְׁלֹשׁ מֵאוֹת שָׁנָה וַחֲמִשִּׁים שָׁנָה׃ וַיְהִי כָּל־יְמֵי־נֹחַ תְּשַׁע מֵאוֹת שָׁנָה וַחֲמִשִּׁים שָׁנָה וַיָּמֹת׃ فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجاً. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ. فَقَالَ: ((مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ)). وَقَالَ: ((مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُ. لِيَفْتَحِ اللَّهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْداً لَهُمْ)). وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَمَاتَ.

ملاحظة: الآيات غير موجودة في نص غايغر.

يدعو المفسّرون بالفعل هذا الولد كنعان (قارن مع نص التكوين، 25:9 وما بعد) مع أنهم، مثل التوراة، لا يحسبون ولداً بهذا الاسم أثناء تعدادهم لأولاده، لكنهم لا يذكرون غير أسماء هؤلاء الثلاثة، أي سام وحام ويافث.

(4) القرآن، 10:66.

بالقياس التمثيلي مع زوجة لوط، التي تُذكر في السياق ذاته. وفي حين تنسب هذه الاختلافات إلى الأخطاء والتشويش بين أزمنة وأحداث مختلفة، فإن بعضهم الآخر يعزوها إلى تغيير وتطوير متعمدين.[1] ومن هذه النوعية تلك التفاصيل التي لم تذكر في التاريخ اليهودي، والتي تمثل نوح على أنه يحتل موقف محمد ذاته ويتحدّث بروحه. وهذا ينطبق بشكل خاص على ذلك الذي وضع في فمه كواعظ. ولا تنطبق هذه الحالة على نوح فقط، بل على كل من يظهر في شخصية الصالح في أي عصر شرير. وهكذا فهو يضع في فم لقمان، كرجل حكيم معروف للعرب،[2] كلمات تناسب ظروف محمد وآرائه الخاصّة، والشيء ذاته يحدث في حالة نوح والواعظين الآخرين من التاريخ اليهودي الذين يلمّح إليهم. ونوح، على الرغم من أنه لم يصنع معجزة، تم إنقاذه بطريقة إعجازيّة، وهكذا لا يستطيع محمد أن يضع في فمه الكلمات ذاتها التي يستخدمها لنفسه، وكذلك فهو ينسب إلى آخرين سبقوا عليه بعد زمن نوح، أي أنه مجرّد واعظ؛ لكنه يجعله يقول كل ما لا يتعارض بشكل واضح مع الحقائق التاريخية المرويّة عنه. كان فقط رجلاً غير ذي أهمية[3] ولم يدّع بأنه شخص يصنع الأعاجيب أو خارق للطبيعة.[4] لكنه مكلّف إلهياً لتحذير الناس، ولا يطلب أجراً عن هذا.[5] يا للبراءة المقدّسة! سوف يهتف المرء في الأخذ بعين الاعتبار لهذه النقطة الأخيرة، لو كتبها محمد مع اعتبار كامل لموقف نوح كشخص يهدد العالم بالعقاب، وإذا لم يكن أنه نظر بالأحرى إلى كلّ شيء من منظور مشوه، حيث كان عازماً على جعل كل شيء

---

(1) يجب أن تُفهم الكلمة «متعمد» بالمعنى المفسرّ على نحو كاف للتو في القسم الأول، المقطع الثالث، بحيث يمكن لنا استخدامها من الآن فصاعداً دون حاجة إلى مزيد من التفسير.

(2) القرآن، 11:31 وما بعد.

(3) القرآن، 61:7.

(4) القرآن، 33:11.

(5) القرآن، 31:11؛ 109:26.

يتفق مع أفكاره. وفي موضع آخر، يمضي إلى درجة أن يُقحم آية في خطاب نوح، والتي هي سمة مميزة له تماماً، والتي ترد فيها الكلمة الصغيرة، قل،[1] بالفعل، والتي ينظر إليها دائماً على أنها كلمة خطاب موجه لمحمد من قبل الله (أو جبريل). والشيء ذاته سوف يظهر لنا لاحقاً في حالة إبراهيم.

بعد نوح فإن التالي الذي يتم ذِكْره هو هود[2] الذي هو بوضوح عابر التوراتي.[3] وهذا يبدو مثالًا صارخاً على جهل محمد، أو، كما يبدو لي على أنه أكثر احتمالاً هنا، على جهل اليهود حوله. ووفقاً للرأي الحاخامي[4] فالاسم عبري مشتقّ عابر، لكن في أوقات لاحقة نُسي هذا الاسم تماماً تقريباً وراح الاسم يهودي[5] يستعمل بشكل عام. أما اليهود، الذين كان معروفاً بالنسبة لهم أن اسمهم مشتق من أحد الأسلاف، فقد كانوا يعتقدون أن الاسم المعني كان الاسم في ذلك الوقت، وأن السلف نتيجة لذلك كان هذا البطريرك هود.[6] وزمنه هو

---

(1) القرآن، 37:11: قل؛ 19:29.

(2) هود.

(3) עבר [عبر]..

(4) עברי [عبري] من עבר. قارن مدراش راباه على سفر التكوين، الفقرة 42: לאברם העברי שהוא מבני בניו של עבר.«سمّي أبرام بالعبري لأنه ينحدر من عابر». (تكوين، 13:14: וַיָּבֹא הַפָּלִיט וַיַּגֵּד לְאַבְרָם הָעִבְרִי וְהוּא שֹׁכֵן בְּאֵלֹנֵי מַמְרֵא הָאֱמֹרִי אֲחִי אֶשְׁכֹּל וַאֲחִי עָנֵר וְהֵם בַּעֲלֵי בְרִית־אַבְרָם: فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ. وَكَانَ سَاكِناً عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ. وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبْرَامَ.

ملاحظة: الآية غير موجودة في نص غايغر

(5) יהודי (يهودي). بين العرب يهود أحياناً، لكن غالباً جداً ما تكون هود.

ملاحظة من المترجم: لا أعتقد إلا أنّ غايغر جانب الصواب هنا في اعتباره أن العرب يستخدمون هوداً أكثر من يهود.

(6) يقدّم إلفيرار (في تعليقه على القرآن، 63:7) إلى جانب علم أنساب غير صحيح علم أنساب آخر صحيح هو التالي: بن سالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، بل يقول مؤلّف كتاب أعلام الهدى على نحو مباشر إن «هود هو عابر» (Mar. Prod. 92:4).

إضافة من المترجم من كتاب البداية والنهاية لابن كثير: قصة هود عليه السلام

وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، ويقال: إن هوداً هو عابر بن شالخ

ذلك الزمن الذي يُذكر فيه حكم عقابي ثان من اللّه بسبب سلوك جريء، قاسٍ في الكتاب المقدس، وهذا ما يتم تناوله في مقاطع عديدة من القرآن.[1] ومن أجل أن يكون لديه الحق في أن يعزو ما قاله عن هود إلى زمن بلبلة الألسن، أو، كما يسميه عليه الحاخامات، الشتات،[2] علينا تقديم بعض التفاصيل التي تشير إلى هذه المرجعية، لأن العبارات عامّة جداً في المضمون ويمكن أنها

بن سام بن نوح، ويقال: هود بن عبد اللّه بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ذكره ابن جرير، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها: الشحر، واسم واديهم مغيث، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد [الفجر: 6، 7]. أي؛ عاد إرم. وهم عاد الأولى، وأما عاد الثانية فمتأخرة، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه. وأما عاد الأولى فهم عاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد [الفجر: 7 8]. أي؛ مثل القبيلة. وقيل: مثل العمد. والصحيح الأول، كما بيناه في التفسير.
ومن زعم أن إرم مدينة تدور في الأرض، فتارة في الشام، وتارة في اليمن، وتارة في الحجاز، وتارة في غيرها، فقد أبعد النجعة. وقال ما لا دليل عليه، ولا برهان يعول عليه، ولا مستند يركن [ص: 283] إليه، وفي صحيح ابن حبان، عن أبي ذر في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين قال فيه: منهم أربعة من العرب؛ هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر. ويقال: إن هوداً عليه السلام أول من تكلم بالعربية. وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها. وقال غيره أول من تكلم بها نوح. وقيل آدم وهو الأشبه. وقيل: غير ذلك، واللّه أعلم.
إضافة ثانية من الكتاب الذي ذكره غايغر، إعــــلامُ الـــوَرى بأعـلام الـهـُدى
وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه (رضوان اللّه عليه): عدنان بن أدّ بن أُدد بن يامين بن يشجب بن منحر بن صابوغ بن الهميسع، وفي رواية أخرى: عدنان بن أدد بن زيد بن يقدد بن يقدم الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.
وقيل: الأصحّ الذي اعتمد عليه أكثر النسّاب وأصحاب التواريخ: أنّ عدنان هو أدّ بن أُدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) إبن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغوا بن فالغ بن عابر وهو هود (عليه السلام) بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) بن لمك بن متّوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس (عليه السلام) (ابن يارد) بن (مهلائيل) يارد بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم (عليه السلام) أبي البشر.

(1) القرآن، 7:63 ـ 71؛ 11:52 ـ 64؛ 22:43؛ 23:33 ـ 44؛ 25:40؛ 26:123 ـ 141؛ 29:37؛ 38:11؛ 40:32؛ 41:12 ـ 16؛ 46:20 ـ 25؛ 50:13؛ 51:41، 42؛ 53:50؛ 54:18 ـ 22؛ 69:4 ـ 9؛ 89:5 ـ 9.

(2) דור הפלגה.

تُشير إلى حوادث أخرى. وربما أن الآية التالية تشير إلى بناء البرج[1]: «وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون». والمفسّرون العرب يأخذون الأمر على أنه يعني أن الأبنية ستمنحهم مسكناً دائماً، لكن الآية قد تعني أيضاً «اجعلوا ببنائها اسماً دائماً لأنفسكم». ويسمى الحي في القرآن «ذات العماد».[2] وفي أحد المقاطع[3] يبدو أن هنالك إشارة إلى نمرود، الذي عاش في هذا الوقت وفي هذه المنطقة، حيث أن أبناء عاد وبّخوا على أنهم اتبعوا أمر كلّ جبّار عنيد.[4] فالفكرة القائلة بأنهم من الوثنيين، التي أثيرت ضدهم في كل مقاطع القرآن، تتفق تماماً مع الرأي الحاخامي المعبّر عنه على النحو التالي[5]: «والقصّة بدأت عندما ارتحلوا من البداية (الشرق)، أي عندما انسحبوا عنه [اللّه] الذي هو بداية العالم». يقول محمد عن هؤلاء الناس[6] إنهم بنوا رمزاً (وثنياً) فوق كل مكان عال من

---

(1) القرآن، 129:26.

(2) القرآن، 6:89. قارن مع سفر التكوين، 4:11: וַיֹּאמְרוּ הָבָה נִבְנֶה־לָּנוּ עִיר וּמִגְדָּל וְרֹאשׁוֹ בַשָּׁמַיִם וְנַעֲשֶׂה־לָּנוּ שֵׁם פֶּן־נָפוּץ עַל־פְּנֵי כָל־הָאָרֶץ: وَقَالُوا: ((هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجاً رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْماً لِئَلَّا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ)).
ملاحظة: الآية إضافة من المترجم.

(3) القرآن، 11:62؛ واتبعوا أمر كلّ جبّار عنيد. قارن مع نص التكوين، 8:10، 9 [וְכוּשׁ יָלַד אֶת־נִמְרֹד הוּא הֵחֵל לִהְיוֹת גִּבֹּר בָּאָרֶץ: הוּא־הָיָה גִבֹּר־צַיִד לִפְנֵי יְהוָה עַל־כֵּן יֵאָמַר כְּנִמְרֹד גִּבּוֹר צַיִד לִפְנֵי יְהוָה: وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ. الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذَلِكَ يُقَالُ: ((كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ))] حيث نجد لقب نمرود دائماً גבור. ملاحظة: الآية إضافة من المترجم.

(4) يؤكّد بارتلمي د. هربلو تحت عنوان نمرود أن العرب يربطون بين نمرود وبناء البرج.

(5) مدراش راباه على سفر التكوين، 2:11: المقطع 38: ויהי בנסעם מקדם הסיעו עצמן מקדמונו של עולם.

(6) القرآن، 128:26. أتبنون بكل ريع آية تعبثون. قارن مع לצחק (يلعب)، سفر الخروج، 6:32: וַיַּשְׁכִּימוּ מִמָּחֳרָת וַיַּעֲלוּ עֹלֹת וַיַּגִּשׁוּ שְׁלָמִים וַיֵּשֶׁב הָעָם לֶאֱכֹל וְשָׁתוֹ וַיָּקֻמוּ לְצַחֵק: فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.
ملاحظة: الآية غير موجودة في نص غايغر.

أجل اللعب هناك (أي ممارسة العبادة الوثنية). ويخبرنا الحاخامات[1] أن جيل الشتات فكّر ببناء برج ووضع وثن على قمته. كما توجد تشابهات تشير إلى العقوبة التي أحاقت بهم. ويقول محمد[2] إنهم اتبعوا في هذه الدنيا لعنة وفي يوم القيامة، ويقول الحاخامات[3] إن جيل الشتات لا نصيب له في العالم الآتي، لأن الشتات المذكور مرتين ينطبق على هذا العالم والعالم الآخر. وفي تناول محمد للمسألة الأساسية يُفتقد التبصّر، لأنه بدلاً من وصف الموضوع كشتات

(1) דור הפלגה אמרו באו ונעשה לנו מגדל ונשים עבודה זרה בראשו.

(2) القرآن، 63:11.

(3) مشناه سنهدرين، 33:10: שְׁלֹשָׁה מְלָכִים וְאַרְבָּעָה הֶדְיוֹטוֹת אֵין לָהֶם חֵלֶק לָעוֹלָם הַבָּא. שְׁלֹשָׁה מְלָכִים, יָרָבְעָם, אַחְאָב, וּמְנַשֶּׁה. רַבִּי יְהוּדָה אוֹמֵר, מְנַשֶּׁה יֶשׁ לוֹ חֵלֶק לָעוֹלָם הַבָּא, שֶׁנֶּאֱמַר (דברי הימים ב לג) וַיִּתְפַּלֵּל אֵלָיו וַיֵּעָתֶר לוֹ וַיִּשְׁמַע תְּחִנָּתוֹ וַיְשִׁיבֵהוּ יְרוּשָׁלַיִם לְמַלְכוּתוֹ. אָמְרוּ לוֹ, לְמַלְכוּתוֹ הֱשִׁיבוּ וְלֹא לְחַיֵּי הָעוֹלָם הַבָּא הֱשִׁיבוֹ. אַרְבָּעָה הֶדְיוֹטוֹת, בִּלְעָם, וְדוֹאֵג, וַאֲחִיתֹפֶל, וְגֵחֲזִי:

ملاحظة من المترجم: نص المشناه المقدّم آنفاً مقدّم بكامله. النص مستلّ من موقع المشناه سنهدرين على الإنترنت: https://www.sefaria.org/Mishnah_Sanhedrin.10 ـ lang=he?11

سفر التكوين، 8:11، 9: וַיָּפֶץ יְהוָה אֹתָם מִשָּׁם עַל־פְּנֵי כָל־הָאָרֶץ וַיַּחְדְּלוּ לִבְנֹת הָעִיר׃ עַל־כֵּן קָרָא שְׁמָהּ בָּבֶל כִּי־שָׁם בָּלַל יְהוָה שְׂפַת כָּל־הָאָרֶץ וּמִשָּׁם הֱפִיצָם יְהוָה עַל־פְּנֵי כָּל־הָאָרֶץ׃ فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ. لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا ((بَابِلَ)) لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ.

ملاحظة: لا وجود لنص الآية السابقة في نص غايغر.

بسيط وتبلبل ألسنة، يتحدّث عن إبادة مطلقة للخطاة من خلال ريح[1] سامّة.[2] يرى المرء مباشرة المصدر الخاطئ الذي أخذ عنه هذا التبديل. فنحن ندرك من ناحية من معرفتنا بدوافع محمد على القيام بهذا التحوير، ومن ناحية أخرى من الدقة التي يوصف بها العقاب الجديد، أن الأمر لا يشير إلى قصّة خيالية. نتيجة لذلك يبدو أن التاريخ وصل إلى هذا التطور في فم الشعب، الذي سُرّ بهذه التوصيفات الدقيقة للعقاب. أما الانحرافات والإضافات الباقية، ولاسيما الأخيرة،

(1) {16} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ:
أَيْ مَشْئُومَات؛ قَالَهُ مُجَاهِد وَقَتَادَة. كُنَّ آخِر شَوَّال مِنْ يَوْم الْأَرْبِعَاء إِلَى يَوْم الْأَرْبِعَاء وَذَلِكَ «سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا» [الْحَاقَّة: 7] قَالَ اِبْن عَبَّاس: مَا عُذِّبَ قَوْم إِلَّا فِي يَوْم الْأَرْبِعَاء. وَقِيلَ: «نَحِسَات» بَارِدَات؛ حَكَاهُ النَّقَّاش. وَقِيلَ: مُتَتَابِعَات؛ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَعَطِيَّة. الضَّحَّاك: شِدَاد. وَقِيلَ: ذَات غُبَار؛ حَكَاهُ اِبْن عِيسَى. وَمِنْهُ قَوْل الرَّاجِز: قَدْ اِغْتَدَى قَبْل طُلُوع الشَّمْس لِلصَّيْدِ فِي يَوْم قَلِيل النَّحْس قَالَ الضَّحَّاك وَغَيْره: أَمْسَكَ اللَّه عَنْهُمْ الْمَطَر ثَلَاث سِنِينَ، وَدَرَّتْ الرِّيَاح عَلَيْهِمْ فِي غَيْر مَطَر، وَخَرَجَ مِنْهُمْ قَوْم إِلَى مَكَّة يَسْتَسْقُونَ بِهَا لِلْعِبَادِ، وَكَانَ النَّاس فِي ذَلِكَ الزَّمَان إِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاء أَوْ جَهْد طَلَبُوا إِلَى اللَّه تَعَالَى الْفَرَج مِنْهُ، وَكَانَتْ طِلْبَتهمْ ذَلِكَ مِنْ اللَّه تَعَالَى عِنْد بَيْته الْحَرَام مَكَّة مُسْلِمهمْ وَكَافِرهمْ، فَيَجْتَمِع بِمَكَّة نَاس كَثِير شَتَّى، مُخْتَلِفَة أَدْيَانهمْ، وَكُلّهمْ مُعْظِم لِمَكَّة، عَارِف حُرْمَتهَا وَمَكَانهَا مِنْ اللَّه تَعَالَى. وَقَالَ جَابِر بْن عَبْد اللَّه وَالتَّيْمِيّ: إِذَا أَرَادَ اللَّه بِقَوْمٍ خَيْرًا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ الْمَطَر وَحَبَسَ عَنْهُمْ كَثْرَة الرِّيَاح، وَإِذَا أَرَادَ اللَّه بِقَوْمٍ شَرًّا حَبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَر وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ كَثْرَة الرِّيَاح. وَقَرَأَ نَافِع وَابْن كَثِير وَأَبُو عَمْرو «نَحْسَات» بِإِسْكَانِ الْحَاء عَلَى أَنَّهُ جَمْع نَحْس الَّذِي هُوَ مَصْدَر وُصِفَ بِهِ. الْبَاقُونَ: «نَحِسَات» بِكَسْرِ الْحَاء أَيْ ذَوَات نَحْس. وَمِمَّا يَدُلّ عَلَى أَنَّ النَّحْس مَصْدَر قَوْله: «فِي يَوْم نَحْس مُسْتَمِرّ» [الْقَمَر: 19] وَلَوْ كَانَ صِفَة لَمْ يُضَفْ الْيَوْم إِلَيْهِ؛ وَبِهَذَا كَانَ يَحْتَجّ أَبُو عَمْرو عَلَى قِرَاءَته؛ وَاخْتَارَهُ أَبُو حَاتِم. وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْد الْقِرَاءَة الثَّانِيَة وَقَالَ: لَا تَصِحّ حُجَّة أَبِي عَمْرو؛ لِأَنَّهُ أَضَافَ الْيَوْم إِلَى النَّحْس فَأَسْكَنَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُون حُجَّة لَوْ نَوَّنَ الْيَوْم وَنَعَتَ وَأَسْكَنَ؛ فَقَالَ: «فِي يَوْم نَحْس» [الْقَمَر: 19] وَهَذَا لَمْ يَقْرَأ بِهِ أَحَد نَعْلَمهُ. وَقَالَ الْمَهْدَوِيّ: وَلَمْ يُسْمَع فِي «نَحْس» إِلَّا الْإِسْكَان. قَالَ الْجَوْهَرِيّ: وَقُرِئَ فِي قَوْله «فِي يَوْم نَحْس» [الْقَمَر: 19] عَلَى الصِّفَة، وَالْإِضَافَة أَكْثَر وَأَجْوَد. وَقَدْ نَحِسَ الشَّيْء بِالْكَسْرِ فَهُوَ نَحِس أَيْضًا؛ قَالَ الشَّاعِر: أَبْلِغْ جُذَامًا وَلَخْمًا أَنَّ إِخْوَتهمْ طَيًّا وَبَهْرَاء قَوْم نَصْرهمْ نَحِس وَمِنْهُ قِيلَ: أَيَّام نَحِسَات

(2) القرآن، 15:41؛ 23:46 وما بعد. 41:51؛ 19:54؛ 6:69 وما بعد.

فإن مردّها، كما لاحظنا للتو في قضية نوح، الخلط مع زمن محمد وشخصه بالذات. هذا هو الحال عندما ينقل محمد عدم الإيمان بالقيامة إلى زمن هود ويعتبره بين تلك الآثام - في ذلك الوقت - التي كانت تستحق العقاب.[1] وهذا يُرى أيضاً خاصة في الأهمية الكبيرة التي تعزا لعابر ولرغبته في تحويل الناس عن طرقهم الشريرة. ومن المؤكد أن آثاراً محدّدة لهذا يمكن أن نجدها في الكتابات اليهودية،[2] حيث قيل لنا إن عابر كان نبياً عظيماً، الذي من الروح القدس سمى ابنه فالج، لأنه في أيامه انقسمت الأرض[3] (الذي عرف به عابر مسبقاً). ويقال الكثير أيضاً عن مدرسة عابر، بل يقال إن رفقة ذهبت هناك؛ لأنه مكتوب:[4] «فمضت لتسأل الرب»،[5] ومن المفترض أن يعقوب مكث هناك مدة أربعة عشر عاماً. لكن حقيقة أن عابر بشّر الشعب، فهو أخوهم (الذي يؤكّد محمد عليه للغاية، لأنه هو نفسه أرسل كعربي إلى العرب)، لا نجد له أثر، وأقل من ذلك أنه

(1) القرآن، 37:23.

(2) سيدير عولام في مدراش يلقوط، الفصل 62: נביא גדול היה עבר שקרא את־שם בנו פלג ברוח הקדש שנ׳ כי בימיו נפלגה הארץ.

(3) سفر التكوين، 25:10: וּלְעֵבֶר יֻלַּד שְׁנֵי בָנִים שֵׁם הָאֶחָד פֶּלֶג כִּי בְיָמָיו נִפְלְגָה הָאָרֶץ וְשֵׁם אָחִיו יָקְטָן׃ وَلِعَابِرَ وُلِدَ ابْنَانِ: اسْمُ الْوَاحِدِ فَالَجُ لأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ الأَرْضُ. وَاسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ.

ملاحظة: نص الآية غير موجود في عمل غايغر.

(4) عبارة «فمضت لتسأل الرب» مأخوذة عن ترجمة فان دايك؛ وهي موجودة أيضاً في الترجمة المشتركة؛ لكنها في الترجمة الكاثوليكية ترد في الآية 23، حيث يقال: «ومضت تستشير الرب»؛ في النهاية، فالنص الأصل، العبري، يقول في نهاية الآية 22: וַתֵּלֶךְ, לִדְרֹשׁ אֶת - יְהוָה. ـ المترجم!

(5) سفر التكوين، 22:25: וַיִּתְרֹצְצוּ הַבָּנִים בְּקִרְבָּהּ וַתֹּאמֶר אִם־כֵּן לָמָּה זֶּה אָנֹכִי וַתֵּלֶךְ לִדְרֹשׁ אֶת־יְהוָה׃ وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا فَقَالَتْ: ((إِنْ كَانَ هَكَذَا فَلِمَاذَا أَنَا؟)) فَمَضَتْ لِتَسْأَلَ الرَّبَّ. مدراش راباه على التكوين، الفقرة، 63. أيضاً الفقرة 68، من أجل إقامة يعقوب المؤقتة في بيت عابر.

ملاحظة: آية التكوين غير موجودة في نص غايغر.

لم يطلب أجراً منهم.[1] ثمة نقطة لا تزال بحاجة لأن توضّح، لماذا يسمّى الجيل قيد المناقشة في القرآن قوم عاد. يقول المفسّرون[2] إن عاد هو ابن عوص، ابن إرم، ابن سام، ابن نوح؛ ويبدو أن محمداً أيضاً من هذا الرأي حيث يصل به الأمر إلى نقل الأحداث إلى أرض آرام أو إرم.[3] ومع ذلك يتبدّى لنا أساساً من واقعة أن جميع تلك الأحداث توصف بتلوين عربي، ومن ثم نُسبت إلى القبائل العربية، والتي من بينها قبيلة قديمة انقرضت وكانت تحمل التسمية عاد[4] ربما نجد في تلك التسمية أيضاً إشارة إيتمولوجية إلى «عودة» إلى السلوك الشرير الأولي لجيل الطوفان. في مقطع آخر هناك إشارة إلى هذا الحدث،[5] حيث يتم تقديم الواقعة ذاتها بشكل متطابق أكثر بكثير مع الرواية التوراتية، لكن دون تحديد للزمن أو الأشخاص بالكامل: «قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من

---

(1) القرآن، 11:53؛ 26:127.

(2) إضافة من المترجم من تفسير القرطبي: 65 { وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}
أَيْ وَأَرْسَلْنَا إِلَى عَاد أَخَاهُمْ هُودًا. قَالَ اِبْن عَبَّاس أَيْ اِبْن أَبِيهِمْ. وَقِيلَ: أَخَاهُمْ فِي الْقَبِيلَة. وَقِيلَ: أَيْ بَشَرًا مِنْ بَنِي أَبِيهِمْ آدَم. وَفِي مُصَنَّف أَبِي دَاوُد أَنَّ أَخَاهُمْ هُودًا أَيْ صَاحِبهمْ. وَعَاد مِنْ وَلَد سَام بْن نُوح. قَالَ اِبْن إِسْحَاق: وَعَاد هُوَ اِبْن عَوْص بْن إِرَم بْن شالخ بْن أَرْفَخْشَد بْن سَام بْن نُوح عَلَيْهِ السَّلَام. وَهُود هُوَ هُود بْن عَبْد اللَّه بْن رَبَاح بْن الجلود بْن عَاد بْن عَوْص بْن إِرَم بْن سَام بْن نُوح. بَعَثَهُ اللَّه إِلَى عَاد نَبِيًّا. وَكَانَ مِنْ أَوْسَطهمْ نَسَبًا وَأَفْضَلهمْ حَسَبًا. وَ «عَاد» مَنْ لَمْ يَصْرِفهُ جَعَلَهُ اِسْمًا لِلْقَبِيلَةِ، وَمَنْ صَرَفَهُ جَعَلَهُ اِسْمًا لِلْحَيِّ. قَالَ أَبُو حَاتِم: وَفِي حَرْف أُبَيّ وَابْن مَسْعُود «عَاد الْأُولَى» [ق: 13] بِغَيْرِ أَلِف. وَ «هُود» أَعْجَمِيّ، وَانْصَرَفَ لِخِفَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى ثَلَاثَة أَحْرُف. وَقَدْ يَجُوز أَنْ يَكُون عَرَبِيًّا مُشْتَقًّا مِنْ هَادَ يَهُود. وَالنَّصْب عَلَى الْبَدَل. وَكَانَ بَيْن هُود وَنُوح فِيمَا ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ سَبْعَة آبَاءٍ. وَكَانَتْ عَاد فِيمَا رُوِيَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبِيلَةً، يَنْزِلُونَ الرِّمَالَ، رَمْل عَالِج. وَكَانُوا أَهْلَ بَسَاتِينَ وَزُرُوعٍ وَعِمَارَة، وَكَانَتْ بِلَادهمْ أَخْصَب الْبِلَاد، فَسَخِطَ اللَّه عَلَيْهِمْ فَجَعَلَهَا مَفَاوِز. وَكَانَتْ فِيمَا رُوِيَ بِنَوَاحِي حَضْرَمَوْت إِلَى الْيَمَن، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَام. وَلَحِقَ هُود حِين أُهْلِكَ قَوْمه بِمَنْ آمَنَ مَعَهُ بِمَكَّة، فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى مَاتُوا.

(3) القرآن، 6:89.

(4) Poc. Spec., p. 3

(5) القرآن، 28:16.

القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون». وعلى هذا يعلّق إلفيرار:[1] «وهم نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء». ثم يكمل: «ولمّا سقط الصرح تبلبلت لسان الناس من الفزع يومئذٍ، فتكلموا ثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميّت بابل (الارتباك)، وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية». الحاخامات، أيضاً، يؤكدون أنه قبل ذلك تحدّث الناس باللغة العبرية، لكنهم بعد ذلك تكلّموا بسبعين لغة. يقول جلال الدين الشيء نفسه،[2] ويضيف أن نمرود بنى البرج «ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها».[3]

(1) ملاحظة من المترجم: النص ذاته موجود عند البغوي في تفسيره: (قد مكر الذين من قبلهم فأتى اللّه بنيانهم من القواعد فخَرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (26) (ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين (27) الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن اللّه عليم بما كنتم تعملون (28)).

قوله تعالى: (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بن كنعان، بنى الصرح ببابل ليصعد إلى السماء. قال ابن عباس ووهب: كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع.

وقال كعب ومقاتل: كان طوله فرسخين، فهبت ريح وألقت رأسه في البحر، وخَرَّ عليهم الباقي وهم تحته، ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل، وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى: (فأتى اللّه بنيانهم من القواعد) أي: قصد تخريب بنيانهم من أصولها (فخر عليهم السقف) يعني أعلى البيوت (من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من مأمنهم. (ثم يوم القيامة يخزيهم) يهينهم بالعذاب، (ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) تخالفون المؤمنين فيهم، ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب؟

وكسر نافع النون من «تشاقون» على الإضافة، والآخرون بفتحها.

(قال الذين أوتوا العلم) [وهم المؤمنون] (إن الخزي) الهوان، (اليوم والسوء) أي العذاب، (على الكافرين) (الذين تتوفاهم الملائكة) يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة «يتوفاهم» بالياء وكذا ما بعده، (ظالمي أنفسهم) بالكفر، ونصب على الحال أي: في حال كفرهم، (فألقوا السلم) [ص: 17] أي استسلموا وانقادوا وقالوا: (ما كنا نعمل من سوء) شرك، فقال لهم الملائكة: (بلى إن اللّه عليم بما كنتم تعملون) قال عكرمة: عنى بذلك من قتل من الكفار ببدر.

(2) Maracc على المقطع.

(3) النص هنا من تفسير الجلالين: تفسير الجلالين

لكن تطابق هذا السرد مع السرد المتعلّق بهود أو عاد لا يقبله أبو الفداء[1] بأكثر

«قد مكر الذين من قبلهم» وهو نمروذ بنى صرحاً طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها «فأتى اللّهُ» قصد «بنيانهم من القواعد» الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته «فخر عليهم السقف من فوقهم» أي هم تحته «وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون» من جهة لا تخطر ببالهم وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل. ـ إضافة من المترجم

(1) *Hist. Anteislamica*، pp. 18، 20: نص أبي الفداء: ولما مضت سنة ثلاثمائة وخمسين للطوفان، توفي نوح عليه السلام، وعمره تسعمائة وخمسون سنة، فتكون وفاة نوح لمضي أربع وسبعين سنة من عمر شالح. ثم ولد لشالح عابر، لما صار لشالح من العمر مائة وثلاثون سنة، وذلك لمضي أربع مائة وست سنين للطوفان.

ثم ولد لعابر فالغ لما صار لعابر مائة وأربع وثلاثون سنة، وذلك لمضي خمسمائة وأربعين سنة للطوفان. ثم ولد لفالغ رعو، ولفالغ مائة وثلاثون سنة، وعند مولد رعو تبلبلت الألسن وقسمت الأرض، وتفرق بنو نوح، وذلك لمضي ستمائة وسبعين سنة للطوفان.

ولما صار لرعو مائة واثنتان وثلاثون سنة ولد له ساروع ـ واسمه في التوراة سرور ـ وذلك بعد أن مضى ثمانمائة وسنتان للطوفان.

ولما صار لساروع مائة وثلاثون سنة ولد له ناحور، وذلك لمضي سنة ثلاثين وتسعمائة للطوفان، ولما صار لناحور تسع وسبعون سنة ولد له تارح، وذلك لمضي ألف سنة وإحدى عشرة سنة للطوفان.

ولما صار لتارح سبعون سنة ولد له إبراهيم الخليل عليه السلام، وذلك لمضي ألف وإحدى وثمانين سنة للطوفان.

وأما جملة أعمار المذكورين، فعاش سام ستمائة سنة فتكون وفاته بعد وفاة نوح بمائة وخمسين سنة، وعاش أرفخشذ أربعمائة وخمساً وستين سنة، وعاش قينان أربع مائة وثلاثين سنة، وعاش شالح أربعمائة وستين سنة، وعابر أربعمائة وأربعاً وستين سنة، وفالغ ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين سنة، ورعو ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين سنة، وساروع ثلاثمائة وثلاثين سنة، وناحور مائتين وثمان سنين، وتارح مائتين وخمس سنين.

وأما سبب تبلبل الألسن فقد ذكر أبو عيسي أن بني نوح الذين نشؤوا بعد الطوفان، اجتمعوا على بناء حصن يتحرزون به خوفاً من مجيء الطوفان مرة ثانية، والذي وقع رأيهم عليه أن يبنوا صرحاً شامخاً تبلغ رأسه السماء، فجعلوا له اثنين وسبعين برجاً، وجعلوا على كل برج كبيراً منهم يستحث على العمل، فانتقم اللّه تعالى منه، وبلبل ألسنتهم إلى لغات شتى.

ولم يوافقهم عابر على ذلك، واستمر على طاعة اللّه تعالى، فبقاه اللّه تعالى على اللغة العبرانية، ولم ينقله عنها.

ولما افترقت بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي ذلك إلى الهند، وصار لوالد حام الجنوب مما يلي مصر على النيل، وكذلك مغرباً إلى منتهى المغرب الأقصى، وصار لولد يافث مما يلي بحر الخزر، وكذلك مشرقاً إلى جهة الصين، وكانت شعوب أولاد نوح الثلاثة عند تبلل الألسن اثنين وسبعين شعباً.

مما يقبله إلفيرار وجلال الدين، حتى بناء على الرأي القائل إن هوداً هو نفسه عابر. وعلى الرغم من أن تلوين هذا السرد كما يرد في القرآن يختلف كثيراً عن ذلك الذي في الرواية التوراتية، لكن تماثل السردين يمكن أن يظهر من خلال وضع هذا وذاك معاً، وشرح الطريقة التي ظهرت فيها الفروق الفردية. لكن في حالة السرد الآخر الذي يتبع هذا السرد في جميع مقاطع القرآن تقريباً،[1] فإنه

ذكر هود وصالح:

وهما نبيان أرسلا بعد نوح وقبل إبراهيم الخليل عليه السلام، أما هود فقد قيل إنه عابر بن شالح المذكور. وأرسل الله هوداً إلى عاد ـ وكانوا أهل أصنام ثلاثة ـ وكان عاد وثمود جبارين طوال القامات، كما أخبر الله في التنزيل عنهم، قال الله تعالى: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة} [الأعراف: 69] ودعا هود قوم عاد فلم يؤمن منهم إلا القليل، فأهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ـ والحسوم الدائم ـ فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك، غير هود والمؤمنين معه، فإنهم اعتزلوا في حظيرة، وبقي هود كذلك حتى مات، وقبره بحضرموت، وقيل بالحجر من مكة.

ويروى أنه كان من قوم عاد شخص اسمه لقمان، وهو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد داود النبي عليه السلام، وكان قد حصل لعاد ـ قبل أن يهلكهم الله ـ الجدب، فأرسلوا جماعة منهم إلى مكة يستسقون لهم، وكان من جملة الجماعة المذكورين لقمان المذكور.

فلما هلكت عاد كما ذكرنا بقي لقمان بالحرم، فقال له الله تعالى: اختر ولا سبيل إلى الخلود، فقال: يا رب، أعطني عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفرخ الذكر يخرج من بيضته، حتى إذا مات أخذ غيره، وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة، وكان اسم النسر السابع لبداً، فلما مات لبد مات لقمان معه، وقد أكثر الناس والعرب في أشعارهم من ذكر هذه الواقعة فلذلك ذكرناها.

وأما صالح، فأرسله الله إلى ثمود، وهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماشج ابن عبيد بن خادر بن ثمود، فدعا صالح قوم ثمود إلى التوحيد ـ وكان مسكن ثمود بالحجر كما تقدم ذكره ـ فلم يؤمن به إلا قليل مستضعفون، ثم إن كفارهم عاهدوا صالحاً على أنه إن أتى بما يقترحونه عليه آمنوا به، واقترحوا عليه أن يخرج من صخرة معينة ناقة، فسأل صالح الله تعالى في ذلك، فخرج من تلك الصخرة ناقة، وولدت فصيلاً، فلم يؤمنوا، وآخر الحال أنهم عقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة، فتقطعت قلوبهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وسار صالح إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز، يعبد الله إلى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ـ مترجم.

(1) عدا في القرآن، 12:50، و4:69، حيث يسبق الأمر. في المقطع الأول يسبق الأمر قصّة أهل مدين أيضاً، وهكذا لا يعقب ذلك أية منظومة كرونولوجيّة. في القرآن، 48:51 و51:53، يسبق الأمر

من الصعب جداً معرفة الموضوع الذي يتناوله والشخصيات التوارتية التي يشير إليها. وهذا السرد هو المتعلّق بثمود[1] والتي هي مثل عاد قبيلة عربية قديمة بائدة،[2] والذين أرسل لهم أخوهم صالح عندما سقطوا في الخطيئة.[3] ويقال إن صالح حثّ الثموديين على البر وأوصاهم بناقة محددة باعتبارها في حماية إلهية خاصّة؛ بل حظر عليهم أن يشتركوا بالماء معها.[4] لكن غير مؤمني زمنه (وفقاً لمقطع آخر[5] عددهم تسعة فقط) عقروها فحلّ بهم العقاب الإلهي. ولا أجد ظاهرة مماثلة في الكتابات اليهودية، لكن أرجحية الاسم تشير إلى شالح[6] الذي هو مع ذلك، كوالد لعابر، كان يستحق أن يذكر قبله.[7] وعلى العموم، فالكلمة عامّة جداً في معناها الذي هو «رجل تقي» بحيث لا يمكننا التعامل بنوع من التوكيد على أنها كانت في الأصل اسم علم.[8] ولعلّ قصّة العقر تقوم على أساس

بالفعل قصّة الطوفان، وفي القرآن، 18:85، يوضع فرعون قبل ثمود بسبب الإيقاع.

(1) ثمود، صالح.

(2) .Poc. Spec., p. 3

(3) المقاطع التي تتناول هذا هي التالية: القرآن: 71:7 ـ 78؛ 64:11 ـ 72؛ 43:22؛ 40:25؛ 141:26 ـ 160؛ 46:27 ـ 55؛ 37:29؛ 12:38؛ 32:40؛ 12:38؛ 32:40؛ 12:41 ـ 18؛ 12:50؛ 43:51 ـ 46؛ 51:53؛ 23:54 ـ 33؛ 4:69 ـ 6؛ 18:85؛ 11:101 ـ 16.

(4) 433) القرآن، 28:54؛ 12:91.

(5) القرآن، 49:27.

(6) שלח. انظر: سفر التكوين، 24:10: וְאַרְפַּכְשַׁד יָלַד אֶת־שָׁלַח וְשֶׁלַח יָלַד אֶת־עֵבֶר׃ وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ. [ملاحظة: الآية غير واردة في نص غايغر]. هذا هو رأي د'هربيلو أيضاً. انظر: Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الفقرة صالح.

(7) لكن إسماعيل بن علي يؤكّد أن صالح عاش بعد هود. (Maracc، Prodr.، 93:4).

(8) يدعو الكتّاب المتأخرون شالح سالح أيضاً كما في المقطع المستشهد به سابقاً من إلفيرار، والذي يقدّم مع ذلك علم أنساب مختلف لصالح في تفسيره للآية 71:7. يبقى أنه في نسخة من الترجمة السامرية العربية لأسفار التوراة الخمسة الأولى أن שלח تُترجم بصالح. (قارن دي ساسي في عمل آيخهورن، X ،*Allgemeine Bibliothek der biblischen Litteratur*، ص ص. 47، 110، 11).

من كلمات في بركة يعقوب لأبنائه[1]، وتقاسم المياه على إيتمولوجية الكلمة ثمود.[2] علاوة على ذلك فقد كان ثمود، وفقاً للمفسّرين، ابن جاثِر بن آرام بن سام، بن نوح، الذي يتناسب بشكل جيد مع التاريخ الذي تم تعيينه للتو إلى شالح.[3] غير أنه من المستحيل بالنسبة لي إعطاء تفسير أكثر دقة من الكتابات اليهودية.

جـ ـ من إبراهيم إلى موسى.

على الرغم من أن القديسين المذكورين آنفاً حملوا بعض الشبه بمحمد، وعلى الرغم من أن ظرفهم، الذي يشبه ظرفه إلى حد بعيد، شجّعه أيضاً على تأكيد مقولاته، مع ذلك كان إبراهيم نموذجه العظيم، الرجل الذي أحب بأكثر ما يكون من الحب أن يقارن نفسه به ويجعله متطابقاً معه في الرأي. ملّة

(1) سفر التكوين، 6:49: בְּסֹדָם אַל־תָּבֹא נַפְשִׁי בִּקְהָלָם אַל־תֵּחַד כְּבֹדִי כִּי בְאַפָּם הָרְגוּ אִישׁ וּבִרְצֹנָם עִקְּרוּ־שׁוֹר: فِي مَجْلِسِهِمَا لاَ تَدْخُلُ نَفْسِي. بِمَجْمَعِهِمَا لاَ تَتَّحِدُ كَرَامَتِي. لأَنَّهُمَا فِي غَضَبِهِمَا قَتَلاَ إِنْسَاناً وَفِي رِضَاهُمَا عَرْقَبَا ثَوْراً. الآية غير واردة في نص غايغر.

(2) من ثَمَدَ، أي يطلب الماء.

(3) يُفترض أن أهل الحجر المذكورين في القرآن 80:15 هم أنفسهم قوم ثمود، كما يقول إلفيرار أيضاً. [إضافة من المترجم: يقول البغوي في تفسيره: وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80): قوله تعالى: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين. الحجر ينطوي على معان: منها حجر الكعبة. ومنها الحرام؛ قال اللّه ـ تعالى ـ : وحجراً محجوراً أي حراماً محرماً. والحجر العقل؛ قال اللّه ـ تعالى ـ : لذي حجر والحجر حجر القميص؛ والفتح أفصح. والحجر الفرس الأنثى. والحجر ديار ثمود، وهو المراد هنا، أي المدينة؛ قاله الأزهري. قتادة: وهي ما بين مكة وتبوك، وهو الوادي الذي فيه ثمود. الطبري: هي أرض بين الحجاز والشام، وهم قوم صالح. وقال: «المرسلين» وهو صالح وحده، ولكن من كذب نبياً فقد كذب الأنبياء كلهم؛ لأنهم على دين واحد في الأصول فلا يجوز التفريق بينهم. وقيل: كذبوا صالحاً ومن تبعه ومن تقدمه من النبيين أيضاً]؛ لكن هذا الرأي لا أساس له ويبدو غير محتمل، لأنه في هذا المقطع حيث يبدو ملاحظاً النظام الكرونولوجي، فإن القصص المتعلّقة بإبراهيم والملائكة، بلوط في علاقته مع إبراهيم، وحول أهل مدين إنما تُعطى على نحو أقدم.

إبراهيم[1] هي الملّة التي بُشّر بها في القرآن.[2] كان مؤمناً بوحدانية اللّه.[3] ولم يكن يهودياً ولا مسيحياً لأنه مكتوب:[4] «ما كان إبراهيم يهودياً، ولا نصرانيّاً، ولكن كان حنيفاً مسلماً».[5] إنه يُمثّل كخليل للّه،[6] وهذا اسمه في جميع أنحاء الشرق.[7] إن أهمية إبراهيم والمواد الغنية الأسطورية المتعلقة به، التي تقدّمها اليهودية تقودنا إلى توقع الكثير عنه في القرآن، وتوقعنا لا يخيب. إنه هو الذي يُرجع إليه تأسيس الكعبة.[8] وهو المفترض أنه عاش في الهيكل،[9]وأنه ألّف

---

(1) ملّة إبراهيم.

(2) القرآن، 124:16.

(3) حنيف؛ القرآن، 129:2؛ 60:3؛ 79:4؛ 121:16، 124.

(4) القرآن، 134:2.

(5) في هذا يقول البيضاوي التالي: تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم وزعم كلّ فريق أنه منهم وترافعوا إلى رسول اللّه صلعم، فنزل؛ والمعنى أن اليهودية والنصرانيّة حدثت بنزول التوراة والإنجيل على موسى وعيسى. ذلك هو الرأي اليهودي كما يظهره المقطع التالي:
קים אברהם אבינו את כל התורה כלה שנאמר עקב אשר שמע אברהם בקולי: حفظ إبراهيم أبونا الشريعة كلّها، لأنه مكتوب (تك، 5:26): עֵקֶב אֲשֶׁר־שָׁמַע אַבְרָהָם בְּקֹלִי וַיִּשְׁמֹר מִשְׁמַרְתִּי מִצְוֹתַי חֻקּוֹתַי וְתוֹרֹתָי: مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي. (رسالة يوما التلمودية، 2:28).
ملاحظة: الآية من التكوين غير موجودة في نص غايغر. أما بالنسبة للتفسير، فقد وجدنا في تفسير أبي السعود ما يلي: {يأ أَهْلَ الكتاب} من اليهود والنصارى {لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إبراهيم} أي في مِلّته وشريعتِه. تنازعت اليهودُ والنصارى في إبراهيمَ عليه السلام وزعم كلٌّ منهم أنه عليه السلام منهم وترافَعوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فنزلت، والمعنى لم تدعون أنه عليه السلام كان منكم {وَمَا أُنزِلَتِ التوراة} على موسى عليه الصلاة والسلام {والإنجيل} على عيسى عليه الصلاة والسلام {إِلاَّ مِن بَعْدِهِ} حيث كان من بينه وبين موسى عليهما السلام ألفُ سنةٍ وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألفا سنةٍ فكيف يمكن أن يتفوَّهَ به عاقلٌ {أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} أي ألا تتفكرون فلا تعقِلون بطلانَ مذهبِكم أو أتقولون ذلك فلا تعقلون بُطلانه.

(6) خليل اللّه.

(7) واتخذ اللّه إبراهيم خليلًا. القرآن، 124:4.

(8) القرآن، 119:2 وما بعد.

(9) القرآن، 40:14.

أسفاراً.[1] وهذا الرأي أيضاً يعتقد به الحاخامات، فكثير منهم يعزو إلى لإبراهيم الكتاب القبالي المعروف للغاية والذي هو دون أدنى شك قديم جدّاً، أي سفر جزيرا.[2] وإذا ما عبرنا إلى أحداث حياته، فسوف نصل أولًا إلى الأسطورة الجميلة التي تحكي عن وصوله إلى المعرفة الحقيقية باللّه. لقد قيل لكم أيضاً كيف حاول إقناع والده وشعبه بذلك، والمثال الخاص على هذا عندما حطّم الأصنام، ووضع المطرقة في يد أكبرهم، حيث عزا هذا العمل له، وسعى بذلك لإقناع الشعب، الذي كان يدرك استحالة أن يفعل الأصنام ذلك، لأنه ليس بإمكانهم التحرك، لكنهم لم يقنعوا بذلك.[3] كذلك يُمثّل إبراهيم على أنه يصلي عبثاً كي يُعفى والده من عقاب الجحيم.[4] يقال لنا أيضاً إن الشعب، الذي أثاره سلوك إبراهيم حيال الأصنام، أراد أن يحرقه حياً، لكن إبراهيم يتم إنقاذه من هذا المصير من خلال تدخل إلهي.[5] والقصة كلها مأخوذة عن الكتابات الحاخامية، حيث نقرأ ما يلي.[6] «كان تارح يعبد الأوثان ويبيعها أيضاً. وذات مرة ذهب

---

(1) القرآن، 19:87.

(2) ربما يكون اسم السفر خطأً مطبعياً، والأخطاء المطبعية منتشرة في هذا العمل. لكن الحقيقة أن اسم الكتاب هو «سفر يصيراه: ספר יצירה»، ومعناه بالعبرية، كتاب التشكيل. وهو أقدم نص قبالي يهودي وأكثرها أهمية. يمكن النظر إلى سفر يصيراه [نلتزم هنا بالعبرية التوراتية] على أنه سفر التكوين القبالي. مع ذلك، فإن بعض المفسّرين اليهود القدامى تناولوا العمل كمقالة تعنى بشؤون الرياضيات والألسنيات من منظور مناقض للقبالة. ورغم أن العمل يعزا تقليدياً لإبراهيم، إلا أن بعضهم يعزوه للحاخام الشهير عقيبا. ـ مترجم عربي.

(3) القرآن، 74:6 ـ 82؛ 42:19 ـ 51؛ 52:21 ـ 69؛ 43:22؛ 69:26 ـ 105؛ 15:29 ـ 23؛ 81:37 ـ 95؛ 25:43 ـ 28؛ 4:60 ـ 6.

(4) القرآن، 115:9؛ 86:26 ـ 104؛ 4:60. السنّة (؟) 395.

(5) القرآن، 260:2؛ 69:21 ـ 74؛ 23:29 ـ 27؛ 95:37 ـ 99.

(6) مدراش راباه على سفر التكوين، الفقرة 38:

תֶּרַח עוֹבֵד צְלָמִים הָיָה, חַד זְמַן נְפֵיק לַאֲתַר, הוֹשִׁיב לְאַבְרָהָם מוֹכֵר תַּחְתָּיו. הֲוָה אָתֵי בַּר אֵינַשׁ בָּעֵי דְּיִזְבַּן, וַהֲוָה אֲמַר לֵהּ בַּר כַּמָּה שְׁנִין אַתְּ, וַהֲוָה אֲמַר לֵיהּ בַּר חַמְשִׁין אוֹ שִׁתִּין, וַהֲוָה אֲמַר לֵיהּ וַי לֵיהּ לְהַהוּא גַּבְרָא דַּהֲוָה בַּר שִׁתִּין וּבָעֵי לְמִסְגַּד לְבַר יוֹמֵי, וַהֲוָה מִתְבַּיֵּשׁ וְהוֹלֵךְ לוֹ.

والده وسمح لإبراهيم بأن يأخذ مكانه كبائع. فجاء إليه رجل وكان يرغب بشراء أحد الأصنام. فقال له إبراهيم: كم عمرك؟ فأجاب هذا: خمسون سنة أو ستون. فقال إبراهيم: الويل لرجل عمره ستون عاماً، والذي يرغب بعبادة صنم، عمره يوم واحد ليس إلا. فخجل[1] المشتري من نفسه ومضى. وذات مرة جاءت امرأة تحمل في يدها طاسة فيها دقيق ناعم. فقالت لإبراهيم: أنت الذي هنا، ضع هذا أمام الأصنام! فنهض إبراهيم، تناول بيده عصا، وحطّم الأصنام كلها، ووضع العصا بيد كبيرهم. وحالما جاء والده، سأله: من فعل بهم (الأصنام) ذلك؟ فقال إبراهيم: لماذا علي أن أخفي الأمر عنك؟ لقد جاءت إلي امرأة تحمل في يدها طاسة فيها دقيق ناعم وطلبت مني أن أضعها أمامهم! ولم أكد أن أفعل ذلك

חַד זְמַן אֲתָא חַד אִתְּתָא טְעִינָא בִּידָהּ חָדָא פִּינָךְ דְּסֹלֶת, אֲמָרָהּ לֵיהּ הָא לָךְ קָרֵב קֳדָמֵיהוֹן,
קָם נְסֵיב בּוּקְלָסָא בִּידֵיהּ, וְתַבְּרִינוּן לְכֻלְּהוֹן פְּסִילַיָּא, וִיהַב בּוּקְלָסָא בִּידָא דְּרַבָּה דַּהֲוָה בֵּינֵיהוֹן.
כֵּיוָן דַּאֲתָא אֲבוּהָ אֲמַר לֵיהּ מַאן עָבֵיד לְהוֹן כְּדֵין, אֲמַר לֵיהּ מָה נְּכַפּוּר מִינָךְ אֲתַת חָדָא אִתְּתָא
טְעִינָא לָהּ חָדָא פִּינָךְ דְּסֹלֶת, וַאֲמַרַת לִי הֵא לָךְ קָרֵיב קֳדָמֵיהוֹן, קָרֵיבְתְּ לְקֳדָמֵיהוֹן הֲוָה דֵּין אֲמַר
אֲנָא אֵיכוֹל קַדְמָאי, וְדֵין אֲמַר אֲנָא אֵיכוֹל קַדְמָאי, קָם הָדֵין רַבָּה דַּהֲוָה בֵּינֵיהוֹן נְסַב בּוּקְלָסָא
וְתַבְּרִינוּן. אֲמַר לֵיהּ מָה אַתָּה מַפְלֶה בִּי, וְיָדְעִין אִינוּן. אֲמַר לֵיהּ וְלֹא יִשְׁמְעוּ אָזְנֶיךָ מַה שֶּׁפִּיךָ
אוֹמֵר. נַסְבֵיהּ וּמְסָרֵיהּ לְנִמְרוֹד. אֲמַר לֵיהּ נִסְגּוֹד לְנוּרָא, אֲמַר לֵיהּ אַבְרָהָם וְנִסְגּוֹד לְמַיָּא דְּמַטְפִין
נוּרָא. אֲמַר לֵיהּ נִמְרוֹד נִסְגּוֹד לְמַיָּא, אֲמַר לֵיהּ אִם כֵּן נִסְגּוֹד לַעֲנָנָא דְּטָעִין מַיָּא. אֲמַר לֵיהּ נִסְגּוֹד
לַעֲנָנָא. אֲמַר לֵיהּ אִם כֵּן נִסְגּוֹד לְרוּחָא דִּמְבַדַּר עֲנָנָא. אֲמַר לֵיהּ נִסְגּוֹד לְרוּחָא. אֲמַר לֵיהּ וְנִסְגּוֹד
לְבַר אֵינָשָׁא דְּסָבֵיל רוּחָא. אֲמַר לֵיהּ מִלִּין אַתְּ מִשְׁתָּעֵי, אֲנִי אֵינִי מִשְׁתַּחֲוֶה אֶלָּא לָאוּר, הֲרֵי אֲנִי
מַשְׁלִיכֲךָ בְּתוֹכוֹ, וְיָבוֹא אֱלוֹהַּ שֶׁאַתָּה מִשְׁתַּחֲוֶה לוֹ וְיַצִּילְךָ הֵימֶנּוּ. הֲוָה תַּמָּן הָרָן קָאֵים פְּלוּג, אָמַר
מַה נַּפְשָׁךְ אִם נָצַח אַבְרָהָם אֲנָא אָמַר מִן דְּאַבְרָהָם אֲנָא וְאִם נָצַח נִמְרוֹד אֲנָא אֲמַר דְּנִמְרוֹד
אֲנָא. כֵּיוָן שֶׁיָּרַד אַבְרָהָם לְכִבְשַׁן הָאֵשׁ וְנִצַּל.

ملاحظة من المترجم:

النص مأخوذ عن الإنترنت، لأن نص غايغر بسبب قدمه مليء بالأخطاء. الرابط هو: https://www.sefaria.org/Bereishit_Rabbah.38.14?lang=bi

ترجمة النص السابق موجود في كتابنا المترجم لتلميذ غايغر، شباير، *قصص أهل الكتاب في القرآن*.

(1) يقول أبو الفداء: *Hist. Anteislmica*, page. 20: «وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها وكان إبراهيم يقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه». ـ النص هنا منقول عن تاريخ أبي الفداء الموجود على موقع الكتروني. ـ مترجم عربي.

حتى أراد كلّ منهم أن يأكل قبل الآخر، فنهض أكبرهم، تناول عصاً وراح يهشمهم. فقال تارح لابنه: لماذا تهزأ مني؟ هل لديهم فهم إذن؟ فقال له إبراهيم: أسمعت أذناك إذن، ما يقوله فمك؟ فأخذه تارح وسلّمه لنمرود، الذي قال: «سنعبد النار». وقال إبراهيم: «المياه أفضل، لأنها تخمدها. المياه إذن. [قال إبراهيم]، السحابة أفضل لأنها تحمل المياه. [قال نمرود]، السحابة إذن. [ردّ إبراهيم]، الرياح أفضل لأنها تفرّق السحاب. [قال إبراهيم]، البشر أفضل، لأنهم يقاومون الريح. فغضب نمرود، وقال: أنت تلقي خطباً فحسب. أنا أعبد النار وسأرمي بك فيها. علّ الإله الذي تعبد يأتي ويخلّصك منها. ثم ألقي بإبراهيم في فرن متوهج، لكنه حُفظ منه. لا تُذكر شفاعته لأجل والده في الكتابات اليهودية؛ وكون هذا عقيماً، أي أن إبراهيم، وقد وصل إلى فهم أوضح، توقف عن محاولته،[1] إنما يبدو متناقضاً بشكل مباشر مع وجهة النظر اليهودية كما يُعبّر عنها في المقطع التالي:[2] وأمّا أنت فتمضي إلى آبائك بسلام، يتبيّن لإبراهيم أن والده كان يشارك في الحياة الأبدية». بل إنّ قولاً حاخامياً[3] يقدّم لنا قاعدة عامة تقول إن «الابن يُطهّر الأب، لكن الأب لا يُطهّر الابن». لكن محمد غالباً ما يحارب هذا الرأي والرأي المشابه القائل إن مزايا الأسلاف تُحسب خيراً لنسلهم.[4] على سبيل المثال يقول: «تِلْكَ أُمَّةٌ

---

(1) القرآن، 115:9.

(2) مدراش راباه على التكوين، 38: וְאַתָּה תָּבוֹא אֶל אֲבֹתֶיךָ בְּשָׁלוֹם, בִּשְּׂרוֹ שֶׁיֵּשׁ לְאָבִיו חֵלֶק לָעוֹלָם הַבָּא, (בראשית טו, טו): תִּקָּבֵר בְּשֵׂיבָה טוֹבָה, בִּשְּׂרוֹ שֶׁיִּשְׁמָעֵאל עוֹשֶׂה תְּשׁוּבָה. ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ من موقع على الإنترنت: https://www. sefaria.org/Bereishit_Rabbah.37 ـ lang=bi?39

انظر: سفر التكوين، 15:15: וְאַתָּה תָּבוֹא אֶל־אֲבֹתֶיךָ בְּשָׁלוֹם תִּקָּבֵר בְּשֵׂיבָה טוֹבָה׃ وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ.

ملاحظة: الآية غير موجودة عند غايغر.

(3) سنهدرين، 104: ברא מזכי אבא אבא לו מזכי ברא.

(4) זכות אבות..

(الآباء) قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ، وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ».[1]
وكون محمد يقدّم حواراً بين إبراهيم والقوم، في حين أن المدراش يقدّم لنا حواراً مع أبيه فحسب، إنما تفسّره واقعة أن إبراهيم إنما كانت النية أن يكون أنموذجاً لمحمد، وهكذا كان من الضروري أن يقدّم كواعظ لعامة الناس. ظرف آخر ذكر في القرآن، هو أن لوط آمن مع إبراهيم ومن خلاله،[2] ربما نشأ عن مقطع في المدراش يعقب مباشرة الذي أوردناه للتو، والذي يقول إن هاران والد لوط كان في البداية مزعزع الإيمان، لكنه تحوّل إلى رأي إبراهيم بعد خلاص الأخير. مع ذلك فقد فشل هاران في محنة النار التي تعرّض لها من ثم. بالمناسبة، فإن فكرة اهتداء لوط مشتقة أساساً من الرواية المقدّمة لحياته اللاحقة، التي يظهر فيها كرجل تقي؛ ولعل هذا هو السبب الذي يجعل من محمد يربط نفسه مع الحدث المروي للتو. ويبدو أحياناً أن محمداً أربك ذاته مع إبراهيم إلى درجة أنه، وسط الخطب المنسوبة إلى الأخير، ينطلق في استطرادات لا تناسب أحداً غيره هو، ومن ثم يتخلّى عن دور القاص ليدخل في دور الواعظ. ففي أحد المقاطع،[3] نجد وصفاً مسهباً للجحيم والجنة، وفي مقطع آخر،[4] يُقال إنّ أولئك الذين جاؤوا من قبل كانوا قد اتهموا أيضاً بالدجل. ولا شك أن إبراهيم ربما قال هذا بالإشارة إلى نوح وهود وصالح، إلا أن الكلمات هنا تبدو مقحمة إلى خطابه، بل الحقيقة، أننا نجد في إحدى الآيات كلمة «قل» والتي تعتبر في القرآن الخطاب الدائم من اللّه (أو جبريل) لمحمد.[5] هذا الرأي يجعل من غير الضروري اعتماد المحاولة اليائسة لفال Wahl، الذي يفترض تبديلاً للآيات، أو أحد أشكال الدسّ. والتفسير

(1) القرآن، 128:2، 135.
(2) القرآن، 71:21؛ 25:29.
(3) القرآن، 88:26 ـ 104.
(4) القرآن، 17:29 ـ 28.
(5) قارن آنفاً بشأن نوح.

الحقيقي بالأحرى هو مطابقة محمد التامة لإبراهيم مع ذاته. أكثر من ذلك، فهو لا يقنع بجعل إبراهيم يعظ ضد الوثنية، بل يمثله أيضاً على أنه يعلّم عقيدة قيامة الموتى.[1] مع ذلك فإن افتقاد الثقة الكاملة بشأن هذه العقيدة[2] أدّى

---

(1) القرآن، 260:2؛ 81:26.

(2) يقول البيضاوي تعليقاً على الآية 262:2: «قيل لمّا قال نمرود: أنا أحيي وأميت؛ قال: إن الإحياء بِرَدّ الروح إلى بدنها؛ فقال: هل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول: نعم! وانتقل إلى تقرير آخر، ثم سأل ربّه ليريه ليطمئن قلبه في الجواب إن سأل عنه مرّة أخرى».

ملاحظة من المترجم:

جاء في تفسير البيضاوي:{وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الموتى} إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً، وقيل لما قال نمرود: أنا أحيي وأميت!!! قال له: إنّ إحياء اللّه تعالى برد الروح إلى بدنها، فقال نمرود: هل عاينته؟؟؟ فلم يقدر أن يقول نعم، وانتقل إلى تقرير آخر، ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى، {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ}؟؟ بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة، قال له ذلك: وقد علم أنه أغرق الناس في الإيمان، ليجيب بما أجاب به، فيعلم السامعون غرضه، {قَالَ بلى ولكن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} أي بلى آمنت، ولكن سألت ذلك، لأزيد بصيرة، وسكون قلب، بمضامة العيان إلى الوحي أو الاستدلال، {قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطير} قيل: طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة، ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة، وفيه إيماء إلى أنّ إحياء النفس بالحياة الأبدية، إنما يتأتى بإماتة حب الشّهوات والزخارف، الذي هو صفة الطاوس، والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب، والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام، وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان، والطير مصدر سمّي به أو جمع كصحب، {فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ} فأملهنّ واضممهنّ إليك، لتتأملها وتعرف شياتها، لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء، وقرأ حمزة ويعقوب: {فَصِرْهُنَّ} بالكسر...

وقرىء: {فَصُرْهُنَّ} بضم الصاد وكسرها وهما لغتان، مشددة الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه، وفصرهنّ من التصرية وهي: الجمع أيضاً، {ثُمَّ اجعل على كُلّ جَبَلٍ مّنْهُنَّ جُزْءاً} أي ثم جزئهنّ، وفرّق أجزاءهنّ، على الجبال، التي بحضرتك، قيل كانت أربعة!! وقيل سبعة!!! وقرأ أبو بكر: «جزؤا» و«جزؤ» بضم الزاي حيث وقع، {ثُمَّ ادعهن} قل لهنّ تعالين بإذن اللّه تعالى، {يَأْتِينَكَ سَعْيًا} ساعيات مُسرعات، طيراناً أو مشياً. روي أنه: أمر بأنْ يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها، ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال، ثم يناديهنّ!! ففعل ذلك: فجعل كلّ جزء يطير إلى آخر، حتى صارت جثثاً، ثمّ أقبلن، فانضممن إلى رؤوسهن. وفيه إشارة: إلى أنَّ منْ أراد، إحياء نفسه، بالحياة الأبدية، فعليه أنْ يقبل على القوى البدنية فيقتلها، ويمزج بعضها ببعض، حتى تنكسر سورتها، فيطاوعنه مُسرعات متى دعاهنّ بدعاية العقل أو الشرع. وكفى لك شاهداً، على فضل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وَيُمْنُ الضراعة في الدّعاء وحسن الأدب في السؤال،

بإبراهيم، وفقاً لرأي محمد، إلى أن يصلّي طلباً لدليل ملموس على ذلك، ومن ثم فقد نُسب له ما دعاه الحاخامات[1] «العهد بين القطع المقسمة».[2]

إنه تعالى أراه ما أراد، أن يريه في الحال، على أيسر الوجوه، وأراه عُزَيراً: بعد أن أماته مائة عام!!!!!، {واعلم أَنَّ اللَّه عَزِيزٌ} لا يعجز عما يريده، {حَكِيمٌ} ذو حكمة بالغة، في كل ما يفعله ويذره.

(1) ברית בין הבחרים.

(2) سفر التكوين، 9:15 وما بعد: וַיֹּאמֶר אֵלָיו קְחָה לִי עֶגְלָה מְשֻׁלֶּשֶׁת וְעֵז מְשֻׁלֶּשֶׁת וְאַיִל מְשֻׁלָּשׁ וְתֹר וְגוֹזָל: וַיִּקַּח־לוֹ אֶת־כָּל־אֵלֶּה וַיְבַתֵּר אֹתָם בַּתָּוֶךְ וַיִּתֵּן אִישׁ־בִּתְרוֹ לִקְרַאת רֵעֵהוּ וְאֶת־הַצִּפֹּר לֹא בָתָר: וַיֵּרֶד הָעַיִט עַל־הַפְּגָרִים וַיַּשֵּׁב אֹתָם אַבְרָם: וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ לָבוֹא וְתַרְדֵּמָה נָפְלָה עַל־אַבְרָם וְהִנֵּה אֵימָה חֲשֵׁכָה גְדֹלָה נֹפֶלֶת עָלָיו: וַיֹּאמֶר לְאַבְרָם יָדֹעַ תֵּדַע כִּי־גֵר ׀ יִהְיֶה זַרְעֲךָ בְּאֶרֶץ לֹא לָהֶם וַעֲבָדוּם וְעִנּוּ אֹתָם אַרְבַּע מֵאוֹת שָׁנָה: וְגַם אֶת־הַגּוֹי אֲשֶׁר יַעֲבֹדוּ דָּן אָנֹכִי וְאַחֲרֵי־כֵן יֵצְאוּ בִּרְכֻשׁ גָּדוֹל: וְאַתָּה תָּבוֹא אֶל־אֲבֹתֶיךָ בְּשָׁלוֹם תִּקָּבֵר בְּשֵׂיבָה טוֹבָה: וְדוֹר רְבִיעִי יָשׁוּבוּ הֵנָּה כִּי לֹא־שָׁלֵם עֲוֺן הָאֱמֹרִי עַד־הֵנָּה: וַיְהִי הַשֶּׁמֶשׁ בָּאָה וַעֲלָטָה הָיָה וְהִנֵּה תַנּוּר עָשָׁן וְלַפִּיד אֵשׁ אֲשֶׁר עָבַר בֵּין הַגְּזָרִים הָאֵלֶּה: בַּיּוֹם הַהוּא כָּרַת יְהוָה אֶת־אַבְרָם בְּרִית לֵאמֹר לְזַרְעֲךָ נָתַתִּי אֶת־הָאָרֶץ הַזֹּאת מִנְּהַר מִצְרַיִם עַד־הַנָּהָר הַגָּדֹל נְהַר־פְּרָת: אֶת־הַקֵּינִי וְאֶת־הַקְּנִזִּי וְאֵת הַקַּדְמֹנִי: וְאֶת־הַחִתִּי וְאֶת־הַפְּרִזִּי וְאֶת־הָרְפָאִים: וְאֶת־הָאֱמֹרִי וְאֶת־הַכְּנַעֲנִי וְאֶת־הַגִּרְגָּשִׁי וְאֶת־הַיְבוּסִי: وَقَالَ لَهُ: ((أَنَا الرَّبُّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ الْكِلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ الأَرْضَ لِتَرِثَهَا)). فَقَالَ: ((أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟)). فَقَالَ لَهُ: ((خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلاَثِيَّةً وَعَنْزَةً ثُلاَثِيَّةً وَكَبْشاً ثُلاَثِيّاً وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً)). فَأَخَذَ هَذِهِ كُلَّهَا وَشَقَّهَا مِنَ الْوَسَطِ وَجَعَلَ شِقَّ كُلِّ وَاحِدٍ مُقَابِلَ صَاحِبِهِ. وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّهُ. فَنَزَلَتِ الْجَوَارِحُ عَلَى الْجُثَثِ وَكَانَ أَبْرَامُ يَزْجُرُهَا. وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ وَإِذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ. فَقَالَ لأَبْرَامَ: ((اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيباً فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلاَمٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هَهُنَا لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلاً)). ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ فَصَارَتِ الْعَتَمَةُ وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطَعِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقاً قَائِلاً: ((لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ. الْقِينِيِّينَ وَالْقَنِزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ. وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالرَّفَائِيِّينَ. وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ)). نص التكوين إضافة من المترجم.

لقد أُقنع عبر واقعة أنّ الطيور المقسمة جُمعت من جديد وأضحت حيّة،[1] وهو رأي غريب على اليهودية. كيف وصل محمد إلى أن يسمّي والد إبراهيم، (الذي نجد أن اسمه في الكتاب المقدس تارح[2])[3] آزر[4] إنما هو للوهلة الأولى ليس واضحاً، لكنه يُفسّر تماماً عندما نأخذ مصدر[5] معلوماته بعين الاعتبار، وهو أوسابيوس. ففي تاريخه الكنسي، يسميه أوسابيوس أثار[6] الذي هو تحوّل سهل عن ثارا، ومن ثم فإن أثار اليوناني حوّل بسهولة إلى آزر العربي.[7] لكن السبب الذي يقدّمه بعض المفسّرين العرب[8] أمر مثير للسخرية. فهم يؤكّدون أنّ آزر مثل يازر[9] وذلك أن هذا الاسم يعني:[10]«يا معوج، يا ضال»؛ ومن المفترض أن

(1) القرآن، 262:2.
(2) תרח.
(3) 26:11 وما بعد. ـ مترجم.
(4) القرآن، 74:4.
(5) أشار إلى ذلك Maracc. Prodr. 4:90.
(6) Θαρα من Αθαρ، ومن هنا جاءت العربية آزر.
(7) وفقاً للتاريخ المنتخب، كان آزر والد تارح. (Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الكلمة إبراهيم، ص 11).
(8) انظر: Maracc، بشأن المقطع.
(9) يازّر.
(10) يا معوج يا ضال.

إضافة من المترجم: وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين.
قال الضحاك، عن ابن عباس: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، إنما كان اسمه تارح. رواه ابن أبي حاتم.
وقال أيضا: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم شبيب، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس في قوله: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) يعني بآزر: الصنم، وأبو إبراهيم اسمه تارح وأمه اسمها مثاني وامرأته اسمها سارة وأم إسماعيل اسمها هاجر، وهي سرية إبراهيم.
وهكذا قال غير واحد من علماء النسب: إن اسمه تارح. وقال مجاهد والسدي: آزر: اسم صنم.
قلت: كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم، فالله أعلم.
وقال ابن جرير: وقال آخرون: «هو سب وعيب بكلامهم، ومعناه: معوج» ولم يسنده ولا حكاه عن أحد.

إبراهيم خاطب على هذا النحو والده الوثني.[1] ننتقل الآن إلى الحياة الزوجية

وقد قال ابن أبي حاتم: ذكر عن معتمر بن سليمان، سمعت أبي يقرأ: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) قال: بلغني أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

ثم قال ابن جرير: والصواب أن اسم أبيه آزر. ثم أورد على نفسه قول النسابين أن اسمه تارح ثم أجاب بأنه قد يكون له اسمان، كما لكثير من الناس، أو يكون أحدهما لقباً وهذا الذي قاله جيد قوي، والله أعلم.

واختلف القراء في أداء قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) فحكى ابن جرير، عن الحسن البصري وأبي يزيد المدني أنهما كانا يقرآن: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) معناه: يا آزر، أتتخذ أصناما آلهة.

وقرأ الجمهور بالفتح، إما على أنه علم أعجمي لا ينصرف، وهو بدل من قوله: (لأبيه) أو عطف بيان، وهو أشبه.

وعلى قول من جعله نعتاً لا ينصرف أيضاً كأحمر وأسود.

فأما من زعم أنه منصوب لكونه معمولاً لقوله: (أتتخذ أصناما) تقديره: يا أبت، أتتخذ آزر أصناماً آلهة، فإنه قول بعيد في اللغة؛ لأن ما بعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله؛ لأن له صدر الكلام، كذا قرره ابن جرير وغيره. وهو مشهور في قواعد العربية.

والمقصود أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، وعظ أباه في عبادة الأصنام، وزجره عنها، ونهاه فلم ينته، كما قال: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة) أي: أتتأله لصنم تعبده من دون الله (إني أراك وقومك) أي: السالكين مسلكك (في ضلال مبين) أي: تائهين لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل وأمركم في الجهالة والضلال بَيِّنٌ واضحٌ لكل ذي عقل صحيح.

ملاحظة أخرى من المترجم: ثمة رسالة في التلمود البابلي ترجمناها قبل زمن اسمها عابودا زارا עבודה זרה، واخترنا عنواناً لها هو عبدة الأوثان. العنوان غير دقيق، فالاسم العبري مليء بالمعاني، من ذلك الوثنية، أو عبادة آلهة غريبة. فهل يمكن لنا هنا أن نتساءل عن العلاقة بين آزر القرآني وزارا العبرية؟

(1) لكن العرب اللاحقين يعوفون الاسم الصحيح، تارخ، أيضاً، مع أنه من الغريب أنه حيثما يتحدثون عن إبراهيم يستخدمون الاسم آزر؛ لكن حين يذكرون في مناسبات أخرى والد إبراهيم، فإنهم يدعونه بالاسم الآخر؛ وهكذا يقول إلفيرار في تعليقه على الآية 78:7: لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم. كلمة ابن الأخيرة هنا تشير من جديد إلى لوط (وهو ما يظهر بطريقة كتابة ابن بإضافة ألف إلى أولها، مقابل بن فحسب في الكلمتين اللتين سبقتا) تماماً كما يُدعى إبراهيم لاحقاً عم لوط. كذلك يقول إلفيرار في تعليقه على القرآن 71:21 ما يلي: وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يُقال له ناخورا بن تارخ.

يُلفت النظر ليس بشكل نادر إلى واقعة أن الاسمين هما الشيء ذاته. انظر ما يقوله إلفيرار في تفسيره للآية 11:331 حيث يقدّم لنا نسب لقمان. فهو يقول: تارخ وهو آزر.

الأكثر نضجاً لإبراهيم لنلتقي به وهو يستقبل الملائكة،[1] الذين يفتح لهم أبوابه

انظر أيضاً: أبو الفداء *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، pp. 18، 20.

إضافة من المترجم من تفسير البغوي: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (80)

قوله تعالى: (ولوطاً) أي: وأرسلنا لوطاً. وقيل: معناه واذكر لوطاً. وهو لوط بن هاران بن تارخ، ابن أخي إبراهيم.

ومن تفسير البغوي نقرأ: وقال محمد بن إسحاق: استجاب لإبراهيم رجال قومه حين رؤوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرود وملئهم وآمن به لوط، وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ، وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر، عم إبراهيم فخرج من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة، كما قال الله تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) (العنكبوت 26)، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام، فنزل السبع من أرض فلسطين، وهي برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب فبعثه الله نبياً فذلك قوله تعالى: (ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين).

حول نسب لقمان نقرأ في البغوي: (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد (12) قوله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعني: العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور. قال محمد بن إسحاق: وهو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر. وقال وهب: كان ابن أخت أيوب، وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب. قال الواقدي: كان قاضياً في بني إسرائيل.

من تاريخ أبي الفداء، نقرأ: ذكر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه:

وهو إبراهيم بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن رعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وقد أسقط ذكر قينان بن أرفخشذ من عمود النسب، قيل بسبب أنه كان ساحراً، فأسقطوه من الذكر، قالوا: شالح بن أرفخشذ، بالحقيقة شالح بن قينان بن أرفخشذ، فاعلم ذلك.

وولد إبراهيم بالأهواز وقيل ببابل وهي العراق، وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها، وكان إبراهيم يقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه.

(1) القرآن، 72:11؛ رُسلنا، التي يعلّق عليها إلفيرار بالقول، أراد بالرسل الملائكة.

ملاحظة من المترجم عن البغوي: قوله تعالى: (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أراد بالرسل الملائكة. واختلفوا في عددهم، فقال ابن عباس وعطاء: كانوا ثلاثة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل. وقال الضحاك: كانوا تسعة.

كضيوف.[1] اعتبرهم إبراهيم عرباً، وتفاجأ للغاية حين لم يأكلوا ولم يشربوا ثم خطوا متراجعين بخوف، ليعلنوا له عندها أنه سيكون له ابن ويخبروه أيضاً بدمار سدوم الوشيك. وفي أحد مقاطع التلمود[2]، يقال: «لم يظهروا له إلا كعرب»؛ وفي مقطع آخر[3] يقال: «إن الملائكة نزلوا وأكلوا. أكلوا. لا، لكن بدوا كما لو أنهم يأكلون ويشربون». هناك خطأ واحد فقط يمكن أن نجده في الرواية كما وردت في القرآن. الشك في أنه في هذه السن المتقدمة للزوجين يمكن لابن أن يأتي إلى العالم (وهو ما يوضع في مقاطع أخرى وفي الكتاب المقدّس في فم سارة) إنما ينطق به هنا من قبل إبراهيم، وإن بكلمات لطيفة للغاية.[4] والحقيقة أنه في الرواية التوراتية المتعلّقة بالوعد لإبراهيم، فإن الأخير ذاته يقدّم وكأنه يشكك بكلمة اللّه.[5] في مقاطع أخرى فإن مواضع الكلمات والجمل قد تؤدي إلى العديد من الأخطاء، إذا كنا لا نعرف القصة بشكل أفضل مسبقاً من الكتاب

وقال مقاتل: كانوا اثني عشر ملكاً.

وقال محمد بن كعب: كان جبريل ومعه سبعة.

وقال السدي: كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء وجوههم.

(1) سفر التكوين، 18. [ملاحظة من المترجم: اخترنا فقط من الإصحاح 18 أول آيتين: וַיֵּרָא אֵלָיו יְהוָה בְּאֵלֹנֵי מַמְרֵא וְהוּא יֹשֵׁב פֶּתַח־הָאֹהֶל כְּחֹם הַיּוֹם׃ וַיִּשָּׂא עֵינָיו וַיַּרְא וְהִנֵּה שְׁלֹשָׁה אֲנָשִׁים נִצָּבִים עָלָיו וַיַּרְא וַיָּרָץ לִקְרָאתָם מִפֶּתַח הָאֹהֶל וַיִּשְׁתַּחוּ אָרְצָה׃ وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ].
72:11 ـ 79؛ 51:15 ـ 61؛ 30:29 ـ 32؛ 24:51 ـ 38.

(2) قدوشين، 52: לו כדמו לו אלא לערביים.

(3) رسالة بابا مصيعا בבא מציעא التلمودية: מלאכי חשרת ירדו למטה ואכלו להם אבלו סלקא דעתך אלא אימא נארח כמה שאכלו ישתו.

(4) القرآن، 54:15 وما بعد.

(5) سفر التكوين، 17:17: וַיִּפֹּל אַבְרָהָם עַל־פָּנָיו וַיִּצְחָק וַיֹּאמֶר בְּלִבּוֹ הַלְּבֶן מֵאָה־שָׁנָה יִוָּלֵד וְאִם־שָׂרָה הֲבַת־תִּשְׁעִים שָׁנָה תֵּלֵד׃ فَسَقَطَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَضَحِكَ وَقَالَ فِي قَلْبِهِ: ((هَلْ يُولَدُ لابْنِ مِئَةِ سَنَةٍ؟ وَهَلْ تَلِدُ سَارَةُ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِينَ سَنَةً؟)). ملاحظة: نص الآية غير موجود عند غايغر.

المقدس. وهكذا ففي أحد المقاطع[1] فإنّ ضحكة زوجة إبراهيم تعطى قبل أن يتمّ الإعلان، الأمر الذي يقود المفسّرين العرب إلى تخمينات متعددة بعيدة عن المنطق. بجانب هذه التفسيرات (كثير منهم مفقود تماماً في الحقيقة) يقدّم إلفيرار التفسير الصحيح في الكلمات التالية:[2] «وقال ابن عباس ووهب[3]: ضحكت تعجّباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها، وعلى هذا القول تكون الآية على التقديم والتأخير، تقديره وامرأته قائمة، فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت». قد يبدو أن هذا الولد الذي وعد به إبراهيم كان قد جرى تعيين هويته بنوع من التزوير المتعمد على أنه إسماعيل، لأنه يعتبر سلف العرب؛ وكذلك أيضاً الابتلاء[4] المرتبط بالتضحية بابنه إنما يُجعل على أنه يشير إلى إسماعيل.

سبب لهذا القبول معطى في مقطع آخر،[5] فبعد الكلام عن النزاع بشأن

---

(1) القرآن، 74:11.

(2) النص للبغوي: وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ. وامرأته سارة بنت هاران بن أحور وهي ابنة عم إبراهيم. (قائمة) من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس معهم. (فضحكت) قال مجاهد وعكرمة: ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف. واختلفوا في سبب ضحكها، قيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا: لا تخف. مترجم.

(3) المؤرخ وهب بن منبه هو وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار (34 هـ ـ 114 هـ) هو تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام. كان ممن قرأ الكُتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهد. وعدّه أصحاب السِيَر من الطبقة الثالثة من التابعين. قال الذهبي عنه: وروايته *للمسند قليلة*، وإنما غَزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صَحائف أهل الكتاب. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير. كان وهب من أصول يهودية يمنية و يُقال أسلم أبوه على عهد النبي فحسُن إسلامه وسكن اليمن. ـ مترجم.

(4) يُشار إلى هذا بتعابير عامة في القرآن، 118:2: إبتلى إبراهيم ربّه بكلمات.
قارن: مشناه أبوت: עשרה נסיונות נתנסה אברהם אבינו.

(5) القرآن، 99:37 ـ 114.

الأوثان، نقرأ في الآية 99 ما يلي: «فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي، قال: يا بني! إني أرى في المنام أني أذبحك[1] ماذا ترى! قال: يا أبت، افعل

(1) ملاحظة من المترجم: من تفسير القرطبي: {102} فَلَماَّ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ: اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْمَأْمُور بِذَبْحِهِ. فَقَالَ أَكْثَرهمْ: الذَّبِيح إِسْحَاق. وَمِمَّنْ قَالَ بِذَلِكَ الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلِب وَابْنه عَبْد اللَّه وَهُوَ الصَّحِيح عَنْهُ. رَوَى الثَّوْرِيّ وَابْن جُرَيْج يَرْفَعَانِهِ إِلَى اِبْن عَبَّاس قَالَ: الذَّبِيح إِسْحَاق. وَهُوَ الصَّحِيح عَنْ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا بْن الْأَشْيَاخ الْكِرَام. فَقَالَ عَبْد اللَّه: ذَلِكَ يُوسُف بْن يَعْقُوب بْن إِسْحَاق ذَبِيح اللَّه اِبْن إِبْرَاهِيم خَلِيل اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ رَوَى حَمَّاد بْن زَيْد يَرْفَعهُ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْكَرِيم اِبْن الْكَرِيم اِبْن الْكَرِيم يُوسُف بْن يَعْقُوب بْن إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم صَلَّى اللَّه عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ). وَرَوَى أَبُو الزُّبَيْر عَنْ جَابِر قَالَ: الذَّبِيح إِسْحَاق. وَذَلِكَ مَرْوِيّ أَيْضًا عَنْ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ. وَعَنْ عَبْد اللَّه بْن عُمَر: أَنَّ الذَّبِيح إِسْحَاق. وَهُوَ قَوْل عُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ. فَهَؤُلَاءِ سَبْعَة مِنْ الصَّحَابَة. وَقَالَ بِهِ مِنْ التَّابِعِينَ وَغَيْرهمْ عَلْقَمَة وَالشَّعْبِيّ وَمُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَكَعْب الْأَحْبَار وَقَتَادَة وَمَسْرُوق وَعِكْرِمَة وَالْقَاسِم بْن أَبِي بَزَّة وَعَطَاء وَمُقَاتِل وَعَبْد الرَّحْمَن بْن سَابِط وَالزُّهْرِيّ وَالسُّدِّيّ وَعَبْد اللَّه بْن أَبِي الْهُذَيْل وَمَالِك بْن أَنَس، كُلّهمْ قَالُوا: الذَّبِيح إِسْحَاق. وَعَلَيْهِ أَهْل الْكِتَابَيْنِ الْيَهُود وَالنَّصَارَى، وَاخْتَارَهُ غَيْر وَاحِد مِنْهُمْ النَّحَّاس وَالطَّبَرِيّ وَغَيْرهمَا. قَالَ سَعِيد بْن جُبَيْر: أُرِيَ إِبْرَاهِيم ذَبْح إِسْحَاق فِي الْمَنَام، فَسَارَ بِهِ مَسِيرَةَ شَهْر فِي غَدَاة وَاحِدَة، حَتَّى أَتَى بِهِ الْمَنْحَرَ مِنْ مِنًى؛ فَلَمَّا صَرَفَ اللَّه عَنْهُ الذَّبْح وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْبَح الْكَبْش فَذَبَحَهُ، وَسَارَ بِهِ مَسِيرَة شَهْر فِي رَوْحَة وَاحِدَة طُوِيَتْ لَهُ الْأَوْدِيَة وَالْجِبَال. وَهَذَا الْقَوْل أَقْوَى فِي النَّقْل عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ إِسْمَاعِيل. وَمِمَّنْ قَالَ ذَلِكَ أَبُو هُرَيْرَة وَأَبُو الطُّفَيْل عَامِر بْن وَاثِلَة. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ اِبْن عُمَر وَابْن عَبَّاس أَيْضًا، وَمِنْ التَّابِعِينَ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب وَالشَّعْبِيّ وَيُوسُف بْن مِهْرَان وَمُجَاهِد وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَمُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ وَالْكَلْبِيّ وَعَلْقَمَة. وَسُئِلَ أَبُو سَعِيد الضَّرِير عَنْ الذَّبِيح فَأَنْشَدَ: إِنَّ الذَّبِيحَ هُدِيت إِسْمَاعِيلُ نَطَقَ الْكِتَابُ بِذَاكَ وَالتَّنْزِيلُ شَرَفٌ بِهِ خَصَّ الْإِلَهُ نَبِيَّنَا وَأَتَى بِهِ التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ إِنْ كُنْت أُمَّتَهُ فَلَا تُنْكِرْ لَهُ شَرَفًا بِهِ قَدْ خَصَّهُ التَّفْضِيلُوَعَنْ الْأَصْمَعِيّ قَالَ: سَأَلْت أَبَا عَمْرو بْن الْعَلَاء عَنْ الذَّبِيح، فَقَالَ: يَا أَصْمَعِيُّ أَيْنَ عَزَبَ عَنْك عَقْلُك! وَمَتَى كَانَ إِسْحَاق بِمَكَّةَ؟ وَإِنَّمَا كَانَ إِسْمَاعِيل بِمَكَّة، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْبَيْت مَعَ أَبِيهِ وَالْمَنْحَر بِمَكَّة. وَرُوِيَ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَّ الذَّبِيح إِسْمَاعِيل) وَالْأَوَّل أَكْثَر عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابه وَعَنْ التَّابِعِينَ. وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ إِبْرَاهِيم حِين فَارَقَ قَوْمه، فَهَاجَرَ إِلَى الشَّام مَعَ اِمْرَأَته سَارَة وَابْن أَخِيهِ لُوط فَقَالَ: «إِنِّي ذَاهِب إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ» أَنَّهُ دَعَا فَقَالَ: «رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ» فَقَالَ تَعَالَى: «فَلَمَّا اِعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُون اللَّه وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاق وَيَعْقُوب» [مَرْيَم: 49]؛ وَلِأَنَّ اللَّه قَالَ: «وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم» فَذَكَرَ أَنَّ الْفِدَاء فِي الْغُلَام الْحَلِيم الَّذِي بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيم وَإِنَّمَا بُشِّرَ بِإِسْحَاق؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاق» ، وَقَالَ هُنَا:

«بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» وَذَلِكَ قَبْل أَنْ يَتَزَوَّج هَاجَرَ وَقَبْل أَنْ يُولَد لَهُ إِسْمَاعِيل، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآن أَنَّهُ بُشِّرَ بِوَلَدٍ إِلَّا إِسْحَاق. اِحْتَجَّ مَنْ قَالَ إِنَّهُ إِسْمَاعِيل: بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى وَصَفَهُ بِالصَّبْرِ دُون إِسْحَاق فِي قَوْله تَعَالَى: «وَإِسْمَاعِيل وَإِدْرِيس وَذَا الْكِفْل كُلّ مِنْ الصَّابِرِينَ» [الْأَنْبِيَاء: 85] وَهُوَ صَبْره عَلَى الذَّبْح، وَوَصَفَهُ بِصِدْقِ الْوَعْد فِي قَوْله: «إِنَّهُ كَانَ صَادِق الْوَعْد» [مَرْيَم: 54]؛ لِأَنَّهُ وَعَدَ أَبَاهُ مِنْ نَفْسه الصَّبْر عَلَى الذَّبْح فَوَفَّى بِهِ؛ وَلِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: «وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاق نَبِيًّا» فَكَيْف يَأْمُرهُ بِذَبْحِهِ وَقَدْ وَعَدَهُ أَنْ يَكُون نَبِيًّا، وَأَيْضًا فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى قَالَ: «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاق وَمِنْ وَرَاء إِسْحَاق يَعْقُوب» [هُود: 71] فَكَيْف يُؤْمَر بِذَبْحِ إِسْحَاق قَبْل إِنْجَاز الْوَعْد فِي يَعْقُوب. وَأَيْضًا وَرَدَ فِي الْأَخْبَار تَعْلِيق قَرْن الْكَبْش فِي الْكَعْبَة، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الذَّبِيح إِسْمَاعِيل، وَلَوْ كَانَ إِسْحَاق لَكَانَ الذَّبْح يَقَع بِبَيْتِ الْمَقْدِس. وَهَذَا الِاسْتِدْلَال كُلّه لَيْسَ بِقَاطِعٍ؛ أَمَّا قَوْلهمْ: كَيْف يَأْمُرهُ بِذَبْحِهِ وَقَدْ وَعَدَهُ بِأَنَّهُ يَكُون نَبِيًّا، فَإِنَّهُ يَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمَعْنَى: وَبَشَّرْنَاهُ بِنُبُوَّتِهِ بَعْد أَنْ كَانَ مِنْ أَمْره مَا كَانَ؛ قَالَهُ اِبْن عَبَّاس وَسَيَأْتِي. وَلَعَلَّهُ أُمِرَ بِذَبْحِ إِسْحَاق بَعْد أَنْ وُلِدَ لِإِسْحَاق يَعْقُوب. وَيُقَال: لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآن أَنَّ يَعْقُوب يُولَد مِنْ إِسْحَاق. وَأَمَّا قَوْلهمْ: وَلَوْ كَانَ الذَّبِيح إِسْحَاق لَكَانَ الذَّبْح يَقَع بِبَيْتِ الْمَقْدِس، فَالْجَوَاب عَنْهُ مَا قَالَهُ سَعِيد بْن جُبَيْر عَلَى مَا تَقَدَّمَ. وَقَالَ الزَّجَّاج: اللَّه أَعْلَم أَيّهمَا الذَّبِيح. وَهَذَا مَذْهَب ثَالِث. قَالَ مُقَاتِل: رَأَى ذَلِكَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَام ثَلَاث لَيَالٍ مُتَتَابِعَات. وَقَالَ مُحَمَّد بْن كَعْب: كَانَتْ الرُّسُل يَأْتِيهِمْ الْوَحْي مِنْ اللَّه تَعَالَى أَيْقَاظًا وَرُقُودًا؛ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاء لَا تَنَام قُلُوبهمْ. وَهَذَا ثَابِت فِي الْخَبَر الْمَرْفُوع، قَالَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّا مُعَاشِر الْأَنْبِيَاء تَنَام أَعْيُننَا وَلَا تَنَام قُلُوبنَا). وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاء وَحْي؛ وَاسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَة. وَقَالَ السُّدِّيّ: لَمَّا بُشِّرَ إِبْرَاهِيم بِإِسْحَاق قَبْل أَنْ يُولَد لَهُ قَالَ هُوَ إِذًا لِلَّهِ ذَبِيح. فَقِيلَ لَهُ فِي مَنَامه: قَدْ نَذَرْت نَذْرًا فَفِ بِنَذْرِك. وَيُقَال: إِنَّ إِبْرَاهِيم رَأَى فِي لَيْلَة التَّرْوِيَة كَأَنَّ قَائِلًا يَقُول: إِنَّ اللَّه يَأْمُرك بِذَبْحِ اِبْنك؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ رَوَّى فِي نَفْسه أَيْ فَكَّرَ أَهَذَا الْحُلْم مِنْ اللَّه أَمْ مِنْ الشَّيْطَان؟ فَسُمِّيَ يَوْم التَّرْوِيَة. فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَة الثَّانِيَة رَأَى ذَلِكَ أَيْضًا وَقِيلَ لَهُ الْوَعْد، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ اللَّه فَسُمِّيَ يَوْم عَرَفَة. ثُمَّ رَأَى مِثْله فِي اللَّيْلَة الثَّالِثَة فَهَمَّ بِنَحْرِهِ فَسُمِّيَ يَوْم النَّحْر. وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا ذَبَحَهُ قَالَ جِبْرِيل: اللَّه أَكْبَر اللَّه أَكْبَر. فَقَالَ الذَّبِيح: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَاَللَّه أَكْبَر. فَقَالَ إِبْرَاهِيم: اللَّه أَكْبَر وَالْحَمْد لِلَّهِ؛ فَبَقِيَ سُنَّة. وَقَدْ اِخْتَلَفَ النَّاس فِي وُقُوع هَذَا الْأَمْر فَقَالَ أَهْل السُّنَّة: إِنَّ نَفْس الذَّبْح لَمْ يَقَع، وَإِنَّمَا وَقَعَ الْأَمْر بِالذَّبْحِ قَبْل أَنْ يَقَع الذَّبْح، وَلَوْ وَقَعَ لَمْ يُتَصَوَّر رَفْعُهُ، فَكَانَ هَذَا مِنْ بَاب النَّسْخ قَبْل الْفِعْل؛ لِأَنَّهُ لَوْ حَصَلَ الْفَرَاغ مِنْ اِمْتِثَال الْأَمْر بِالذَّبْحِ مَا تَحَقَّقَ الْفِدَاء. وَقَوْله تَعَالَى: «قَدْ صَدَّقْت الرُّؤْيَا» أَيْ حَقَّقْت مَا نَبَّهْنَاك عَلَيْهِ، وَفَعَلْت مَا أَمْكَنَك ثُمَّ اِمْتَنَعْت لَمَّا مَنَعْنَاك. هَذَا أَصَحّ مَا قِيلَ بِهِ فِي هَذَا الْبَاب. وَقَالَتْ طَائِفَة: لَيْسَ هَذَا مِمَّا يُنْسَخ بِوَجْهٍ؛ لِأَنَّ مَعْنَى ذَبَحْت الشَّيْء قَطَعْته. وَاسْتُدِلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِ مُجَاهِد: قَالَ إِسْحَاق لِإِبْرَاهِيم لَا تَنْظُرْ إِلَيَّ فَتَرْحَمَنِي، وَلَكِنْ اِجْعَلْ وَجْهِي إِلَى الْأَرْض؛ فَأَخَذَ إِبْرَاهِيم السِّكِّين فَأَمَرَّهَا عَلَى حَلْقَهُ فَانْقَلَبَتْ. فَقَالَ لَهُ مَا لَك؟ قَالَ: اِنْقَلَبَتْ السِّكِّين. قَالَ اِطْعَنِّي بِهَا طَعْنًا. وَقَالَ بَعْضهمْ: كَانَ كُلَّمَا قَطَعَ جُزْءًا اِلْتَأَمَ. وَقَالَتْ طَائِفَة: وَجَدَ حَلْقَهُ نُحَاسًا أَوْ مُغَشًّى بِنُحَاسٍ، وَكَانَ كُلَّمَا أَرَادَ قَطْعًا وَجَدَ مَنْعًا. وَهَذَا كُلّه جَائِز فِي الْقُدْرَة الْإِلَهِيَّة. لَكِنَّهُ يَفْتَقِر إِلَى نَقْل صَحِيح، فَإِنَّهُ أَمْر لَا

ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين». لقد أعلن عن استعداده للذبح، وعندئذٍ سمع إبراهيم صوتاً يقول له إن الرؤيا قد تحققت بالفعل؛ وافتدي بأضحية كريمة. ثم يواصل المقطع قوله[1] «وبشرناه بإسحاق، نبيّاً من الصالحين، وباركنا عليه وعلى إسحاق، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين». إن الإعلان عن إسحاق أولاً يظهر هنا دليلاً على أن السياق السابق[2]، إنما يشير إلى إسماعيل. لذلك فمن الواضح أنه وفقاً لتمثيل محمد فإن العمل القرباني إنما أُنجز على إسماعيل، وسوف يظهر ذلك لاحقاً على نحو أكثر تفصيلاً. لكن ليس واضحاً أن الإعلان عن الملائكة يشير إليه، على اعتبار أنه في واحد من المواضع الثلاثة حيث تُستخدم الكلمة ذاتها[3] لهذا الإعلان الملائكي، إنما يتم تطبيقها صراحة على إسحاق. وكون الملائكة حظيت بمهمة ذات شقين ـ (1) لإبراهيم، من أجل أن يظهر له أبوته ودمار سدوم، و(2) للوط، من أجل إبعاده عن سدوم قبل أن يتم تدميرها - إنما هو مسألة توراتية حيث يتبع محمد سرد العهد القديم. وقد ذكرنا للتو أن لوط افتراضاً أضحى مؤمناً من خلال إبراهيم. وزيارة الملائكة، التي تقصّ علينا في سفر التكوين، 19: 1 ـ 27، في عدة مقاطع في القرآن.[4] وعلى العموم فالسرد حقيقي بالفعل، لكن التفاصيل ليست خالية تماماً من التنميقات.

يُدْرَك بِالنَّظَرِ وَإِنَّمَا طَرِيقُهُ الْخَبَر. وَلَوْ كَانَ قَدْ جَرَى ذَلِكَ لَبَيَّنَهُ اللَّه تَعَالَى تَعْظِيمًا لِرُتْبَةِ إِسْمَاعِيل وَإِبْرَاهِيم صَلَوَات اللَّه عَلَيْهِمَا، وَكَانَ أَوْلَى بِالْبَيَانِ مِنْ الْفِدَاء. وَقَالَ بَعْضهمْ: إِنَّ إِبْرَاهِيم مَا أُمِرَ بِالذَّبْحِ الْحَقِيقِيّ الَّذِي هُوَ فَرْي الْأَوْدَاج وَإِنْهَار الدَّم، وَإِنَّمَا رَأَى أَنَّهُ أَضْجَعَهُ لِلذَّبْحِ فَتَوَهَّمَ أَنَّهُ أُمِرَ بِالذَّبْحِ الْحَقِيقِيّ، فَلَمَّا أَتَى بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ الْإِضْجَاع قِيلَ لَهُ: «قَدْ صَدَّقْت الرُّؤْيَا» وَهَذَا كُلّه خَارِج عَنْ الْمَفْهُوم. وَلَا يُظَنّ بِالْخَلِيلِ وَالذَّبِيح أَنْ يَفْهَمَا مِنْ هَذَا الْأَمْر مَا لَيْسَ لَهُ حَقِيقَة حَتَّى يَكُون مِنْهُمَا التَّوَهُّم. وَأَيْضًا لَوْ صَحَّتْ هَذِهِ الْأَشْيَاء لَمَا اُحْتِيجَ إِلَى الْفِدَاء.

(1) القرآن، 112:37، 113.

(2) كما أيضاً عليه وذريتهما في الآية 113.

(3) بشرّ في القرآن، 74:11؛ قارن أيضاً: القرآن: 99:39، 112.

(4) القرآن، 78:7 ـ 83؛ 79:11 ـ 85؛ 61:15 ـ 78؛ 43:22؛ 160:26 ـ 176؛ 55:27 ـ 60؛ 27:29 ـ 35؛ 133:37 ـ 137؛ 33:54 ـ 39.

وعلى سبيل المثال، ففي بعض المقاطع[1] فإن التحذير الموجه لشعب سدوم بسبب استخدامهم غير النظيف للرجال يُعالج بشكل منفصل تماماً عن السرد المتعلّق بالملائكة، ويوضح محمد أن الملائكة قالت للوط[2] بل حتى إبراهيم[3] إن زوجة لوط سوف لن يتم إنقاذها. ويحظى كفر زوجة لوط بإشارة خاصّة في أحد المقاطع،[4] في حين يُذكر دمار المدن في مقاطع عديدة.[5] يعزو محمد للوط بشكل خاص العلامة الفارقة المشتركة بين جميع الدعاة، أي أنه لا يطلب منهم أجراً.[6]

لقد لوحظ للتو، وفقاً لإظهار محمد، أن إسماعيل[7] كان الابن الذي أُمر

---

(1) قارن بشكل خاص: القرآن، 27:29 ـ 30.

(2) القرآن، 83:11؛ 32:29. وفقاً للقراءة امرأتك في القرآن، 83:11، لم يطلب لوط منها حتى لمرّة واحدة أن ترافقه، بل تركها مع أهل سدوم. لم يتبن هنكلمان هذه القراءة فحسب، بل إن كل المفسّرين تقريباً الذين استشهد بهم إلفيرار تبنوها؛ وهي قراءة، كما يبين لنا، تدعمها قراءة ابن مسعود المختلفة، الذي يضع الكلمة امرأتك قبل ولا.
إضافة من المترجم: من كتابنا «فروقات المصاحف» ـ مصحف عبد الله بن مسعود، نقطتف ما يلي بشأن السورة 11: «الآية 81: حذف الكلمات التالية: ولا يلتفت منكم أحد؛ لكن بعضهم يقول إنه بعد امرأتك أضاف ولقد وفينا إليه أهله كلهم إلا عجوز في الغبر».

(3) القرآن، 31:29؛ 60:15.

(4) القرآن، 10:66.

(5) القرآن، 42:25 ومقاطع أخرى.

(6) القرآن، 164:26.

(7) على المقطع الوارد آنفاً (القرآن، 101:37)، يعلّق إلفيرار على النحو التالي: واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق وقال قوم إنه إسحاق؛ وكثير من المفسّرين المستشهد بهم آنئذٍ، يشتركون بهذا الرأي. وقال آخرون هو إسماعيل، ومن أجل هذا الرأي نورد هذه المراجع الآن: الآية 81: حذفت الكلمات التالية: ولا يلتفت منكم أحد؛ لكن بعضهم يقول إنه بعد امرأتك أضاف ولقد وفينا إليه أهله كلهم إلا عجوز في الغبر. وكلا القولين يروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: «فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي» (الصافات ـ 101) أمره بذبح من بشره به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود: «فبشرناها بإسحاق» (هود ـ 71).

ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: «وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين» (الصافات ـ 112) دل على أن المذبوح غيره، وأيضاً قال الله ـ تعالى ـ في سورة هود: «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» (هود ـ 71) فكما بشره بإسحاق بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه؟ [ملاحظة من المترجم: النص أخذناه من تفسير البغوي]. الدليل الأخير هذا لا يمكن تصنيفه على أنه من الدرجة العليا، لأنّ تناقضاً آخر كان سيتطلّب أن يُفسّر في الكتاب المقدّس في حالة سفر التكوين، 12:21، وسفر التكوين، 22. وبمعزل عن الدليل الأول الوارد، ما من حاجة أيضاً لهذه الحجة، أو لحجّة أخرى أيضاً التي تورد مبشرة بعد ذلك في التفسير، أي أن قرنا الكبش محفوظان في مكة، مقر إقامة إسماعيل. ولا بدّ من ملاحظة أنه في النص الذي أمتلكه بشكل مستقل إنما يأتي قراره لصالح الرأي القائل إن محمداً اعتقد أن إسماعيل هو من أمر الرب بذبحه.
مما لا شكّ فيه أن المراجع العربية كانت ستصل إلى هذه النتيجة ذاتها، لو أن اليهود والمسيحيين لم يعبّروا عن رأيهم على نحو حاسم لصالح إسحق (والذي تبعهم فيه عامة الشعب). لقد منعت هذه الواقعة كثيرين من إعطاء ما يكفي من الأهمية غير المتحيزة، ومن ثم قادتهم إلى ترك رأي محمد الحقيقي. إنّ الطريقة التي حاول بها هؤلاء إضعاف دليل الرأي الأول إنما تتوضح من تعليق إلفيرار على القرآن، 112:37: فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ. [ملاحظة من المترجم: النص منقول عن تفسير البغوي]. مع ذلك، ففي الآية التالية التي تناصر رأينا على نحو أقوى، يقدّم إلفيرار تفسيراً خاطئاً لأحد قسمي الآية، وبشأن الباقي يتمسّك بصمت هام. وهكذا فهو يفسّر كلمة «عليه» على النحو التالي: يعني على إبراهيم في أولاده؛ لكن كلمة ذريتهما، التي هي غير قابلة للتفسير ضمن هذا التفسير لكلمة عليه، لا يفسّرها على الإطلاق. وفي أساطير الإسلام، كما لاحظ إلفيرار للتو في تعليقه على كلمة قوم، فإنه يتم الحديث عن إسحق دون استثناء تقريباً باعتباره الشخص المقاد إلى الذبح. كذلك أيضاً ففي تفسير إلفيرار للقرآن، 36:12، حيث يقص يوسف على رفاقه في السجن حكايته، وفي القرآن، 86:12، حيث يتمّ ذكر الرسالة التي كتبها يعقوب للملك الذي كان يضع ابنه في السجن. وهنا يُدعى إسحق دائماً ذبيح الله. وحين أشار يعقوب في مسار الرسالة (وهو ما يتوافق تماماً مع نسخة سفر هايشار) إلى حماية الربّ الخاصّة التي تتمتع بها عائلته، يقول: وأما أبي فشدّت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله.
قارن أيضاً: أبو الفداء، *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، p. 22.
ملاحظات المترجم: نص التكوين، 12:21: וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים אֶל־אַבְרָהָם אַל־יֵרַע בְּעֵינֶיךָ עַל־הַנַּעַר וְעַל־אֲמָתֶךָ כֹּל אֲשֶׁר תֹּאמַר אֵלֶיךָ שָׂרָה שְׁמַע בְּקֹלָהּ כִּי בְיִצְחָק יִקָּרֵא לְךָ זָרַע׃ فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: ((لاَ يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ)).

إبراهيم بأن يضحي به، وقد تم تقديم الأسباب التي أقنعت محمداً بتمثيل إسماعيل كرجل بار للغاية،[1] لإدراجه في صفوف الآباء والأنبياء،[2] ليذكر أنه الابن الصالح لإبراهيم،[3] وليجعل منه واضع حجر الأساس للكعبة بالاشتراك مع والده.[4] وهذا الرأي هو بالتأكيد غير يهودي، لكنه في الوقت نفسه لا يتعارض مع اليهودية، لأن الحاخامات يخبروننا[5] أنه بعبارة «وتدفن بشيبة صالحة» (سفر التكوين، 15:15) أظهر الله لإبراهيم أن إسماعيل سوف يتوب». وفي التلمود يقال[6] إن إسماعيل تاب أثناء حياة والده. ومن عادته في احتساب إسماعيل بين الآباء، وقع سقط محمد في خطأ عدّه كسلف ليعقوب. وهكذا ففي أحد المقاطع[7] يقول: «إله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق»، الذي يحاول البيضاوي شرحه على النحو التالي[8]: «وعدّ إسماعيل من آبائه تغليباً

إضافة إلى تفسير البغوي، وجدنا التالي عند ابن كثير، الكامل: من يعقوب إسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر المظهر العدل، (أما بعد فإنّا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدّي فشدّت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وأما أبي فشدّت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحبّ أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخاً بدم وقالوا: أكله الذئب، وكان لي ابن آخر أخوه لأمّه فكنتُ أتسلّى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وإنك حبسته، وإنّا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك).

(1) القرآن، 55:19، 56؛ 85:21، 86.

(2) القرآن، 41:14.

(3) القرآن، 130:2، 134؛ 77:33؛ 86:6؛ 48:38.

(4) القرآن، 119:2.

(5) תקבר בשיבה טובה בשרו שישמעאל עשה תשובה. مدراش راباه على التكوين، الفقرة 38.

(6) رسالة بابا بترا التلمودية، 16: ישמעאל עשה תשובה בחיי אביו.

(7) القرآن، 127:2.

(8) ملاحظة من المترجم: من تفسير السراج المنير لمحمد الشربيني الخطيب، نقرأ: {أم كنتم شهداء} جمع شهيد بمعنى الحاضر أي: ما كنتم حاضرين وقول الأسيوطي: لم أقف على ذلك فيه ما مرّ {إذ حضر يعقوب الموت} أي: حين احتضر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الهمزة الأولى

للأب، والجدّ كالأب، لقوله عليه الصلاة والسلام، عمّ الرجل صنو أبيه، كما قال في العبّاس (رض): هذا بقيّة آبائي».

وبنقله إلى إسماعيل هذا الفعل، الذي هو الأكثر جدارة، والذي يعزى من قبل اليهود إلى إسحاق، أي الاستعداد للتضحية، يظل الأخير مجرد رجل تقي، لا يوجد سوى القليل مما يروى بشأنه، والذي هو محروم تماماً من جميع الزينة الأسطورية. نتيجة لهذا، يظهر إسحاق فقط ضمن قوائم الآباء، وعلى نحو شبه دائم في تلك المقطع التي يُذكر فيها خلاص إبراهيم من النار وأيضاً جزاؤه على تقواه. في هذه المقاطع يتبع محمد أكثر التقليد الشعبي الذي يذكر إسحاق ويعقوب لكن ليس إسماعيل.

يصدمنا الآن الارتباك[1] الغريب الذي يبدو أنه كان موجوداً في عقل محمد

وتسهيل الثانية بين الهمزة والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى: {إذ} بدل من إذ قبله {قال لبنيه ما تعبدون من بعدي} أي: بعد موتي أي: أيّ شيء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات فليس الاستفهام على حقيقته قال عطاء: إنّ اللّه تعالى لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل ولدي وأوصيهم ففعل اللّه ذلك به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ {قالوا نعبد إلهك وإله آبائك} وقوله تعالى: {إبراهيم وإسماعيل وإسحق} عطف بيان لآبائك وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه تغليباً للأب إسحق والجدّ إبراهيم أو لأن العم أب والخالة أمّ لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوّة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «عم الرجل صنو أبيه» أي: لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنو النخلة وقال في العباس: هذا بقية آبائي وقال: ردوا عليّ أبي فإني أخشى أن تفعل بي قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقوله تعالى: {إلهاً واحداً} بدل من إله آبائك كقوله تعالى: {بالناصية ناصية كاذبة} (العلق، 19) وقوله تعالى: {ونحن له مسلمون} حال من فاعل نعبد أو من مفعوله أو منهما وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيه للإنكار أي: لم يحضروه وقت موته فكيف ينسبون إليه ما لا يليق به أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء. وقيل: الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي.

(219/1)

(1) دلائل أن يعقوب هو الابن الثاني لإبراهيم :

بشأن يعقوب. ويبدو أنه لم يكن متأكداً ما إذا كان يعقوب هو ابن إبراهيم، أو حفيده، أي ابن إسحاق. وفي حين لا يوجد أي مقطع يقول صراحة إنه كان ابن إبراهيم، مع ذلك فهذه الفكرة تصل إلى كلّ من لم يتعلّم ما يفيد بعكس ذلك من التاريخ التوراتي. وفي إعلان الملاك[1] يقال: «ومن وراء إسحق يعقوب».[2] وفي مقاطع أخرى،[3] نقرأ: «ووهبنا له (أي إبراهيم) إسحق ويعقوب». مع ذلك ففي السنّة يسمّى يوسف بوضوح حفيد إبراهيم ويعقوب يسمى ابن إبراهيم.[4]

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ».(الأنبياء:72).
«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»(العنكبوت:27).
«وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ». (هود:71).
«فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا». (مريم:49).
دلائل على أن أن يعقوب هو ابن إسحاق:
«وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ». (يوسف:38).
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ». (إبراهيم:39).
«وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ». (الصافات:113).
«وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ».(الصافات:112). ـ مترجم.

(1) القرآن، 74:11.
(2) المفسرّون العرب، الذين قد لا يفهمون ولن يفهموا هذه الكلمات كما نفهمها نحن، مجبرون على البحث عن سبب آخر لهذه الإشارة غير المناسبة إلى يعقوب. وهكذا يقول إلفيرار: تبشّرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها.
ملاحظة من المترجم: من تفسير البغوي نقرأ:
قوله تعالى: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق) أي: من بعد إسحاق، (يعقوب) أراد به والد الولد فبشرت أنها تعيش حتى ترى ولد ولدها قرأ ابن عامر وحمزة وحفص: «يعقوب» بنصب الباء، أي: من وراء إسحاق يعقوب. وقيل: بإضمار فعل، أي: ووهبنا له من وراء يعقوب. وقرأ الباقون بالرفع على حذف حرف الصفة. وقيل: ومن بعد إسحاق يحدث يعقوب، فلما بشرت بالولد ضحكت فصكت وجهها، أي: ضربت وجهها تعجبا.
(3) القرآن، 84:6؛ 50:19؛ 72:21؛ 26:29.
(4) السنة (؟)، 398، 400.

وعلى الرغم من أن هذه المقاطع لا تثبت هذه النقطة على الإطلاق، فإن تلك المقاطع التي يمكن تقديمها بالمقابل لدعم وجهة النظر المعاكسة إنما هي أقل قوة بكثير. لأنه حين يجب أن يُسمح أنه يُذكر في مقطعين[1] أبراهام وإسحاق، وفي أحدهما يعقوب أيضاً، كأسلاف ليوسف، يمكننا أيضاً أن نُظهر أن مقطعاً آخر يُذكر فيه إسماعيل كسلف ليعقوب[2] دون تقديم لأية سلسلة أنساب مستمرة بينهما. أبعد من ذلك، فحيث أن المقطع المستشهد به أخيراً يُحسب فيه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق كآباء ليعقوب، فمن الواضح من ذكر إسماعيل بين الآخرين كم كان هائلاً الارتباك الذي سيطر على عقل محمد حول مسألة والد يعقوب.ل

نحن لا نؤكّد بأي حال من الأحوال أنّ محمداً اعتبر أن يعقوب هو ابن إبراهيم، لكن من الواضح أن العلاقة بين الاثنين لم تكن واضحة له. لم ينتشر هذا الخطأ؛ بل على العكس من ذلك، فإن العرب المتأخرين كانوا على دراية أفضل بهذه العلاقات. وهكذا، على سبيل المثال، يقول الزمخشري[3]: «وعن النبي (ص)، إذا قيل من الكريم ابن الكريم، فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم».[4] لكن هذا ليس شهادة على يقينية محمد التامة بالذات، لأنه غالباً ما تكون الروايات المنتشرة لاحقاً بين العرب أكثر صحة من تلك الواردة في القرآن، كما قلنا من قبل في حالة تضحية

(1) القرآن، 6:12، 38.

(2) القرآن، 127:2.

(3) على القرآن، 4:12. (انظر: De Sacy، *Anthologie Grammatica*، 125).

(4) الكلمات ذاتها تقريباً نجدها عند إلفيرار، وإن مع سلسلة طويلة من التقاليد.
ملاحظة من المترجم: من نص البغوي نقرأ: أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل قال: قال عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الصمد، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الكريمَ ابن الكريمِ ابنِ الكريم ابنِ الكريم يوسفُ بنُ يعقوبَ بن إسحاق بن إبراهيم».

إسحاق. لا يعطى سوى القليل عن حياة يعقوب. وهناك إشارة إلى صراعه مع الملاك في الكلمات التالية،[1] «كلّ الطعام كان حلًّا لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل[2] (كما يُدعى هنا)[3] على نفسه». وكما يتضح لنا فهذ إشارة إلى المقطع

---

(1) القرآن، 87:3.

(2) ملاحظة من المترجم: نص تفسير القرطبي: {93} كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «حِلًّا» أَيْ حَلَالًا، ثُمَّ اِسْتَثْنَى فَقَالَ: «إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيل عَلَى نَفْسه» وَهُوَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام. فِي التِّرْمِذِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس أَنَّ الْيَهُود قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرْنَا، مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيل عَلَى نَفْسه؟ قَالَ: (كَانَ يَسْكُن الْبَدْو فَاشْتَكَى عِرْق النَّسَا فَلَمْ يَجِد شَيْئًا يُلَائِمهُ إِلَّا لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا). قَالُوا: صَدَقْت. وَذَكَرَ الْحَدِيث. وَيُقَال: إِنَّهُ نَذَرَ إِنْ بَرَأَ مِنْهُ لَيَتْرُكَنَّ أَحَبّ الطَّعَام وَالشَّرَاب إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبّ الطَّعَام وَالشَّرَاب إِلَيْهِ لُحُوم الْإِبِل وَأَلْبَانهَا. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ: أَقْبَلَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ حَرَّان يُرِيد بَيْت الْمَقْدِس حِين هَرَبَ مِنْ أَخِيهِ عيصو، وَكَانَ رَجُلًا بَطِشًا قَوِيًّا، فَلَقِيَهُ مَلَك فَظَنَّ يَعْقُوب أَنَّهُ لِصّ فَعَالَجَهُ أَنْ يَصْرَعهُ، فَغَمَزَ الْمَلَك فَخِذ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام، ثُمَّ صَعِدَ الْمَلَك إِلَى السَّمَاء وَيَعْقُوب يَنْظُر إِلَيْهِ فَهَاجَ عَلَيْهِ عِرْق النَّسَا، وَلَقِيَ مِنْ ذَلِكَ بَلَاء شَدِيدًا، فَكَانَ لَا يَنَام اللَّيْل مِنْ الْوَجَع وَيَبِيت وَلَهُ زُقَاء أَيْ صِيَاح، فَحَلَفَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام إِنْ شَفَاهُ اللَّه جَلَّ وَعَزَّ أَلَّا يَأْكُل عِرْقًا، وَلَا يَأْكُل طَعَامًا فِيهِ عِرْق فَحَرَّمَهَا عَلَى نَفْسه؛ فَجَعَلَ بَنُوهُ يَتَّبِعُونَ بَعْد ذَلِكَ الْعُرُوق فَيُخْرِجُونَهَا مِنْ اللَّحْم. وَكَانَ سَبَب غَمْز الْمَلَك لِيَعْقُوب أَنَّهُ كَانَ نَذَرَ إِنْ وَهَبَ اللَّه لَهُ اِثْنَيْ عَشَرَ وَلَدًا وَأَتَى بَيْت الْمَقْدِس صَحِيحًا أَنْ يَذْبَح آخِرهمْ. فَكَانَ ذَلِكَ لِلْمَخْرَجِ مِنْ نَذْره؛ عَنْ الضَّحَّاك.
وَاخْتُلِفَ هَلْ كَانَ التَّحْرِيم مِنْ يَعْقُوب بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ أَوْ بِإِذْنٍ مِنْ اللَّه تَعَالَى؟ وَالصَّحِيح الْأَوَّل؛ لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى أَضَافَ التَّحْرِيم إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «إِلَّا مَا حَرَّمَ» وَأَنَّ النَّبِيّ إِذَا أَدَّاهُ اِجْتِهَاده إِلَى شَيْء كَانَ دِينًا يَلْزَمنَا اِتِّبَاعه لِتَقْرِيرِ اللَّه سُبْحَانه إِيَّاهُ عَلَى ذَلِكَ. وَكَمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَيَلْزَم اِتِّبَاعه، كَذَلِكَ يُؤْذَن لَهُ وَيَجْتَهِد، وَيَتَعَيَّن مُوجِب اِجْتِهَاده إِذَا قُدِرَ عَلَيْهِ، وَلَوْلَا تَقَدُّم الْإِذْن لَهُ فِي تَحْرِيم ذَلِكَ مَا تَسَوَّرَ عَلَى التَّحْلِيل وَالتَّحْرِيم. وَقَدْ حَرَّمَ نَبِيّنَا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَسَل عَلَى الرِّوَايَة الصَّحِيحَة، أَوْ خَادِمه مَارِيَة فَلَمْ يُقِرّ اللَّه تَحْرِيمه وَنَزَلَ: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّه لَكَ» [التَّحْرِيم: 1] عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانه فِي «التَّحْرِيم». قَالَ إِلْكِيَا الطَّبَرِيّ: فَيُمْكِن أَنْ يُقَال: مُطْلَق قَوْله تَعَالَى: «لِمَ تُحَرِّم مَا أَحَلَّ اللَّه» يَقْتَضِي أَلَّا يَخْتَصّ بِمَارِيَة؛ وَقَدْ رَأَى الشَّافِعِيّ أَنَّ وُجُوب الْكَفَّارَة فِي ذَلِكَ غَيْر مَعْقُول الْمَعْنَى، فَجَعَلَهَا مَخْصُوصًا بِمَوْضِعِ النَّصّ، وَأَبُو حَنِيفَة رَأَى ذَلِكَ أَصْلًا فِي تَحْرِيم كُلّ مُبَاح وَأَجْرَاهُ مَجْرَى الْيَمِين.

(3) إسرائيل هو يعقوب. البيضاوي. في تفسير البغوي، نقرأ: (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) وهو يعقوب عليه السلام. ـ مترجم.

التوراتي الذي نجد فيه أن الحظر على تناول عرق النسا الذي على حقّ الفخذ[1] مذكور،[2] والذي يقدّمه البيضاوي[3] أيضاً، لكنه يعزو له سبباً خاطئاً.[4] وبعيداً عن هذا التلميح وتاريخ يوسف، الذي هو مشارك فيه أيضاً والذي سنقدّمه في وقت لاحق، فإن الشيء الآخر الوحيد الذي يُروى عن يعقوب هو تحذيره[5] قبل

---

(1) גיד הנשה.

(2) سفر التكوين، 33:32: עַל־כֵּן לֹא־יֹאכְלוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל אֶת־גִּיד הַנָּשֶׁה אֲשֶׁר עַל־כַּף הַיָּרֵךְ עַד הַיּוֹם הַזֶּה כִּי נָגַע בְּכַף־יֶרֶךְ יַעֲקֹב בְּגִיד הַנָּשֶׁה: ذَلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخِذِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا.

(3) عرق النسا.

(4) نص البيضاوي: سورة آل عمران (3): آية 93: كُلُّ الطَّعامِ كانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلاَّ ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (93)؛ كُلُّ الطَّعامِ أي المطعومات والمراد أكلها. كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ حلالاً لهم، وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى: لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ. إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ يعقوب. عَلى نَفْسِهِ كلحوم الإبل وألبانها. وقيل كان به عرق النسا فنذر إن شفي لم يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه. وقيل: فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء. واحتج به من جوز للنبي أن يجتهد، وللمانع أن يقول ذلك بإذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ أي من قبل إنزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً، وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ وقوله: وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ الآيتين، بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة إبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها. قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من أنه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرماً. روي: أنه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة. وفيه دليل على نبوته. ـ مترجم.

(5)) {133} أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.
الْخِطَاب لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ يَنْسُبُونَ إِلَى إِبْرَاهِيم مَا لَمْ يُوصِ بِهِ بَنِيهِ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْيَهُودِيَّة وَالنَّصْرَانِيَّة، فَرَدَّ اللَّه عَلَيْهِمْ قَوْلهمْ وَكَذَّبَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ عَلَى جِهَة التَّوْبِيخ: أَشَهِدْتُمْ يَعْقُوب وَعَلِمْتُمْ بِمَا أَوْصَى فَتَدَّعُونَ عَنْ عِلْم، أَيْ لَمْ تَشْهَدُوا، بَلْ أَنْتُمْ تَفْتَرُونَ. و«أَمْ» بِمَعْنَى بَلْ، أَيْ بَلْ أَشَهِدَ أَسْلَافكُمْ يَعْقُوب. وَالْعَامِل فِي «إِذْ» الْأُولَى مَعْنَى الشَّهَادَة، و«إِذْ» الثَّانِيَة بَدَل مِنْ الْأُولَى. و«شُهَدَاء» جَمْع شَاهِد أَيْ حَاضِر. وَمَعْنَى «حَضَرَ يَعْقُوب الْمَوْت» أَيْ مُقَدِّمَاته وَأَسْبَابه، وَإِلَّا فَلَوْ حَضَرَ

وفاته. هذا يقدّم بالتوافق مع المصادر الحاخامية ويسير على النحو التالي:[1] «ووصى بها إبراهيم بنيه[2] ويعقوب: يا بني، إنّ الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون»[3]. «نجد شيئاً مماثلًا في الكتابات الحاخامية:[4] عندما كان يعقوب يغادر العالم، دعا أبناءه الإثني عشر وقال لهم: اسمعوا لأبيكم إسرائيل،[5] هل هنالك أي شك في قلوبكم بشأن اللّٰه؟ قالوا: «اسمع يا إسرائيل

الْمَوْت لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يَقُول شَيْئًا. وَعَبَّرَ عَنْ الْمَعْبُود «بِمَا» وَلَمْ يَقُلْ مَنْ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرهُمْ، وَلَوْ قَالَ «مَنْ» لَكَانَ مَقْصُوده أَنْ يَنْظُر مَنْ لَهُمْ الِاهْتِدَاء مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَجْرِبَتهمْ فَقَالَ «مَا». وَأَيْضًا فَالْمَعْبُودَات الْمُتَعَارَفَة مِنْ دُون اللَّه جَمَادَات كَالْأَوْثَانِ وَالنَّار وَالشَّمْس وَالْحِجَارَة، فَاسْتَفْهَمَ عَمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ هَذِهِ. وَمَعْنَى «مِنْ بَعْدِي» أَيْ مِنْ بَعْد مَوْتِي. وَحُكِيَ أَنَّ يَعْقُوب حِين خُيِّرَ كَمَا تُخَيَّر الْأَنْبِيَاء اِخْتَارَ الْمَوْت وَقَالَ: أَمْهِلُونِي حَتَّى أُوصِي بَنِيَّ وَأَهْلِي، فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ هَذَا، فَاهْتَدَوْا وَقَالُوا: «نَعْبُد إِلَهك» الْآيَة. فَأَرَوْهُ ثُبُوتهمْ عَلَى الدِّين وَمَعْرِفَتهمْ بِاَللَّهِ تَعَالَى. ـ مترجم.

(1) القرآن، 2:126 ـ 127.

(2) قارن ربما سفر التكوين، 19:18: כִּי יְדַעְתִּיו לְמַעַן אֲשֶׁר יְצַוֶּה אֶת־בָּנָיו וְאֶת־בֵּיתוֹ אַחֲרָיו וְשָׁמְרוּ דֶּרֶךְ יְהוָה לַעֲשׂוֹת צְדָקָה וּמִשְׁפָּט לְמַעַן הָבִיא יְהוָה עַל־אַבְרָהָם אֵת אֲשֶׁר־דִּבֶּר עָלָיו: لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ لِيَعْمَلُوا بِرّاً وَعَدْلاً لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ)). نص الآية مضاف من المترجم.

(3) يترجم غايغر الكلمة دائماً بمعنى التسليم لله. مترجم.

(4) مدراش راباه على التكوين، المقطع 98؛ ومدراش راباه على الخروج، المقطع 2: **בְּשָׁעָה שֶׁהָיָה יַעֲקֹב אָבִינוּ נִפְטָר מִן הָעוֹלָם קָרָא לִשְׁנֵים עָשָׂר בָּנָיו אָמַר לָהֶם שִׁמְעוּ אֵל יִשְׂרָאֵל שֶׁבַּשָּׁמַיִם אֲבִיכֶם, שֶׁמָּא יֵשׁ בִּלְבַבְכֶם מַחְלֹקֶת עַל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא, אָמְרוּ לוֹ (דברים ו, ד): שְׁמַע יִשְׂרָאֵל אָבִינוּ, כְּשֵׁם שֶׁאֵין בְּלִבְּךָ מַחְלֹקֶת עַל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא, כָּךְ אֵין בְּלִבֵּנוּ מַחְלֹקֶת, אֶלָּא (דברים ו, ד): ה' אֱלֹהֵינוּ ה' אֶחָד, אַף הוּא פֵּרַשׁ בִּשְׂפָתָיו וְאָמַר: בָּרוּךְ שֵׁם כְּבוֹד מַלְכוּתוֹ לְעוֹלָם וָעֶד.**

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن نص للمدراش موجود على الإنترنت. الرابط هو: https://www.sefaria.org/Bereishit_Rabbah.98.20?lang=bi&with=all&lang2=en.

(5) سفر التكوين، 22:49: הִקָּבְצוּ וְשִׁמְעוּ בְּנֵי יַעֲקֹב וְשִׁמְעוּ אֶל־יִשְׂרָאֵל אֲבִיכֶם: اِجْتَمِعُوا وَاسْمَعُوا يَا بَنِي يَعْقُوبَ وَاصْغُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ أَبِيكُمْ. ملاحظة: نص الآية من المترجم.

والدنا، كما أنه ما من شك في قلبك بشأن اللّه، كذلك أيضاً ما من شك في قلوبنا؛ لكن الرب إلهنا، الرب واحد»[1]. ثم تكلّم وقال: «ممجد هو اسم ملكوته المجيد، إلى الأبد»[2]. لا يُذكر أبناء يعقوب بشكل إفرادي، لكنهم يظهرون في قائمة الآباء بوصفهم «الأسباط»[3]، وهم يدعون كذلك بسبب انقسامهم اللاحق إلى أسباط؛ وحده يوسف يتمتع باستثناء مشرّف.

بعد أن أُشير إليه في مقطع آخر،[4] يشكّل يوسف موضوع السورة الثانية عشرة كلّها تقريباً،[5] وهي السورة التي تحمل اسمه. والسورة تحتوي السرد المقدّم في سفر التكوين،[6] مع العديد من الاختصارات الصحيحة، لكن أيضاً

---

(1) سفر التثنية، 4:6: שְׁמַע יִשְׂרָאֵל יְהוָה אֱלֹהֵינוּ יְהוָה׀ אֶחָד: إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. ملاحظة: الآية مضافة من المترجم.

(2) قارن نصي الترغوم الأورشليمي للتثنية، 4:6؛ ورسالة بيساحيم التلمودية أيضاً، ص. 56.

(3) השבטים.

(4) القرآن، 36:40.

(5) القرآن، 4:12 ـ 103.

(6) سفر التكوين، 9:37 ـ 36: וַיַּחֲלֹם עוֹד חֲלוֹם אַחֵר וַיְסַפֵּר אֹתוֹ לְאֶחָיו וַיֹּאמֶר הִנֵּה חָלַמְתִּי חֲלוֹם עוֹד וְהִנֵּה הַשֶּׁמֶשׁ וְהַיָּרֵחַ וְאַחַד עָשָׂר כּוֹכָבִים מִשְׁתַּחֲוִים לִי: וַיְסַפֵּר אֶל־אָבִיו וְאֶל־אֶחָיו וַיִּגְעַר־בּוֹ אָבִיו וַיֹּאמֶר לוֹ מָה הַחֲלוֹם הַזֶּה אֲשֶׁר חָלָמְתָּ הֲבוֹא נָבוֹא אֲנִי וְאִמְּךָ וְאַחֶיךָ לְהִשְׁתַּחֲוֺת לְךָ אָרְצָה: וַיְקַנְאוּ־בוֹ אֶחָיו וְאָבִיו שָׁמַר אֶת־הַדָּבָר: וַיֵּלְכוּ אֶחָיו לִרְעוֹת אֶת־צֹאן4 אֲבִיהֶם בִּשְׁכֶם: וַיֹּאמֶר יִשְׂרָאֵל אֶל־יוֹסֵף הֲלוֹא אַחֶיךָ רֹעִים בִּשְׁכֶם לְכָה וְאֶשְׁלָחֲךָ אֲלֵיהֶם וַיֹּאמֶר לוֹ הִנֵּנִי: וַיֹּאמֶר לוֹ לֶךְ־נָא רְאֵה אֶת־שְׁלוֹם אַחֶיךָ וְאֶת־שְׁלוֹם הַצֹּאן וַהֲשִׁבֵנִי דָּבָר וַיִּשְׁלָחֵהוּ מֵעֵמֶק חֶבְרוֹן וַיָּבֹא שְׁכֶמָה: וַיִּמְצָאֵהוּ אִישׁ וְהִנֵּה תֹעֶה בַּשָּׂדֶה וַיִּשְׁאָלֵהוּ הָאִישׁ לֵאמֹר מַה־תְּבַקֵּשׁ: וַיֹּאמֶר אֶת־אַחַי אָנֹכִי מְבַקֵּשׁ הַגִּידָה־נָּא לִי אֵיפֹה הֵם רֹעִים: וַיֹּאמֶר הָאִישׁ נָסְעוּ מִזֶּה כִּי שָׁמַעְתִּי אֹמְרִים נֵלְכָה דֹּתָיְנָה וַיֵּלֶךְ יוֹסֵף אַחַר אֶחָיו וַיִּמְצָאֵם בְּדֹתָן: וַיִּרְאוּ אֹתוֹ מֵרָחֹק וּבְטֶרֶם יִקְרַב אֲלֵיהֶם וַיִּתְנַכְּלוּ אֹתוֹ לַהֲמִיתוֹ: וַיֹּאמְרוּ אִישׁ אֶל־אָחִיו הִנֵּה בַּעַל הַחֲלֹמוֹת הַלָּזֶה בָּא: וְעַתָּה׀ לְכוּ וְנַהַרְגֵהוּ וְנַשְׁלִכֵהוּ בְּאַחַד הַבֹּרוֹת וְאָמַרְנוּ חַיָּה רָעָה אֲכָלָתְהוּ וְנִרְאֶה מַה־יִּהְיוּ חֲלֹמֹתָיו: וַיִּשְׁמַע רְאוּבֵן וַיַּצִּלֵהוּ מִיָּדָם וַיֹּאמֶר לֹא נַכֶּנּוּ נָפֶשׁ: וַיֹּאמֶר אֲלֵהֶם׀ רְאוּבֵן אַל־תִּשְׁפְּכוּ־דָם הַשְׁלִיכוּ אֹתוֹ אֶל־הַבּוֹר הַזֶּה אֲשֶׁר בַּמִּדְבָּר וְיָד אַל־

תִּשְׁלְחוּ־בוֹ לְמַעַן הַצִּיל אֹתוֹ מִיָּדָם לַהֲשִׁיבוֹ אֶל־אָבִיו׃ וַיְהִי כַּאֲשֶׁר־בָּא יוֹסֵף
אֶל־אֶחָיו וַיַּפְשִׁיטוּ אֶת־יוֹסֵף אֶת־כֻּתָּנְתּוֹ אֶת־כְּתֹנֶת הַפַּסִּים אֲשֶׁר עָלָיו׃ וַיִּקָּחֻהוּ
וַיַּשְׁלִכוּ אֹתוֹ הַבֹּרָה וְהַבּוֹר רֵק אֵין בּוֹ מָיִם׃ וַיֵּשְׁבוּ לֶאֱכָל־לֶחֶם וַיִּשְׂאוּ עֵינֵיהֶם
וַיִּרְאוּ וְהִנֵּה אֹרְחַת יִשְׁמְעֵאלִים בָּאָה מִגִּלְעָד וּגְמַלֵּיהֶם נֹשְׂאִים נְכֹאת וּצְרִי וָלֹט
הוֹלְכִים לְהוֹרִיד מִצְרָיְמָה׃ וַיֹּאמֶר יְהוּדָה אֶל־אֶחָיו מַה־בֶּצַע כִּי נַהֲרֹג אֶת־
אָחִינוּ וְכִסִּינוּ אֶת־דָּמוֹ׃ לְכוּ וְנִמְכְּרֶנּוּ לַיִּשְׁמְעֵאלִים וְיָדֵנוּ אַל־תְּהִי־בוֹ כִּי־אָחִינוּ
בְשָׂרֵנוּ הוּא וַיִּשְׁמְעוּ אֶחָיו׃ וַיַּעַבְרוּ אֲנָשִׁים מִדְיָנִים סֹחֲרִים וַיִּמְשְׁכוּ וַיַּעֲלוּ אֶת־
יוֹסֵף מִן־הַבּוֹר וַיִּמְכְּרוּ אֶת־יוֹסֵף לַיִּשְׁמְעֵאלִים בְּעֶשְׂרִים כָּסֶף וַיָּבִיאוּ אֶת־יוֹסֵף
מִצְרָיְמָה׃ וַיָּשָׁב רְאוּבֵן אֶל־הַבּוֹר וְהִנֵּה אֵין־יוֹסֵף בַּבּוֹר וַיִּקְרַע אֶת־בְּגָדָיו׃ וַיָּשָׁב
אֶל־אֶחָיו וַיֹּאמַר הַיֶּלֶד אֵינֶנּוּ וַאֲנִי אָנָה אֲנִי־בָא׃ וַיִּקְחוּ אֶת־כְּתֹנֶת יוֹסֵף וַיִּשְׁחֲטוּ
שְׂעִיר עִזִּים וַיִּטְבְּלוּ אֶת־הַכֻּתֹּנֶת בַּדָּם׃ וַיְשַׁלְּחוּ אֶת־כְּתֹנֶת הַפַּסִּים וַיָּבִיאוּ אֶל־
אֲבִיהֶם וַיֹּאמְרוּ זֹאת מָצָאנוּ הַכֶּר־נָא הַכְּתֹנֶת בִּנְךָ הִוא אִם־לֹא׃ וַיַּכִּירָהּ וַיֹּאמֶר
כְּתֹנֶת בְּנִי חַיָּה רָעָה אֲכָלָתְהוּ טָרֹף טֹרַף יוֹסֵף׃ וַיִּקְרַע יַעֲקֹב שִׂמְלֹתָיו וַיָּשֶׂם שַׂק
בְּמָתְנָיו וַיִּתְאַבֵּל עַל־בְּנוֹ יָמִים רַבִּים׃ וַיָּקֻמוּ כָל־בָּנָיו וְכָל־בְּנֹתָיו לְנַחֲמוֹ וַיְמָאֵן
לְהִתְנַחֵם וַיֹּאמֶר כִּי־אֵרֵד אֶל־בְּנִי אָבֵל שְׁאֹלָה וַיֵּבְךְּ אֹתוֹ אָבִיו׃ וְהַמְּדָנִים מָכְרוּ
אֹתוֹ אֶל־מִצְרָיִם לְפוֹטִיפַר סְרִיס פַּרְעֹה שַׂר הַטַּבָּחִים׃ ثُمَّ حَلَمَ أَيْضاً حُلْماً آخَرَ وَقَصَّهُ
عَلَى إِخْوَتِهِ. فَقَالَ: ((إِنِّي قَدْ حَلَمْتُ حُلْماً أَيْضاً وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً سَاجِدَةٌ لِي)).
وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: ((مَا هَذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلَمْتَ! هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ
وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟)). فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ. وَمَضَى إِخْوَتُهُ لِيَرْعُوا
غَنَمَ أَبِيهِمْ عِنْدَ شَكِيمَ. فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: ((أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعَوْنَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ
إِلَيْهِمْ)). فَقَالَ لَهُ: ((هَئَنَذَا)). فَقَالَ لَهُ: ((اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَراً)).
فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ فَأَتَى إِلَى شَكِيمَ. فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ:
((مَاذَا تَطْلُبُ؟)). فَقَالَ: ((أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي أَيْنَ يَرْعَوْنَ)). فَقَالَ الرَّجُلُ: ((قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ
هُنَا لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ)). فَذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ.
فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ((هُوَذَا هَذَا
صَاحِبُ الأَحْلاَمِ قَادِمٌ. فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الآبَارِ وَنَقُولُ: وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَنَرَى
مَاذَا تَكُونُ أَحْلاَمُهُ)). فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَقَالَ: ((لاَ نَقْتُلُهُ)). وَقَالَ لَهُمْ رَأُوبَيْنُ: ((لاَ
تَسْفِكُوا دَماً. اطْرَحُوهُ فِي هَذِهِ الْبِئْرِ الَّتِي فِي الْبَرِّيَّةِ وَلاَ تَمُدُّوا إِلَيْهِ يَداً)) لِكَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ لِيَرُدَّهُ
إِلَى أَبِيهِ. فَكَانَ لَمَّا جَاءَ يُوسُفُ إِلَى إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ خَلَعُوا عَنْهُ قَمِيصَهُ الْمُلَوَّنَ الَّذِي عَلَيْهِ. وَأَخَذُوهُ
وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ. ثُمَّ جَلَسُوا لِيَأْكُلُوا طَعَاماً. فَرَفَعُوا عُيُونَهُمْ
وَنَظَرُوا وَإِذَا قَافِلَةُ إِسْمَاعِيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِنْ جِلْعَادَ وَجِمَالُهُمْ حَامِلَةٌ كَثِيرَاءَ وَبَلَسَاناً وَلاَذَناً ذَاهِبِينَ
لِيَنْزِلُوا بِهَا إِلَى مِصْرَ. فَقَالَ يَهُوذَا لإِخْوَتِهِ: ((مَا الْفَائِدَةُ أَنْ نَقْتُلَ أَخَانَا وَنُخْفِيَ دَمَهُ؟ تَعَالَوْا فَنَبِيعَهُ

مع العديد من الإضافات والتعديلات، والتي يجب الإشارة إليها. يجب أن نذكر أولاً الإضافات التي تستمد من أسطورة يهودية. ومن بين هذه الإضافات القول إن يوسف كان يميل نحو زوجة فوطيفار، لكن آية حذرته منها.[1] التعليق الحاخامي على عبارة «ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله»[2] يسير على النحو التالي:[3] «كلاهما هدف إلى ارتكاب الخطيئة». وعلى كلمات

لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ وَلاَ تَكُنْ أَيْدِينَا عَلَيْهِ لأَنَّهُ أَخُونَا وَلَحْمُنَا)). فَسَمِعَ لَهُ إِخْوَتُهُ. وَاجْتَازَ رِجَالٌ مِدْيَانِيُّونَ تُجَّارٌ فَسَحَبُوا يُوسُفَ وَأَصْعَدُوهُ مِنَ الْبِئْرِ وَبَاعُوا يُوسُفَ لِلإِسْمَاعِيلِيِّينَ بِعِشْرِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. فَأَتُوا بِيُوسُفَ إِلَى مِصْرَ. وَرَجَعَ رَأُوبَيْنُ إِلَى الْبِئْرِ وَإِذَا يُوسُفُ لَيْسَ فِي الْبِئْرِ فَمَزَّقَ ثِيَابَهُ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى إِخْوَتِهِ وَقَالَ: ((الْوَلَدُ لَيْسَ مَوْجُوداً وَأَنَا إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟)). فَأَخَذُوا قَمِيصَ يُوسُفَ وَذَبَحُوا تَيْساً مِنَ الْمِعْزَى وَغَمَسُوا الْقَمِيصَ فِي الدَّمِ. وَأَرْسَلُوا الْقَمِيصَ الْمُلَوَّنَ وَأَحْضَرُوهُ إِلَى أَبِيهِمْ وَقَالُوا: ((وَجَدْنَا هَذَا. حَقِّقْ أَقَمِيصُ ابْنِكَ هُوَ أَمْ لاَ؟)). فَتَحَقَّقَهُ وَقَالَ: ((قَمِيصُ ابْنِي. وَحْشٌ رَدِيءٌ أَكَلَهُ! افْتُرِسَ يُوسُفُ افْتِرَاساً!)). فَمَزَّقَ يَعْقُوبُ ثِيَابَهُ وَوَضَعَ مِسْحاً عَلَى حَقَوَيْهِ وَنَاحَ عَلَى ابْنِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً. فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ. فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: ((إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَاوِيَةِ)). وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ. وَأَمَّا الْمِدْيَانِيُّونَ فَبَاعُوهُ فِي مِصْرَ لِفُوطِيفَارَ خَصِيِّ فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الشُّرَطِ. ـ المترجم. راجع الاصحاحات في التكوين من 39 إلى 46.

(1) القرآن، 24:12: وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه.

(2) سفر التكوين، 39:11: וַיְהִי֙ כְּהַיּ֣וֹם הַזֶּ֔ה וַיָּבֹ֥א הַבַּ֖יְתָה לַעֲשׂ֣וֹת מְלַאכְתּ֑וֹ וְאֵ֨ין אִ֜ישׁ מֵאַנְשֵׁ֥י הַבַּ֛יִת שָׁ֖ם בַּבָּֽיִת׃ ثُمَّ حَدَثَ نَحْوَ هَذَا الْوَقْتِ أَنَّهُ دَخَلَ الْبَيْتَ لِيَعْمَلَ عَمَلَهُ وَلَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ فِي الْبَيْتِ. ملاحظة: الآية مضافة من المترجم.

(3) رسالة سوتاه التلمودية، 2:36: **ויהי כהיום הזה ויבא הביתה לעשות מלאכתו א"ר יוחנן מלמד ששניהם לדבר עבירה נתכוונו ויבא הביתה לעשות מלאכתו רב ושמואל חד אמר לעשות מלאכתו ממש וחד אמר לעשות צרכיו נכנס ואין איש מאנשי הבית וגו' אפשר בית גדול כביתו של אותו רשע לא היה בו איש תנא דבי ר' ישמעאל אותו היום יום חגם היה והלכו כולן לבית <עבודת כוכבים> {עבודה זרה} שלהם והיא אמרה להן חולה היא אמרה אין לי יום שניזקק לי יוסף כיום הזה (בראשית לט) ותתפשהו בבגדו לאמר וגו' באותה שעה באתה דיוקנו של אביו ונראתה לו בחלון אמר לו יוסף עתידין אחיך שיכתבו על אבני אפוד ואתה ביניהם רצונך שימחה שמך מביניהם.**

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت لصعوبة قراءة نص غايغر. النص هنا كامل. الرابط هو: http://mechon ـ mamre.org/b/l/l3507.htm

«أمسكت بثوبه قائلة: اضطجع معي»،[1] يعلّق الحاخام يوحنان، «مضى كلاهما إلى السرير، عندما ظهر شكل والده ليوسف عند النافذة وقال: يوسف! يوسف! يوماً ما ستنقش أسماء أخوتك على حجارة إفود،[2] وأيضاً اسمك؛ هل تريد لذلك أن يُمحى؟»[3] أما أسطورة أن المصريات اللائي سخرن من زوجة فوطيفار، كن قد دُعين من قبلها، وفي تأملهن بجمال يوسف[4] استغرقن فيه حتى قطعن

(1) سفر التكوين، 12:39: וַתִּתְפְּשֵׂהוּ בְּבִגְדוֹ לֵאמֹר שִׁכְבָה עִמִּי וַיַּעֲזֹב בִּגְדוֹ בְּיָדָהּ וַיָּנָס וַיֵּצֵא הַחוּצָה: فَأَمْسَكَتْهُ بِثَوْبِهِ قَائِلَةً: ((اضْطَجِعْ مَعِي)). فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. ملاحظة من المترجم.

(2) الإفود אֵפוֹד، قطعة فنية وغرض كان يُجل في ثقافة إسرائيل القديمة، وهو مرتبط بقوة بالممارسات النبوئية والطقس الكهنوتي. مترجم.

(3) يقدّم لنا إلفيرار بعضاً من هذه الجزئيات في تعليقه على الآية الواردة آنفاً: روي عن ابن عبّاس أنه قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخائن. قال قتادة وأكثر المفسّرين أنه رأى صورة يعقوب وهو يقول: يا يوسف! تعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الأنبياء!

ملاحظة من المترجم: نقرأ في تفسير البغوي: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين (24). (ولقد همت به وهم بها) والهم هو: المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. فهمها: عزمها على المعصية والزنا. وأما همه: فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن. وعن مجاهد قال: حل سراويله وجعل يعالج ثيابه. وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير، والحسن. وقال الضحاك: جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى إلى جيد المرأة حتى جمع بينهما. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد أنكر قوم هذا القول، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة، وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء عليهم السلام من غير علم. وقال السدي وابن إسحاق: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه، وتشوقه إلى نفسها، فقالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك!.

(4) في تفسير إلفيرار للقرآن، 31:12، يتفق مع سفر هايشار، ويعطي تفسيراً معاكساً لتفسير فال المقحم، والذي يسير بمعناه الصحيح على النحو التالي: أي جززن بالسكين التي معهن أيديهن وهن يحسبن يقطعن الأترج ولم يجدن الألم لغفل قلوبهن بيوسف.

ملاحظة من المترجم: نقرأ عند البغوي في تفسيره: (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرنه أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح. (وقطعن) أي: حززن بالسكاكين التي معهن (أيديهن) وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف.

أصابعهن، إنما هي موجودة في كتابات يهودية قديمة[1] والتي هي، مع أنها غير أصيلة، إلا أنها بالتأكيد قديمة جداً، ومكتوبة بلغة عبرية نقية جداً. وهذا العمل يُشار إليه في بعض الأحيان في مدراش يلقوط[2] تحت اسم «الوقائع الكبيرة»[3]. مع ذلك، ففي ترجمة ألمانية يهودية نجد النص يحمل اسماً آخر.[4] وهذه هي الترجمة التي تتواجد أمامي وأنا أكتب، ولهذا السبب لن أقتبس الكلمات الفعلية.[5] كذلك أيضاً فإن النقاش المتعلّق بتمزيق الملابس، سواء أكانت قد

---

(1) ספר הישר.

(2) يلقوط شموني ילקוט שמעוני أو يلقوط فقط، هو توليفة أغادية [أسطورية] على التوراة العبرانية. ومن الهاغادوت الأقدم التي وصلت إليه، جمع مؤلف اليلقوط تفاسير وتأويلات مختلفة والتي تتناول المقاطع التوراتية، ومن ثم رتبها وفق تعاقب المقاطع التوراتية التي تُشير إليها. مترجم.

(3) דברי הימים הארוך.

(4) תם וישר.

(5) إشارة إلى هذه القصة نجدها في مقطع من سفر أبخير الوارد في سفر مدراش يلقوط، الفصل، 146.

تبدو القصّة القرآنية أنها ما تزال تشبه أكثر القصّة في سفر هايشار، حين يضيف واحدنا التفاصيل التالية. إن كلمة متكأ (الآية 31) تأتي من وكأ (8)، مثل الكلمة الحاخامية סעודה من סעד أي يدعم؛ ومثل الكلمة العبّرية מסב من סבב فإنها تشير إلى وجبة طعام، ليس بسبب الدعم والقوة الجديدين اللذين يمنحهما الطعام (اللذين يمكن للمرء أن يُقاد إليهما من خلال التعبير סעד לב، قارن بشكل خاص المزمور 15:104: וְיַיִן ׀ יְשַׂמַּח לְבַב־אֱנוֹשׁ לְהַצְהִיל פָּנִים מִשָּׁמֶן וְלֶחֶם לְבַב־אֱנוֹשׁ יִסְעָד: [وَخَمْرٍ تُفَرِّحُ قَلْبَ الإِنْسَانِ لإِلْمَاعِ وَجْهِهِ أَكْثَرَ مِنَ الزَّيْتِ وَخُبْزٍ يُسْنِدُ قَلْبَ الإِنْسَانِ]، بل بسبب الطريقة الشرقيّة في الاتكاء على دعائم أثناء تناول الطعام، كما يلاحظ إلفيرار بحق: قال ابن عبّاس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكاء أي طعاماً سمّاه متكاء لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتّكُون على الوسائد فسمي متكاء على الاستعارة. ويقرأ في الشواذ متْكا بسكون التاء؛ واختلفوا في معناه؛ قال ابن عبّاس: هو الأترج؛ وروي عن مجاهد مثله؛ وقيل: هو الأترج بالحبشة؛ وقال الضحاك الرماورد وقال عكر: متكأ شيء يقطع بالسكين؛ وقال أبو زيد الأنصاري: كلما يجز بالسكين فهو عند العرب متك، والمتك والبتك، القطع بالميم والباء.

وفقاً للقراءة متك، التي يتبناها بعضهم، فهي تعني برتقالة أو أترج، ويُقال لنا بوضوح من سفر هايشار إن خليلة يوسف قدّمت هذه الفاكهة للنساء اللواتي زرنها. ويبدو لنا الآن أن قراءتنا

هي القراءة الصحيحة، والمعنى الذي يعطى لمتك مليء بالشك، لأن المفسّرين العرب أنفسهم منقسمون في الرأي وتفسيراتهم مأخوذة فقط عن المقطع ذاته، كما يحدث غالباً. مع ذلك فمن كلماتهم يتضح كثيراً أن الأسطورة الموجودة في السفر اليهودي المشار إليه آنفاً انتقلت إلى العرب، بحيث أن المفسّرين المتأخرين حاولوا اكتشاف كل تفصيل في كلمات القرآن.

ملاحظة من المترجم: الآية من المزامير غير موجودة في نص غايغر. وفي تفسير البغوي، نقرأ: (أرسلت إليهن) قال وهب: اتخذت مأدبة، ودعت أربعين امرأة، منهن هؤلاء اللاتي عيرنها. (وأعتدت) أي: أعدت (لهن متكأ) أي: ما يتكأ عليه. وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ومجاهد: متكأ أي: طعاماً، سماه متكأ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكئون على الوسائد، فسمى الطعام متكأ على الاستعارة. يقال: اتكأنا عند فلان أي: طعمنا. ويقال: المتكأ ما اتكأت عليه للشرب أو الحديث أو الطعام، ويقرأ في الشواذ متكأ بسكون التاء. واختلفوا في معناه: فقال ابن عباس: هو الأترج. ويروى عن مجاهد مثله. وقيل هو الأترج بالحبشة. وقال الضحاك: هو الرباورد. وقال عكرمة: هو كل شيء يقطع بالسكين. وقال أبو زيد الأنصاري: كل ما يجز بالسكين فهو عند العرب متك، والمتك والبتك بالميم والباء: القطع، فزينت [المأدبة بألوان] الفواكه والأطعمة، ووضعت الوسائد ودعت النسوة. (وآتت) وأعطت (كل واحدة منهن سكيناً) فكن يأكلن اللحم حزاً بالسكين. (وقالت) ليوسف (اخرج عليهن) وذلك أنها كانت أجلسته في مجلس آخر، فخرج عليهن يوسف. قال عكرمة: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم؛ وروي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر». قال إسحاق بن أبي فروة: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران. [ص: 238] (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه، قال أبو العالية: هالهن أمره وبهتن. وقيل: أكبرنه أي: حضن لأجله من جماله. ولا يصح. (وقطعن) أي: حززن بالسكاكين التي معهن (أيديهن) وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهن بيوسف. قال مجاهد: فما أحسسن إلا بالدم. وقال قتادة: أبن أيديهن حتى ألقينها. والأصح كان قطعاً بلا إبانة. وقال وهب: ماتت جماعة منهن!

في التفسير المظهري، للمظهري، وجدنا النص التالي: فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31):

تميز عن النسبة أي دخل حبه قلبها ـ قال السدى الشغاف جلدة رقيقة على القلب ـ وقال الكلبي حجب حبه قلبها حتّى لا تعقل سواه إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ عن الرشد وبعد من الصواب مُبِينٍ (30) ظاهر الضلال حيث تركت ما يكون على أمثالها من العفاف والستر.

فَلَمَّا سَمِعَتْ زليخا بِمَكْرِهِنَّ أي باغتيابهن وإنما سمى مكراً لأنهن أخفين هذا القول كما يخفي الماكر مكره ـ وقال ابن إسحاق إنما قلن لها ذلك مكراً بها لتريهن يوسف وكانت تصف لهن حسنه وجماله وقيل إنها أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك فلذلك سماه مكراً أَرْسَلَتْ رسولاً

مزقت من الأمام أو من الخلف[1] فإنه موجود بالطريقة ذاتها في سفر هايشار.[2] وفي عبارة «وشهد شاهد»[3]، التي لا نأخذها هنا على نحو دقيق وفقاً لمعنى السياق، وإنما بالأحرى بمعنى «قرّر محكّم»[4]، الذي يرى آخرون أنه إشارة إلى شاهد كان موجوداً في ما حدث بين يوسف والمرأة، وبعض المفسّرين الذين أستشهد بهم إلفيرار عبّروا عن أنفسهم بتناسق تام مع سفر هايشار على النحو

إِلَيْهِنَّ تدعوهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيّرنها وَأَعْتَدَتْ أي أعدت لَهُنَّ مُتَّكَأً قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ أي طعاماً ـ سماه متكأ لأن أهل الطعام إذا جلسوا يتكؤن على الوسائد ـ فسمى الطعام معاً على الاستعارة ـ يقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا ـ ولما كان ذلك عادة المترفين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل الرجل بشماله وأن يأكل متكأً ـ رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن جابر ـ وقيل المتكأ الطعام الّذي يجزّ جزّاً كأنّ القاطع يتكى عليه بالسكين ـ قال ابن عباس هو الأترج وقد روى عن مجاهد مثله ـ وقيل هو الأترج بالحبشية ـ وقال عكرمة وأبو زيد الأنصاري كل ما يجزّ بالسكين فهو عند العرب متك ـ والمتك والبتك القطع بالميم والباء ـ قال البغوي زينت امرأة العزيز بيتاً بألوان الفواكه والأطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة وَآتَتْ أي أعطت كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وهن يأكلن اللحم جزاً بالسكين وَقالَتِ قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بكسر التاء وصلاً وغيرهم بضمها وصلاً اخْرُجْ يا يوسف عَلَيْهِنَّ وكانت أجلست يوسف في مجلس آخر فخرج عليهن يوسف ـ قال عكرمة وكان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب ـ واخرج ابن جرير والحاكم وابن مردوية من حديث أبي سعيد الخدري.

(1) القرآن، 25:12.

(2) سفر هايشار ספר הישר (الطبعة الأولى 1552) هو مدراش عبراني يُعرف أيضاً باسم تولدوت آدم وباسم ديبري ها ـ يميم بعروق. التسمية تعني سفر السجل الصحيح (تقول مصادر أخرى إن معنى الاسم هو سفر المستقيم)، وهو معروف عند معظم الباحثين باسم سفر جاشر، وهو عنوان الترجمة الإنكليزية للأصل العبراني. والسفر مذكور في يشوع وصموئيل الثاني. مترجم.

(3) القرآن، 26:12.

(4) وحكم حاكم. هكذا أيضاً إلفيرار.

إضافة من المترجم: في تفسير البغوي، نقرأ: قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)

(قال هي راودتني عن نفسي) يعني: طلبت مني الفاحشة فأبيت وفررت. وقيل: ما كان يريد يوسف أن يذكره، فلما قالت المرأة: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ ذكره، فقال: هي راودتني عن نفسي. (وشهد شاهد) وحكم حاكم (من أهلها) اختلفوا في ذلك الشاهد.

التالي:[1] «قال سعيد بن جبير والضحّاك: كان صبياً في المهد أنطقه اللّه؛ وهو رواية العوفي عن ابن عبّاس». في سفر هايشار يؤكّد أنه كان موجوداً هناك طفل عمره أحد عشر شهراً الذي حتى ذلك الحين لم يكن باستطاعته التكلّم، لكنه بعد ذلك نطق، إنما ثمة اختلاف في أنّ السفر اليهودي يجعل الطفل يؤكّد لفظ يوسف، في حين يضع المفسّرون العرب في فمه قراراً بشأن الملابس المؤجرة، في حين يرفض كتّاب آخرون الأمر بوصفه غير مناسب للغاية. ويقول العديد من المفسّرين إن هذا لم يكن طفلاً،[2] بل بالأحرى رجلًا حكيماً ذا رأي. يترتب على ذلك أن محمد إما خلط الأسطورتين على نحو غير مناسب، أو أنّ الأسطورة الثانية دخلت التقليد العربي في وقت لاحق ومن ثم قُرئت لكن الكلمات[3] التي يترجمها فال على النحو التالي: «لكن الشيطان لم يكن ليسمح[4] له (الساقي) أن يفكّر به (يوسف)»، تُفسّر بالمقطع التالي:[5] وكلام الشفتين إنما هو إلى

---

(1) إضافة من المترجم: في تفسير البغوي، نقرأ: فقال سعيد بن جبير، والضحاك: كان صبياً في المهد، أنطقه اللّه عز وجل، وهو رواية العوفي، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة ابنة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم عليه السلام». وقيل: كان ذلك الصبي ابن خال المرأة. وقال الحسن، وعكرمة، وقتادة، ومجاهد: لم يكن صبياً، ولكنه كان رجلاً حكيماً ذا رأي. قال السدي: هو ابن عم راعيل، فحكم فقال: (إن كان قميصه قد من قبل) أي: من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين).

(2) وقال الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة: لم يكن صبيّاً لأنه كان رجلًا حكيمًا ذا رأي.
ملاحظة من المترجم: انظر الهامش السابق.

(3) القرآن، 42:12: فأنساه الشيطان ذكر ربّه.

(4) لا يفسرّ فال ما تعنيه ربّه هنا.

(5) **וּדְבַר שְׂפָתַיִם אַךְ לְמַחְסוֹר, עַל יְדֵי שֶׁאָמַר לְשַׂר הַמַּשְׁקִים (בראשית מ, יד): זְכַרְתַּנִי וְהִזְכַּרְתַּנִי, נִתּוֹסַף לוֹ שְׁתֵּי שָׁנִים, שֶׁנֶּאֱמַר: וַיְהִי מִקֵּץ שנתים ימים.**
ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/ Bereishit_Rabbah.89.1 _ lang=bi&with=all&lang2=e?9.

الفقر،[1] لأنه على الرغم من أن يوسف ذكّر الساقي مرتين[2] أنه كان عليه أن يذكّره، مع ذلك فقد دعي للبقاء في السجن عامين آخرين، لأنه مكتوب؛ «وحدث من بعد سنتين من الزمان».[3] إن التماس الحماية من كبير الخدم يُعتبر هنا خاطئاً، ومن ثم يقول محمد: «فأنساه الشيطان (ليوسف) ذكر ربّه (اللّه)»،[4] وبذلك لم يكن يثق باللّه بل بالإنسان.[5]

---

(1) سفر الأمثال، 23:14: בְּכָל־עֶצֶב יִהְיֶה מוֹתָר וּדְבַר־שְׂפָתַיִם אַךְ־לְמַחְסוֹר׃ فِي كُلِّ تَعَبٍ مَنْفَعَةٌ وَكَلاَمُ الشَّفَتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَى الْفَقْرِ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(2) سفر التكوين، 14:40: כִּי אִם־זְכַרְתַּנִי אִתְּךָ כַּאֲשֶׁר יִיטַב לָךְ וְעָשִׂיתָ־נָּא עִמָּדִי חָסֶד וְהִזְכַּרְתַּנִי אֶל־פַּרְעֹה וְהוֹצֵאתַנִי מִן־הַבַּיִת הַזֶּה׃ إِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَاناً وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُنِي مِنْ هَذَا الْبَيْتِ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(3) سفر التكوين، 41:1: וַיְהִי מִקֵּץ שְׁנָתַיִם יָמִים וּפַרְעֹה חֹלֵם וְהִנֵּה עֹמֵד עַל־הַיְאֹר׃ وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْماً وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ.
ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(4) سورة يوسف، 42. مترجم.

(5) إلفيرار يقدّم ما يلي: «قيل: أنسى الساقي ذكر يوسف للملك؛ تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربّه. قال ابن عبّاس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربّه حتى اتبع الفرج من غيره واستغاث بمخلوق؛ وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان». ثم يستشهد بمقاطع أخرى والتي تمثّل هذه الخطوة ليوسف بوصفها خاطئة.

ملاحظة من المترجم: في تفسير البغوي، نقرأ: {فأنساه الشيطان ذكر ربه} قيل: أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف للملك، تقديره: فأنساه الشيطان ذكره لربه. قال ابن عباس وعليه الأكثرون: أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج، من غيره واستعان بمخلوق، وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان [رجح أبو حيان أن الضمير عائد على الساقي، وهو القول الأول، وهو أيضاً ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية من وجوه عديدة، فقال: «... بل الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه، وهذا هو الصواب، فإنه مطابق لقوله: «اذكرني عند ربك» قال تعالى: «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك، ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه، بل كان ذاكراً لربه... ثم قال بعد وجوه عديدة: فتبين أن قوله «فأنساه الشيطان ذكر ربه» أي: أنسى الفتى ذكر ربه، أن يذكر هذا لربه، ونسي ذكر يوسف ربه، والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول، ويوسف قد ذكر ربه ونسي الفتى ذكر يوسف ربه، وأنساه الشيطان أن يذكر ربه هذا

وفي السورة ذاتها،[1] يوصي يعقوب أبناءه بالدخول من بوابات مختلفة بطريقة تشبه ما نقرأه في الكتابات الحاخامية[2] من أن يعقوب قال لهم: «لا تدخلوا من الباب ذاته».[3]

الذكر الخاص، فإنه وإن كان يسقي ربه خمراً فقد لا يخطر هذا الذكر بقلبه، وأنساه الشيطان تذكير ربه، وإذكار ربه لما قال: «اذكرني» أمره بإذكار ربه فأنساه الشيطان إذكار ربه. فإذكار ربه أن يجعله ذاكراً فأنساه الشيطان أن يجعل ربه ذاكراً ليوسف، والذكر هو مصدر، وهو اسم فقد يضاف من جهة كونه اسماً، فيعم هذا كله، أي: أنساه الذكر المتعلق بربه، والمضاف إليه». ومما يبين أن الذي نسي ربه هو الفتى لا يوسف قوله بعد ذلك: «وقال الذي نجا منهما، فاذَّكر بعد أمة، أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون»، وقوله: «فاذَّكر بعد أمة» دليل على أنه نسي فاذَّكر. انظر: دقائق التفسير لابن تيمية: 3 / 259 ـ 263، وراجع البحر المحيط لأبي حيان: 5 / 311 ـ 312].

{فلبث} فمكث، {في السجن بضع سنين} واختلفوا في معنى البضع، فقال مجاهد: ما بين الثلاث إلى السبع.

وقال قتادة: ما بين الثلاث إلى التسع. وقال ابن عباس: ما دون العشرة. وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنتا عشرة سنة. وقال وهب: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، وترك يوسف في السجن سبع سنين، وعذب بختنصر فحول في السباع سبع سنين [قال الطبري في التفسير: (16 / 115): «والصواب في البضع» من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المائة، وما زاد على المائة فلا يكون فيه «بضع».] قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك، قيل له: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً لأطيلن حبسك، فبكى يوسف، وقال: يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ولن أعود [أخرجه الطبري في التفسير: 16 / 111.] وقال الحسن: دخل جبريل على يوسف في السجن، فلما رآه يوسف عرفه فقال له: يا أخا المنذرين!

(1) القرآن، 67:12.

(2) مدراش رباه على سفر التكوين، 91: אָמַר לָהֶם אַל תּוֹצִיאוּ בְּיֶדְכֶם פְּרוּטָה [נסח אחר. פרוטות]. וְאַל תִּכָּנְסוּ כֻּלְּכֶם בְּפֶתַח אֶחָת.

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت. الرابط: https://www.sefaria.org/Bereishit_ Rabbah.91.1 ـ 11?lang=bi&with=all&lang2=en

(3) السبب ذاته يُعطى على حدّ سواء من المفسرّين العرب وفي المدراش، أي خاف عليهم العين מפני העין (قارن تفسير إلفيرار للآية)، وهو ما اعتبره القدماء خطيراً للغاية في نتائجه.

ملاحظة من المترجم: في تفسير البغوي نقرأ: وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)

والعبارة القائلة[1] إن الإخوة قالوا، عندما وجدوا الكأس في كيس بنيامين: «إذا كان مذنباً بالسرقة فشقيقه كان هو أيضاً مذنباً»، ومن الواضح أنه تغيير خاطئ في كلمات مقطع موجود في مدراش مذكور أعلاه،[2] والذي نجدهم يقولون فيه: «انظروا إلى اللص، ابن اللصة»، بالإشارة إلى سرقة راحيل[3]

(وقال) لهم يعقوب لما أرادوا الخروج من عنده (يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) وذلك أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا أعطوا جمالاً وقوة وامتداد قامة، وكانوا ولد رجل واحد، فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين، فإن العين حق، وجاء في الأثر: «إن العين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر».

(1) القرآن، 77:12.

(2) مدراش رباه على سفر التكوين، الفقرة 92: מָה גַּנָּבָא בַּר גַּנָּבְתָא.

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت. الرابط: https://www.sefaria.org/Bereishit_Rabbah.92.1 _ lang=bi&with=all&lang2=en?9

ملاحظة أخرى من المترجم: ثمة فرق بين نص غايغر ونص الإنترنت؛ وقد اعتمدنا الأخير. يقول نص غايغر: את גַּנָּבָא בַּר גַּנָּבְתָא.

(3) تيرافيم תרפים، وتعني بالعبرية «أشياء مخزية»؛ ونجدها في الترجمات بمعنى «أصنام». حول سرقة راحيل، نقرأ في سفر التكوين، 31 «وأتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل وقال له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر. فلحق لابان يعقوب ويعقوب قد ضرب خيمته في الجبل فضرب. فلحق لابان مع إخوته في جبل جلعاد. وقال لابان ليعقوب ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتي كسبايا السيف. لماذا هربت خفية وخدعتني ولم تخبرني حتى أشيّعك بالفرح والأغاني بالدفّ والعود. ولم تدَعْنِي أُقبِّل بَنِيَّ وبناتي الآن بغباوة فعلت. في قدرة يدي أن أصنع بكم شراً ولكن إله أبيكم كلَّمني البارحة قائلاً احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر. والآن أنت ذهبت لأنك قد اشتقت إلى بيت أبيك ولكن لماذا سرقت إلهتي. فأجاب يعقوب وقال للابان إني خفت لأني قلت لعلك تغتصب ابنتيك مني. الذي تجد آلهتك معه لا يعيش قِدام إخوتنا انظر ماذا معي وخذه لنفسك، ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها. فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليئة وخباء الجاريتين ولم يجد وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل. وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها فجسَّ لابان كل الخباء ولم يجد. وقالت لأبيها لا يغتظ سيدي إني لا أستطيع أن أقوم أمامك لأن عليَّ عادة النساء، ففتَّشَ ولم يجد الأصنام. فاغتاظ يعقوب وخاصم لابان وأجاب يعقوب وقال للابان ما جرمي ما خطيتي حتى حميت ورائي. إنك جسست جميع أثاثي ماذا وجدت من جميع أثاث بيتك ضعه ههنا قدام إخوتي وإخوتك فلينصفوا بيننا الاثنين. الآن عشرين سنة أنا معك نعاجك وعنازك لم تسقط وكباش غنمك لم آكل. فريسة لم أحضر إليك أنا كنت أخسرها من يدي كنت تطلبها مسروقة النهار أو مسروقة الليل. كنت في

للتيرافيم.[1] من القرآن يظهر[2] أن يعقوب عرف من خلال التواصل الإلهي

النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد وطار نومي من عيني. الآن لي عشرون سنة في بيتك خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك وست سنين بغنمك وقد غيرت أجرتي عشر مرات. لولا أن إله أبي إله إبراهيم وهيبة إسحق كان معي لكنت الآن قد صرفتني فارغاً مشقتي وتعب يدي قد نظر الله فوبخك البارحة». من هنا أعتقد أنه يفضّل ترجمة النص أعلاه، اللص ابن اللصّة. ـ مترجم.

(1) سفر التكوين 19:31. וְלָבָן הָלַךְ לִגְזֹז אֶת־צֹאנוֹ וַתִּגְנֹב רָחֵל אֶת־הַתְּרָפִים אֲשֶׁר לְאָבִיהָ: وَأَمَّا لاَبَانُ فَكَانَ قَدْ مَضَى لِيَجُزَّ غَنَمَهُ فَسَرِقَتْ رَاحِيلُ أَصْنَامَ أَبِيهَا. [نص الآية غير موجود في عمل غايغر ـ مترجم].

يقدّم المفسّرون العرب الروايات الأكثر تنوعاً. إحدى هذه الروايات تؤكّد منظورنا المتعلّق بتشويش خاطئ مع راحيل، أي النص التالي عند إلفيرار: «قال سعيد بن جبير وقتادة: كان لجدّه أبي أنه صنم يعبده فأخذه سرّاً».

ملاحظة من المترجم: في تفسير البغوي نقرأ: قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)

(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) يريدون أخاً له من أمه، يعني: يوسف. واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف عليه السلام، فقال سعيد بن جبير وقتادة: كان لجده أبي أمه صنم يعبده، فأخذه سراً، أو كسره وألقاه في الطريق لئلا يعبد . وقال مجاهد: إن يوسف جاءه سائل يوما، فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل. وقال سفيان بن عيينة: أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا. وقال وهب: كان يخبئ الطعام من المائدة للفقراء. وذكر محمد بن إسحاق: أن يوسف كان عند عمته ابنة إسحاق بعد موت أمه راحيل فحضنته عمته، وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه، فأتاها وقال: يا أختاه، سلمي إلي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة. قالت: لا والله، فقال: والله ما أنا بتاركه، فقالت: دعه عندي أياماً أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه، ففعل ذلك، فعمدت إلى منطقة لإسحاق كانوا يتوارثونها بالكبر، فكانت عندها لأنها كانت أكبر ولد إسحاق فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق اكشفوا أهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف فقالت: والله إنه لسلم لي، فقال يعقوب: إن كان فعل ذلك فهو سلم لك، فأمسكته حتى ماتت، فذلك الذي قال إخوة يوسف: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل). (فأسرها) أضمرها (يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) وإنما أتت الكناية لأنه عني بها الكلمة، وهي قوله: (قال أنتم شر مكاناً) [ذكرها سراً في نفسه ولم يصرح بها، يريد أنتم شر مكاناً] أي: منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف لأنه لم يكن من يوسف سرقة حقيقية، وخيانتكم حقيقة (والله أعلم بما تصفون) تقولون.

(2) القرآن، 86:12، 97.

أن يوسف لا يزال على قيد الحياة، وهو ما يتعارض مع أحد الآراء اليهودية[1] لكنه يتفق مع آخر،[2] الذي يسير على النحو التالي: «سأل كافر معلّمنا: هل يعيش الموتى؟ لم يقبل آباؤك بهذا، فهل ستقبل أنت به؟ لقد قيل ذلك عن يعقوب، بحيث رفض أن يُعزّى.[3] لو أنه آمن أن الموتى يحيون، هل كان سيرفض التعزية؟ أحمق الذي عرف من خلال الروح القدس أنه ما يزال على قيد الحياة (في الجسد)، ولا يقبل التعزية بما يخصّ الأحياء. إن القصّة التي تقول إن يوسف أخبر بنيامين مسبقاً من كان، إنما هي مشتركة بين القرآن[4] وسفر هايشار. وإلى جانب تلك الإضافات من الأساطير اليهودية هنالك أيضاً مواد أخرى تدين بأصلها للخطأ، أو ربما لتقاليد غير معروفة لنا. فقول محمد[5] من أن الإخوة طلبوا من والدهم إرسال يوسف معهم، إنما يتناقض مع رواية التوراة؛[6] والقول إن

---

(1) برقيه الحاخام إليعيزر، القسم 38.

(2) مدراش تنحوما كما يرد في مدراش يلقوط، الفصل 143: **שאל מין אחד לרבינו אפשר שהמתים חיים אבותיכם אינם מודים ואתם מודים מה כתיב ביעקב וימאן להתנחם אילו היה יודע שהמתים חיים היה ממאן להתנחם. א»ל שוטה לפי שהיה יודע ברוח הקודש שהוא חי ואין מקבלין תנחומין על החי.**

ملاحظة من المترجم: نص اليلقوط موجود على الإنترنت. الرابط هو: https://www.sefaria.org/lang=bi?3 ـ Yalkut_Shimoni_on_Torah.143.1

طبعاً، اعتمدنا نص الإنترنت.

(3) سفر التكوين، 35:37: וַיָּקֻמוּ כָל־בָּנָיו וְכָל־בְּנֹתָיו לְנַחֲמוֹ וַיְמָאֵן לְהִתְנַחֵם וַיֹּאמֶר כִּי־אֵרֵד אֶל־בְּנִי אָבֵל שְׁאֹלָה וַיֵּבְךְּ אֹתוֹ אָבִיו׃ فَقَامَ جَمِيعُ بَنِيهِ وَجَمِيعُ بَنَاتِهِ لِيُعَزُّوهُ. فَأَبَى أَنْ يَتَعَزَّى وَقَالَ: ((إِنِّي أَنْزِلُ إِلَى ابْنِي نَائِحاً إِلَى الْهَاوِيَةِ)). وَبَكَى عَلَيْهِ أَبُوهُ.

ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(4) القرآن، 69:12.

(5) القرآن، 11:12 وما بعد.

(6) سفر التكوين، 13:37 وما بعد. וַיֹּאמֶר יִשְׂרָאֵל אֶל־יוֹסֵף הֲלוֹא אַחֶיךָ רֹעִים בִּשְׁכֶם לְכָה וְאֶשְׁלָחֲךָ אֲלֵיהֶם וַיֹּאמֶר לוֹ הִנֵּנִי׃ וַיֹּאמֶר לוֹ לֶךְ־נָא רְאֵה אֶת־שְׁלוֹם אַחֶיךָ וְאֶת־שְׁלוֹם הַצֹּאן וַהֲשִׁבֵנִי דָּבָר וַיִּשְׁלָחֵהוּ מֵעֵמֶק חֶבְרוֹן וַיָּבֹא שְׁכֶמָה׃ וַיִּמְצָאֵהוּ אִישׁ וְהִנֵּה תֹעֶה בַּשָּׂדֶה וַיִּשְׁאָלֵהוּ הָאִישׁ לֵאמֹר מַה־תְּבַקֵּשׁ׃ וַיֹּאמֶר אֶת־אַחַי

أحد الإسماعيليين والذي ذهب لجرّ المياه وجد يوسف في الجب مقابل الكلام الواضح في التوراة من أن الحفرة كانت جافة.[1]

يجعل محمد يوسف يشرح حلم فرعون وبعد ذلك فقط يأتي به من السجن،[2] في تناقض مع السرد التوراتي.[3] ويؤكّد أن يعقوب أصبح أعمى من الحزن، لكنه

אָנֹכִי מְבַקֵּשׁ הַגִּידָה־נָּא לִי אֵיפֹה הֵם רֹעִים׃ וַיֹּאמֶר הָאִישׁ נָסְעוּ מִזֶּה כִּי שָׁמַעְתִּי אֹמְרִים נֵלְכָה דֹּתָיְנָה וַיֵּלֶךְ יוֹסֵף אַחַר אֶחָיו וַיִּמְצָאֵם בְּדֹתָן׃ וַיִּרְאוּ אֹתוֹ מֵרָחֹק וּבְטֶרֶם יִקְרַב אֲלֵיהֶם וַיִּתְנַכְּלוּ אֹתוֹ לַהֲמִיתוֹ׃ فَقَالَ إِسْرَائِيلُ لِيُوسُفَ: ((أَلَيْسَ إِخْوَتُكَ يَرْعُونَ عِنْدَ شَكِيمَ؟ تَعَالَ فَأُرْسِلَكَ إِلَيْهِمْ)). فَقَالَ لَهُ: ((هَئَنَذَا)). فَقَالَ لَهُ: ((اذْهَبِ انْظُرْ سَلاَمَةَ إِخْوَتِكَ وَسَلاَمَةَ الْغَنَمِ وَرُدَّ لِي خَبَراً)). فَأَرْسَلَهُ مِنْ وَطَاءِ حَبْرُونَ فَأَتَى إِلَى شَكِيمَ. فَوَجَدَهُ رَجُلٌ وَإِذَا هُوَ ضَالٌّ فِي الْحَقْلِ. فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ: ((مَاذَا تَطْلُبُ؟)) فَقَالَ: ((أَنَا طَالِبٌ إِخْوَتِي. أَخْبِرْنِي أَيْنَ يَرْعُونَ)). فَقَالَ الرَّجُلُ: ((قَدِ ارْتَحَلُوا مِنْ هُنَا لأَنِّي سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: لِنَذْهَبْ إِلَى دُوثَانَ)). فَذَهَبَ يُوسُفُ وَرَاءَ إِخْوَتِهِ فَوَجَدَهُمْ فِي دُوثَانَ. فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ قَبْلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمِ احْتَالُوا لَهُ لِيُمِيتُوهُ.

ملاحظة من المترجم: نص التكوين غير موجود عند غايغر.

(1) : 24:37: וַיִּקָּחֻהוּ וַיַּשְׁלִכוּ אֹתוֹ הַבֹּרָה וְהַבּוֹר רֵק אֵין בּוֹ מָיִם׃ وَأَخَذُوهُ وَطَرَحُوهُ فِي الْبِئْرِ. وَأَمَّا الْبِئْرُ فَكَانَتْ فَارِغَةً لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ.

(2) القرآن، 47:12، 50.

(3)) سفر التكوين، 14:41 وما بعد: וַיִּשְׁלַח פַּרְעֹה וַיִּקְרָא אֶת־יוֹסֵף וַיְרִיצֻהוּ מִן־הַבּוֹר וַיְגַלַּח וַיְחַלֵּף שִׂמְלֹתָיו וַיָּבֹא אֶל־פַּרְעֹה׃ וַיֹּאמֶר פַּרְעֹה אֶל־יוֹסֵף חֲלוֹם חָלַמְתִּי וּפֹתֵר אֵין אֹתוֹ וַאֲנִי שָׁמַעְתִּי עָלֶיךָ לֵאמֹר תִּשְׁמַע חֲלוֹם לִפְתֹּר אֹתוֹ׃ וַיַּעַן יוֹסֵף אֶת־פַּרְעֹה לֵאמֹר בִּלְעָדָי אֱלֹהִים יַעֲנֶה אֶת־שְׁלוֹם פַּרְעֹה׃ וַיְדַבֵּר פַּרְעֹה אֶל־יוֹסֵף בַּחֲלֹמִי הִנְנִי עֹמֵד עַל־שְׂפַת הַיְאֹר׃ וְהִנֵּה מִן־הַיְאֹר עֹלֹת שֶׁבַע פָּרוֹת בְּרִיאוֹת בָּשָׂר וִיפֹת תֹּאַר וַתִּרְעֶינָה בָּאָחוּ׃ וְהִנֵּה שֶׁבַע־פָּרוֹת אֲחֵרוֹת עֹלוֹת אַחֲרֵיהֶן דַּלּוֹת וְרָעוֹת תֹּאַר מְאֹד וְרַקּוֹת בָּשָׂר לֹא־רָאִיתִי כָהֵנָּה בְּכָל־אֶרֶץ מִצְרַיִם לָרֹעַ׃ וַתֹּאכַלְנָה הַפָּרוֹת הָרַקּוֹת וְהָרָעוֹת אֵת שֶׁבַע הַפָּרוֹת הָרִאשֹׁנוֹת הַבְּרִיאֹת׃ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا يُوسُفَ فَأَسْرَعُوا بِهِ مِنَ السِّجْنِ. فَحَلَقَ وَأَبْدَلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ عَلَى فِرْعَوْنَ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: ((حَلُمْتُ حُلْماً وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ. وَأَنَا سَمِعْتُ عَنْكَ قَوْلاً إِنَّكَ تَسْمَعُ أَحْلاَماً لِتُعَبِّرَهَا)). فَأَجَابَ يُوسُفُ فِرْعَوْنَ: ((لَيْسَ لِي. اللهُ يُجِيبُ بِسَلاَمَةِ فِرْعَوْنَ)). فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: ((إِنِّي كُنْتُ فِي حُلْمِي وَاقِفاً عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ سَمِينَةِ اللَّحْمِ وَحَسَنَةِ الصُّورَةِ. فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ. ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مَهْزُولَةِ وَقَبِيحَةِ الصُّورَةِ جِدّاً وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ. لَمْ أَنْظُرْ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مِثْلَهَا فِي الْقَبَاحَةِ. فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ

استعاد بصره عندما وضع قميصّ على عينيه. وربما كان يفكّر بفقدان يعقوب للبصر[1] لاحقاً، أو ربما أنّ الفكرة تستند إلى أسطورة ما غير معروفة بالنسبة لي. ووفقاً للقرآن فقد جاء والدا يوسف،[2] إليه في مصر، على الرغم من حقيقة أنه وفقاً لشهادة التوراة[3] فإن راحيل كانت قد رحلت عن هذا العالم منذ زمن طويل. وربما كانت فكرة محمد تحقيقاً كاملاً للحلم الذي يذكر الوالدين على حدّ سواء.[4]

الرَّقِيقَةُ وَالْقَبِيحَةُ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الأُولَى السَّمِينَةَ. ملاحظة من المترجم: نص التكوين غير موجود عند غايغر.

(1) القرآن، 84:12، 93/ 96. قارن مع سفر التكوين، 10:48: וְעֵינֵי יִשְׂרָאֵל כָּבְדוּ מִזֹּקֶן לֹא יוּכַל לִרְאוֹת וַיַּגֵּשׁ אֹתָם אֵלָיו וַיִּשַּׁק לָהֶם וַיְחַבֵּק לָהֶם׃ وَأَمَّا عَيْنَا إِسْرَائِيلَ فَكَانَتَا قَدْ ثَقُلَتَا مِنَ الشَّيْخُوخَةِ لاَ يَقْدُرُ أَنْ يُبْصِرَ فَقَرَّبَهُمَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُمَا وَاحْتَضَنَهُمَا. ملاحظة من المترجم: نص التكوين غير موجود عند غايغر.

(2) القرآن، 100:12، 101. أبويه.

(3) سفر التكوين، 18:35 وما بعد: וַיְהִי בְּצֵאת נַפְשָׁהּ כִּי מֵתָה וַתִּקְרָא שְׁמוֹ בֶּן־אוֹנִי וְאָבִיו קָרָא־לוֹ בִנְיָמִין׃ וַתָּמָת רָחֵל וַתִּקָּבֵר בְּדֶרֶךְ אֶפְרָתָה הִוא בֵּית לָחֶם׃ וַיַּצֵּב יַעֲקֹב מַצֵּבָה עַל־קְבֻרָתָהּ הִוא מַצֶּבֶת קְבֻרַת־רָחֵל3 עַד־הַיּוֹם׃ וַיִּסַּע יִשְׂרָאֵל וַיֵּט אָהֳלֹהq מֵהָלְאָה לְמִגְדַּל־עֵדֶר׃ וַיְהִי בִּשְׁכֹּן יִשְׂרָאֵל בָּאָרֶץ הַהִוא וַיֵּלֶךְ רְאוּבֵן וַיִּשְׁכַּב אֶת־בִּלְהָה פִּילֶגֶשׁ אָבִיו וַיִּשְׁמַע יִשְׂרָאֵל וַיִּהְיוּ בְנֵי־יַעֲקֹב שְׁנֵים עָשָׂר׃ בְּנֵי לֵאָה בְּכוֹר יַעֲקֹב רְאוּבֵן וְשִׁמְעוֹן וְלֵוִי וִיהוּדָה וְיִשָּׂשכָר וּזְבוּלֻן׃ وَكَانَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهَا (لأَنَّهَا مَاتَتْ) أَنَّهَا دَعَتِ اسْمَهُ ((بِنْ أُونِي)). وَأَمَّا أَبُوهُ فَدَعَاهُ بِنْيَامِينَ. فَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَدُفِنَتْ فِي طَرِيقِ أَفْرَاتَةَ (الَّتِي هِيَ بَيْتُ لَحْمٍ). فَنَصَبَ يَعْقُوبُ عَمُوداً عَلَى قَبْرِهَا. وَهُوَ ((عَمُودُ قَبْرِ رَاحِيلَ)) إِلَى الْيَوْمِ. ثُمَّ رَحَلَ إِسْرَائِيلُ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ وَرَاءَ مَجْدَلَ عِدْرٍ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَ إِسْرَائِيلُ سَاكِناً فِي تِلْكَ الأَرْضِ أَنَّ رَأُوبَيْنَ ذَهَبَ وَاضْطَجَعَ مَعَ بِلْهَةَ سُرِّيَّةِ أَبِيهِ. وَسَمِعَ إِسْرَائِيلُ. وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ اثْنَيْ عَشَرَ: بَنُو لَيْئَةَ: رَأُوبَيْنُ بِكْرُ يَعْقُوبَ وَشَمْعُونُ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرُ وَزَبُولُونُ. ملاحظة من المترجم: نص التكوين غير موجود عند غايغر.

(4) القرآن، 4:12؛ قارن مع سفر التكوين، 10:37: וַיְסַפֵּר אֶל־אָבִיו וְאֶל־אֶחָיו וַיִּגְעַר־בּוֹ אָבִיו וַיֹּאמֶר לוֹ מָה הַחֲלוֹם הַזֶּה אֲשֶׁר חָלָמְתָּ הֲבוֹא נָבוֹא אֲנִי וְאִמְּךָ וְאַחֶיךָ לְהִשְׁתַּחֲוֹת לְךָ אָרְצָה׃ وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: ((مَا هَذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ! هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟)). ملاحظة من المترجم: نص التكوين غير موجود عند غايغر.

مع ذلك، يعلّق بعض الحاخامات على هذا بالقول إنه ما من حلم إلا ويمزج فيه بعض مواد عديمة الجدوى، في حين يقول آخرون إن الإشارة هي إلى بلهة، مربية يوسف اللاحقة. شيء كهذا يورده الزمخشري، مفاده أنه «وقيل أبوه وخالته»؛[1] في حين أن إلفيرار يظل[2] أكثر وضوحاً: «قاله قتادة، وقال السدي: القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت». وهكذا فمن الممكن أن محمداً يعني هذه الخالة هنا، وحتى كما يعلّق إلفرار على مقطع آخر،[3] بمعنى، أنه «قال أكثر المفسّرين هو وأبوه وخالته ليا، وكانت أمّه قد ماتت في نفاس بنيامين». يتناسب الأمر تماماً مع إجراء محمد المعتاد في وضع خطاب طويل في فم يوسف حول واحدنية اللّه ومذهب حياة في المستقبل. ويعطى هذا قبل تفسير الأحلام لرفيقيه في السجن.[4] مع يوسف ننهي الحقبة الأولى، لأنّه بين

---

(1) في تفسيره للقرآن، 4:12 ((انظر: 127 ،De Sacy، *Anthologie Grammatica*). إضافة من المترجم: نص الزمخشري: وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته: والكواكب، إخوته، وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصاً طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عصاً صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة: الشمس والقمر والكواكب تسجد له، فقصها على أبيه، فقال له: لا تقصها عليهم، فيبغوا لك الغوائل، وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل: ثمانون.

(2) إضافة من المترجم: نص تفسير البغوي: وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته: والكواكب، إخوته، وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصاً طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عصاً صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة: الشمس والقمر والكواكب تسجد له، فقصها على أبيه، فقال له: لا تقصها عليهم، فيبغوا لك الغوائل، وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل: ثمانون. وكان النجوم في التأويل أخواته، وكانوا أحد عشر رجلاً يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم، والشمس أبوه، والقمر أمه. قاله قتادة. وقال السدي: القمر خالته، لأن أمه راحيل كانت قد ماتت.

(3) القرآن، 100:12.

(4) المفسرّون العرب، الذين هم على إدراك تام بعدم الملاءمة هذه يحلّون المعضلة عبر القول بذكاء شديد إن يوسف قام بهذا الاستطراد، لأنه كان يحزنه أن يُجبر على أن يتنبأ بالسوء لرفيقيه في

يوسف وموسى لا يذكر محمد أحداً. ويبدو تقريباً كما لو أن محمداً اعتبر موسى ابناً ليوسف، على الرغم من أننا بالطبع لا نستطيع أن نعزو له على نحو جدّي مثل هذا الرأي.

الجزء الثاني

موسى وزمنه

لقد حُفظ تاريخ العصور السابقة بخطوط رئيسة موجزة ليس إلا، ولم يكن مهماً في حد ذاته، أو في تأثيره ككل، في ما تركه على العصور التي تلته؛ ولذلك فقد تبنّى محمد منه فقط مثل تلك الأساطير التي كانت مثقفة بحدّ ذاتها، والتي كان باستطاعته أن يضيف إليها تأملات تقوية. وفي الحقبة التي سنتناولها الآن، لا يزال هنالك بالتأكيد مجموعة طويلة من الأساطير، لكن الحقائق التاريخية محفوظة لنا بتمايز أعظم وتفصيل أوضح، ولهذه الحقائق أهمية دينية أعظم. يمدّ منح التشريع الموسوي والحياة النهائية والشخصية النبيلة لموسى نفسه محمداً بالكثير من المواد لقصصه. وهنا سنقوم أولاً بجمع حياة موسى مع بعضها كما هي ممثلة في المقاطع المختلفة من القرآن، وبعد ذلك سوف ننظر في التفاصيل التي سيتم التعليق عليها. كان من بين التشريعات القمعية لفرعون ضد بني إسرائيل الأمر بأنه يجب أن يُرمى أطفالهم في الماء. أما موسى ابن عمرام[1]

السجن. يقول إلفيرار في تعليقه على الآية 37: ملاحظة من المترجم: من تفسير البغوي: ويروى أن الفتيين لما رأيا يوسف قالا له: لقد أحببناك حين رأيناك، فقال لهما يوسف: أنشدكما باللّه أن لا تحباني، فواللّه ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء، لقد أحبتني عمتي فدخل علي بلاء، ثم أحبني أبي فألقيت في الجب، وأحبتني امرأة العزيز فحبست. فلما قصّا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبّر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره في إظهار المعجزة والدعاء إلى التوحيد.

(1) عمران.

فقد وضعته والدته في تابوت[1]؛ لكن زوجة فرعون، التي رأت الطفل هناك، أنقذته من الموت، وأرضعته من أمه. وعندما كبر موسى حاول مساعدة إخوانه المضطهدين، فقتل ذات مرة أحد المصريين؛ مع ذلك فقد ذكره أحد الإسرائيليين في اليوم التالي بفعلته أمس. وهذا ما جعله يخاف، وبمشورة من صديق فر إلى مدين، وتزوج هناك من ابنة أحد أهل مدين.[2] وعندما أراد أن يغادر مدين رأى عليقة تحترق، فاقترب منها، ليتلقى الأمر بالذهاب إلى مصر لتحذير فرعون والقيام ببعض المعجزات لجعله يؤمن؛ فطلب من شقيقه هارون مساعدته في هذا العمل.[3] عمل موسى بالوصيّة وأكمل مهمته، لكن فرعون ظل غير مؤمن وجمع سحرته، الذين بالفعل كانوا يقومون بالعجائب، لكن موسى وهارون كانا قد تجاوزوهم إلى درجة أنهم آمنوا بهما على الرغم من تهديدات فرعون.[4] لكن حكماً عظيماً ضرب فرعون وشعبه، الذي حافظ على عناده في عدم إيمانه.

---

(1) الحديث عن التابوت موجود في تفسير سورة القصص؛ {7} وَأَوْحَيْنَا إِلَىَ أُمِّ مُوسَىَ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
وَ «إِذَا» لِمَا يُسْتَقْبَل مِنْ الزَّمَان؛ فَيُرْوَى أَنَّهَا اِتَّخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا مِنْ بَرْدِي وَقَيَّرَتْهُ بِالْقَارِ مِنْ دَاخِله، وَوَضَعَتْ فِيهِ مُوسَى وَأَلْقَتْهُ فِي نِيل مِصْر وَقَدْ مَضَى خَبَره فِي [طه] قَالَ اِبْن عَبَّاس: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل لَمَّا كَثُرُوا بِمِصْرَ اِسْتَطَالُوا عَلَى النَّاس، وَعَمِلُوا بِالْمَعَاصِي، فَسَلَّطَ اللَّه عَلَيْهِمْ الْقِبْط، وَسَامُوهُمْ سُوء الْعَذَاب، إِلَى أَنْ نَجَّاهُمْ اللَّه عَلَى يَد مُوسَى قَالَ وَهْب: بَلَغَنِي أَنَّ فِرْعَوْن ذَبَحَ فِي طَلَب مُوسَى سَبْعِينَ أَلْف وَلِيد وَيُقَال: تِسْعُونَ أَلْفًا وَيُرْوَى أَنَّهَا حِين اِقْتَرَبَتْ وَضَرَبَهَا الطَّلْق، وَكَانَتْ بَعْض الْقَوَابِل الْمُوَكَّلَات بِحَبَالَى بَنِي إِسْرَائِيل مُصَافِيَة لَهَا، فَقَالَتْ: لِيَنْفَعنِي حُبّك الْيَوْم، فَعَالَجَتْهَا فَلَمَّا وَقَعَ إِلَى الْأَرْض هَالَهَا نُور بَيْن عَيْنَيْهِ، وَارْتَعَشَ كُلّ مِفْصَل مِنْهَا، وَدَخَلَ حُبّه قَلْبهَا، ثُمَّ قَالَتْ: مَا جِئْتُك إِلَّا لِأَقْتُل مَوْلُودك وَأُخْبِر فِرْعَوْن، وَلَكِنِّي وَجَدْت لِابْنِك حُبًّا مَا وَجَدْت مِثْله قَطُّ، فَاحْفَظِيهِ؛ فَلَمَّا خَرَجَتْ جَاءَ عُيُون فِرْعَوْن فَلَفَّتْهُ فِي خِرْقَة وَوَضَعَتْهُ فِي تَنُّور مَسْجُور نَارًا لَمْ تَعْلَم مَا تَصْنَع لَمَّا طَاشَ عَقْلهَا، فَطَلَبُوا فَلَمْ يُلْفُوا شَيْئًا، فَخَرَجُوا وَهِيَ لَا تَدْرِي مَكَانه، فَسَمِعَتْ بُكَاءَهُ مِنْ التَّنُّور، وَقَدْ جَعَلَ اللَّه عَلَيْهِ النَّار بَرْدًا وَسَلَامًا. مترجم.

(2) القرآن، 37:20 ـ 44؛ 2:28 ـ 29.

(3) القرآن، 8:20 ـ 37؛ 44 ـ 51؛ 9:26 ـ 17؛ 29:28 ـ 36؛ 15:79 ـ 20.

(4) القرآن، 101:7 ـ 125؛ 76:10 ـ 90؛ 99:11 ـ 102؛ 50:20 ـ 79؛ 47:23 ـ 51؛ 15:26 ـ 52؛ 13:27 ـ 15؛ 36:28 ـ 40؛ 24:40 ـ 49؛ 45:43 ـ 54؛ 20:79 ـ 27.

وأخيراً غرق المصريون في البحر، بينما تم إنقاذ الإسرائيليين.[1] لا يُقال شيء عن رحلة بني إسرائيل قبل منح الشريعة، عدا ضرب الصخرة بعصاً حتى تتدفق منها المياه، وهذا يرد فقط في مقطعين تصادفياً؛[2] لكننا نجد في المقطع الأول من بين المقطعين أنّ حقائق أخرى حول المكوث في البرية تُقص على مسامعنا. ثم تلقّى موسى الشريعة،[3] وصلّى كي يرى مجد اللّه.[4]

---

(1) القرآن، 42:2 ـ 46؛ 127:7 ـ 139؛ 90:10 ـ 93؛ 79:20 ـ 82؛ 52:26 ـ 69؛ 40:28 ـ 48؛ 55:43.

(2) القرآن، 57:2؛ 160:7.

(3) الألواح הלוחות. القرآن، 142:2 و149. بشأن المقطع الأول يقول إلفيرار: قال ابن عباس: يريد الألواح التوراة؛ وبشأن المقطع الثاني يقول على نحو صحيح أكثر: التي فيها التوراة.
ملاحظة من المترجم: من شرح البغوي نقرأ: وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)
قوله ـ عز وجل ـ : (وكتبنا له) يعني لموسى، (في الألواح) قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة، وفي الحديث: «كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً». وجاء في أحاديث خلق اللّه آدم بيده: «وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده» ؛ (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين (150) قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (151)).
قوله ـ عز وجل ـ : (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) قال أبو الدرداء: الأسف شديد الغضب. وقال ابن عباس والسدي: أسفاً أي حزيناً. والأسف أشد الحزن، (قال بئسما خلفتموني من بعدي) أي: بئس ما عملتم بعد ذهابي، يقال: خلفه بخير أو بشر إذا أولاه في أهله بعد شخوصه عنهم خيراً أو شراً، (أعجلتم) أسبقتم (أمر ربكم) قال الحسن: وعد ربكم الذي وعدكم من الأربعين ليلة. وقال الكلبي: أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم. (وألقى الألواح) التي فيها التوراة وكان حاملاً لها، فألقاها على الأرض من شدة الغضب.

(4) القرآن، 135:7 ـ 147، 170؛ 52:2 ـ 57، 60، 87؛ 152:4. لا يُذكر جبل سيناء أبداً في القرآن في سياق إعطاء الشريعة، مع أنه يُذكر على هذا النحو من قبل المفسّرين، منهم على سبيل المثال، إلفيرار في تفسيره للقرآن، 140:7. لكنه غير معروف لمحمد، على اعتبار أنه يُذكر في مناسبات أخرى. وهكذا فهو يستخدم كقسم في القرآن، 2:95 (طور سنين، ربما بسبب الإيقاع. قارن: إلياسين). ومن ثم يُذكر في قصّة خلق شجرة الزيتون. القرآن 20:23: «وشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ»، وهو مقطع يقول عنه المفسّرون الذين يقدمهم إلفيرار إن الاسم لقب. [إضافة المترجم من تفسير البغوي: (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (19) وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين (20)).

وخلال غيابه[1] صنع الإسرائيليون العجل الذهبي، الذي قطعه موسى عند عودته إلى قطع وقدّمه للإسرائيليين للشرب؛[2] وبعد ذلك عيَّن سبعين رجلًا.[3] وفي وقت لاحق أرسل جواسيس إلى كنعان، لكنهم جميعاً ما عدا اثنين كانوا من الكافرين. ترك

قوله تعالى: (فأنشأنا لكم به) أي: بالماء، (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات، (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) شتاءً وصيفاً، وخص النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب. (وشجرة) أي: وأنشأنا لكم شجرة (تخرج من طور سيناء) وهي الزيتون، قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «سيناء» بكسر السين. وقرأ الآخرون بفتحها واختلفوا في معناه وفي «سينين» في قوله تعالى: «وطور سينين» (التين ـ 2) قال مجاهد: معناه البركة، أي: من جبل مبارك. وقال قتادة: معناه الحسن، أي: من الجبل الحسن. وقال الضحاك: هو بالنبطية، ومعناه الحسن. وقال عكرمة: هو بالحبشية. وقال الكلبي: معناه الشجر، أي: جبل ذو شجر. وقيل: هو بالسريانية الملتف بالأشجار. وقال مقاتل: كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سينا، وسينين بلغة النبط. وقيل: هو فيعال من السناء وهو الارتفاع. قال ابن زيد: هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وأيلة. وقال مجاهد: سينا اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده. وقال عكرمة: هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل]. ومن بين التفسيرات المختلفة ثمة تفسير مستشهد به يظهر لي صحيحاً، أي وقيل: هو بالسريانية الملتف بالأشجار؛ وهكذا فإن סיני [سيناي] سوف ترتبط بـסנה [سنيه]. قارن مع بن عزرا، الذي في تفسيره لنص الخروج، 2:3: [إضافة من المترجم: וַיֵּרָא מַלְאַךְ יְהוָה אֵלָיו בְּלַבַּת־אֵשׁ מִתּוֹךְ הַסְּנֶה וַיַּרְא וְהִנֵּה הַסְּנֶה בֹּעֵר בָּאֵשׁ וְהַסְּנֶה אֵינֶנּוּ אֻכָּל׃ وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!] يعترف بوجود علاقة بين סיני [سيناي] وסנה [سنيه]. لا بدّ أن نلاحظ أن أولئك المذكورين آنفاً الذين يعتبرون سيناي كلقب لا يتعبرونه متماثلاً مع الجبل الذي تلقّى عليه موسى الشريعة، وهي مماثلة تورد كمجرّد رأي محتمل: وقال بن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى.

يقول Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الكلمة سينا، ص. 793: يدعو العرب هذا الجبل أحياناً سنين (التي بأية حال يجب أن تكون سنان) بالإشارة إلى قمتيه، حوريب وسينا؛ وبهذه الطريقة يمكن أن تعتبر سينين حالة مجرور من الكلمة العربية سنون.

(1) القرآن، 2:48 ـ 52، 87؛ 7:148 ـ 155؛ 20:82 ـ 99.

(2) القرآن، 7:154.

(3) القرآن، 5:23 ـ 29.

الشعب ذاته تُخدع بهم فاضطروا للتيه مدة أربعين عاماً في البرية.[1] وعلاوة على ذلك، حصل نزاع بين موسى وقارون، الذي ابتلعته الأرض،[2] فاتُهم به خطأً.

هذا النص الأخير ربما يكون إما إشارة إلى مسألة قورح،[3] أو إلى النزاع مع هارون ومريم[4]. هذه هي الأحداث الرئيسة لحياة موسى كما هي واردة في

---

(1) القرآن، 76:28 ـ 83.

(2) القرآن، 59:18 ـ 81.

(3) قورح קֹרַח اسم لشخصيتين في التوراة؛ الأول هو قورح ابن عيسو وأهوليبامة (تك 14:336)؛ والثاني الذي يعنينا هنا هو قورح بن يصهار (خر 21:6)، الذي قاد ثورة ضد موسى وهارون مع مئتين وخمسين (؟) شخصاً فأرسل اللّه عليهم ناراً من السماء التهمتهم (عدد 16). مترجم.

(4) من الأمور البحثية التي تطرح جداً في الغرب ومنذ زمن طويل أن محمداً، النبي القرشي، دمج مريمتين في مريم واحدة: مريم الأولى، أم يسوع المسيح، المعروفة للغاية في العهد الجديد، والتي تعطي اسمها لإحدى سور القرآن، والمعروفة للغاية أيضاً في التراث الإسلامي؛ لكن مريم الأخرى، ابنة عمران وأخت هارون، غير معروفة عموماً بين المسلمين. وهنا، سنقدّم مدخلاً تعريفياً لهذه المرأة الهامة جداً في الديانة اليهودية، والتي لم تأخذ حقها في الإسلام.

مريم، بالعبرية מרים: وتعني ربما رغبة (بالعربية: رام)؛ أو ربما من المصرية القديمة mer بمعنى حب: هي ابنة عمران ويوكابد وأخت هارون وموسى (سفر العدد 26:59؛ سفر الأخبار الأول 29:5). وفي الروايات التوراتية فإن مريم هي الأخت التي تذكر في سفر الخروج 2: 2 ـ 8؛ والتي نصحت ابنة فرعون باستدعاء قابلة لموسى من العبرانيين. لكن بعض باحثي الكتاب المقدّس يعتقدون أنه وكون مريم هي المذكورة أخيراً ضمن الحديث عن أبناء عمران (سفر العدد 59:26؛ 1 أخ 29:5)، فهذا يعني قطعاً أنها كانت أصغر أولاده؛ من هنا، فالأخت المذكورة في سفر الخروج 2: 2 ـ 8 كانت حتماً ابنة لعمران من زوجة أخرى. والرأي النقدي يُختصر في القول إن تمثيل موسى وهارون ومريم على أنهم أخوة ليس غير ثانوي.

لقد أطلق على مريم اللقب «نبية» بعدما ظهرت، وهي تمسك الدف بيدين مرتعشتين، على رأس النسوة اللواتي كن يرقصن ويغنين بعد عبور البحر الأحمر (خر 15: 20 ـ 21). وكان من عادة الإسرائيليين أن ترحب النساء بالرجال وهن يرقصن بالدفوف إذا ما عادوا من ساحة الوغى أو في غيرها من المناسبات. (قض 34:11؛ 1 صم 18: 6 ـ 7؛ مز 26:68).

مريم هذه مذكورة أيضاً ضمن سياق محاولاتها مع أخيها هارون لتحدي حق موسى الحصري في التحدث باسم الرب (عد 12). لكن مريم هي أول من يذكر هنا؛ وبحسب G.B.Gray، فالفعل الذي يظهر بصيغة المؤنث، تكلمت ضد [وَتَكَلَّمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا (لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً) فَقَالاَ: «هَل كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلَمْ

يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضاً؟» فَسَمِعَ الرَّبُّ]، يوحي بأن مريم هي التي قادت هذه الثورة، أو أنها وحدها التي ثارت وأن اسم هارون لم يضف إلا بهدف تسكين غضبها. على أية حال، تذكر الروايات أن العقاب لم يطل إلا مريم وحدها. ثمة ما يوحي في النص بأن سبب الثورة كان زواج موسى من امرأة أثيوبية (عدد 1:12). لكن باحثين كثر يعتقدون أن هذا السطر أضافه محرر من زمن لاحق. والواقع أنه دون ذلك السطر يمكن أن يصبح النص أكثر وضوحاً، أي أن مريم وهارون عارضاً حق موسى الحصري في التنبؤ باسم الرب (قارن: عدد 11: 25 ـ 30). لذلك، ضُربت مريم بالبرص، [9. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمَا وَمَضَى. 10. فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الخَيْمَةِ إِذَا مَرْيَمُ بَرْصَاءُ كَالثَّلْجِ. فَالتَفَتَ هَارُونُ إِلى مَرْيَمَ وَإِذَا هِيَ بَرْصَاءُ.] ولم تشف إلا بعد أن تدخل موسى لأجلها وبعد أن تم عزلها سبعة أيام. عقاب يتم تذكره من جديد (تث 9:24)، كنوع من التلميح للبرص. ماتت مريم في قادش ودفنت هناك (عد 1:20). وميخا يذكرها مع موسى وهارون كأحد من قادوا بني إسرائيل في رحلة خروجهم من مصر (4:6).

مريم في الأغاداه (الأساطير اليهودية):

دعيت هذه المرأة (مريم) بالإشارة إلى مرارة العبودية في مصر (سفر الخروج راباه، 1:26). ومع أن الكتاب المقدّس يتحدّث عنها كنبية (خر 20:15)، إلا أنه ليس ثمة ذكر لأي من نبوءاتها هناك. مع ذلك فالأغاداه تملأ الفجوات. الأغاداه تقول بنوع من تفسير النص التوراتي إن والد مريم، عمران، الذي لم يكن يرغب بإنجاب أولاد ذكور لأنهم كانوا محكومين بالموت، طلّق زوجه بعد قرار فرعون بقتل أولاده الذكور. لكن مريم حثته على إعادة الزواج من يوكابد، موبخة إياه بأنه كان أكثر قسوة من فرعون، لأن قرار الأخير لم يكن يتضمن إلا الذكور، وتنبأت بأن الطفل الذي سيأتي من صلبه هو من سيحرر إسرائيل. وافق عمران، فرقصت مريم وغنت أمام والديها عند مناسبة إعادة الزواج (سوتاه 12 آ ـ 3 آ؛ BB، 120 آ).

يماثل بعض الحاخامين بين مريم وפועה [بعاه: (يفتح الفم)] (سفر الخروج راباه، 13:1؛ راشي، سوتاه 11 ب)، وهي واحدة من القابلات (خر 15:1)، والتي دعيت بعاه، لأنها أراحت الأم وهدهدت الطفل حتى جعلته يفتح فمه. وكنوع من الثواب كان قدرها أن يكون لها أحفاد مشهورون. كذلك ثمة مطابقة أخرى بين مريم وعزوبة، زوجة كالب (1 أخ 18:2)؛ وابنهما، حور، كان جد بيزاليل، الذي ورث الحكمة عن جدته الكبيرة. وكان الأخير مهندس الحرم في القدس. وقد قال بعض الحاخامين إن الملك داود ينتهي نسبه إليها (سفر العدد راباه، 78؛ سفر الخروج راباه، 48: 3 ـ 4).

تُصَوَّر مريم على أنها كانت جريئة في توبيخها للغير. وفي طفولتها، وبخت فرعون على قساوته، لكنه لم يمتنع عن قتلها إلا بعد أن توسلته أمها قائلة إنها لا تعدو كونها طفلة صغيرة (سفر الخروج راباه، 13:1). وَجَدَت مريم في حدث آخر أنه من المناسب أن توبّخ موسى لأنه طلّق صفورة، إذ أحست أنه سينجب منها (سفر العدد راباه 99). ورغم أن مريم عوقبت بالبرص، فقد شرفها الله بذاته حين أعلن الكوهين شفاءها وبالتالي طهارتها (Zev 102 a). ولأنها انتظرت موسى قرب النهر،

انتظرها الإسرائيليون كي تشفى (سوتاه 11 آ). وبسبب ميزاتها، رافق ولادتها ظهور بئر عجائبي، خلق ليلة أول سبت للخليقة (أبوت 6:5)، وتواجد بني إسرائيل في الصحراء (تعنيت 9). ومثل موسى وهارون، ماتت مريم أيضاً عبر قبلة الله لأن ملك الموت لم يقدر عليها (BB 17 a).

مريم في الإسلام:

في نبوءاته الأولى، تحدّث محمد عن مريم وابنها عيسى [يسوع]، المولود من الروح القدس (20:19؛ 52:23؛ 12:66). لكن يقال أيضاً في الآية 29:19 إنها كانت أخت هارون؛ في حين تقول السورة المعروفة بسورة آل عمران، 31:3، إنها أيضاً ابنة عمران. أما فيما يخص قرارات فرعون، فقد قال محمد إن أم موسى أمرت أخته أن تراقب الفلك الذي وضع فيه موسى (20: 41 ـ 42؛ 28: 10 ـ 12)، لكن دون ذكر لاسمها. وفي موضع آخر، 66: 11 ـ 12، تُذْكَر زوجة فرعون ومريم (أم عيسى) ضمن النساء الصالحات. وكما يقول الطبري والثعالبي، فقد تزوجت مريم من كالب، في حين أنه في قصة الكسائي عن قارون، يقال إن مريم كانت زوجته وإنه منعها عن أخذ علم الكيمياء، وهو سبب إحرازه الثروة.

بالمقابل، وبحسب التقليد المسيحي أيضًا، أي مجموع كتابات آباء الكنيسة الأوائل، فإن والدي مريم أم المسيح المسمّاة بالعذراء، هما حنة ويهوياقيم، ويحتفل بتذكارهما في التاسع من أيلول من كل عام، أي بعد يوم واحد من ذكرى ميلاد مريم العذراء في الثامن من أيلول من كل عام حسب التقليد الكنسي أيضًا.

آيات وتعليق:

في القرآن الكريم آيات كثيرة للغاية تحكي عن مريم وأسرتها؛ وفي هذا البحث الموجز، سنقدّم تلك الآيات كلّها مع تعليقات سريعة تفسيرية لما هو إشكالي في النص القرآني:

سورة آل عمران:

(33) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (34) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (35) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (37) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

الخلط هنا واضح للغاية بين مريم العهد القديم ومريم العهد الجديد. فامرأة عمران، من العهد القديم، تتزامن مع زكريّا، من العهد الجديد! فمن هو زكريّا هذا؟

إنه كاهن من فرقة أبيا (لو 1: 5) ـ وهو أبو يوحنا المعمدان. وقد ذكرت صفاته وصفات امرأته بأبسط العبارات وأتمها وضوحًا، وكانا كلاهما ورعين بارين سالكين في جميع وصايا الرب وباذلين وسعهما ليحصلا على نعمة الروح القدس (لو 1: 6). أما مولد يوحنا فأعلن بطريقة عجيبة خارقة

للعادة. فلم يصدق بل شك وطلب علامة غير اعتيادية دفعًا لما في نفسه من الريبة فكانت آيته أن فقد قوة النطق وبقي صامتًا إلى اليوم الثامن بعد ميلاد الصبي إذ دعاه يوحنا حسب قول الملاك له، وفي الحال انطلق لسانه وعاودته قوة النطق. فأخذ يشكر الله ويحمده مملوءًا من الروح القدس ومسبحًا الرب بنشيد أشبه بالتسابيح العبرانية القديمة (لو 1: 57 ـ 80).

وفرقة أبيا وهي الفرقة الثامنة من الفرق الأربع والعشرين التي قسم إليها داود الملك بني هارون الكهنة (1 أخ 24: 1، 10). وكان هو وامرأته أليصابات ـ من بنات هارون بارّين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقرًا، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما (لو 1: 5 ـ 7).

وفي إحدى نوبات فرقته، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور (لو 1: 8 ـ 11)، وبشره أن امرأته ستحبل وتلد له ابنًا يسميه يوحنا، «يكون عظيمًا أمام الرب.. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس.. لكي يهيء للرب شعبًا مستعدًا». ولما أبدى زكريا شكه في إمكان حدوث ذلك، أصابه بالخرس فكان صامتًا إلى يوم ختان يوحنا (لو 1: 13 ـ 22، 62 ـ 64).

سورة التحريم:

(12) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ

هنا أيضاً دمج واضح بين مريم ابنة عمران ومريم التي حبلت بالمسيح بنفخة من الروح القدس.

سورة مريم:

(26) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(27) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا(28) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(29) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا.

الآيتان 26 و27، كما هو واضح، تتحدّثان عن مريم أم المسيح، لكن الآية 28 تتحدّث عن أخت هارون، مريم العهد القديم.

إن ملاحظاتنا هذه ليست بالجديدة على الإطلاق. بل إنها كانت متداولة حتى في صدر الإسلام. ينقل المفسّر الأهم، القرطبي، النص التالي المتعلّق بالآية الإشكالية، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا:

«وَقَالَ كَعْب الْأَحْبَار بِحَضْرَةِ عَائِشَة أُمّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: إِنَّ مَرْيَم لَيْسَتْ بِأُخْتِ هَارُون أَخِي مُوسَى؛ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَة: كَذَبْت. فَقَالَ لَهَا: يَا أُمّ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ فَهُوَ أَصْدَق وَأَخْبَر، وَإِلَّا فَإِنِّي أَجِد بَيْنهمَا مِنْ الْمُدَّة سِتّمِائَةِ سَنَة. قَالَ: فَسَكَتَتْ. وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ الْمُغِيرَة بْن شُعْبَة قَالَ: لَمَّا قَدِمْت نَجْرَان سَأَلُونِي فَقَالَ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ «يَا أُخْت هَارُون» ، وَمُوسَى قَبْل عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا... وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْض طُرُقه فِي غَيْر الصَّحِيح أَنَّ النَّصَارَى قَالُوا لَهُ: إِنَّ صَاحِبك يَزْعُم أَنَّ مَرْيَم هِيَ أُخْت هَارُون وَبَيْنهمَا فِي الْمُدَّة سِتّمِائَةِ سَنَة؟! قَالَ الْمُغِيرَة:

فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُول... فَقَدْ دَلَّ الْحَدِيث الصَّحِيح أَنَّهُ كَانَ بَيْن مُوسَى وَعِيسَى وَهَارُون زَمَان مَدِيد. الزَّمَخْشَرِيّ: كَانَ بَيْنهمَا وَبَيْنه أَلْف سَنَة أَوْ أَكْثَر فَلَا يُتَخَيَّل أَنَّ مَرْيَم كَانَتْ أُخْت مُوسَى وَهَارُون».

سورة طه:

(30) هَارُونَ أَخِي.

تأكيد على ما أوردناه سابقاً.

(70) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى.

هارون وموسى هنا أخوان.

سورة البقرة:

(87) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (253) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

نلاحظ هنا هذا الربط الواضح بين موسى ويسوع المسيح: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ... مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ [موسى]... وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ.

سورة آل عمران:

(35) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (37) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (40) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (41) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (42) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (43) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (44) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (45) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

هنا نجد خلطاً واضحاً بين العهدين، القديم والجديد. ففي الآية 35 أم مريم هي امرأة عمران،

القرآن، وقد رتبناها جزئياً وفقاً لترتيب ذكرها في هذا الكتاب، لكن أكثر بالإشارة إلى مصدرنا الأفضل. وإلى جانب كل هذا، يتمّ الحديث عن رحلة رائعة والتي يقال إن موسى قام بها مع خادمه[1] والتي سوف نتحدث عنها لاحقاً.

لننتقل الآن إلى التفاصيل. هامان[2] وقارون[3] يُذكران كمستشارين لفرعون ومضطهدين لإسرائيل. يلمّح إلى الأخير، قارون، بهذه الصفة من قبل الحاخامات،[4]

والد موسى وهارون أيضاً. أما باقي الآيات من النص السابق فهو نسخة عربية عمّا ورد في الأناجيل الإزائية حول ولادة المسيح، بما في ذلك قصة ولادة يوحنا المعمدان [يحيى] من أبيه زكريا وأمه أليصابات، التي لا نجد اسمها في أي نص قرآني!

تزداد الصورة تشوشاً إذا ما دخلنا في التفاسير؛ يقول القرطبي مفسّراً الآية 35:

«أُذْكُرْ» إِذْ قَالَتْ امْرَأَة عِمْرَان؛ حَنَّة لَمَّا أَسَنَّتْ وَاشْتَاقَتْ لِلْوَلَدِ فَدَعَتْ اللَّه وَأَحَسَّتْ بِالْحَمْلِ؛... وَهَلَكَ عِمْرَان وَهِيَ حَامِل .

في النص السابق أخذ القرطبي من العهد القديم اسم والد مريم أخت موسى، عمران؛ ومن تفاسير العهد الجديد أخذ اسم أم مريم أم المسيح، حنّة. وهذا منتهى الخلط والتشويش.

سورة النساء:

(156) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (157) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (158) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (159) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (171) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا.

(1) هامان؛ القرآن، 5:28، 7، 38؛ 38:29؛ 25:40.

(2) هامان الذي يُعرف في اليهودية باسم هامان الأغاغي **המן האגגי** أو هامان الشرير **המן הרשע** هو الشخصية المعادية الرئيسة لليهود في سفر إستير، والذي كان مستشاراً في البلاط الفارسي عند الملك أحشورش. يُذكر هامان في كثير من الأساطير التلمودية، وكذلك في ترغوم شني. كذلك يذكره المؤرخ اليهودي يوسيفوس في عمله الشهير، *عاديات اليهود*. وفي الترجمة السبعينية نجده تحت اسم المقدوني. خارج التراث اليهودي، ليس ثمة ذكر لهامان. في القرآن يطالعنا هامان للمرة الأولى بعد التراث اليهودي، لكننا نجده هنا في بيئة مختلفة زمانياً ومكانياً عما يشير إليه التراث اليهودي. فقد صار هامان شخصية بارزة في مصر زمن موسى وفرعون.

(3) قارون؛ القرآن، 38:29؛ 25:40.

(4) مدراش راباه على سفر العدد، الفقرة 14: קרח היה קתוליקוס של פרעה.

الذين يقولون «كان قورح المضيف الرئيس في بيت فرعون». أما بالنسبة للأول، فلا بدّ أن محمداً سمع في زمن مضى عنه يُذكر كعدو لليهود،[1] ونتيجة لذلك وضعه هنا، على الرغم من أن العرب اللاحقين لم يسمّوا كذلك[2] الهامان الذي عاش في زمن أحشوروش. يتحدّث الحاخامات كثيراً أيضاً عن مستشاري فرعون، من بينهم في بعض الأحيان يُذكر بلعام، أيوب، ويثرو. من بين هؤلاء اتفق الأول مع فرعون ولهذا السبب قتله بعد ذلك الإسرائيليون؛ وظل الثاني صامتاً، ومن ثم كان عليه أن يتحمل المعاناة؛ والثالث هرب، وهكذا كانت قسمته السعادة لكونه حمى موسى. أما الساحران الرئيسان،[3] اللذان يُذكران أيضاً في رسالة لبولس الرسول، فيسميان على نحو خاص كمحرضين. والخوف من حلم ما[4] يُقدّم كأكبر سبب للاضطهاد؛ وهذا يتفق مع ما قاله الحاخامات من أنّ السحرة تنبؤوا لفرعون[5]، أن طفلًا سيولد من شأنه أن يخرج الإسرائيليين من مصر؛ فاعتقد عندئذٍ، أنه إذا ألقي جميع الأطفال الذكور في النهر، فسوف يلقى هذا الطفل معهم.[6] يُعزى العثور على موسى إلى زوجة فرعون،[7] وهي تُذكر كمؤمنة،[8] وكان قد تمّ الخلط بينها كما هو واضح وبين ابنة فرعون، التي وجدت موسى وفقاً للتوراة.[9]

---

(1) המן.

(2) ليس هامان بل هيمون (قارن المقريزي في De Sacy's *Chrest. Arabe.* P. 143، line. 9 من الطبعة الأولى).

(3) ממרא ויוחני.

(4) القرآن، 5:28.

(5) برقيه الحاخام إليعيزر، القسم 28.

(6) אמר החרטמים לפרעה עתיד נער להולד והוא יוציא את ישראל ממצרים וחשב ואמר בלבו השליכו כל הילודים הזכרים אל היאור והוא משלך עמהם.

(7) القرآن، 8:28.

(8) القرآن، 11:66.

(9) سفر الخروج، 5:2: וַתֵּרֶד בַּת־פַּרְעֹה לִרְחֹץ עַל־הַיְאֹר וְנַעֲרֹתֶיהָ הֹלְכֹת עַל־יַד

وبالطريقة ذاتها فالاسم[1] الذي أُطلق على زوجة فرعون من قبل المفسّرين هو تحريف للاسم[2] الذي كانت ابنته معروفة به بين اليهود. وكلمات التوراة «هل أذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟»[3] تؤدي إلى الحكاية الحاخاميّة التالية:[4] «لماذا يجب أن تكون المرضعة من النساء العبريات؟ هذا يدل على أنه رفض ثدي جميع النساء المصريات. لأن اللّه يقول: هل أن الفم الذي سيتكلّم إلي يوماً يرضع شيئاً غير طاهر؟[5] ووفقاً لمحمد اعتبر موسى أن قتله المصري خطيئة فطلب التوبة نتيجة لذلك،[6] وهو ما يتناقض مع وجهة النظر اليهودية،[7] والتي يعبّر عنها على النحو التالي. إن الآية في المزمور

הַיְאֹר וַתֵּרֶא אֶת־הַתֵּבָה בְּתוֹךְ הַסּוּף וַתִּשְׁלַח אֶת־אֲמָתָהּ וַתִּקָּחֶהָ: كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ لأَنَّ الرَّبَّ الإِلَهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ.

ملاحظة: نص الآية غير موجود في عمل غايغر.

(1) آسية.

(2) בתיה، سفر أخبار الأيام الأول، 18:4: וְאִשְׁתּוֹ הַיְהֻדִיָּה יָלְדָה אֶת־יֶרֶד אֲבִי גְדוֹר וְאֶת־חֶבֶר אֲבִי שׂוֹכוֹ וְאֶת־יְקוּתִיאֵל אֲבִי זָנוֹחַ וְאֵלֶּה בְּנֵי בִּתְיָה בַת־פַּרְעֹה אֲשֶׁר לָקַח מָרֶד: (وَامْرَأَتُهُ الْيَهُودِيَّةُ وَلَدَتْ يَارِدَ أَبَا جَدُورَ، وَحَابِرَ أَبَا سُوكُوَ، وَيَقُوثِيئِيلَ أَبَا زَانُوحَ). وَهَؤُلاَءِ بَنُو بِثْيَةَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ الَّتِي أَخَذَهَا مَرَدُ. ملاحظة: نص الآية غير موجود في عمل غايغر.

(3) سفر الخروج، 7:2: וַתֹּאמֶר אֲחֹתוֹ אֶל־בַּת־פַּרְעֹה הַאֵלֵךְ וְקָרָאתִי לָךְ אִשָּׁה מֵינֶקֶת מִן הָעִבְרִיֹּת וְתֵינִק לָךְ אֶת־הַיָּלֶד: فَقَالَتْ أُخْتُهُ لاِبْنَةِ فِرْعَوْنَ: ((هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لَكِ امْرَأَةً مُرْضِعَةً مِنَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لَكِ الْوَلَدَ؟)). ملاحظة: نص الآية غير موجود في عمل غايغر.

(4) سوتاه، 2:12: מה שנא עבריות סלמד שהחזירוהו על כל המצריות כלן ולא ינק אמר הקדוש ברוך הוא פה שעתיד לדבר עמי יינק דבר ממא.

(5) هنالك تلميح لهذا أيضاً في القرآن، 11:28.

(6) القرآن، 19:26؛ 14:28.

(7) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 5: אֲשֶׁר לֹא נָשָׂא לַשָּׁוְא נַפְשִׁי, זֶה נַפְשׁוֹ שֶׁל מִצְרִי, שֶׁלֹּא הָרַג אֶת הַמִּצְרִי עַד שֶׁעָמַד עָלָיו בַּדִּין וְהֲרָגוֹ, וְרָאָה שֶׁחַיָּב מִיתָה.

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ من الفقرة 4 وليس من الفقرة 5 كما ذكر غايغر. رابط النص على الإنترنت هو: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.4.1?lang=bi&with=all&lang2=en

الرابع والعشرين (وفقاً لقراءة الكتيب Kethibh: [1] الذي لم يأخذ نفسه باطلاً)[2] إنما تشير إلى نفس المصري، التي لم يأخذها موسى، حتى تحقق من قضيته قضائياً ووجد نه يستحق الموت. إن العبراني الذي فكّه موسى من الموت ليجده يتشاجر في اليوم التالي مرة أخرى مع أحد المصريين،[3] وأنه أفشى بسرّ موسى، لأنه لم يكن ليساعده، بل على العكس فقد وبخه بسبب مزاجه المولع بالشجار، فإن ذلك كلّه مجرد تزويق، مثلما هو أيضاً الاختراع السعيد للغاية لرجل حذّر موسى كي يفر.[4] هنالك خطأ يمكن العثور عليه في السرد القصير للغاية حول رحلة موسى إلى مدين وإقامته هناك، لأن محمد يتحدث عن ابنتين[5] بدلًا من سبع[6] بنات للمديني.[7] بدلًا من جعل الرؤيا في العليقة مناسبة لمغادرة موسى مدين، كما هو وارد في التوراة،[8] يجعل محمد موسى على نحو خاطئ يتخذ القرار بمغادرة البلاد قبل هذا الحدث، وأن الرؤية ظهرت له في الطريق.[9] يرتبط ظهور موسى أمام فرعون بطريقة ملفتة بالتفويض الإلهي للأول. والظرفان مرتبطان على نحو وثيق إلى درجة أنه في مواضع عديدة يأتي جواب فرعون

---

(1) الكتيب כְּתִיב، أي ذلك الذي هو مكتوب، وهو الشكل الأصلي للعهد القديم الذي تمُثّل فيه الكلمات بحالتها الساكنة، وذلك مقابل ما يسمّى القيري، أي ما سيُقرأ، وهو يشير إلى نص متحرك بالكامل. مترجم.

(2) في نص فاندايك: «الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل» (4:24). مترجم.

(3) القرآن، 17:28 وما بعد.

(4) القرآن، 19:28.

(5) القرآن، 23:28.

(6) سفر الخروج، 16:2: וּלְכֹהֵן מִדְיָן שֶׁבַע בָּנוֹת וַתָּבֹאנָה וַתִּדְלֶנָה וַתְּמַלֶּאנָה אֶת־הָרְהָטִים לְהַשְׁקוֹת צֹאן אֲבִיהֶן: وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ.
ملاحظة: نص الآية إضافة من المترجم.

(7) هنا يعتبر غايغر أن الخروج عن النص التوراتي أحد أشكال الخطأ. مترجم.

(8) سفر الخروج، الإصحاح 3.

(9) القرآن، 29:28.

في أعقاب أمر إلهي مباشرة، دون أن يُذكر أولاً أن موسى وهارون كانا قد ذهبا إلى مصر في نوع من الطاعة للّه، وأنهما قاما بعجائب أمام فرعون وأنذراه. لكن من ناحية أخرى فإنّه في تلك المقاطع حيث يقص على مسامعنا العظات التي يقدّمها موسى لفرعون فحسب، أي دون إيراد للأحداث التي تسبقها، وهو الجزء الذي يُحذف حيثما كان والذي يُعاد إيراده لكن كما يمكن لنا أن نتوقع مع تحويرات. فيقال إن فرعون وبّخ موسى على قتل المصري.[1] وهذا اختراع بسيط جداً، لكنه مع ذلك يتعارض مع المعنى الحرفي للتوارة،[2] إلا إذا قبلنا بالتفسير الحاخامي[3] لعبارة «ملك مصر مات»[4] أي «أصيب بالبرص والبرص مرض مميت»، وأيضاً من كلمات، «لأنهم موتى الذين طلبوا حياتك.[5] الذي هو كما يلي: هل

---

(1) القرآن، 17:26 وما بعد.

(2) سفر الخروج، 23:2؛ 19:4: וַיְהִי בַיָּמִים הָרַבִּים הָהֵם וַיָּמָת מֶלֶךְ מִצְרַיִם וַיֵּאָנְחוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל מִן־הָעֲבֹדָה וַיִּזְעָקוּ וַתַּעַל שַׁוְעָתָם אֶל־הָאֱלֹהִים מִן־הָעֲבֹדָה׃ وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־מֹשֶׁה בְּמִדְיָן לֵךְ שֻׁב מִצְרָיִם כִּי־מֵתוּ כָּל־הָאֲנָשִׁים הַמְבַקְשִׁים אֶת־נַפְשֶׁךָ׃ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي مِدْيَانَ: ((اذْهَبِ ارْجِعْ إِلَى مِصْرَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ جَمِيعُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَكَ)).

ملاحظة من المترجم: الآيتان غير موجودتين في نص غايغر.

(3) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة1: וַיָּמָת מֶלֶךְ מִצְרַיִם, שֶׁנִּצְטָרַע וְהַמְּצֹרָע חָשׁוּב כְּמֵת.

ملاحظة: النص مأخوذ عن الإنترنت؛ الرابط هو https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.1.34?lang=bi&with=all&lang2=en.

(4) سفر الخروج، 23:2: וַיְהִי בַיָּמִים הָרַבִּים הָהֵם וַיָּמָת מֶלֶךְ מִצְרַיִם וַיֵּאָנְחוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל מִן־הָעֲבֹדָה וַיִּזְעָקוּ וַתַּעַל שַׁוְעָתָם אֶל־הָאֱלֹהִים מִן־הָעֲבֹדָה׃ وَحَدَثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الْكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا فَصَعِدَ صُرَاخُهُمْ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِ الْعُبُودِيَّةِ.

ملاحظة المترجم: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(5) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 5: כִּי מֵתוּ כָּל הָאֲנָשִׁים וגו', וְכִי מֵתוּ וַהֲלוֹא דָּתָן וַאֲבִירָם הֵם, וְהֵם הָיוּ עִם קֹרַח בְּמַחְלָקְתּוֹ, אֶלָּא מַאי מֵתוּ שֶׁנִּתְעַנּוּ.

ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت فثمة أكثر من خطأ في نص غايغر؛ رابط النص هو https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.5.4?lang=bi&with=all&lang2=en.

ماتوا؟ كانا داثان وأبيرام، اللذين انغمسا في نزاع قورح، وهذا يعني فقط أنهم أصبحوا عاجزين». علاوة على ذلك، من المفترض أن يكون موسى قد أظهر يده المصابة بالبرص[1] أمام فرعون،[2] والتي لم يرد ذكرها في التوراة،[3] لكنها تتفق مع العبارة التالية في الكتابات الحاخاميّة[4] «وضع يده في حضنه، وسحبها بيضاء كالثلج من البرص، فوضعوا أيديهم أيضاً في أحضانهم وسحبوها بيضاء كالثلج من البرص». لقد طلب السحرة الذين استدعوا بادئ ذي بدء، وهو ما ميزهم عن رسل اللّه، أن يعطوا أجرهم؛[5] لكن عندما رؤوا ثعابينهم وقد ابتلعها ثعبان موسى

---

(1) تفسير القرطبي للأعراف لا يقول ذلك: «108 وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ: أَيْ أَخْرَجَهَا وَأَظْهَرَهَا. قِيلَ: مِنْ جَيْبِهِ أَوْ مِنْ جَنَاحه؛ كَمَا فِي التَّنْزِيل «وَأَدْخِلْ يَدك فِي جَيْبك تَخْرُج بَيْضَاء مِنْ غَيْر سُوء»[النَّمْل: 12] أَيْ مِنْ غَيْر بَرَص. وَكَانَ مُوسَى أَسْمَرَ شَدِيد السُّمْرَة، ثُمَّ أَعَادَ يَده إِلَى جَيْبه فَعَادَتْ إِلَى لَوْنهَا الْأَوَّل. قَالَ اِبْن عَبَّاس: كَانَ لِيَدِهِ نُور سَاطِع يُضِيء مَا بَيْن السَّمَاء وَالْأَرْض. وَقِيلَ: كَانَتْ تَخْرُج يَده بَيْضَاء كَالثَّلْجِ تَلُوح، فَإِذَا رَدَّهَا عَادَتْ إِلَى مِثْل سَائِر بَدَنه. ـ مترجم!

(2) القرآن، 7:108؛ 26:32.

(3) سفر الخروج، 7:8 وما بعد: וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל־מֹשֶׁה וְאֶל־אַהֲרֹן לֵאמֹר׃ כִּי יְדַבֵּר אֲלֵכֶם פַּרְעֹה לֵאמֹר תְּנוּ לָכֶם מוֹפֵת וְאָמַרְתָּ אֶל־אַהֲרֹן קַח אֶת־מַטְּךָ וְהַשְׁלֵךְ לִפְנֵי־פַרְעֹה יְהִי לְתַנִּין׃ וַיָּבֹא מֹשֶׁה וְאַהֲרֹן אֶל־פַּרְעֹה וַיַּעֲשׂוּ כֵן כַּאֲשֶׁר צִוָּה יְהוָה וַיַּשְׁלֵךְ אַהֲרֹן אֶת־מַטֵּהוּ לִפְנֵי פַרְעֹה וְלִפְנֵי עֲבָדָיו וַיְהִי לְתַנִּין׃ וַיִּקְרָא גַּם־פַּרְעֹה לַחֲכָמִים וְלַמְכַשְּׁפִים וַיַּעֲשׂוּ גַם־הֵם חַרְטֻמֵּי מִצְרַיִם בְּלַהֲטֵיהֶם כֵּן׃ וַיַּשְׁלִיכוּ אִישׁ מַטֵּהוּ וַיִּהְיוּ לְתַנִּינִם וַיִּבְלַע מַטֵּה־אַהֲרֹן אֶת־מַטֹּתָם׃ وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ((إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلاً: هَاتِيَا عَجِيبَةً تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَاطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَاناً)). فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلاَ هَكَذَا كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ فَصَارَتْ ثُعْبَاناً. فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضاً الْحُكَمَاءَ وَالسَّحَرَةَ فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضاً بِسِحْرِهِمْ كَذَلِكَ. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ الْعِصِيُّ ثَعَابِينَ. وَلَكِنْ عَصَا هَارُونَ ابْتَلَعَتْ عِصِيَّهم.

(4) برقيه الحاخام إليعيزر، الفقرة 48: הכניס ידו לחיקו והוציאה מצורעת הכניסו ידם לחיקם והוציאום מצורעות כשלג.

ملاحظة المترجم: النص من الإنترنت. هنلك بضع فروق بين نص غايغر ونص الإنترنت. الرابط هو: https://www.sefaria.org/Pirkei_DeRabbi_Eliezer.48.1?lang=bi&with=all&lang2=en

(5) القرآن، 7:110؛ 16:40.

آمنوا، فحمدوا الله ولم يخشوا تهديدات فرعون. وهذا يناقض التوراة تماماً، التي لا نجد فيها اعترافاً كهذا إلا بعد وباء البعّوض،[1] وهنالك نجده أيضاً على شكل تلميح ليس إلا. ويقال إنه من بين شعب موسى نفسه، لم تؤمن به إلا عشيرته الخاصة،[2]

---

(1) سفر الخروج، 15:8: וַיֹּאמְר֤וּ הַֽחַרְטֻמִּם֙ אֶל־פַּרְעֹ֔ה אֶצְבַּ֥ע אֱלֹהִ֖ים הִ֑וא וַיֶּחֱזַ֤ק לֵב־פַּרְעֹה֙ וְלֹֽא־שָׁמַ֣ע אֲלֵהֶ֔ם כַּאֲשֶׁ֖ר דִּבֶּ֥ר יְהוָֽה׃ فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. الآية غير موجودة كنص عند غايغر.

(2) القرآن، 83:10. تشير اللاحقة إلى موسى، كما يقول بعض المفسرّين العرب الذين يوردهم البيضاوي (Henzii. Fragm. Arab. p. 103) وكما ينظر إليها إلفيرار.

إضافة من المترجم: تفسير البغوي للآية: (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى) لم يصدِّق موسى مع ما آتاهم به من الآيات، (إلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ) اختلفوا في الهاء التي في «قومه»، قيل: هي راجعة إلى موسى، وأراد بهم مؤمني بني إسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه. قال مجاهد: كانوا أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل، هلك الآباء وبقي الأبناء.

وقال الآخرون: الهاء راجعة إلى فرعون. روى عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هم ناسٌ يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطته، وعن ابن عباس رواية أخرى: أنهم كانوا سبعين ألف بيت من القبط من آل فرعون، وأمهاتهم من بني إسرائيل فجعل الرجل يتبع أمه وأخواله.

وقيل: هم قوم نجوا من قتل فرعون، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل أبناء بني إسرائيل كانت المرأة من بني إسرائيل إذا ولدت إبناً وهبته لقبطية خوفاً من القتل، فنشؤوا عند القبط، وأسلموا في اليوم الذي غُلِبت السحرة.

قال الفراء: سُمّوا ذرية؛ لأن آباءهم كانوا من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل، كما يُقال لأولاد أهل فارس الذين سقطوا إلى اليمن: الأبناء، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم.

تفسير البيضاوي للآية: فَما آمَنَ لِمُوسى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)

فَما آمَنَ لِمُوسى أي في مبدأ أمره. إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم، وقيل الضمير لـ فِرْعَوْنَ والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به، أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أي مع خوف منهم، والضمير لـ فِرْعَوْنَ وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء، أو على أن المراد بـ فِرْعَوْنَ آله كما يقال: ربيعة ومضر، أو للـ ذُرِّيَّةٌ أو للقوم. أَنْ يَفْتِنَهُمْ أن يعذبهم فرعون، وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه. وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ لغالب فيها. وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.

ويقول الحاخامات[1] إن «سبط لاوي كان معفياً من العمل الشاق». فرعون نفسه كان أيضاً ساحراً، وهذا ما يدعيه، برأيي، في خطابه إلى السحرة الآخرين.[2] وهذا يتفق مع القول الحاخامي[3] بأن الفرعون الذي عاش في أيام موسى كان ساحراً عظيماً. وفي مقاطع أخرى من القرآن،[4] يدعي فرعون الألوهة وهو افتراض كانت النية منه دون أدنى شك أن يكون مقبولاً من الشعب. وهذه السمة مقدّمة في أسطورة يهودية،[5] حيث نقرأ: «قال لهم فرعون: من البداية تكلمتم كذباً، لأن ربّ العالم هو أنا، فأنا خلقت ذاتي وخلقت النيل؛ كما هو مكتوب:[6] نهري لي وأنا عملته لنفسي». وفي مقطع آخر[7] يضع محمد الكلمات التالية في فم فرعون: «أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي». ويعلّق إلفيرار، مع

---

(1) مدراش راباه على الخروج، الفقرة 5: שִׁבְטוֹ שֶׁל לֵוִי פָּנוּי הָיָה מֵעֲבוֹדַת פָּרֶךְ. ملاحظة من المترجم: الآية من المدراش مأخوذة عن الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.5.16?lang=bi&with=all&lang2=he

وفقاً لمدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 1، فإن المتخاصمين كانا داثان وأبيرام، وقد وبّخ أحدهما موسى على جريمة قتل المصري.

(2) القرآن، 74:20؛ 48:26.

(3) مدراش يلقوط، الفصل 182: שהיה בימי משה אמגושי היה שנאמר. ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/Yalkut_Shimoni_on_Torah.182.3?lang=bi&with=all&lang2=he

(4) القرآن، 28:26؛ 338:28.

(5) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 5: אָמַר לָהֶם, מִתְּחִלָּה שֶׁקֶר אַתֶּם אוֹמְרִים, כִּי אֲנִי הוּא אֲדוֹן הָעוֹלָם וַאֲנִי בָּרָאתִי עַצְמִי וְאֶת נִילוּס, שֶׁנֶּאֱמַר (יחזקאל כט, ג): לִי יְאֹרִי וַאֲנִי עֲשִׂיתִנִי. ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.6.1?lang=bi&with=all&lang2=en

(6) حزقيال، 3:29: דַּבֵּר וְאָמַרְתָּ כֹּה־אָמַר ׀ אֲדֹנָי יְהוִה הִנְנִי עָלֶיךָ פַּרְעֹה מֶלֶךְ־מִצְרַיִם הַתַּנִּים הַגָּדוֹל הָרֹבֵץ בְּתוֹךְ יְאֹרָיו אֲשֶׁר אָמַר לִי יְאֹרִי וַאֲנִי עֲשִׂיתִנִי: تَكَلَّمْ وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكَ يَا فِرْعَوْنُ مَلِكُ مِصْرَ، التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسَطِ أَنْهَارِهِ، الَّذِي قَالَ: نَهْرِي لِي وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِي. ملاحظة من المترجم: نص الآية غير مذكور عند غايغر.

(7) القرآن، 50:43.

آخرين غيره،[1] على عبارة «من تحتي» على أنها تعني «بأمري». جديدة بالكامل لكنها ساحرة تلك الحكاية الخيالية المتعلّقة بأحد المصريين المتدينين، الذي حذّر أبناء جلدته بن لا يحتقروا تعاليم موسى وأن لا يضطهدوه.[2] لكن بعض ميزات هذه القصة تبدو لنا مألوفة. فعلى سبيل المثال، فإن الكلمات الواردة في الآية 28: «وإن يك كاذباً فعليه كذبه؛ وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم»، تحمل بعض الشبه بكلمات غمالائيل في العهد الجديد[3]. والإشارة إلى يوسف في الآية 34 نجدها في تقليد يهودي مختلف للغاية، والذي يقول:[4] «إن لم يوجد يوسف، سوف لن نكون على قيد الحياة». يبدو محمد غير واضح بشأن الأوبئة. ففي بعض المقاطع[5] يتحدّث عن تسعة أوبئة. وفي مقطع آخر[6] يعدّد خمسة أوبئة، والتي نجدها وفق الترتيب التالي: الطوفان والجراد والقمل[7] والضفادع والدم. وعلى الرغم من أننا لا نستطيع هنا أن نجد خطأ في الرغبة

---

(1) قال الحسن: بأمري.

(2) القرآن، 29:40 وما بعد.

(3) النص المقصود هنا هو من سفر أعمال الرسل، حيث يقول غمالائيل: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا. لأَنَّهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ الَّذِي قُتِلَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ. بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْباً غَفِيراً. فَذَاكَ أَيْضاً هَلَكَ وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا. وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ. وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضاً)». مترجم.

(4) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 1: אִלּוּלֵי יוֹסֵף לֹא הָיִינוּ חַיִּים. ملاحظة من المترجم: النص مأخوذ عن الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.1.8?lang=bi&with=all&lang2=en

(5) القرآن، 103:17؛ 12:27.

(6) القرآن، 130:7.

(7) في نص فاندايك نجد أن البعوض هو أحد الأوبئة؛ لكن النصوص غير العربية تذكر القمل، كالقرآن تماماً. مترجم.

بترتيب الأوبئة وبإغفال بعضها كونه لا يمكن اعتبار محمداً هنا مؤرخاً صارماً، بأكثر مما يمكن أن نعتبر كاتب المزامير[1] مؤرخاً صارماً أيضاً، يمكن اعتبار خطأ إدخال الطوفان، الذي لا يجب أن يُخلط مع الغرق في اليم،[2] دليلًا على رغبة بدليل على وجود معلومات موثوقة حول هذا الموضوع. يذكر محمد أيضاً خوف الإسرائيليين[3] مع اقتراب المصريين من البحر الأحمر.[4]

---

(1) مثلًا: المزمور، 28:105 وما بعد: שָׁלַח חֹשֶׁךְ וַיַּחְשִׁךְ וְלֹא־מָרוּ אֶת־ דְּבָרוו דְּבָרוֹ: הָפַךְ אֶת־מֵימֵיהֶם לְדָם וַיָּמֶת אֶת־דְּגָתָם: שָׁרַץ אַרְצָם צְפַרְדְּעִים בְּחַדְרֵי מַלְכֵיהֶם: אָמַר וַיָּבֹא עָרֹב כִּנִּים בְּכָל־גְּבוּלָם: נָתַן גִּשְׁמֵיהֶם בָּרָד אֵשׁ לֶהָבוֹת בְּאַרְצָם: וַיַּךְ גַּפְנָם וּתְאֵנָתָם וַיְשַׁבֵּר עֵץ גְּבוּלָם: אָמַר וַיָּבֹא אַרְבֶּה וְיֶלֶק וְאֵין מִסְפָּר: أَرْسَلَ ظُلْمَةً فَأَظْلَمَتْ وَلَمْ يَعْصُوا كَلاَمَهُ. حَوَّلَ مِيَاهَهُمْ إِلَى دَمٍ وَقَتَلَ أَسْمَاكَهُمْ. أَفَاضَتْ أَرْضُهُمْ ضَفَادِعَ حَتَّى فِي مَخَادِعِ مُلُوكِهِمْ. أَمَرَ فَجَاءَ الذُّبَّانُ وَالْبَعُوضُ فِي كُلِّ تُخُومِهِمْ. جَعَلَ أَمْطَارَهُمْ بَرَداً وَنَاراً مُلْتَهِبَةً فِي أَرْضِهِمْ. ضَرَبَ كُرُومَهُمْ وَتِينَهُمْ وَكَسَّرَ كُلَّ أَشْجَارِ تُخُومِهِمْ. أَمَرَ فَجَاءَ الْجَرَادُ وَغَوْغَاءُ بِلاَ عَدَدٍ. ملاحظة من المترجم: النص السابق من المزمور غير وارد عند غايغر.

(2) ذكر للمرّة الأولى في 132:5.

(3) سفر الخروج، 10:14 وما بعد: וּפַרְעֹה הִקְרִיב וַיִּשְׂאוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל אֶת־עֵינֵיהֶם וְהִנֵּה מִצְרַיִם נֹסֵעַ אַחֲרֵיהֶם וַיִּירְאוּ מְאֹד וַיִּצְעֲקוּ בְנֵי־יִשְׂרָאֵל אֶל־יְהוָה: וַיֹּאמְרוּ אֶל־מֹשֶׁה הֲמִבְּלִי אֵין־קְבָרִים בְּמִצְרַיִם לְקַחְתָּנוּ לָמוּת בַּמִּדְבָּר מַה־זֹּאת עָשִׂיתָ לָּנוּ לְהוֹצִיאָנוּ מִמִּצְרָיִם: הֲלֹא־זֶה הַדָּבָר אֲשֶׁר דִּבַּרְנוּ אֵלֶיךָ בְמִצְרַיִם לֵאמֹר חֲדַל מִמֶּנּוּ וְנַעַבְדָה אֶת־מִצְרָיִם כִּי טוֹב לָנוּ עֲבֹד אֶת־מִצְרַיִם מִמֻּתֵנוּ בַּמִּדְבָּר: וַיֹּאמֶר מֹשֶׁה אֶל־הָעָם אַל־תִּירָאוּ הִתְיַצְּבוּ וּרְאוּ אֶת־יְשׁוּעַת יְהוָה אֲשֶׁר־יַעֲשֶׂה לָכֶם הַיּוֹם כִּי אֲשֶׁר רְאִיתֶם אֶת־מִצְרַיִם הַיּוֹם לֹא תֹסִפוּ לִרְאֹתָם עוֹד עַד־עוֹלָם: יְהוָה יִלָּחֵם לָכֶם וְאַתֶּם תַּחֲרִשׁוּן: فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاحِلُونَ وَرَاءَهُمْ فَفَزِعُوا جِدّاً. وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. وَقَالُوا لِمُوسَى: ((هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلاَمَ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَنَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ لأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ)). فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: ((لاَ تَخَافُوا. قِفُوا وَانْظُرُوا خَلاَصَ الرَّبِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ لَكُمُ الْيَوْمَ. فَإِنَّهُ كَمَا رَأَيْتُمُ الْمِصْرِيِّينَ الْيَوْمَ لاَ تَعُودُونَ تَرُونَهُمْ أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ. الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ)). ملاحظة من المترجم: النص السابق من الخروج غير وارد عند غايغر.

(4) القرآن، 61:26 وما بعد.

الآن نصل إلى أحد الظروف، وهو أيضاً مأخوذ عن أسطورة يهودية، لكن التي أسيء فهمها بالكامل تقريباً، من الجهل بأصلها. ويمكن ترجمة المقطع[1] على النحو التالي: «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ؛ قَالَ: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. [وعليه ردّ اللّه]، (أو ربما أنه يجب أن يقرأ هذا بصيغة المتكلّم، بحيث أن الآية تعبّر أيضاً عن ندم فرعون وتوبته، والآية التالية تبدأ بالتعبير عن جواب اللّه) «آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً».[2] وهذا هو المعنى البسيط جداً للكلمات، التي

---

(1) القرآن، 90:10 وما بعد.

(2) ما من مفسرّ عربي واحد ضمن أولئك الذين يوردهم إلفيرار يبدو أنه شكّ في التفسير المُعطى آنفاً، الذي يتناسب تماماً مع الكلمات؛ مع ذلك فالأمر ليس غير معروف تماماً للبيضاوي. فإضافة إلى تفسير آخر يقدّم لنا (Henzii. Fragm. Arab. p. 201) ما يلي: فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً. ثم يضيف: ببدنك كاملاً سوياً. لكن من ناحية أخرى فإن كلمات: لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً، يفسّرها فقط بالطريقة الاعتيادية، أي سوف يكون رعباً وتحذيراً لهم.

إضافة من المترجم: نص البيضاوي: {فاليوم ننجيك} ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل وقرأ يعقوب {ننجيك} من أنجى وقرأ (ننحيك) بالحاء أي نلقيك بناحية من الساحل {ببدنك} في موضع الحال أي ببدنك عاريا عن الروح أو كاملاً سوياً أو عرياناً من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ (بأبدانك) أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بإجرامه أو بدروعك كأن كان مظاهراً بينها {لتكون لمن خلفك آية} لمن وراءك علامة وهم بنوا إسرائيل إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطرحاً ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالاً عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظانّ الربوبية وقرئ لمن (خلقك) أي لخالقك آية أي كسائر الآيات فإن إفراده إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنه تعمد منه لكشف تزويرك وإماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته وهذا الوجه أيضاً محتمل على المشهور {وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون} لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

نص البغوي: (فاليوم ننجيك) أي نلقيك على نجوة من الأرض، وهي: المكان المرتفع. وقرأ يعقوب

حُوّلت وحرّفت من قبل آخرين، لأنهم كانوا يجهلون الأسطورة اليهودية التالية:[1] «بإدراكه لقوة التوبة ثار فرعون ملك مصر بشكل مفرط على العلي قائلاً: من هو الربّ حتى أسمع لقوله؟[2] لكن باللسان ذاته تاب قائلًا: «من مثلك بين الآلهة يا رب؟»[3] فخلّصه الرب من بين الأموات، لأنه مكتوب: فإنه الآن لو كنت أمدّ يدي وأضربك،[4] لكن اللّه تركه يعيش كي يعلن عن قوته وجبروته، كما هو مكتوب في سفر الخروج، 16:9».

في حادثة ضرب الصخرة يجعل محمد اثني عشر جدولاً ينبجسون منها، وهكذا بحيث يكون لكلّ سبط من الأسباط الاثني عشر جدوله الخاص به.[5]

«ننجيك»بالتخفيف، (ببدنك) بجسدك لا روح فيه. وقيل: ببدنك: بدرعك، وكان له درع مشهور مرصع بالجواهر، فرؤوه في درعه فصدقوا. (لتكون لمن خلفك آية) عبرة وعظة، (وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون).

(1) برقيه الحاخام إليعيزر، القسم 43: תדע לך כח התשובה בא וראה מפרעה מלך מצרים שמרד בצור עליון הרבה מאד שנ׳ מי ה׳ אשר אשמע בקולו ובלשון שחטא בו בלשון עשה תשובה שנ׳ מי כמוך באלים ה׳ מי כמוך נאדר בקדש והצילו הב״ה בין המתים מניין שלא מת שנ׳ כי עתה שלחתי את ידי ואך אותך ואולם בעבור זאת העמדתיך.

قارن أيضاً: المدراش على المزمور 106، ومدراش يلقوط، الفصل 233.

(2) سفر الخروج، 2:5: וַיֹּ֣אמֶר פַּרְעֹ֔ה מִ֤י יְהוָה֙ אֲשֶׁ֣ר אֶשְׁמַ֣ע בְּקֹל֔וֹ לְשַׁלַּ֖ח אֶת־יִשְׂרָאֵ֑ל לֹ֤א יָדַ֙עְתִּי֙ אֶת־יְהוָ֔ה וְגַ֥ם אֶת־יִשְׂרָאֵ֖ל לֹ֥א אֲשַׁלֵּֽחַ׃ فَقَالَ فِرْعَوْنُ: ((مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ)). ملاحظة من المترجم: نص الآية غير وارد عند غايغر.

(3) سفر الخروج، 11:15: מִֽי־כָמֹ֤כָה בָּֽאֵלִם֙ יְהוָ֔ה מִ֖י כָּמֹ֑כָה נֶאְדָּ֣ר בַּקֹּ֔דֶשׁ נוֹרָ֥א תְהִלֹּ֖ת עֹ֥שֵׂה פֶֽלֶא׃ مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزّاً فِي الْقَدَاسَةِ مَخُوفاً بِالتَّسَابِيحِ صَانِعاً عَجَائِبَ؟ ملاحظة من المترجم: نص الآية غير وارد عند غايغر.

(4) سفر الخروج، 15:9: כִּ֤י עַתָּה֙ שָׁלַ֣חְתִּי אֶת־יָדִ֔י וָאַ֥ךְ אוֹתְךָ֛ וְאֶֽת־עַמְּךָ֖ בַּדָּ֑בֶר וַתִּכָּחֵ֖ד מִן־הָאָֽרֶץ׃ فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَإِ لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ. ملاحظة من المترجم: نص الآية غير وارد عند غايغر.

(5) أمة لا سبط، مع أن محمداً يدعو أيضاً أبناء يعقوب الإثني عشر بالأسباط. مع ذلك ففي القرآن، 160:7، تستخدم أسباط وأمم جنباً إلى جنب بمعنى متشابه تماماً، بحيث يمكن لواحد

وعلى ما يبدو فهذا خلط بين الحوادث في رفيديم[1]، حيث تم ضرب الصخرة،[2] مع الحوادث في إيليم[3] حيث وجد الإسرائيليون الآبار الاثني عشر.[4] وعلى هذه الآبار يعلّق المفسّر راشي، ربما متبعاً المفسّرين الذين سبقوه:[5] «وجدوهم جاهزين لهم، وعددهم بعدد الأسباط الاثني عشر». وحين يصل الأمر في نهاية المطاف إلى إعطاء الشريعة، يقال إن الإسرائيليين تمرّدوا؛ لكن اللّه هددهم بأنه سوف يقلب الجبل[6] عليهم إذا لم يقبلوا بالشريعة. يقول اليهود أيضاً إن اللّه هدد بتغطيتهم بالجبل كما هو الحال مع حوض انقلب رأساً على عقب.[7] لكن الإسرائيليين طالبوا الآن أن يعاينوا اللّه بأنفسهم؛ فماتوا عند مرآه، لكنهم عادوا إلى الحياة من جديد لاحقاً.[8] ويمكن ترجمة النص الحاخامي المقابل على

الاعتراف بتماثل معنى الكلمتين، ونتيجة لذلك يمكن لنا أن نترجم على نحو صحيح تماماً اللفظ أمة بقبيلة أو سبط.

(1) رفيديم רפידים، هو اسم لأحد الأماكن التي زارها الإسرائيليون في قصة خروجهم من مصر كما وردت في التوراة. مترجم.

(2) سفر الخروج، 6:17: הִנְנִי עֹמֵד לְפָנֶיךָ שָּׁם ׀ עַל־הַצּוּר בְּחֹרֵב וְהִכִּיתָ בַצּוּר וְיָצְאוּ מִמֶּנּוּ מַיִם וְשָׁתָה הָעָם וַיַּעַשׂ כֵּן מֹשֶׁה לְעֵינֵי זִקְנֵי יִשְׂרָאֵל: هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى الصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ فَتَضْرِبُ الصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ الشَّعْبُ)). فَفَعَلَ مُوسَى هَكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. ملاحظة من المترجم: نص الآية غير وارد عند غايغر.

(3) إيليم אֵילִם، هو اسم لأحد الأمكنة التي خيّم فيها الإسرائيليون في أعقاب خروجهم من مصر، بحسب الرواية التوراتية. مترجم.

(4) سفر الخروج، 27:15: וַיָּבֹאוּ אֵילִמָה וְשָׁם שְׁתֵּים עֶשְׂרֵה עֵינֹת מַיִם וְשִׁבְעִים תְּמָרִים וַיַּחֲנוּ־שָׁם עַל־הַמָּיִם: ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ الْمَاءِ. ملاحظة من المترجم: نص الآية غير وارد عند غايغر. قارن أيضاً تحريري الترغوم الأورشليمي.

(5) כנגד שנים עשר שבטים מזדמנו להם..

(6) القرآن، 60:2، 87؛ 170:7.

(7) رسالة عبودا زارا التلمودية، 2:2: לפח אני עליכם את־ההר כגיגית.

(8) السورة، 52:2 وما بعد؛ 152:4.

النحو التالي:[1] «أراد الإسرائيليون أمرين من اللّٰه، أي أن يروا مجده ويسمعوا صوته؛ والأمران أعطيا لهم، كما هو مكتوب:[2] هُوَ ذَا الرَّبُّ إِلهُنَا قَدْ أَرَانَا مَجْدَهُ وَعَظَمَتَهُ وَسَمِعْنَا صَوْتَهُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. ثم لم يكن لديهم القدرة على تحمله؛ لأنه عندما جاؤوا إلى سيناء وظهر [اللّٰه] لهم، غادرتهم أنفسهم عند كلامه، كما هو مكتوب:[3] نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ. إلا أن الشريعة (التوراة) تدخلت مع اللّٰه لصالحهم قائلة: هل يتزوج الملك ابنته ويذبح كل أهل بيته؟ العالم كله يفرح (بسبب ظهورك)، وأبناؤك (الإسرائيليون) يموتون؟ وللحال عادت أنفسهم إليهم، لذلك مكتوب:[4] نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ.

---

(1) שְׁנֵי דְבָרִים שָׁאֲלוּ יִשְׂרָאֵל מִלִּפְנֵי הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא, שֶׁיִּרְאוּ כְבוֹדוֹ וְיִשְׁמְעוּ קוֹלוֹ, וְהָיוּ רוֹאִין אֶת כְּבוֹדוֹ וְשׁוֹמְעִין אֶת קוֹלוֹ, שֶׁנֶּאֱמַר (דברים ה, כא): וַתֹּאמְרוּ הֵן הֶרְאָנוּ ה' אֱלֹהֵינוּ אֶת כְּבֹדוֹ וְאֶת גָּדְלוֹ, וּכְתִיב (דברים ה, יא): וְאֶת קֹלוֹ שָׁמַעְנוּ מִתּוֹךְ הָאֵשׁ, וְלֹא הָיָה בָהֶם כֹּחַ לַעֲמֹד, שֶׁכֵּיוָן שֶׁבָּאוּ לְסִינַי וְנִגְלָה לָהֶם, פָּרְחָה נִשְׁמָתָם עַל שֶׁדִּבֵּר עִמָּהֶם, שֶׁנֶּאֱמַר (שיר השירים ה, ו): נַפְשִׁי יָצְאָה בְדַבְּרוֹ. אֲבָל הַתּוֹרָה בִּקְשָׁה עֲלֵיהֶם רַחֲמִים מִלִּפְנֵי הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא, יֵשׁ מֶלֶךְ מַשִּׂיא בִתּוֹ וְהוֹרֵג אַנְשֵׁי בֵיתוֹ, כָּל הָעוֹלָם כֻּלּוֹ שְׂמֵחִים וּבָנֶיךָ מֵתִים, מִיָּד חָזְרָה נִשְׁמָתָן, שֶׁנֶּאֱמַר (תהלים יט, ח): תּוֹרַת ה' תְּמִימָה מְשִׁיבַת נָפֶשׁ.

لم يشر غايغر إلى مصدر نصّه؛ النص نت ندراش شموت راباه (مدراش راباه على سفر التكوين) الفقرة 29. المترجم العربي.

مصدر النص: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.29.4?lang=bi&with=all&lang2=en

(2) سفر التثنية، 24:5: וַתֹּאמְר֗וּ הֵ֣ן הֶרְאָ֜נוּ יְהוָ֤ה אֱלֹהֵ֙ינוּ֙ אֶת־כְּבֹד֣וֹ וְאֶת־גָּדְל֔וֹ וְאֶת־קֹל֥וֹ שָׁמַ֖עְנוּ מִתּ֣וֹךְ הָאֵ֑שׁ הַיּ֤וֹם הַזֶּה֙ רָאִ֔ינוּ כִּֽי־יְדַבֵּ֧ר אֱלֹהִ֛ים אֶת־הָֽאָדָ֖ם וָחָֽי׃
وَقُلْتُمْ: هُوَذَا الرَّبُّ إِلهُنَا قَدْ أَرَانَا مَجْدَهُ وَعَظَمَتَهُ وَسَمِعْنَا صَوْتَهُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ. هذَا الْيَوْمَ قَدْ رَأَيْنَا أَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الإِنْسَانَ وَيَحْيَا. الآية غير موجودة في نص غايغر.

(3) نشيد الأنشاد، 6:5: כִּ֣י בְרֹ֤ב חֲלֹמוֹת֙ וַהֲבָלִ֔ים וּדְבָרִ֖ים הַרְבֵּ֑ה כִּ֥י אֶת־הָאֱלֹהִ֖ים יְרָֽא׃ فَتَحْتُ لِحَبِيبِي لكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ. نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي.
ملاحظة: الآية غير موجودة في النص.

(4) المزمور، 8:19: תּ֘וֹרַ֤ת יְהוָ֣ה תְּ֭מִימָה מְשִׁ֣יבַת נָ֑פֶשׁ עֵד֥וּת יְהוָ֥ה נֶ֝אֱמָנָ֗ה מַחְכִּ֥ימַת פֶּֽתִי׃
وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ.

قصة العجل هي أيضاً واحدة من تلك القصص التي وجد محمد أنه من السهل إضافة تزيين عليها، وذلك في أعقاب الحاخامات. فهو يقول إن الشعب كان سيقتل هارون، لو لم يصنع لهم العجل؛[1] فالحاخامات يقولون:[2] «رأى هارون حور (الذي كان يرغب في معارضتهم) مقتولاً، ففكّر: إن لم أستمع إليهم فسوف يفعلون بي كما فعلوا بحور؟ ووفقاً لنص آخر من القرآن[3] فإن أحد الإسرائيليين، واسمه سامري،[4] أضلهم وصنع العجل أيضاً. وربما أن هذا نشأ من سامائيل،[5] وهو اسم لأحدهم والذي يفترض اليهود أنه كان متعاوناً في صنع العجل؛ لكن الحكاية على أية حال قدّمها محمد بشكل مختلف. فوفقاً لمحمد كان هذا أحد الإسرائيليين الذين كانوا حاضرين، والذي حكم عليه موسى بالتجوال الأبدي،[6] حتى أنه اضطر إلى القول بشكل دائم، «لا مساس». ويمكن أن نقرّ أنّ هذه الأسطورة مكوّنة من عناصر مختلفة. فليس غريباً على التقليد اليهودي أن إسرائيلياً آخر، غير هارون، صنع العجل، ووفقاً لإحدى الأساطير، فإن ميخا،[7] الذي يُذكر في سفر القضاة، ساعد في صنع العجل؛[8] ومن هنا نجد أن العديد من العرب يؤكّدون أن السامري وميخا هما الشخص ذاته.[9] وربما أنّ محمداً صاغ كلمة سامري من تشويش مع الاسم سامائيل.

---

(1) القرآن، 150:7.

(2) سنهدرين، 5: אחלן ראה חור שזבוח לפניו אמר אם לא שמענא להון חשתא עבדי לי כדעבדו בחור.

يقدّم راشي الملاحظة ذاتها على الخروج، 4:32.

(3) القرآن، 87:20، 90، 96.

(4) السّامري.

(5) סמאל.

(6) القرآن، 97:20. قارن مع أسطورة اليهودي التائه المسيحية.

(7) سفر القضاة، 17.

(8) راشي على سنهدرين، 2:101.

(9) قارن أحمد بن إدريس في Hottinger،s Hist. Orient.، p. 84.

السامري[1] هو الاسم الذي يُطلق على أحد أفراد الجماعة السامريّة، ووفقاً للعرب قال السامريون، «لا مساس».[2] نحن لا نعرف بالفعل السبب الذي حذا بالعرب لأن يعتقدوا بهذا، وربما أنه جاء من الخلط مع طائفة الفريسيين التي وصفت بشكل سيء في التلمود، حيث كان يطلق عليها اسم «المنفصلون،

(1) الحديث في النص القرآني يشير بوضوح إلى تزامن بين موسى والطائفة السامريّة؛ وهذا غير مثبت على الإطلاق! فالسامريون جاؤوا بعد زمن طويل من تأسيس الطائفة اليهودية، التي يفترض أن مؤسسها هو موسى. لذلك يبدو مرجحاً أن سبب الخلط هنا هو موضوع العجل الذي هو مشترك بين السامريين وعبادة إسرائيلية وقت غياب موسى.
شواهد من العهد القديم:
1 ـ أوّل ذكر للسامريين: سفر الملوك الثاني!
الآيات 27 ـ 41: ـ فأمر ملك آشور؛ قائلًا: ابعثوا إلى هناك واحدًا من الكهنة الذين سبيتموهم من هناك فيذهب ويسكن هناك ويعلمهم قضاء إله الأرض.فأتى واحد من الكهنة الذين سبوهم من السامرة وسكن في بيت إيل وعلمهم كيف يتقون الرب. فكانت كل أمة تعمل آلهتها ووضعوها في بيوت المرتفعات التي عملها السامريون.
في تفسير النص، نقرأ:
هذا أوّل ذكر للسامريين وهم يذكرون كثيراً في العهد الجديد. وأصل دينهم كان خليطاً من عدة أديان. وكان السامريون ثلاثة أنواع:
1 ـ الساجدون للعجلين كما فرض يربعام، وهؤلاء قليلون.
2 ـ الإسرائيليون الذين أضافوا على العجلين بعض العبادات الوثنية.
3 ـ الوثنيون الذين أضافوا على عباداتهم للأصنام بعض ما أخذوه عن الإسرائيليين.
واستمر حالهم هكذا حتى أيام الإسكندر حين تزوّج منسّى أخو يادوس، رئيس كهنة أورشليم، بنت سنبلط حاكم السامرة، وهذا ذهب إليهم بتصريح من الإسكندر، وبنى هيكل في جرزيم جذب إليه كثيراً من اليهود، وسعى لطرد الأوثان من وسط السامرييم حتى يعبدوا اللّه فقط.
2 ـ سفر هوشع:
في الإصحاح الثامن من هذا السفر، نقرأ: 8: 5 قد زنخ عجلك يا سامرة حمي غضبي عليهم إلى متى لا يستطيعون النقاوة 8: 6 إنه هو أيضاً من إسرائيل صنعه الصانع وليس هو إله إنَّ عجل السامرة يصير كسراً. ـ مترجم.

(2) قارن: المقريزي في (De Sacy's *Chrest. Arabe.* P. i، 113 من الطبعة الثانية، 189 من الطبعة الأولى): ويذكر أنهم الذين يقولون لا مساس؛ ومن ثم: قال أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني إن السامريّة تعرف باللامساسيّة، والذي يستشهد به دي ساسي في كلامه عن السورة، إضافة إلى تفسير البيضاوي.

لا مساس»؛[1] لكني لا أملك سوى ذكرى باهتة لهذا المقطع. ومن المعروف أن السامريين كانوا قد عُرفوا حتماً للعرب المتأخرين بهذا الاسم، وكان محمد بلا شك يعرفهم به أيضاً؛ وكونه أطلق الاسم السامري على صانع العجل، لا بد أن هذا الرجل بدا له على أنه مؤسس الطائفة، ولا بدّ أن «لا مساس» نشأت معه، التي كانت كعقاب معروفة لمحمد من قصة مماثلة حول اليهودي التائه. ويقول محمد إن العجل راح يخور حالما ظهر.[2] ومع هذا يمكنَ أن نقارن النص الحاخامي التالي: «فظهر هناك العجل[3] وهو يخور، فرأى الإسرائيليون ذلك. يقول الحاخام يهودا إن سمائيل دخله من أجل تضليل إسرائيل.[4] وفي القرآن يقال[5] إنه من بين قوم موسى كان ثَمَّ سبط تمسّك بالحقيقة. ويبدو أن هذا يشير إلى سبط لاوي وخاصة لسلوكهم بشأن العجل، على الرغم من أنه ربما يشير أيضاً إلى إيمانهم برسالة موسى لفرعون التي تحدّثنا عنها من قبل. في الرواية التوراتية توجد عبارة،[6] والتي يفسّرها الحاخامات على النحو التالي:[7]

---

(1) הרוש אל תמושני.

(2) القرآن، 147:7؛ 90:20.

(3) سفر الخروج، 24:32. וָאֹמַ֤ר לָהֶם֙ לְמִ֣י זָהָ֔ב הִתְפָּרָ֖קוּ וַיִּתְּנוּ־לִ֑י וָאַשְׁלִכֵ֣הוּ בָאֵ֔שׁ וַיֵּצֵ֖א הָעֵ֥גֶל הַזֶּֽה׃ فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هَذَا الْعِجْلُ)). الآية غير موجودة في نص غايغر.

(4) برقيه الحاخام إليعيزر، القسم 45: **ויצא העגל הזה ויצא העגל הזה גועה וראו אותו כל ישראל ותעו אחריו ר' יהודה אומ' סמאל נכנס והיה גועה להתעות את ישראל**. النص مأخوذ عن الموقع التالي: https://www.sefaria.org/Pirkei_DeRabbi_Eliezer.45.1?lang=bi&with=all&lang2=he

(5) القرآن، 159:7.

(6) سفر الخروج، 26:32: וַיַּעֲמֹ֤ד מֹשֶׁה֙ בְּשַׁ֣עַר הַֽמַּחֲנֶ֔ה וַיֹּ֕אמֶר מִ֥י לַיהוָ֖ה אֵלָ֑י וַיֵּאָסְפ֥וּ אֵלָ֖יו כָּל־בְּנֵ֥י לֵוִֽי׃ . وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ الْمَحَلَّةِ وَقَالَ: ((مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ!)) فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لاَوِي. نص الآية غير موجود في نص غايغر.

(7) שבט לוי לא שתף עצמו במעשה העגל שנ׳ ויעמוד משה בשער המחנה ויאספו אליו כל־בני לוי.

«من نص الخروج، 26:32، فإنه من الواضح أن سبط لاوي لم يكن متورطاً في مسألة العجل الذهبي». وقد قدّم لنا المفسّرون العرب أقل الخرافات تثقيفاً حول هذا المقطع.

في الأحداث التي تتبع نجد بعض أمور مختصرة، لكنها ليست تبديلات ولا تزويقات، إلا في قصة النزاع مع قارون [قورح]، الأمر الذي أدى إلى ظهور بعضاً من ذلك. فيقال إن قارون [قورح] كان لديه مثل هذه الثروات بحيث أنّ عدداً من الرجال الأقوياء كانوا مطلوبين لحمل مفاتيح غرفة كنزه،[1] ويخبرنا الحاخامات،[2] «أن يوسف دفن ثلاثة كنوز في مصر، أحدها عرف به قارون [قورح]. ثَرْوَةٌ مَصُونَةٌ لِصَاحِبِهَا لِضَرَرِهِ[3]. قول يمكن تطبيقه على ثروات قارون [قورح]. وكانت مفاتيح كنز حجرة قارون [قورح] عبئاً ثقيلاً على ثلاثمائة بغل أبيض». وهذا يعني ضمناً في التلمود البابلي أنه أصبح متعجرفاً وميالاً للشجار بسبب امتلاكه لهذه الثروات، ويجسد محمد هذه الفكرة بشكل جميل. ربما أن أحد المقاطع في القرآن يشير إلى هذا النزاع، لأنه يقول إن بعض الأشخاص اتهموا موسى، لكن اللّه برّأه من التهمة التي وجهوها ضده.[4] ويشير بعض مفسّري هذا المقطع

نص البرقيه السابق يختلف في كلماته الأربع الأخيرة عن النص الذي بين أيدينا؛ من أجل النص على الإنترنت، راجع: https://www.sefaria.org/Pirkei_DeRabbi_Eliezer.45.1?lang=bi&with=all&lang2=he

(1) القرآن، 76:28.

(2) שלש מטמוניות הטמין יוסף במצרים אחת נתגלתה לקרח עשר שמור לבעליו לרעתו זה עושרו של קרח משוי שלש מאות פרדות לבנות היו מפתחות של בית גנזיו... של קרח. النص هو مقاطع من سنهدرين، ק"׳: א׳. رابط النص: https://www.sefaria.org/search?q=%D7%A7%D7%97%95%D7%A8%D7%97&sort=r&var=1

(3) سفر الجامعة، 12:5: יֵ֚שׁ רָעָ֣ה חוֹלָ֔ה רָאִ֖יתִי תַּ֣חַת הַשָּׁ֑מֶשׁ עֹ֛שֶׁר שָׁמ֥וּר לִבְעָלָ֖יו לְרָעָתֽוֹ: نَوْمُ الْمُشْتَغِلِ حُلْوٌ إِنْ أَكَلَ قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً وَوَفْرُ الْغَنِيِّ لاَ يُرِيحُهُ حَتَّى يَنَامَ. ملاحظة: نص الآية غير موجود عند غايغر.

(4) القرآن، 69:33.

أيضاً إلى هذا الحدث، في حين يعرضون القصة التالية، التي نقدّمها بكلمات الفرار:[1] «وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر بغيّة تقذف موسى بنفسها على رأس الملأ، فعصمها الله وأبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون». ومن المفترض في الواقع أنّ هذا حدث بعد معرفة موسى بشرع الزنا، وبعد السؤال فيما إذا كان هذا الشرع ينطبق عليه أيضاً كان جوابه بالإيجاب.[2] يلمّح الحاخامات إلى هذا

---

(1) في تفسير البغوي، نقرأ: وقال أبو العالية: هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك، وأهلك قارون. مترجم.

(2) قارن: أبو الفداء، *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، p. 32.

ملاحظة من المترجم: نص أبي الفداء: ومن جملة المعجزات التي أعطاها الله عز وجل موسى، قضيته مع قارون ـ من الكامل ـ قال: وكان قارون ابن عم موسى، وكان اللّه تعالى قد رزق قارون المذكور مالاً عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر، قيل أن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلاً، وبنى داراً عظيمة، وصفحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر.

فتكبر هارون بسبب كثرة ماله على موسى، واتفق مع بني إسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته، وأحضر امرأة بغياً وهي القحبة، وجعل لها جعلاً وأمرها بقذف موسى بنفسها، واتفق معها على ذلك.

ثم أتى موسى فقال: أن قومك قد اجتمعوا، فخرج إليهم موسى وقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى رجمناه. فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال موسى: نعم وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال موسى: فادعوها فإن قالت فهو كما قالت.

فلما جاءت، قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلا صدقت، أأنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك، فأوحى اللّه تعالى إلى موسى مُرْ الأرض بما شئت تطعك، فقال: يا أرض خذيهم، فجعل قارون يقول: يا موسى ارحمني، وموسى يقول: يا أرض خذيهم، فابتلعتهم الأرض ثم خسف بهم، وبدار قارون. ومن جملة المعجزات التي أعطاها اللّه عز وجل موسى، قضيته مع قارون ـ من الكامل ـ قال: وكان قارون ابن عم موسى، وكان اللّه تعالى قد رزق قارون المذكور مالاً عظيماً يضرب به المثل على طول الدهر، قيل أن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلاً، وبنى داراً عظيمة، وصفحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر.

فتكبر هارون بسبب كثرة ماله على موسى، واتفق مع بني إسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته، وأحضر امرأة بغياً وهي القحبة، وجعل لها جعلاً وأمرها بقذف موسى بنفسها، واتفق معها على ذلك.

في الكلمات التالية[1]: «وعندما سمع موسى بذلك، خرّ على وجهه. ماذا سمع؟ أنه كان ملاماً بسبب علاقة حميمة مع زوجة شخص آخر»، وفي مقطع آخر نقرأ:[2] «كل رجل اشتبه بزوجته بسبب موسى». مفسّرون آخرون يفهمون أن التهمة كانت أن موسى قتل هارون، لأن الاثنين كانا وحدهما عندما توفي هارون على جبل حور؛ لكن الملائكة برّأت موسى من تلك التهمة، حيث مرّوا بجثمان هارون على بني إسرائيل.[3] وهذه أيضاً فكرة حاخاميّة، لأننا نقرأ في مدراش

ثم أتى موسى فقال: أن قومك قد اجتمعوا، فخرج إليهم موسى وقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى رجمناه. فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال موسى: نعم وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال موسى: فادعوها فإن قالت فهو كما قالت.

فلما جاءت، قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلا صدقت، أأنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك، فأوحى الله تعالى إلى موسى مر الأرض بما شئت تطعك، فقال: يا أرض خذيهم، فجعل قارون يقول: يا موسى ارحمني، وموسى يقول: يا أرض خذيهم، فابتلعتهم الأرض ثم خسف بهم، وبدار قارون.

(1) וישמע משה ויפל על פניו מה־שמועה שמע מלמד שחשדוהו באשת איש.

لم يشر غايغر إلى مصدر النص. النص من بمدبر راباه، (مدراش راباه على سفر العدد) الرابط هو: https://www.sefaria.org/Bemidbar_Rabbah.18.6/he/Midrash_Rabbah_TE?lang=he

انظر سفر العدد، 4:16: וַיִּשְׁמַע מֹשֶׁה וַיִּפֹּל עַל־פָּנָיו: فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ.

ملاحظة: الآية غير موجودة في نص غايغر.

(2) رسالة سنهدرين التلمودية، 110: כל־אחד קנא לאשתו ממשה

(3) يقول إلفيرار: وقال قوم: إيذاؤهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله، فبرأه الله مما قالوا. ملاحظة: النص موجود في تفسير البغوي.

قارن: أبو الفداء، *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، pp. 32، 34.

ملاحظة من المترجم: نص أبي الفداء: ثم أوحى الله تعالى إلى موسى إني متوفٍّ هارون، فَأْتِ به إلى جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه؛ فإذا هما بسرير، فناما عليه، وأخذ هارون الموت ورفع إلى السماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقالوا له: أنت قتلت هارون لحبنا إياه. قال موسى: ويحكم، أفتروني أقتل أخي. فلما أكثروا عليه، سأل الله فأنزل السرير، وعليه هارون، وقال لهم إني مت ولم يقتلني موسى.

تنحوما[1]: «رأت الجماعة كلّها أن هارون مات.[2] وعندما نزل موسى وإلعازر من الجبل، وقفت الجماعة كلّها في وجههما تسألهما: أين هارون؟ قالا: لقد مات. فأجابوا: كيف يمكن لملاك الموت أن يصل إلى رجل قاومه مرّة واحدة ومنعه عنه مرة أخرى؟ لأنه مكتوب:[3] وَوَقَفَ (هارون) بَيْنَ المَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الوَبَأُ. إذاً أنتما تخرجانه، حسناً؛ وإن لم يكن، فسوف نرجمكما». فصلّى موسى: يا ربّ العالمين، برّئني من هذا الارتياب. ففتح اللّه القبر على الفور وأظهر هارون لهم، وإلى هذا يشير المقطع القائل، رأت الجماعة كلّها، إلخ». وهنا أحذف كلياً أسطورة ثالثة لا طعم لها ولا لون والتي يذكرها المفسّرون، والتي تبدو لهم السبب الأكثر احتمالاً للآية، لكني لا أستطيع أن أتبع أثرها في أي مصدر يهودي. والرأي الأصح هو أن الآية، كما لاحظ فال للتو، إنما تشير إلى توبيخ هارون ومريم.[4] وباختصار فالآية الخامسة من السورة 61 تتعلّق بجواب موسى

---

(1) וַיִּרְאוּ כָּל הָעֵדָה כִּי גָוַע אַהֲרֹן. כֵּיוָן שֶׁיָּרְדוּ מֹשֶׁה וְאֶלְעָזָר מִן הָהָר נִתְקַבְּצוּ כָּל הַקָּהָל עֲלֵיהֶם וְאָמְרוּ לָהֶם הֵיכָן אַהֲרֹן, אָמְרוּ לָהֶם מֵת. אָמְרוּ הֵיאַךְ מַלְאַךְ הַמָּוֶת יָכוֹל לִפְגֹּעַ בּוֹ, אָדָם שֶׁעָמַד בְּמַלְאַךְ הַמָּוֶת וַעֲצָרוֹ, דִּכְתִיב (במדבר יז, יג): וַיַּעֲמֹד בֵּין הַמֵּתִים וּבֵין הַחַיִּים, אִם אַתֶּם מְבִיאִין אוֹתוֹ מוּטָב אִם לָאו נְסַקֵּל אֶתְכֶם. בְּאוֹתָהּ שָׁעָה עָמַד מֹשֶׁה בִּתְפִלָּה וְאָמַר רִבּוֹנוֹ שֶׁל עוֹלָם הוֹצִיאֵנוּ מִן הַחֲשָׁד, מִיָּד פָּתַח הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא אֶת הַמְּעָרָה וְהֶרְאָהוּ לָהֶם, שֶׁנֶּאֱמַר: וַיִּרְאוּ כָּל הָעֵדָה כִּי גָוַע אַהֲרֹן.

ملاحظة من المترجم: النص السابق مستل من مدراش بمدبار راباه، والمرجع غير مذكور في نص غايغر. موقع المرجع على الانترت: https://www.sefaria.org/Bemidbar_Rabbah.19.20/he/Midrash_Rabbah_TE?lang=he&with=all&lang2=en

(2) سفر العدد، 29:20: וַיִּרְאוּ֙ כָּל־הָ֣עֵדָ֔ה כִּ֥י גָוַ֖ע אַהֲרֹ֑ן וַיִּבְכּ֤וּ אֶֽת־אַהֲרֹן֙ שְׁלֹשִׁ֣ים י֔וֹם כֹּ֖ל בֵּ֥ית יִשְׂרָאֵֽל׃ فَلَمَّا رَأَى كُلُّ الجَمَاعَةِ أَنَّ هَارُونَ قَدْ مَاتَ بَكَى جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيل عَلى هَارُونَ ثَلاثِينَ يَوْماً. ملاحظة: النص غير موجود عند غايغر.

(3) سفر العدد، 48:16 (عبري: 13:17): וַיַּעֲמֹ֥ד בֵּֽין־הַמֵּתִ֖ים וּבֵ֣ין הַחַיִּ֑ים וַתֵּעָצַ֖ר הַמַּגֵּפָֽה׃ وَوَقَفَ بَيْنَ المَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الوَبَأُ. ـ النص مضاف من المترجم.

(4) سفر العدد، 1:12 وما بعد: וַתְּדַבֵּ֨ר מִרְיָ֤ם וְאַהֲרֹן֙ בְּמֹשֶׁ֔ה עַל־אֹד֛וֹת הָאִשָּׁ֥ה הַכֻּשִׁ֖ית אֲשֶׁ֣ר לָקָ֑ח כִּֽי־אִשָּׁ֥ה כֻשִׁ֖ית לָקָֽח׃ וַיֹּאמְר֗וּ הֲרַ֤ק אַךְ־בְּמֹשֶׁה֙ דִּבֶּ֣ר יְהוָ֔ה הֲלֹ֖א גַּם־בָּ֣נוּ דִבֵּ֑ר וַיִּשְׁמַ֖ע יְהוָֽה׃ וְהָאִ֥ישׁ מֹשֶׁ֖ה עָנָ֣ו מְאֹ֑ד מִכֹּל֙ הָֽאָדָ֔ם אֲשֶׁ֖ר עַל־פְּנֵ֥י

على المجادلين. وهنا يُعطي المفسّرون فقط حكاية لا نستشهد بها، فقط لأنهم هنا، كما هو الحال في المقطع الآخر، يكرّرون فحسب وجهة النظر الأكثر قبولاً شمولياً. لكن هذا لا يمكن أن يمنعنا عن التمسّك برأينا. أمّا بالنسبة للرحلة التي وصفها محمد[1] فلم أتمكّن من العثور على أثر لها في الكتابات اليهودية، على الرغم من أن التلوين يهودي.[2] يقال إنّ موسى ذهب مع خادمه لرؤية المكان الذي يلتقي فيه البحران، وإنهما نسيا السمكة، التي كانا قد أخذاها معهما من أجل الطعام والتي قفزت إلى البحر. وعندما عادا للبحث عنها، التقاهما أحد خدم اللّه وقام بالرحلة معهما، قائلاً لهما مسبقاً إن أفكاره ستؤدي بهما إلى نفاد الصبر. فقد أغرق سفينة، قتل شاباً وسند جداراً؛ وفقط عندما افترقوا قدّم أسباباً وافية لهذه الإجراءات. القصة التي تعقب القصّة السابقة والتي هي عن ذي القرنين فربما أنها تشير إلى موسى، اللامع،[3] لو أن شيئاً من هذا القبيل كان معروفاً عنه.

הָאֲדָמָה: وَتَكَلَمَتْ مَرْيَمُ وَهَارُونُ عَلى مُوسَى بِسَبَبِ المَرْأَةِ الكُوشِيَّةِ التِي اتَّخَذَهَا (لأَنَّهُ كَانَ قَدِ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً). فَقَالا: ((هَل كَلمَ الرَّبُّ مُوسَى وَحْدَهُ؟ أَلمْ يُكَلِّمْنَا نَحْنُ أَيْضاً؟)) فَسَمِعَ الرَّبُّ. وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيماً جِدّاً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الذِينَ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ. ـ النص غير موجود عند غايغر، مترجم.

(1) القرآن، 18:59 ـ 81.

(2) يضيف المؤلّف الملاحظة التالية في الملحق:

أشار تسونتس (Die gottesdienstlichen Vorträge der Juden historisch entwickelt: ein Beitrag zur Alterthumskunde u. biblischen Kritik، zur Literatur u. Religionsgeschichte. Berlin: Asher، 1832. Digital Form Freimann Sammlung، Frankfurt، S. 130، u. Anm.d) إلى المصدر اليهودي للقصّة، التي يُقال فيها إن خادم الرب وفقاً للعرب هو إلياس (قارن: تحت عنوان إلياس)؛ أنه فقط، وفقاً للمصدر اليهودي، فإن المسافر هو الحاخام يهوشوا بن ليفي، رجل يلعب دوراً بارزاً في قصص الغرائب والمغامرات (قارن، تسونتس، ص ص. 140 ـ 141) والذي تناسبه هذه المغامرة أكثر بكثير من موسى، والذي يقف على سوية عالية للغاية. نتيجة لذلك يمكن لنا أن نميّز الأصل اليهودي للأسطورة بسهولة كبيرة، والتي تمّ تزويقها وفق طريقة القرآن.

(3) سفر الخروج، 34:29 وما بعد: וַיְהִ֗י בְּרֶ֤דֶת מֹשֶׁה֙ מֵהַ֣ר סִינַ֔י וּשְׁנֵ֨י לֻחֹ֤ת הָֽעֵדֻת֙ בְּיַד־מֹשֶׁ֔ה בְּרִדְתּ֖וֹ מִן־הָהָ֑ר וּמֹשֶׁ֣ה לֹֽא־יָדַ֗ע כִּ֥י קָרַ֛ן ע֥וֹר פָּנָ֖יו בְּדַבְּר֥וֹ אִתּֽוֹ׃ וַיַּ֨רְא אַהֲרֹ֜ן

من الشرائع الإفراديّة المذكورة تاريخياً في القرآن،[1] فإن تشريعاً واحداً فقط، أي ذلك المتعلّق بالبقرة الحمراء،[2] يقدّم لنا موادًّ من أجل رواية، والتي تُعطى بنوع من الاكتمال[3] غير ضروري بغض النظر عن الأخطاء الكثيرة. ففي المقام الأول يخلط محمد بين البقرة الحمراء[4] والعجلة التي تُذبح بسبب قتيل لا يُعلم

וְכָל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל אֶת־מֹשֶׁה וְהִנֵּה קָרַן עוֹר פָּנָיו וַיִּירְאוּ מִגֶּשֶׁת אֵלָיו׃ וַיִּקְרָא אֲלֵהֶם מֹשֶׁה וַיָּשֻׁבוּ אֵלָיו אַהֲרֹן וְכָל־הַנְּשִׂאִים בָּעֵדָה וַיְדַבֵּר מֹשֶׁה אֲלֵהֶם׃ וְאַחֲרֵי־כֵן נִגְּשׁוּ כָּל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וַיְצַוֵּם אֵת כָּל־אֲשֶׁר דִּבֶּר יְהוָה אִתּוֹ בְּהַר סִינָי׃ וַיְכַל מֹשֶׁה מִדַּבֵּר אִתָּם וַיִּתֵּן עַל־פָּנָיו מַסְוֶה وَلَمَّا نَزَلَ مُوسَى مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ الْجَبَلِ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ جِلْدَ وَجْهِهِ صَارَ يَلْمَعُ مِنْ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَهُ. فَنَظَرَ هَارُونُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى وَإِذَا جِلْدُ وَجْهِهِ يَلْمَعُ فَخَافُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ. فَدَعَاهُمْ مُوسَى. فَرَجَعَ إِلَيْهِ هَارُونُ وَجَمِيعُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ. فَكَلَّمَهُمْ مُوسَى. وَبَعْدَ ذَلِكَ اقْتَرَبَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَوْصَاهُمْ بِكُلِّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ. وَلَمَّا فَرَغَ مُوسَى مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُمْ جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ بُرْقُعاً. وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعُ الْبُرْقُعَ حَتَّى يَخْرُجَ. ثُمَّ يَخْرُجُ وَيُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُوصَى. ملاحظة: النص من المترجم.

(1) انظر الملحق.

(2) سفر العدد، 2:19 وما بعد. זֹאת חֻקַּת הַתּוֹרָה אֲשֶׁר־צִוָּה יְהוָה לֵאמֹר דַּבֵּר ׀ אֶל־בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וְיִקְחוּ אֵלֶיךָ פָרָה אֲדֻמָּה תְּמִימָה אֲשֶׁר אֵין־בָּהּ מוּם אֲשֶׁר לֹא־עָלָה עָלֶיהָ עֹל׃ וּנְתַתֶּם אֹתָהּ אֶל־אֶלְעָזָר הַכֹּהֵן וְהוֹצִיא אֹתָהּ אֶל־מִחוּץ לַמַּחֲנֶה וְשָׁחַט אֹתָהּ לְפָנָיו׃ וְלָקַח אֶלְעָזָר הַכֹּהֵן מִדָּמָהּ בְּאֶצְבָּעוֹ וְהִזָּה אֶל־נֹכַח פְּנֵי אֹהֶל־מוֹעֵד מִדָּמָהּ שֶׁבַע פְּעָמִים׃ וְשָׂרַף אֶת־הַפָּרָה לְעֵינָיו אֶת־עֹרָהּ וְאֶת־בְּשָׂרָהּ וְאֶת־דָּמָהּ עַל־פִּרְשָׁהּ יִשְׂרֹף׃ וְלָקַח הַכֹּהֵן עֵץ אֶרֶז וְאֵזוֹב וּשְׁנִי תוֹלָעַת וְהִשְׁלִיךְ אֶל־תּוֹךְ שְׂרֵפַת הַפָּרָה׃ וְכִבֶּס בְּגָדָיו הַכֹּהֵן וְרָחַץ בְּשָׂרוֹ בַּמַּיִם וְאַחַר יָבֹא אֶל־הַמַּחֲנֶה וְטָמֵא הַכֹּהֵן עַד־הָעָרֶב׃ ((هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ: كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقَرَةً حَمْرَاءَ صَحِيحَةً لا عَيْبَ فِيهَا وَلَمْ يَعْلُ عَلَيْهَا نِيرٌ. فَتُعْطُونَهَا لأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ المَحَلةِ وَتُذْبَحُ قُدَّامَهُ. وَيَأْخُذُ أَلِعَازَارُ الكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبِعِهِ وَيَنْضِحُ مِنْ دَمِهَا إِلى جِهَةِ وَجْهِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. وَتُحْرَقُ البَقَرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ. يُحْرَقُ جِلدُهَا وَلحْمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا. وَيَأْخُذُ الكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزُوفَا وَقِرْمِزاً وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسَطِ حَرِيقِ البَقَرَةِ.ثُمَّ يَغْسِلُ الكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ المَحَلةَ. وَيَكُونُ الكَاهِنُ نَجِساً إِلى المَسَاءِ. النص مضاف من المترجم.

(3) القرآن، 63:2 وما بعد.

(4) القرآن، 67:2.

من قتله،[1] ويجعل الميت يحيا من جديد[2] بضربه بقطعة من الحيوان. وبالنظر إلى هذه التشوهات الكبيرة علينا أن لا نتعامل معه بقساوة من أجل التشويه الصغير التالي؛ فهو يقول إن عمر البقرة يجب أن يكون عاماً واحداً،[3] مقابل الرأي الحاخامي الذي يقول إنها كانت قد بلغت العامين من العمر.[4]

بالنسبة لأولئك الذين نصادفهم في تاريخ موسى، فقد سبق لنا وتحدثنا عن فرعون، هارون وقارون (قورح)، عندما كنا نذكر آخرين، ونتيجة لذلك يجب

---

(1) سفر التثنية، 2:21 وما بعد: וְיָצְאוּ זְקֵנֶיךָ וְשֹׁפְטֶיךָ וּמָדְדוּ אֶל־הֶעָרִים אֲשֶׁר סְבִיבֹת הֶחָלָל: וְהָיָה הָעִיר הַקְּרֹבָה אֶל־הֶחָלָל וְלָקְחוּ זִקְנֵי הָעִיר הַהִוא עֶגְלַת בָּקָר אֲשֶׁר לֹא־עֻבַּד בָּהּ אֲשֶׁר לֹא־מָשְׁכָה בְּעֹל: וְהוֹרִדוּ זִקְנֵי הָעִיר הַהִוא אֶת־הָעֶגְלָה אֶל־נַחַל אֵיתָן אֲשֶׁר לֹא־יֵעָבֵד בּוֹ וְלֹא יִזָּרֵעַ וְעָרְפוּ־שָׁם אֶת־הָעֶגְלָה בַּנָּחַל: וְנִגְּשׁוּ הַכֹּהֲנִים בְּנֵי לֵוִי כִּי בָם בָּחַר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לְשָׁרְתוֹ וּלְבָרֵךְ בְּשֵׁם יְהוָה וְעַל־פִּיהֶם יִהְיֶה כָּל־רִיב וְכָל־נָגַע: וְכֹל זִקְנֵי הָעִיר הַהִוא הַקְּרֹבִים אֶל־הֶחָלָל יִרְחֲצוּ אֶת־יְדֵיהֶם עַל־הָעֶגְלָה הָעֲרוּפָה בַנָּחַל: וְעָנוּ וְאָמְרוּ יָדֵינוּ לֹא שָׁפְכָה שָׁפְכוּ אֶת־הַדָּם הַזֶּה וְעֵינֵינוּ לֹא רָאוּ: يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلى المُدُنِ التِي حَوْل القَتِيلِ. فَالمَدِينَةُ القُرْبَى مِنَ القَتِيلِ يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ عِجْلةً مِنَ البَقَرِ لمْ يُحْرَثْ عَليْهَا لمْ تَجُرَّ بِالنِّيرِ.

تث 21 ـ 4: وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ بِالعِجْلةِ إِلى وَادٍ دَائِمِ السَّيَلانِ لمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلمْ يُزْرَعْ وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ العِجْلةِ فِي الوَادِي. ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الكَهَنَةُ بَنُو لاوِي لأَنَّهُ إِيَّاهُمُ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيَخْدِمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِاسْمِ الرَّبِّ وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ خُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ: وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ تِلكَ المَدِينَةِ القَرِيبِينَ مِنَ القَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلى العِجْلةِ المَكْسُورَةِ العُنُقُ فِي الوَادِي. وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ وَأَعْيُنُنَا لمْ تُبْصِرْ. ـ ملاحظة: النص غير موجود عند غايغر.

(2) القرآن، 68:2.

(3) عوان، القرآن، 633:2.

(4) قارن: مدراش راباه على سفر العدد، الفقرة 19: إضافة من المترجم، نص المدراش راباه على سفر العدد: רַבִּי אַחָא בְּשֵׁם רַבִּי חֲנִינָא אָמַר בְּשָׁעָה שֶׁעָלָה מֹשֶׁה לַמָּרוֹם, שָׁמַע קוֹלוֹ שֶׁל הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא שֶׁיּוֹשֵׁב וְעוֹסֵק בְּפָרָשַׁת פָּרָה אֲדֻמָּה וְאוֹמֵר הֲלָכָה בְּשֵׁם אוֹמְרָהּ, רַבִּי אֱלִיעֶזֶר אוֹמֵר עֶגְלָה בַּת שְׁנָתָהּ וּפָרָה בַּת שְׁתַּיִם. אָמַר לְפָנָיו רִבּוֹן הָעוֹלָמִים יְהִי רָצוֹן שֶׁיְּהֵא מֵחֲלָצַי, אָמַר לוֹ חַיֶּיךָ שֶׁהוּא מֵחֲלָצֶיךָ, הֲדָא הוּא דִכְתִיב (שמות יח, ד): וְשֵׁם הָאֶחָד אֱלִיעֶזֶר, שֵׁם אוֹתוֹ הַמְיֻחָד.

أن نضيف المزيد بشأنهم. تُمتدح مريم في الكتاب المقدس وتُدعى بالنبيّة،[1] لكن قيمتها عند الحاخامات تظل أعلى من ذلك بكثير فهم يقولون عنها:[2] «لم يكن لملاك الموت سطوة على مريم، لكنها ماتت عبر ضم الإله لها، ومن ثم لم تستطع الديدان أن تمسّها». وفقاً لمحمد[3] مريم هي أم يسوع.[4] وعلى الرغم من أن اسم مريم لم يرد ذكره في المقطع حيث يُشار إليها في تاريخ موسى[5]، مع ذلك ليس هنالك أدنى شك في أن محمداً اعتبر المريمين مريماً واحدة فهما بالنسبة له الشخص ذاته؛ لأن النص التلمودي الوارد آنفاً، أي أن مريم لم تمت عبر ملاك الموت، كان ممكناً تحويله بسهولة إلى وصف لحياة طويلة، إن لم تكن بلا نهاية، بالنسبة لها، وخاصة من قبل محمد، الذي يتعامل مع تعاقب الأحداث وفقاً لما يبعث فيه السرور إلى درجة كبيرة.

الشخص الآخر الذي يظهر في تاريخ موسى هو حموه يثرو. نقول الآن صحيح أن اسمه، مثل اسم مريم، لم يرد ذكره في قصة موسى،[6] ومن ثم فالتقليد المحمدي يربط هذا المديني (كما يسمّي القرآن ببساطة حما موسى) مع شعيب، الاسم العربي ليثرو، وهكذا صارا يعتبران شخصاً واحداً أي الشخص ذاته، لكن ليس دون معارضة تقريباً. يقول إلفيرار:[7] «واختلفوا في اسم أبيهما،

---

(1) הנבאה.

(2) بابا بترا، 17، מרים לא שלט בה מלאך חמור אלא בנשיקה מתה ולא שלט בה בה רמה ותולעה. ملاحظة: لم أجد النص عندي ـ مترجم.

(3) مريم بنت عمران وأخت هارون؛ القرآن، 64: 12؛ 138:7.

(4) قارن: القرآن؛ السورة 3، العنوان والآية 30 وما بعد؛ السورة 19؛ وبشكل خاص الآية 29؛ السورة 12:66؛ والسنة [؟] 405.

(5) القرآن، 10:28.

(6) القرآن، 23:28 وما بعد.

(7) ملاحظة من المترجم: نقرأ في تفسير البغوي: (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسقي مواشيه، فلذلك احتجنا نحن إلى سقي الغنم. واختلفوا في اسم أبيهما، فقال مجاهد، والضحاك، والسدي والحسن: هو شعيب النبي عليه السلام. وقال وهب بن منبه، وسعيد بن جبير: هو يثرون بن أخي شعيب،

فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن، هو شعيب النبي (صلعم)؛ وقال وهب وسعيد بن جبير، يثرون ابن أخي شعيب؛ وكان شعيب قد مات قبل ذلك... وقيل رجل ممن آمن بشعيب».[1] لكن التقليد الأكثر انتشاراً هو أنه كان شعيباً ذاته.

ومن ثم يطلق عليه الفيرار دائماً هذا الاسم، وذلك عند ذكره في سياق هذه الحوادث، أمّا أبو الفداء[2] فيروي لنا شيئاً واحداً فيما يتعلّق بشعيب، بمعنى أنه كان حما موسى، دون إبداء أي رأي آخر.[3] وعلى الرغم من أن اسمه لم يرد ذكره في هذا السياق في القرآن، إلا أن أحداثاً أخرى مستقلة عن حياة موسى تحكي عنه، ولاسيما تحذيره لأهل مدين، الذي يقول الحاخامات إنه كان سبب

وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كف بصره، فدفن بين المقام وزمزم. وقيل: رجل ممن آمن بشعيب قالوا: فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس.

(1) جاء في تفسير البغوى المسمى «معالم التنزيل» تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعي المتوفى عام 516هـ تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار جـ3 ص 441 تفسير الآيات 22 ـ 28 من سورة القصص: (... واختلفوا في اسم أبيها فقال مجاهد والضحاك والسدى والحسن: شعيب النبى عليه السلام وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو بيرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كُفَّ بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن آمن بشعيب). ـ مترجم.

(2) *Historica Anteislamica*، Fleischer edition، p.30. ملاحظة من المترجم: نص أبي الفداء: ذكر شعيب عليه السلام: ثم الله تعالى شعيباً ـ عليه السلام ـ إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين، وقد اختلف في نسب شعيب فقيل: إنه من ولد إبراهيم الخليل، وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم وكانت الأيكة من شجر ملتف، فلم يؤمنوا، فأهلك الله أصحاب الأيكة بسحابة، أمطر عليهم ناراً الظلة، وأهلك الله أهل مدين بالزلزلة.

(3) ما ورد عن شعيب عند أبي الفداء: «ثم أرسل الله تعالى شعيباً ـ عليه السلام ـ إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين وقد اختلف في نسب شعيب فقيل: إنه من ولد إبراهيم الخليل وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم وكانت الأيكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا فأهلك الله أصحاب الأيكة بسحابة أمطر عليهم ناراً الظلة وأهلك الله أهل مدين بالزلزلة؛ وخاف موسى من فرعون فهرب وقصد نحو مدين واتصل بشعيب وزوجه ابنته واسمها صفورة وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين. مترجم.

كراهية ذلك الشعب له.[1] لقد قدّم محمد التحذير دون ذكر للعواقب التي رتبها ذلك التحذير على يثرو، أي إبعاد ابنتيه وهو ما كان تماماً الظرف الذي أدى إلى علاقة يثرو بحياة موسى. ووفقاً لمحمد حلّ عقاب فوري بأهل مدين.[2] أما الحاخامات فيقولون بشأن هذا الموضوع ما يلي:[3] «كان لكاهن مدين سبع بنات.[4] الربّ يكره الوثنية فهل يعطي موسى ملجأً عند وثني؟ وفيما يتعلق بهذا يقول لنا معلّمنا: كان يثرو كاهن أصنام، لكنه كان يعرف أن لا قيمة لها، فاحتقر الوثنية وفكّر في الاهتداء حتى قبل أن يأتي موسى. ثم دعا رفاقه من أهل بلدته وقال لهم: حتى الآن وأنا أخدمكم، لكني الآن عجوز، فاختاروا لكم كاهناً آخر: وأعاد لهم أدوات الخدمة». ثم حجروا عليه، بحيث لا يتحدّث إليه أحد، لا أحد

---

(1) سفر الخروج، 17:2: וַיָּבֹאוּ הָרֹעִים וַיְגָרְשׁוּם וַיָּקָם מֹשֶׁה וַיּוֹשִׁעָן וַיַּשְׁקְ אֶת־צֹאנָם׃ فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ملاحظة: الآية غير واردة عند غايغر.

(2) القرآن، 83:7 ـ 92؛ 85:11 ـ 98؛ 43:22؛ 40:25؛ 176:26 ـ 192؛ 35:29 ـ 36؛ 12:38؛ 12:50 ـ 13.

(3) مدراش راباه على سفر الخروج، الفقرة 1: וּלְכֹהֵן מִדְיָן שֶׁבַע בָּנוֹת. וַהֲלוֹא הַקָּדוֹשׁ בָּרוּךְ הוּא שׂוֹנֵא עֲבוֹדַת כּוֹכָבִים, וְנָתַן מָנוֹס לְמשֶׁה אֵצֶל עוֹבֵד עֲבוֹדַת כּוֹכָבִים. אֶלָּא אָמְרוּ רַבּוֹתֵינוּ, יִתְרוֹ כֹּמֶר לַעֲבוֹדַת כּוֹכָבִים הָיָה, וְרָאָה שֶׁאֵין בָּהּ מַמָּשׁ וּבִסֵּר עָלֶיהָ, וְהִרְהֵר לַעֲשׂוֹת תְּשׁוּבָה עַד שֶׁלֹּא בָּא משֶׁה, וְקָרָא לִבְנֵי עִירוֹ וְאָמַר לָהֶם, עַד עַכְשָׁיו הָיִיתִי מְשַׁמֵּשׁ אֶתְכֶם, מֵעַתָּה זָקֵן אֲנִי בַּחֲרוּ לָכֶם כֹּמֶר אַחֵר, עָמַד וְהוֹצִיא כְּלֵי תַּשְׁמִישֵׁי עֲבוֹדַת כּוֹכָבִים וְנָתַן לָהֶם הַכֹּל, עָמְדוּ וְנִדּוּהוּ שֶׁלֹּא יִזְדַּקֵּק לוֹ אָדָם וְלֹא יַעֲשׂוּ לוֹ מְלָאכָה וְלֹא יִרְעוּ אֶת צֹאנוֹ, וּבִקֵּשׁ מִן הָרוֹעִים לִרְעוֹת לוֹ אֶת צֹאנוֹ וְלֹא קִבְּלוּ, לְפִיכָךְ הוֹצִיא בְּנוֹתָיו. וַתָּבֹאנָה וַתִּדְלֶנָה, מְלַמֵּד שֶׁהָיוּ מַקְדִּימוֹת לָבוֹא מִפְּנֵי פַּחַד הָרוֹעִים. וַיָּבֹאוּ הָרֹעִים וַיְגָרְשׁוּם, אֶפְשָׁר הוּא כֹּהֵן מִדְיָן וְהָרוֹעִים מְגָרְשִׁים בְּנוֹתָיו, אֶלָּא לְלַמֶּדְךָ שֶׁנִּדּוּהוּ וְגֵרְשׁוּ בְּנוֹתָיו.
ملاحظة: النص مأخوذ عن مصدر موجود على الإنترنت؛ الرابط هو: https://www.sefaria.org/Shemot_Rabbah.1.32?lang=bi&with=all&lang2=en

(4) سفر الخروج، 16:2 וּלְכֹהֵן מִדְיָן שֶׁבַע בָּנוֹת וַתָּבֹאנָה וַתִּדְלֶנָה וַתְּמַלֶּאנָה אֶת־הָרְהָטִים לְהַשְׁקוֹת צֹאן אֲבִיהֶן׃ وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. ملاحظة: الآية غير واردة عند غايغر.

يعمل له، لا أحد يهتم بقطعانه؛ وعندما طلب هذه الخدمة من الرعاة، لم يردّوا عليه. فقد جاء الرعاة وساقوا قطعانه بعيداً.[1] هل كان ذلك ممكناً؟ كان يثرو كاهن مدين وقد أبعد الرعاة بناته؟ لكن هذا يدل على أنهم حجروا عليه، ولهذا السبب أبعدوا بناته». في فم الشعب، أو على الأرجح من محمد نفسه، تلقت الأسطورة نوعاً من الزينة بأن يثرو أراد هداية رفاقه أبناء بلدته إلى الإيمان، وأنهم عوقبوا بسبب كفرهم. ثمة توبيخ وجّه إليهم بشكل خاص، أو بالأحرى نقطة إرشاد، بمعنى، أن يوفوا الكيل والميزان،[2] مؤسس على أسطورة أو أخرى، على الرغم من أنني لم أجدها بعد في الكتابات اليهودية.[3] يظهر يثرو ذاته كواعظ يتناسب تماماً مع أفكار محمد. فهو يعظهم بيوم القيامة[4] ويؤكّد أنه لا يريد منهم أجراً؛[5] من ناحية أخرى يوبخه سكان بلدته على عمله بلا معجزات.[6] لقد قدّمت الوقائع والاقتباسات هنا كما لو أنه لم يكن أدنى شك في أن كلّ هذه المقاطع إنما تشير إلى يثرو، لكن يجب أن يكون استثناء لهذا. فاسم مختلف تماماً[7] نجده في القرآن، وليس من السهل تفسير كيف جاء يثرو به. مع ذلك، علينا أولاً أن نحاول أن نبيّن أن شعيب ويثرو متطابقان، ومن ثم نطرح تخميناتنا عن كيفية إضافة يثرو ذي الأسماء المتعددة هذا الاسم إلى أسمائه الأخرى. تظهر الهوية أولاً من خلال واقعة أن أولئك الذين تم إرساله إليهم يُدعون «أصحاب

---

(1) سفر الخروج، 17:2: וַיָּבֹאוּ הָרֹעִים וַיְגָרְשׁוּם וַיָּקָם מֹשֶׁה וַיּוֹשִׁעָן וַיַּשְׁקְ אֶת־צֹאנָם: فَأَتَى الرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. ملاحظة: الآية غير واردة عند غايغر.

(2) القرآن، 83:7؛ 86:11.

(3) يبدو أن محمداً كان يخلط بين أهل مدين وأهل سدوم، الذين يعزو لهم الحاخامات أموراً كهذه.

(4) القرآن، 35:29.

(5) القرآن، 180:26.

(6) القرآن، 186:26، 187.

(7) شعيب.

مدين»؛[1] وفي المقام الثاني، المقطعان الأولان[2] يقدّمان الأحداث المتعلّقة به بين قصة لوط وقصة موسى.

نقول الآن إذا كنا نستطيع أن نجد بين الحاخامات أية إيماءة مواتية لهذا الافتراض، ما من شيء هام سيبقى لمعارضة اعتمادها[3] كفرضية محتملة. مع

---

(1) القرآن، 83:7؛ 85:11؛ 35:29 (مدين)؛ 43:22 (أصحاب مدين حيث يُنظر إلى مدين على أنه اسم لإحدى البلدات).

(2) القرآن، 83:7 ـ 92؛ 85:11 ـ 98.

(3) من الملائم جداً بالنسبة لأحمد بن السليم (أورده Maracc، في تفسير القرآن، 7:83)، أن يؤكّد أن هذا هو رأي طائفة من الجهال. يعتبر بعضهم أن يثرو هو والد شعيب، (كما يقول إلفيرار في تفسير القرآن، 38:7: وقيل هو شعيب بن يثرون)، ويقول آخرون إنه ابن أخيه (قارن المقطع الوارد آنفاً من إلفيرار في تعليقه على القرآن، 23:28). لقد أربك الاختلاف في الأسماء المفسّرين، وكذلك جهلهم بالمصدر الذي أخذ منه محمد هنا، كما هي الحالة غالباً.

ملاحظة من المترجم: من نفسير البغوي، نقرأ: قوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) أي: وأرسلنا إلى ولد مدين ـ وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ـ وهم أصحاب الأيكة: أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين. قال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم. وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكائيل بن يسخر بن مدين بن إبراهيم، وأم ميكائيل بنت لوط. وقيل: هو شعيب بن يثرون بن مدين وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر وبخس للمكيال والميزان.

من جامع الرسائل؛ رسالة في قصّة شعيب عليه السلام لابن تيمية، نقرأ: وذكر في قصة موسى أنه ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما الآية سورة القصص 23 إلى آخر القصة فموسى عليه السلام قضى أكمل الأجلين ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيباً ولا أنه كان نبياً ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبياً ولا نقل عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيباً النبي لا عن ابن عباس ولا غيره بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب

قال سنيد بن داود شيخ البخاري في تفسيره بإسناده عن ابن عباس قال اسمه يثرى قال حجاج وقال غيره يثرون وعن شعيب الجبائي أنه قال اسم الجاريتين ليا وصغوره وامرأة موسى صغوره ابنة يثرون كاهن مدين والكاهن الحبر وفي رواية عن ابن عباس أن اسمه يثرون أو يثرى

وقال ابن جرير اسم إحدى الجاريتين ليا ويقال شرفاً والأخرى صغورة وقال أيضاً وأما أبوهما فمختلف في اسمه فقال بعضهم اسمه يثرون وقال ابن مسعود الذي استأجر موسى ابن أخي شعيب يثرون وقال أبو عبيدة هو يثرون ابن أخي شعيب النبي صلى الله عليه وسلم

وقال آخرون اسمه يثرى وهو منقول عن ابن عباس.

ذلك، يمكن تقديم القليل جداً لإظهار كيف صار شعيب ويثرو واحداً بحيث يعتبران الشخص ذاته. فربما أنّ محمداً خلط بين اسم هباب[1] ـ غالباً ما يُطلق على يثرو وربما أنه يُلفظ حباب ـ وشعيب. وربما يمكننا التفكير بتفسير إيتمولوجي هنا، لأن الحاخامات يؤكدون أن العصا التي استخدمها موسى لاحقاً ودعيت بالعصا الإلهية[2] إنما نمت في حديقة يثرو.[3] نقول الآن إن شعبة تعني عصاً ومن ثم يمكن اعتبار شعيب على أنه مالك العصا. وحين يكون شعيب هو ذاته يثرو، هنالك مقاطع[4] والتي يُذكر فيها الأول، في حين أن أولئك الذين يرسل إليهم لا يُدعون بأهل مدين؛ وهكذا نجد اسماً جديداً لهؤلاء الناس،[5] أي «أصحاب الأيكة»، وهو اسم مشتق كما هو واضح من العليقات (סנה) التي كانت في المنطقة.

يتبقى علينا تبرير تقديم مقطعين إضافيين،[6] وهذا من الصعب جداً بالنسبة لنا القيام به، لأنه من أجل إثبات وجهة نظرنا يجب علينا اتهام محمد نفسه بسوء الفهم. لا يُذكر شعيب في هذين المقطعين، بل الشعب الذي يتلقّى التحذير

---

(1) הובב.

(2) מטה האלהים.

(3) وكون موسى حصل على العصا من يثرو إنما يؤكده Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، كلمة شعيب، ص. 772، وفقاً لأحد الآراء المحمديّة.

(4) مثلًا: القرآن، 176:26 وما بعد.

(5) يقول إلفيرار في تفسيره للقرآن، 83:7: مدين وهم أصحاب الأيكة؛ لكن هذا ذاته لا يسمح به إلفيرار في ما يتعلّق بالقرآن 177:26، لأنه في سياق الحديث عن مدين يُذكر شعيب على أنه أخوهم، وتلك حالة لا تنطبق على أصحاب الأيكة.
ملاحظة من المترجم: من تفسير البغوي، نقرأ: قوله تعالى: (وإلى مدين أخاهم شعيبا) أي: وأرسلنا إلى ولد مدين ـ وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ـ وهم أصحاب الأيكة: أخاهم شعيباً في النسب لا في الدين.

(6) القرآن، 40:25؛ 12:50.

والذي يُدعى «أصحاب الرّس»، دون تقديم أية تفاصيل أخرى بشأنهم. لكن «أصحاب الرّس»[1] هؤلاء يُذكرون لاحقاً في مقطع واحد مع «أصحاب الأيكة»، وهكذا فعلى ما يبدو من المؤكد أن محمداً اعتبرهما شعبين مختلفين؛ لكننا مع ذلك سنسمح لأنفسنا أن نعتقد أنهما شعبان متطابقان حقّاً.

إن السبب الحقيقي لتقديم يثرو في القرآن، كما سبق أن لاحظنا، هو النزاع بين الرعاة وبناته، على الرغم من أن الواقعة ذاتها لا تُذكر في ذلك الكتاب؛ ومن ثم من السهل أن نفهم أن اليهود يسمّون أهل مدين أحياناً بهذا الاسم، أي «أصحاب الرّس». وما من حوادث أخرى تُروى بشأن هؤلاء الأشخاص المذكورين في القرآن تسمح بهذه التسمية. فقصة يعقوب على البئر (إذا ما وضعنا جانباً حقيقة أنه لا توجد في القرآن أدنى إشارة إلى الأمر)، لا أثر فيها للعدائية؛ ومن ثم فإن التخمين ليس جريئاً إلى درجة أن يعتبر أن الثلاثة هؤلاء جميعاً، في واقع الأمر، أي أهل مدين، أصحاب الأيكة، وأصحاب الرس هم أنفسهم، بل أن محمداً اعتبر الاثنين الأولين فقط متطابقين ونظر إلى الطرف الثالث، أصحاب الرس، على أنهم مختلفون عن الباقين. ولا يزال هذا التقليد مقبولاً حتى بين العرب، لأننا نجد عند إلفيرار[2] من بين تفسيرات أخرى ما يلي: «قال وهب: كانوا أهل

---

(1) القرآن، 12:50.

(2) في تفسيره للقرآن، 40:25. ملاحظة: من تفسير البغوي، نقرأ: قال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر قعوداً عليها، وأصحاب مواشي، يعبدون الأصنام، فوجه الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم، وفي أذى شعيب عليه السلام، فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر، فخسف بهم وبديارهم ورباعهم، فهلكوا جميعاً. و«الرس»: البئر، وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس. وقال قتادة والكلبي: «الرس» بئر بفلج اليمامة، قتلوا نبيهم فأهلكهم الله ـ عز وجل ـ . وقال بعضهم: هم بقية ثمود قوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله: «وبئر معطلة وقصر مشيد» (الحج ـ 45). وقال سعيد بن جبير: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى. وقال كعب ومقاتل والسدي: «الرس» : بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار، وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس. وقيل: هم أصحاب الأخدود، [والرس هو الأخدود] الذي حفروه. وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم

بئر قعود عليها وأصحاب سواهي يعبد ون الأصنام، فوجّه اللّه عزّ وجلّ شعيباً عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام، فتمادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب (ع)، فبينما هم حول البئر منازلهم أن فارت البئر تخسف بهم وبديارهم، فهلكوا جميعاً»[1].

في بئر. وقيل: الرس المعدن، وجمعه رساس. (وقرونا بين ذلك كثيرا) أي: وأهلكنا قرونا كثيراً بين عاد وأصحاب الرس.

نلاحظ أيضاً أن الراوية الشهير، وهب بن منبه، من أصول يهودية.

(1) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38) أو قصتهم لِلنَّاسِ آيَةً عبرة وَأَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ على أنفسهم بالكفر عَذاباً أَلِيماً وَعاداً وَثَمُودَ عطف على هم في جعلنهم وجاز ان يكون منصوباً بفعل محذوف دلّ عليه سياق الكلام يعنى أهلكنا عاداً وثموداً وباذكر وقد مرّ قصتهما فيما سبق من سورة الأعراف وغيرها.وَأَصْحابَ الرَّسِّ في القاموس الرسّ ابتداء الشيء ومنه رسّ الحمى ورسيسها والبئر المطوية بالحجارة والإصلاح والإفساد ضد وواد بآذربيجان عليه الف مدينة والحفر ودفن الميت. ولعل إطلاق أصحاب الرس على قوم معهودين لكونهم بلدين بالشر والكفر مفسدين في الأرض أو لكونهم أهل بئر أو ساكني تلك الوادي أو لانهم قتلوا نبيهم ودفنوه والمراد هاهنا قوم كانوا أهل بئر قعوداً عليها أصحاب مواش يعبدون الأصنام فوجه اللّه عليهم شعيباً عليه السلام يدعوهم إلى الإسلام فتمادوا في طغيانهم وفي أذى شعيب عليه السلام فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت البئر فخسف اللّه بهم وبديارهم ورباعهم فهلكوا جميعاً كذا قال وهب بن منبه وأخرجه ابن جرير وابن عساكر عن قتادة قال البغوي قال قتادة والكلبي الرس بئر بفلح اليمامة قتلوا نبيهم فقتلهم اللّه عزّ وجلّ وقال بعضهم هم بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها اللّه تعالى في قوله وبئر معطّلة وقصر مشيد وكذا أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة وقال البغوي قال سعيد بن جبير كان لهم نبى يقال له حنظلة ابن صفوان فقتلوه فأهلكهم اللّه. قيل ابتلاهم اللّه بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح ادمخ وتنقضّ على صبيانهم فتخطفهم فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه وأهلكوا ـ وقال البغوي قال كعب ومقاتل والسدى الرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وهم الّذين ذكرهم اللّه في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود الذي حفروه وقال عكرمة هم رسّوا نبيهم في البئر أي دفنوه وقيل الرسّ المعدن وجمعه رساس وَقُرُوناً عطف على أصحاب الرّس يعني وأهلكنا قروناً وهو جمع الكثرة لقرن وهو قوم مقترنون من زمن واحد ـ القرن إذا كان مضافاً إلى شخص معين أو جمع معلوم يراد به من يقترن ويلاقي ذلك الشخص أو تلك الجماعة يعني أكثرهم أو واحداً منهم ومنه ما يقال القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير بقوله صلى اللّه عليه وسلم خير القرون قرني ثم الّذين يلونهم ثم الّذين يلونهم فقرن النبي صلى اللّه عليه وسلم الصحابة الّذين رأوا النبي صلى اللّه عليه وسلم والقرن

وبطريقة مماثلة يقول جلال الدين:[1] «نبيهم قيل شعيب، وقيل غيره». هذا القبول من المفسّرين العرب يعزز رأينا بشكل ملحوظ. شخص آخر له بعض لأهمية في العصر الموسوي ويقال من قبل بعض المفسّرين العرب إنه إنما يلمّح إليه في القرآن،[2] لكن كثيراً من مفسرين آخرين يرفضون هذا التلميح. يقدّم إلفيرار أربعة آراء مختلفة حول هذا المقطع. الرأي الأول هو أنه يشير إلى بلعام، والذي يستشهد لأجله بمراجع كثيرة، ومن ثم يروي تاريخ بلعام بتناغم شبه تام مع القصّة التوراتية.[3]

الثاني الّذين رأوا واحداً من الصحابة أو أكثر والثالث الّذين رأوا واحداً منهم أو أكثر وإن كان غير مضاف يراد به قوم مقترنون في زمن واحد. مترجم.

(1) في تفسيره للقرآن، 40:25 (Vide. Maracc). ملاحظة من المترجم: النص ذاته يرد في تفسير الجلالين.

(2) القرآن، 7:174 ـ 175.

(3) يدعوه إلفيرار، وفقاً لبعض المراجع، بلعم بن عابور؛ ووفقاً لمراجع أخرى، بلعم بن باعر.
ملاحظة من المترجم: من تفسير البغوي، نقرأ: قوله تعالى: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية. اختلفوا فيه، قال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء. وقال مجاهد: بلعام بن باعر. وقال عطية عن ابن عباس: كان من بني إسرائيل. وروي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل: هو من مدينة بلقا.
وكانت قصته ـ على ما ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم ـ أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم ـ وكان عنده اسم الله الأعظم ـ فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا، فقال: ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم، وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي، فراجعوه وألحوا عليه فقال: حتى أؤامر ربي، وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدع عليهم، فقال لقومه: إني قد آمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها، ثم راجعوه فقال: حتى أؤامر، فآمر، فلم يوح إليه شيء، فقال: قد آمرت فلم يجز إلي شيء، فقالوا: لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني إسرائيل يقال له حسبان، فلما سار عليها غير كثير ربضت به، فنزل عنها فضربها حتى إذا أذلقها قامت فركبها، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت، ففعل بها مثل ذلك فقامت، فركبها فلم

تسر به كثيراً حتى ربضت، فضربها حتى أذلقها، أذن الله لها بالكلام فكلمته حجة عليه، فقالت: ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع، فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل. فقال له قومه: يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم علينا؟! فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء قد غلب الله عليه، فاندلع لسانه فوقع على صدره، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة، فسأمكر لكم وأحتال، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين، اسمها كستى بنت صور، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى، فقال: إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ قال: أجل هي حرام عليك لا تقربها، قال: فوالله لا أطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت، وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى، وكان رجلاً قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش، وكان غائباً حين صنع زمري ابن شلوم ما صنع، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل، فأخبر الخبر، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها، ثم دخل عليهما القبة، وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء، والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته، وأسند الحربة إلى لحيته وكان بكر العيزار، وجعل يقول: اللّهم هكذا نفعل بمن يعصيك، ورفع الطاعون، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً في ساعة من النهار، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي، لاعتماده بالحربة على خاصرته، وأخذه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلى لحيته، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم، لأنه كان بكر العيزار وفي بلعم أنزل الله تعالى: «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا» الآية.

وقال مقاتل: إن ملك البلقاء قال لبلعام: ادع الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لم تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع وأخبر الملك فقال: لتدعون عليه أو لأصلبنك، فدعا على موسى بالاسم الأعظم: أن لا يدخل المدينة، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعام. قال: فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، فذلك قوله: «فانسلخ منها».

أما جلال الدين والزمخشري[1] فيشيران على حدّ سواء إلى بلعام، ويسميانه بلعم بن باعورا. غير هؤلاء لا نجد أدنى ذكر لأشخاص آخرين ظهروا في حياة موسى، أو كانوا هامين في زمنه، وهكذا يصل جزؤنا الثاني إلى نهايته.

(1) Maracc في تفسير المقطع. ملاحظة من المترجم: من تفسير الزمخشري، نقرأ: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)}

{واتل عَلَيْهِمْ} على اليهود {واتل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ مِنْهَا} هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين، اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله {فانسلخ مِنْهَا} من الآيات، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره {فَأَتْبَعَهُ الشيطان} فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له. أو فأتبعه خطواته. وقرئ: {فاتبعه} بمعنى فتبعه {فَكَانَ مِنَ الغاوين} فصار من الضالين الكافرين. روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة، فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل {وَلَوْ شِئْنَا لرفعناه بِهَا} لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات {ولكنه أَخْلَدَ إِلَى الأرض} مال إلى الدنيا ورغب فيها. وقيل: مال إلى السفالة.

فإن قلت: كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى. ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها. وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة. والمراد: ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها. ألا ترى إلى قوله: {ولكنه أَخْلَدَ إِلَى الارض} فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله، فوجب أن يكون {وَلَوْ شِئْنَا} في معنى ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب} فصفته التي هي مثل في الخسّة والضعة كصفة الكلب في أخسّ أحواله وأذلها وهي حال دوام اللّهث به واتصاله، سواء حمل عليه ـ أي شدّ عليه وهيج فطرد ـ أو ترك غير متعرّض له بالحمل عليه. وذلك أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللّهث إلاّ إذا هيج منه وحرّك، وإلاّ لم يلهث، والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً، وكان حق الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع قوله {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب} موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك.

ومن تفسير الجلالين، نقرأ: {175} وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. «وَاتْلُ» يَا مُحَمَّد «عَلَيْهِمْ» أَيْ الْيَهُود «نَبَأ» خَبَر «الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» خَرَجَ بِكُفْرِهِ كَمَا تَخْرُج الْحَيَّة مِنْ جِلْدهَا وَهُوَ بلعم بْن بَاعُورَاءَ مِنْ عُلَمَاء بَنِي إسْرَائِيل سُئِلَ أَنْ يَدْعُو عَلَى مُوسَى وَأُهْدِيَ إلَيْهِ شَيْء فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ وَانْدَلَعَ لِسَانه عَلَى صَدْره» فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَان» فَأَدْرَكَهُ فَصَارَ قَرِينه

القسم الثالث

الجزء الثالث

الملوك الثلاثة الذين حكموا إسرائيل غير المقسمة.

التاريخ الذي يلي مباشرة زمن موسى، بما في ذلك زمن القضاة، إما أنه لابد بدا لمحمد كريهاً، وهو أمر غير محتمل، حيث إن قصة ذلك العصر البطولي كانت متوافقة تماماً مع مشاعره وأهدافه، أو أنه لا بد أن كان غير معروف إجمالاً له، وهذا يبدو أنه كان الحالة وذلك من واقعة أن يتحدّث عن اختيار ملك كحدث حصل بعد موسى،[1] بمعنى الذي يمكن أن يعني بعد موسى مباشرة أو بعده بوقت قصير جدّاً. يقف شاؤول للغاية في خلفيّة الصورة؛ لأنّ تاريخه من ناحية كان معروفاً لمحمد فقط بشكل مختصر جداً، ومن ناحية أخرى كان للنبي مثل هذا المفهوم البشع عن شخصية شاؤول إلى درجة أنه ينسب إليه أفعال الآخرين. يُروى تاريخ شاؤول في القرآن[2] على النحو التالي: «بعد موسى أراد الإسرائيليون ملكاً، حتى يخرجوا تحت قيادته إلى الجهاد؛[3] الذي لم يذهب إليه بعد ذلك غير قلّة منهم فحسب. يقدّم النبي (صموئيل) شاوول على أنه مرسل من اللّه،

(1) القرآن، 2:247. من بعد موسى.

(2) القرآن، 2:247 ـ 253.

(3) سفر صموئيل الأول، 8:20: וְהָיִינוּ גַם־אֲנַחְנוּ כְּכָל־הַגּוֹיִם וּשְׁפָטָנוּ מַלְכֵּנוּ וְיָצָא לְפָנֵינוּ וְנִלְחַם אֶת־מִלְחֲמֹתֵנוּ: فَنَكُونُ نَحْنُ أَيْضاً مِثْلَ سَائِرِ الشُّعُوبِ، وَيَقْضِي لَنَا مَلِكُنَا وَيَخْرُجُ أَمَامَنَا وَيُحَارِبُ حُرُوبَنَا)). ـ الآية غير موجودة في نص غايغر.

ومع ذلك يظل يبدو جديراً بالازدراء في أعين الناس.[1] وكدليل على أن الحكاية متعلقة بشاؤول، أعلن نبي إسرائيل عودة تابوت العهد. يختبر شاؤول من ثم قواته، فلا يسمح بأن يبقى في جيشه إلا أولئك الذين شربوا الماء يلغونه باليد؛ وهذا ما فعلته قلة نادرة، وحتى هؤلاء فقد كانوا يخافون من جالوت وجيوشه. وفي نهاية الأمر قهر داوود الفلسطيني ومضيفيه وكسب الهيمنة. والظرف الذي يقول إنه من خلال شاؤول عاد تابوت العهد[2] إنما جاء خلافاً للكتاب المقدس، الذي يقول إن تابوت العهد عاد في وقت أبكر. ومن الواضح أنّ قصة شاؤول وهو يختبر قواته إنما مشوشة مع قصّة جدعون، الذي يروى هذا عنه في التوراة،[3] والذي نشأ دون شك عن قصة مماثلة حول منع شاؤول الطعام عن الجيش.[4]

---

(1) سفر صموئيل الأول، 27:10: וּבְנֵ֨י בְלִיַּ֜עַל אָֽמְר֗וּ מַה־יֹּשִׁעֵ֙נוּ֙ זֶ֔ה וַיִּבְזֻ֕הוּ וְלֹֽא־הֵבִ֥יאוּ ל֖וֹ מִנְחָ֑ה וַיְהִ֖י כְּמַחֲרִֽישׁ׃ وَأَمَّا بَنُو بَلِيَّعَالَ فَقَالُوا: ((كَيْفَ يُخَلِّصُنَا هَذَا؟)) فَاحْتَقَرُوهُ وَلَمْ يُقَدِّمُوا لَهُ هَدِيَّةً. فَكَانَ كَأَصَمَّ. ملاحظة: نص الآية غير وارد عند غايغر.

(2) يجب أن يُفهم القرآن 249:2 على هذا النحو، وربما من الأفضل أن يُقرأ النص هنا، يأتيكم التابوت.

(3) سفر القضاة، 5:7 وما بعد: וַיּ֥וֹרֶד אֶת־הָעָ֖ם אֶל־הַמָּ֑יִם וַיֹּ֨אמֶר יְהוָ֜ה אֶל־גִּדְע֗וֹן כֹּ֣ל אֲשֶׁר־יָלֹק֩ בִּלְשׁוֹנ֨וֹ מִן־הַמַּ֜יִם כַּאֲשֶׁ֨ר יָלֹ֤ק הַכֶּ֙לֶב֙ תַּצִּ֣יג אוֹת֔וֹ לְבָ֑ד וְכֹ֛ל אֲשֶׁר־יִכְרַ֥ע עַל־בִּרְכָּ֖יו לִשְׁתּֽוֹת׃ וַיְהִ֗י מִסְפַּ֞ר הַֽמְלַקְקִ֤ים בְּיָדָם֙ אֶל־פִּיהֶ֔ם שְׁלֹ֥שׁ מֵא֖וֹת אִ֑ישׁ וְכֹל֙ יֶ֣תֶר הָעָ֔ם כָּרְע֥וּ עַל־בִּרְכֵיהֶ֖ם לִשְׁתּ֥וֹת מָֽיִם׃ וַיֹּ֨אמֶר יְהוָ֜ה אֶל־גִּדְע֗וֹן בִּשְׁלֹשׁ֩ מֵא֨וֹת הָאִ֤ישׁ הַֽמְלַקְקִים֙ אוֹשִׁ֣יעַ אֶתְכֶ֔ם וְנָתַתִּ֥י אֶת־מִדְיָ֖ן בְּיָדֶ֑ךָ וְכָל־הָעָ֔ם יֵלְכ֖וּ אִ֥ישׁ לִמְקֹמֽוֹ׃ וַיִּקְח֨וּ אֶת־צֵדָ֤ה הָעָם֙ בְּיָדָ֔ם וְאֵת֙ שׁוֹפְרֹ֣תֵיהֶ֔ם וְאֵ֨ת כָּל־אִ֤ישׁ יִשְׂרָאֵל֙ שִׁלַּ֣ח אִ֣ישׁ לְאֹהָלָ֔יו וּבִשְׁלֹשׁ־מֵא֥וֹת הָאִ֖ישׁ הֶחֱזִ֑יק וּמַחֲנֵ֣ה מִדְיָ֔ן הָ֥יָה ל֖וֹ מִתַּ֥חַת בָּעֵֽמֶק׃ فَنَزَلَ بِالشَّعْبِ إِلَى الْمَاءِ. وَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: ((كُلُّ مَنْ يَلَغُ بِلِسَانِهِ مِنَ الْمَاءِ كَمَا يَلَغُ الْكَلْبُ فَأَوْقِفْهُ وَحْدَهُ. وَكَذَا كُلُّ مَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِلشُّرْبِ)). وَكَانَ عَدَدُ الَّذِينَ وَلَغُوا بِيَدِهِمْ إِلَى فَمِهِمْ ثَلاَثَ مِئَةِ رَجُلٍ. وَأَمَّا بَاقِي الشَّعْبِ جَمِيعاً فَجَثُوا عَلَى رُكَبِهِمْ لِشُرْبِ الْمَاءِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِجِدْعُونَ: ((بِالثَّلاَثِ مِئَةِ الرَّجُلِ الَّذِينَ وَلَغُوا أُخَلِّصُكُمْ وَأَدْفَعُ الْمِدْيَانِيِّينَ لِيَدِكَ. وَأَمَّا سَائِرُ الشَّعْبِ فَلْيَذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَكَانِهِ)). فَأَخَذَ الشَّعْبُ زَاداً بِيَدِهِمْ مَعَ أَبْوَاقِهِمْ. وَأَرْسَلَ سَائِرَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ، وَأَمْسَكَ الثَّلاَثَ مِئَةِ الرَّجُلِ. وَكَانَتْ مَحَلَّةُ الْمِدْيَانِيِّينَ تَحْتَهُ فِي الْوَادِي. ـ النص هنا إضافة من المترجم.

(4) سفر صموئيل الأول، 24:14 وما بعد: וְאִֽישׁ־יִשְׂרָאֵ֥ל נִגַּ֖שׂ בַּיּ֣וֹם הַה֑וּא וַיֹּ֣אֶל שָׁא֣וּל אֶת־

وهذا التشويش مع جدعون هو أيضاً سبب القول إنه فقط قلة قليلة من الرجال الأقوياء كانوا يتبعون شاؤول. لا يُعطى هنا اسم النبي، والعرب المتأخرون يجهلونه أيضاً.[1] ويسمى شاؤول طالوت،[2] وهو اسم أطلق عليه ربما بسبب طوله.[3] ويلاحظ محمد في القرآن أن شاؤول كان طويلًا إلى درجة عظيمة،[4] والبيضاوي[5] يقدّم هذا الاشتقاق لاسمه. فجالوت يدعى طالوت.

הָעָם לֵאמֹר אָרוּר הָאִישׁ אֲשֶׁר־יֹאכַל לֶחֶם עַד־הָעֶרֶב וְנִקַּמְתִּי מֵאֹיְבַי וְלֹא טָעַם כָּל־הָעָם לָחֶם׃ וְכָל־הָאָרֶץ בָּאוּ בַיָּעַר וַיְהִי דְבַשׁ עַל־פְּנֵי הַשָּׂדֶה׃ וַיָּבֹא הָעָם אֶל־הַיַּעַר וְהִנֵּה הֵלֶךְ דְּבָשׁ וְאֵין־מַשִּׂיג יָדוֹ אֶל־פִּיו כִּי־יָרֵא הָעָם אֶת־הַשְּׁבֻעָה׃
وَضَنُكَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لأَنَّ شَاوُلَ حَلَّفَ الشَّعْبَ قَائِلاً: ((مَلْعُونٌ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْكُلُ خُبْزاً إِلَى الْمَسَاءِ حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْ أَعْدَائِي)). فَلَمْ يَذُقْ جَمِيعُ الشَّعْبِ خُبْزاً. وَجَاءَ كُلُّ الشَّعْبِ إِلَى الْوَعْرِ وَكَانَ عَسَلٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ. وَلَمَّا دَخَلَ الشَّعْبُ الْوَعْرَ إِذَا بِالْعَسَلِ يَقْطُرُ وَلَمْ يَمُدَّ أَحَدٌ يَدَهُ إِلَى فَمِهِ، لأَنَّ الشَّعْبَ خَافَ مِنَ الْقَسَمِ. ـ النص هنا إضافة من المترجم.

(1) يقول البيضاوي: وهو يوشع أو شمعون (شمشون؟) أو أشمويل.

إضافة من المترجم: من تفسير الزمخشري للبقرة، نقرأ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلاَّ تُقاتِلُوا قالُوا وَما لَنا أَلاَّ نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)

لِنَبِيٍّ لَهُمُ هو يوشع أو شمعون أو اشمويل ابْعَثْ لَنا مَلِكاً أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره، طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها، ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره.

(2) ربما من طال.

(3) سفر صموئيل الأول، 2:9، 23: וְלוֹ־הָיָה בֵן וּשְׁמוֹ שָׁאוּל בָּחוּר וָטוֹב וְאֵין אִישׁ מִבְּנֵי יִשְׂרָאֵל טוֹב מִמֶּנּוּ מִשִּׁכְמוֹ וָמַעְלָה גָּבֹהַּ מִכָּל־הָעָם׃
וַיֹּאמֶר שְׁמוּאֵל לַטַּבָּח תְּנָה אֶת־הַמָּנָה אֲשֶׁר נָתַתִּי לָךְ אֲשֶׁר אָמַרְתִּי אֵלֶיךָ שִׂים אֹתָהּ עִמָּךְ׃ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ، شَابٌّ وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ. وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِلطَّبَّاخِ: ((هَاتِ النَّصِيبَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ إِيَّاهُ، الَّذِي قُلْتُ لَكَ عَنْهُ ضَعْهُ عِنْدَكَ)). ـ نص الآيتين إضافة من المترجم.

(4) القرآن، 248:2.

(5) {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ

تبدو شخصية داوود مستوعبة على نحو أكثر وضوحاً في القرآن، مع ذلك فنادراً ما يتم التطرّق إلى الأحداث الفعلية في حياته. ثمة ذكر لانتصار داوود على جالوت على نحو تصادفي في تاريخ شاؤول. ومرة أخرى، فقصة داوود وبثشبع إنما

وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} * {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ}. {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتاً من الطول تعسف يدفعه منع صرفه، روي أن نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله أن يملكهم أتى بعصاً يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت {قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا} من أين يكون له ذلك ويستأهل. {وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ} والحال أنا أحق بالملك منه وراثة ومكنة وإنه فقير لا مال له يعتضد به، وإنما قالوا ذلك لأن طالوت كان فقيراً رَاعياً أو سقاء أو دباغاً من أولاد بنيامين ولم تكن فيهم النبوة والملك، وإنما كانت النبوة في أولاد لاوى بن يعقوب والملك في أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق. {قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَٱللَّهُ وٰسِعٌ عَلِيمٌ} لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك. أولاً بأن العمدة فيه اصطفاه الله سبحانه وتعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم، وثانياً بأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب، لا ما ذكرتم. وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه، وثالثاً بأن الله تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء، ورابعاً أنه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره. {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ} لما طلبوا منه حجة على أنه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم. {إِنَّ ءايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} الصندوق فعلوت من التوب، وهو الرجوع فإنه لا يزال يرجع إلى ما يخرج منه، وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق، ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة، ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموهاً بالذهب نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين. {فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ} الضمير للإتيان أي في إتيانه سكون لكم وطمأنينة، أو للتابوت أي مودع فيه ما تسكنون إليه وهو التوراة. وكان موسى عليه الصلاة والسلام إذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون. وقيل صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر. وقيل صورة الأنبياء من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والإخلاص وإتيانه مصير قلبه مقراً للعلم والوقار بعد أن لم يكن ـ مترجم.

يُشار إليها عند بعد ليس إلا، وفي ذلك (إذا ما وضعنا جانباً المقطع[1] الذي يسميه «أواب» ربما بالإشارة إليها) نجد أمثولة لحالة قانونية يقدّمها النبي ناثان[2] وقد تمت روايتها،[3] وإلى ذلك يُضاف[4] أن داوود اعتبر أن هذا كان علامة؛ وبعد أن تاب، حسن مآبه عند اللّه. ووفقاً للقرآن فإن قضية النزاع لا تروى من قبل النبي، بل إن المتنازعين يأتيان أمام داوود. وفي مقطع آخر[5] يُشار إلى حكم داوود وسليمان الممتاز بمناسبة شجار غير معروف لرعاة يرعون قطعانهم في حقول غريبة في الليل. وفي مناسبة بارزة تطالعنا في مقاطع عديدة،[6] حيث يُقال إن داوود أجبر الجبال والطيور على الثناء على اللّه معه، كما يلاحظ فال بحق، وهو ما يدين بأصله إلى خطاب عنوان داوود الشعري لجميع المخلوقات، وهو الخطاب الذي تخيّل فيه أنه قد وهب إليها الحياة والعقل، ويدعوها إلى الانضمام إليه في تمجيد العلي. ووفقاً للقرآن[7] فالبشرية تدين لداوود باختراع الدرع[8]. وهذه الأسطورة ربما نشأت عن شهرة داوود الحربية، على الرغم من أن هنالك الكثير مما يقال في التوراة حول

---

(1) القرآن، 16:338.

(2) سفر صموئيل الثاني، 1:12 وما بعد. וַיִּשְׁלַ֧ח יְהוָ֛ה אֶת־נָתָ֖ן אֶל־דָּוִ֑ד וַיָּבֹ֣א אֵלָ֗יו וַיֹּ֤אמֶר לוֹ֙ שְׁנֵ֣י אֲנָשִׁ֔ים הָיוּ֙ בְּעִ֣יר אֶחָ֔ת אֶחָ֥ד עָשִׁ֖יר וְאֶחָ֥ד רָֽאשׁ׃ לְעָשִׁ֣יר הָיָ֔ה צֹ֥אן וּבָקָ֖ר הַרְבֵּ֥ה מְאֹֽד׃ فَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: ((كَانَ رَجُلاَنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَالآخَرُ فَقِيرٌ. وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدّاً. ـ ملاحظة: النص غير موجود عند غايغر.

(3) القرآن، 20:38 ـ 23.

(4) القرآن، 23:38 ـ 26.

(5) القرآن، 78:21.

(6) القرآن، 79:21؛ 10:34؛ 16:38 ـ 20.

(7) القرآن، 80:21.

(8) درع داود أو מָגֵן דָּוִד، معروف للغاية من خلال شكله المميز الذي هو النجمة السداسية. من أجل تفاصيل أغادية حول ماغين دافيد؛ راجع: מָגֵן דָּוִד في https://www.sefaria.org/searc 93%D6%B8%D6%9F%20%D7%92%D6%B5%D7%9E%D6%B8%D7%h?q=%D7 var=1&sort=r&93%95%D6%B4%D7%%BC%D7. مترجم

درع جالوت. وفي مقطع آخر[1] نجد ذكراً عامّاً لداوود. وفي أحد نصوص السنّة المحمدية[2] يُذكر أنّ داوود كان ينام بشكل قليل جدّاً. والفيرار[3] في سلسلة طويلة من التقاليد بدءاً من ابن عبّاس وانتهاء بعمرو، يقول: «قال رسول الله (صلعم): كان داوود ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»[4]. والحاخامات يتحدثون أيضاً عن هذا، حول قوة[5] الآية: «فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ»، ويؤكدون أن داوود اعتاد أن ينام خلال ستين نفساً فقط.[6] كذلك يعرف محمد أن داوود هو مؤلّف المزامير.[7] أما مسألة منتهكي حرمة السبت، والذين يعاقبون بتحويلهم إلى قردة، فمن المفترض أيضاً أنها تنتمي إلى زمن داوود، لكن الظرف يذكر[8] بمصطلحات عامة فحسب، حيث لا شيء محدد يُعطى حول الوقت أو التفاصيل، إلا في الآية 82، حيث يتم إعطاء التوقيت، لكنه ليس حقيقة. وبين اليهود ليس هناك أثر لهذه الأسطورة.

---

(1) القرآن، 15:27.

(2) السنة، 148.

(3) في تفسيره للقرآن، 16:338. ملاحظة من المترجم: من تفسير ابن كثير، نقرأ: قال قتادة: أعطي داود [عليه السلام] قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه ـ عليه السلام ـ كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر.
وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً» ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أوَّاباً؛ وهو الراجع إلى الله ـ عز وجل ـ في جميع أموره وشؤونه.

(4) روى البخاري (1131) ومسلم (1159) عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ: (أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا). مترجم.

(5) المزمور، 62:119.

(6) שתין נשמי (بيراخوت).

(7) زبور. القرآن، 161:4؛ 166:4.

(8) القرآن، 61:2؛ 50:4؛ 65:5؛ 166:7.

حياة سليمان هامّة بحد ذاتها، ووحدها الحكمة التي اشتهر بها في التوراة والتي جعلت منه بطلاً في الشرق كله، تجعل من الممكن للمرء أن يتوقع أن يجد عنه في القرآن أكثر بكثير مما هو موجود هناك. يتحدّث محمد عن حكمته،[1] ويقدّم بشكل خاص واقعة أن سليمان يفهم لغة الطيور. وهذا ما يؤكده الحاخامون، والذي يستند إلى نص توراتي يقول:[2] «وَتَكَلَّمَ عَنِ الأَشْجَارِ، مِنَ الأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ. وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ وَعَنِ الدَّبِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ». الريح[3] تنفّذ أيضاً إرادته؛ والجن موجودون ضمن أتباعه؛[4] وهذا ما يُقصّ علينا أيضاً، على سبيل المثال، في الترغوم الثاني على سفر استير[5]، على النحو التالي: «له كانت مطيعة الشياطين من أكثر الأنواع اختلافاً، والأرواح الشريرة كانت ملك يده». وهذه الأسطورة مأخوذة أساساً عن تفسير خاطئ لمقطع في سفر الجامعة.[6] يقص علينا محمد الحكاية التالية: «وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ، فَقَالَ: مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ[7] أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ؟ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَ: أَحَطتُ بِمَا

---

(1) القرآن، 15:27، 16.

(2) سفر الملوك الأول، 13:5. וַיְדַבֵּר֙ עַל־הָעֵצִ֔ים מִן־הָאֶ֙רֶז֙ אֲשֶׁ֣ר בַּלְּבָנ֔וֹן וְעַד֙ הָאֵז֔וֹב אֲשֶׁ֖ר יֹצֵ֣א בַּקִּ֑יר וַיְדַבֵּר֙ עַל־הַבְּהֵמָ֣ה וְעַל־הָע֔וֹף וְעַל־הָרֶ֖מֶשׂ וְעַל־הַדָּגִֽים (في النص العربي: 33:4 ـ ملاحظة من المترجم).

(3) ريح ربما تعني هنا أرواح الهواء، أي רוחות.

(4) القرآن، 81:21، 82؛ 11:34، 12؛ 35:38 ـ 39.

(5) حول استير، 2:1.
לה ישתמעון שדים ופגעין וחיין ורוחין בישין אתמסרו בידה.

(6) سفر الجامعة، 8:2: כָּנַ֤סְתִּי לִי֙ גַּם־כֶּ֣סֶף וְזָהָ֔ב וּסְגֻלַּ֥ת מְלָכִ֖ים וְהַמְּדִינ֑וֹת עָשִׂ֨יתִי לִ֜י שָׁרִ֣ים וְשָׁר֗וֹת וְתַֽעֲנוּגֹ֛ת בְּנֵ֥י הָֽאָדָ֖ם שִׁדָּ֥ה וְשִׁדּֽוֹת: جَمَعْتُ لِنَفسِي أَيْضاً فِضَّةً وَذَهَباً وَخُصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْبُلْدَانِ. اتَّخَذْتُ لِنَفْسِي مُغَنِّينَ وَمُغَنِّيَاتٍ وَتَنَعُّمَاتِ بَنِي الْبَشَرِ سَيِّدَةً وَسَيِّدَاتٍ. ـ ملاحظة من المترجم: الآية غير موجودة بالكامل في نص غايغر.

(7) التزمنا هنا بالنص القرآني. مترجم. القرآن، 27:20 ـ 46.

لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ. أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ. إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ. قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ. قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ. ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ. قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ. قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ. قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ. وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ. قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا». القصّة ذاتها موجودة في الترغوم[1] المشار إليه آنفاً، حيث يقال: «لذلك تم البحث عن طائر

(1) الترغوم الثاني على سفر استير.

الحجل فلم يتم العثور عليه بين الطيور، فأمر الملك وهو يستشيط غضباً أن يؤتى به، وكان يرغب بقتله. عندها أجاب طائر الحجل الملك قائلاً: سيدي وملكي، أصغ واستمع لكلامي، فعلى مدى ثلاثة أشهر أفكّر وأطير حول العالم برمته كي أجد بلدة لا تُطاع فيها. ثم رأيت بلدة في الشرق تُدعى قيطور، حيث يتواجد كثير من الناس، لكن تحكمهم امرأة؛ وهي تسمى ملكة سبأ. وإذا أحببت الآن، يا سيدي الملك، سوف أذهب إلى تلك البلدة وأربط الملكة بسلاسل ونبلائها بقيود حديدية وأحضرهم كلّهم إلى هنا. سرّ الملك، ودعي الكتبة لكتابة رسائل وربطها بأجنحة طائر الحجل. عندما جاء الطائر إلى الملكة رأت الرسالة مربوطة بجناحه، ففتحتها، وهذه كانت محتوياتها: منّي، أنا سليمان الملك، تحية لك ولأمرائك! أنت تعلمين جيداً أن الله عيّنني ملكاً على وحوش الحقل وطيور السماء وعلى الشياطين، أرواح وأشباح الليل، وأن ملوك جميع البلدان تحت السماء يأتون خاضعين إلي. وحين ستفعلين أنت هذا أيضاً، سوف ترين شرفاً عظيماً. وإن لم تفعلي، سأرسل ضدّك الملوك والجحافل والفرسان. الملوك هم وحوش الحقل؛ الفرسان، هم طيور الجو؛ والجيوش هم الشياطين والأرواح. في حين أن الجحافل هي الكوابيس، التي سوف تخنقك في أسرّتك. عندما قرأت الملكة هذا، مزّقت ملابسها الداخلية، وأرسلت بطلب الشيوخ والأمراء وقالت: هل تعرف ماذا أرسل لي الملك سليمان؟ قالوا: نحن لا نعرفه ولا نهتم به. لكن الملكة لم تكن تثق بهم، لكنها استدعت سفناً وأرسلت هدايا للملك، وبعد ثلاث سنوات ذهبت هي نفسها. عندما سمع الملك أنها جاءت، جلس في غرفة من الزجاج. ففكرت في أن الملك كان يجلس في الماء، ولم تشمّر كي تعبر فيه. وعندما رأت عظمته [الملك]، قالت:[1] له، «طوبى الرب إلهك، الذي سُرّر فيك، ليجلسك على العرش...

(1) سفر الملوك الأول، 9:10: וַתִּתֵּן לַמֶּלֶךְ מֵאָה וְעֶשְׂרִים׀ כִּכַּר זָהָב וּבְשָׂמִים הַרְבֵּה מְאֹד וְאֶבֶן יְקָרָה לֹא־בָא כַבֹּשֶׂם הַהוּא עוֹד לָרֹב אֲשֶׁר־נָתְנָה מַלְכַּת־שְׁבָא לַמֶּלֶךְ

لتحكم وتعدل». يجب أن نغفر لمحمد التعديلين الطفيفين اللذين يجريهما على القصّة، أي تحويله المسألة من مسألة حكم إلى مسألة دين، وأنه يبدأ الرسالة[1] بكلمات، «بسم اللّه الرحمن الرحيم». بنى سليمان الهيكل، وذلك بمساعدة من الأرواح، الذين استمروا في البناء حتى بعد موته، في حين ظلّ جالساً على عرشه حتى أكلته دودة.[2]

عندما صار سليمان متعجرفاً ذات مرّة أُبعد عن المملكة، وحكمت روح في مكانه حتى تاب.[3] والسنهدرين[4] تقدّم لنا الرواية الموجزة التالية: «في البداية حكم سليمان كلّ الأجلاء، كما هو مكتوب:[5] وجلس سليمان على كرسي الرب؛ لكن بعد ذلك فقط على عصاه، كما هو مكتوب:[6] مَا الْفَائِدَةُ لِلإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ؟ ومن بعد،[7] هَذَا كَانَ نَصِيبِي مِنْ كُلِّ تَعَبِي[8]. وعندما تاب، تخلّى

שְׁלֹמֹה: لِيَكُنْ مُبَارَكاً الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكاً، لِتُجْرِيَ حُكْماً وَبِرّاً)). ـ نص الآية غير موجود عند غايغر.

(1) القرآن، 30:27.

(2) القرآن، 13:34؛ قارن في هذه المسألة رسالة غطين التلمودية، 68.

(3) القرآن، 33:38 ـ 35.

(4) رسالة سنهدرين، 20: בתחלה מלך של מה על העליונים שנ וישב של מה על כסא ה׳ ולבסוף לא מלך אלא על מקלו שנ׳ מה־יתרון לאדם בכל־עמלו וכתיב זה חיה חלקו בכל־עמלו.

(5) سفر أخبار الأيام الأول، 23:29: וַיֵּשֶׁב שְׁלֹמֹה עַל־כִּסֵּא יְהוָה לְמֶלֶךְ תַּחַת־דָּוִיד אָבִיו וַיַּצְלַח וַיִּשְׁמְעוּ אֵלָיו כָּל־יִשְׂרָאֵל: وَجَلَسَ سُلَيْمَانُ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ مَلِكاً مَكَانَ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَنَجَحَ وَأَطَاعَهُ كُلُّ إِسْرَائِيلَ.

(6) سفر الجامعة، 3:1: מַה־יִּתְרוֹן לָאָדָם בְּכָל־עֲמָלוֹ שֶׁיַּעֲמֹל תַּחַת הַשָּׁמֶשׁ: مَا الْفَائِدَةُ لِلإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟

(7) سفر الجامعة، 10:2: וְכֹל אֲשֶׁר שָׁאֲלוּ עֵינַי לֹא אָצַלְתִּי מֵהֶם לֹא־מָנַעְתִּי אֶת־לִבִּי מִכָּל־שִׂמְחָה כִּי־לִבִּי שָׂמֵחַ מִכָּל־עֲמָלִי וְזֶה־הָיָה חֶלְקִי מִכָּל־עֲמָלִי: وَمَهْمَا اشْتَهَتْهُ عَيْنَايَ لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا. لَمْ أَمْنَعْ قَلْبِي مِنْ كُلِّ فَرَحٍ لأَنَّ قَلْبِي فَرِحَ بِكُلِّ تَعَبِي. وَهَذَا كَانَ نَصِيبِي مِنْ كُلِّ تَعَبِي.

(8) قارن أيضاً مدراش راباه على سفر العدد، الفقرة، 11؛ على نشيد الأنشاد، 4:3؛ وعلى راعوث 14:2.

عن تبذيره الكبير الذي لا طائل منه، وعقر جياده،[1] وهو ما يشير إليه المقطع التالي:[2] «من الحكمة أنه قُضي عدم إعطاء أسباب للوصايا؛ لكنها أعطيت في حالتين، وواحدة منهما أثم بها واحد من أعظم البشر. لأنه مكتوب:[3] وَلكِنْ لا يُكَثِّرْ لهُ الخَيْل وَلا يَرُدُّ الشَّعْبَ إلى مِصْرَ لِكَيْ يُكَثِّرَ الخَيْل وَالرَّبُّ قَدْ قَال لكُمْ: لا تَعُودُوا تَرْجِعُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضاً. ثم فكّر سليمان، سوف أحصل على العديد من الخيول ولا أرسلها إلى مصر؛ لكنه مكتوب:[4] وَكَانَتِ الْمَرْكَبَةُ تَصْعَدُ وَتَخْرُجُ مِنْ مِصْرَ بِسِتِّ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الْفِضَّةِ». قصة عن الأرواح يقال إنها حدثت في زمن سليمان،[5] ذُكرت للتو في سياق الكلام عن نوح. وقصة عن النمل، الذي فرّ أمام جيش سليمان، تُروى في القرآن[6] ويظل من الواجب ملاحظتها. ومن الواضح أنها تأسست على آية من سفر الأمثال، تقول،[7] «اذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا

(1) القرآن، 29:38 ـ 32.

(2) سنهدرين، 21: מפני מה־לו נתגלו מעמי תורה שחרי שני מקראות נתגלה מעמב ונכשל בח נדול העולם שני לו ירבה לו סוסים אמר שלמה ארבה ולא אשיב וכתיב ותעל מרכבה ממצרים בשש מאות.

(3) سفر التثنية، 16:17: רַק֮ לֹא־יַרְבֶּה־לּ֣וֹ סוּסִים֒ וְלֹֽא־יָשִׁ֤יב אֶת־הָעָם֙ מִצְרַ֔יְמָה לְמַ֖עַן הַרְבּ֣וֹת ס֑וּס וַֽיהוָה֙ אָמַ֣ר לָכֶ֔ם לֹ֣א תֹסִפ֗וּן לָשׁ֛וּב בַּדֶּ֥רֶךְ הַזֶּ֖ה ע֥וֹד׃ وَلكِنْ لا يُكَثِّرْ لهُ الخَيْل وَلا يَرُدُّ الشَّعْبَ إلى مِصْرَ لِكَيْ يُكَثِّرَ الخَيْل وَالرَّبُّ قَدْ قَال لكُمْ: لا تَعُودُوا تَرْجِعُونَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَيْضاً. ملاحظة من المترجم: النص غير موجود عند غايغر.

(4) سفر الملوك الأول، 29:10: וַֽתַּעֲלֶה֩ וַתֵּצֵ֨א מֶרְכָּבָ֤ה מִמִּצְרַ֙יִם֙ בְּשֵׁ֣שׁ מֵא֣וֹת כֶּ֔סֶף וְס֖וּס בַּחֲמִשִּׁ֣ים וּמֵאָ֑ה וְ֠כֵן לְכָל־מַלְכֵ֨י הַחִתִּ֜ים וּלְמַלְכֵ֥י אֲרָ֛ם בְּיָדָ֖ם יֹצִֽאוּ׃ وَكَانَتِ الْمَرْكَبَةُ تَصْعَدُ وَتَخْرُجُ مِنْ مِصْرَ بِسِتِّ مِئَةِ شَاقِلٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالْفَرَسُ بِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ. وَهَكَذَا لِجَمِيعِ مُلُوكِ الْحِثِّيِّينَ وَمُلُوكِ أَرَامَ كَانُوا يُخْرِجُونَ عَنْ يَدِهِمْ. ملاحظة من المترجم: النص غير موجود عند غايغر.

(5) القرآن، 96:2.

(6) القرآن، 18:27 ـ 19.

(7) سفر الأمثال، 6:6 وما بعد: לֵךְ־אֶל־נְמָלָה עָצֵל רְאֵה דְרָכֶיהָ וַחֲכָם׃ אֲשֶׁר אֵין־לָהּ קָצִין שֹׁטֵר וּמֹשֵׁל׃ תָּכִין בַּקַּיִץ לַחְמָהּ אָגְרָה בַקָּצִיר מַאֲכָלָהּ׃ עַד־מָתַי עָצֵל ׀ תִּשְׁכָּב מָתַי תָּקוּם מִשְּׁנָתֶךָ׃ اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيماً. الَّتِي لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ أَوْ عَرِيفٌ أَوْ مُتَسَلِّطٌ. وَتُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا وَتَجْمَعُ فِي الْحَصَادِ أَكْلَهَا. إِلَى مَتَى تَنَامُ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ؟ مَتَى تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِكَ؟ ملاحظة من المترجم: النص غير موجود عند غايغر.

الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيماً؛ وبناء على هذا الأساس نفسه لدينا حكاية خرافية جميلة في التلمود،[1] لكنني لم أستطع أن أجد أي أثر للقصة في القرآن.

لقد حصلت قصة الهدهد على موطئ قدم راسخ في الأسطورة العربية، وفي *فاكهة الخلفاء*[2] نجد ميثة جميلة حول هذا الطائر. وبالنسبة لمحمد لم تكن هناك شخصيات هامة للغاية بين موسى ويسوع؛ ومثل هذه الشخصيات إنما يلمح إليها فحسب. لهذا فنحن لا نتعجب حين نجد، أن سليمان حكيم الشرق،

---

(1) رسالة حولين التلمودية، 2:57.

(2) إضافة من المترجم: ابن عربشاه، *فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء*، حققه وعلّق عليه، أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة 2001؛ والنص يقول: «ذكروا إن الله مجري الخير علم بعض عبيده الصالحين منطق الطير فصاحب منها هدهداً وازداد ما بينهما تودداً ففي بعض الأيام مر بالهدهد ذلك الإمام وهو في مكان عال ملتفت إلى ناحية الشمال وهو مشغول بالتسبيح يسبح الله بلسانه الفصيح فناداه يا صاحب التاج والقباء والديباج لا تقعد في هذا المكان فإنه طريق كل فتان ومطروق كل صائد شيطان ومقعد أرباب البنادق ومرصد أصحاب الجلاهق فقال الهدهد أني عرفت ذلك وإنه مسلك المهالك قال فلأي شيء عزمت على القعود فيه مع علمك بما فيه من دواهيه قال أرى صبياً وأظنه غوياً نصب لي فخاً يروم لي فيه زخاً وقد وقفت على مكايده وماصب مصايده وعرفت مكيدته أين هي وإلى ماذا تنتهي وأنا أتفرج عليه وأتقدم بالضحك إليه وأتعجب من تضييع أوقاته وتعطيل ساعاته فيما لا يعود عليه منه نفع ولا يفيده في قفاه سوى الصفع وأسخر من حركاته وأنبه من يمر على خزعبلاته فتركه الرجل وذهب وقضى حاجاته وانقلب فرأى الهدهد في يد الصبي يلعب به لعب الخلى بالشجى ولسان حاله يلهج بمقاله:

كعــصــفــوره فـي يد طـفــل يهينـهـا   تقاسي حياض الموت والطـفـل يلـعـب
فلا الطفل ذو عقل في يد طفل لحالها   ولا الـطـير مـطـلـوق الـجـنـاح فـيهــرب

فناداه وقال: يا أبا عباد كيف وقع في شرك الصياد وقلت لي أنك وعيت ورأيت ما رأيت؟ فقال: أما سمعت أن الهدهد إذا نقر الأرض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضائه وقدره وناهيك في قضية القضاء والقدر قضية آدم أبي البشر مع موسى الكليم عليهما الصلاة والتسليم لما جرت عليه أحكام القضاء والقدر فتمت مشيئة الله تعالى السابقة في عمله وجرى ما لم تدركه عقول الفحول في ميدان إرادته من سوابق حكمه وحكمته وأنشد الهدهد:

يا ســائلــي عــمــا جــرى   والـعـين مـبـصــرة الــقــدر
أو مــا ســمــعــت بــأن إذا   جاء القضا عمى البصر

الذي تُسبغ عليه كل أشكال التزويق الأسطورية، إذا ما حكينا بشكل نسبي، لا يظهر في القرآن إلا بشكل ضئيل للغاية.

الجزء الرابع

القديسون ما بعد سليمان

يمكن لنا أن نذكر كثيراً من الرجال الهامين هنا، لكن محمداً لم يعرف إلا القليل منهم، وبالنسبة لأولئك الذين يذكرهم بالاسم فإنه بالنسبة للجزء الأعظم لا يقدّم شيئاً هامّاً، بل يذكرهم فقط مع أشخاص أتقياء آخرين. سوف يتم تناول بعضهم بتفصيل صغير أكثر، وسنذكرهم هنا أولاً، ومن ثم سيوضع الآخرون مع بعضهم بإيجاز. يُقص علينا باختصار بشأن إيليا[1] نزاعه مع الشعب حول عبادة البعل. وفي أساطير الإسلام كما في أساطير اليهودية المتأخرة إيليا يلعب دوراً هاماً جداً. إنه ذلك الشخص السرّاني المعروف باسم الخضر. نتيجة لذلك فهو فنحاص ذاته، الذي يدعى خطأ بابن أخي هارون بدلاً من حفيده، ومثل إيليا

---

(1) إلياس. القرآن، 85:6؛ 123:37. في موضع واحد يدعى إلياسين (القرآن، 30:37). ونجد عند بين الآراء الأخرى ما يلي: فقد قيل إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل وإسماعين وميكائيل وميكائين. هذه الأمثلة هي حتماً غير ملائمة، لأن التبديل فيها هو من ل إلى ن، في حين تحدث هنا إضافة لمقطع كامل هو ين. وهذا ما يبدو أن العرب، على الرغم من سنين المشابهة المذكورة آنفاً، ينفرون من تفسيره كتبديل متعمد حصل بسبب الإيقاع.

ملاحظة من المترجم: في تفسير البغوي نقرأ: وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين) قرأ نافع وابن عامر: «آل ياسين» بفتح الهمزة مشبعة، وكسر اللام مقطوعة، لأنها في المصحف مفصولة، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة. فمن قرأ «آل يس» مقطوعة، قيل: أراد آل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر. وقيل: أراد آل إلياس. والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس، مثل: إسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين. وقال الفراء: هو جمع أراد إلياس وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبد الله بن مسعود: سلام على إدراسين يعني: إدريس وأتباعه؛ لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين.

النبي[1] في التقاليد المتأخرة، فهو الوسيط بين السماء والأرض. إنه هو الذي يظهر للأتقياء بأشكال هي الأكثر تنوعاً، الذي يزور المدارس، وينقل إلى المعلمين المشهورين ذلك الذي يقوله الله عن هذا أو ذلك الرأي الذي يعبّرون عنه. المسلمون يعرفونه أيضاً بهذه الصفة، ويعترفون به كعبد لله الذي طرح نفسه كرفيق سفر لموسى،[2] وفي هذه الأفعال لديهم النموذج الأولي لرسالته باعتباره الذي يظهر بطريقة عجائبية، والذي يتواصل مع البشر بزي بشري، ويقوم بأعمال عصيّة على الفهم والتي لا تحظى بأهميتها الحقيقية إلا من خلال المعرفة التي هي مخفية عن الإنسان.

يونان مذكور في عدة مقاطع من القرآن.[3] رسالته إلى نينوى، ابتلاعه من النون، وإنقاذه من ذلك، وقصة نبات القرع الذي ظلّله، كلّ ذلك يقدّم على نحو وجيز للغاية.[4] نجد ذكراً لمعاناة أيوب[5] وشفائه في مقطعين، وفي المقطع الثاني يضيف محمد أن أيوب استحصل لنفسه على مغتسل بارد وشراب عبر دفع الأرض برجله. ولا نعرف مقطعاً يشبهه في الكتابات الحاخامية.

نصل الآن إلى مقطع[6] يُفسّر إلى اليوم بشكل خاطئ والذي يقول: «قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ». يقول المفسّرون إن هذا المقطع إنما يشير إلى معاقبة الملك الحِميَري اليهودي الذي

---

(1) אליהו הנביא.

(2) القرآن، 59:18 ـ 82.

(3) يونس. القرآن، 86:6؛ 98:10؛ 139:37؛ 87:21؛ ذو النون؛ 48:68، صاحب الحوت.

(4) القرآن، 98:10؛ 87:11 ـ 88؛ 139:37 ـ 149؛ 48:68 ـ 51.

(5) القرآن، 83:21 ـ 84؛ 40:38 ـ 45.

(6) القرآن، 4:85 وما بعد.

اضطهد المسيحيين[1]، لكن التسمية «المؤمنين» التي تُطلق على المسيحيين ليس لها مواز في أي موضع غير هذا في القرآن، ولا تذكر أية تفاصيل حول هذا الحدث، ولا يقدّم كتّاب سير الشهداء غير هذا الشكل الأوحد للاضطهاد (حرق). وحين نقارن هذا المقطع مع قصّة الرجال الثلاثة[2] نجد أن كلّ شيء يتلاءم مع

(1) لا يوجد المصطلح مسيحيين في القرآن، بل نصارى. قد يبدو منطقياً أن يسمي اليهود حتى اليوم المسيحيين باسم تلك الفئة التي انقرضت، النصارى נצרים (نصريم). [المسيحيون يسمون بالآرامية، כרסטינא (خرسطينا: من خرستوس ـ مسيح باليونانية)]، مقابل משיחיים (مشيحييم) العبرية، من مسيح. فالمسيح المنتظر يهودياً لم يأت بعد؛ وحين يسمي اليهود المسيحيين باسم المسيحيين، فهذا يعتبر اعترافاً ضمنياً بأن يسوع هو المسيح. لكن محمد يقرّ بأن يسوع [عيسى) هو المسيح. فلماذا إذن يصرّ على تسمية أتباع المسيح بالتسمية اليهودية، النمصارى؟ مترجم.

(2) نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ صَنَعَ تِمْثَالًا مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً وَعَرْضُهُ سِتُّ أَذْرُعٍ وَنَصَبَهُ فِي بُقْعَةِ دُورَا فِي وِلاَيَةِ بَابِلَ. ثُمَّ أَرْسَلَ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ لِيَجْمَعَ الْمَرَازِبَةَ وَالشِّحَنَ وَالْوُلاَةَ وَالْقُضَاةَ وَالْخَزَنَةَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْمُفْتِينَ وَكُلَّ حُكَّامِ الْوِلاَيَاتِ لِيَأْتُوا لِتَدْشِينِ التِّمْثَالِ الَّذِي نَصَبَهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ. حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ الْمَرَازِبَةُ وَالشِّحَنُ وَالْوُلاَةُ وَالْقُضَاةُ وَالْخَزَنَةُ وَالْفُقَهَاءُ وَالْمُفْتُونَ وَكُلُّ حُكَّامِ الْوِلاَيَاتِ لِتَدْشِينِ التِّمْثَالِ الَّذِي نَصَبَهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ وَوَقَفُوا أَمَامَ التِّمْثَالِ الَّذِي نَصَبَهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ. وَنَادَى مُنَادٍ بِشِدَّةٍ: ((قَدْ أُمِرْتُمْ أَيُّهَا الشُّعُوبُ وَالأُمَمُ وَالأَلْسِنَةُ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ صَوْتَ الْقَرْنِ وَالنَّايِ وَالْعُودِ وَالرَّبَابِ وَالسِّنْطِيرِ وَالْمِزْمَارِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَزْفِ أَنْ تَخِرُّوا وَتَسْجُدُوا لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبَهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ. وَمَنْ لاَ يَخِرُّ وَيَسْجُدُ فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ يُلْقَى فِي وَسَطِ أَتُونِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ)). لأَجْلِ ذَلِكَ وَقْتَمَا سَمِعَ كُلُّ الشُّعُوبِ صَوْتَ الْقَرْنِ وَالنَّايِ وَالْعُودِ وَالرَّبَابِ وَالسِّنْطِيرِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَزْفِ خَرَّ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ وَسَجَدُوا لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبَهُ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ. لأَجْلِ ذَلِكَ تَقَدَّمَ حِينَئِذٍ رِجَالٌ كِلْدَانِيُّونَ وَاشْتَكُوا عَلَى الْيَهُودِ. وَقَالُوا لِلْمَلِكِ نَبُوخَذْنَصَّرَ: ((أَيُّهَا الْمَلِكُ عِشْ إِلَى الأَبَدِ! أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ قَدْ أَصْدَرْتَ أَمْراً بِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَسْمَعُ صَوْتَ الْقَرْنِ وَالنَّايِ وَالْعُودِ وَالرَّبَابِ وَالسِّنْطِيرِ وَالْمِزْمَارِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَزْفِ يَخِرُّ وَيَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ. وَمَنْ لاَ يَخِرُّ وَيَسْجُدُ فَإِنَّهُ يُلْقَى فِي وَسَطِ أَتُونِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ. يُوجَدُ رِجَالٌ يَهُودٌ الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِ وِلاَيَةِ بَابِلَ: شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو. هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ لَمْ يَجْعَلُوا لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ اعْتِبَاراً. آلِهَتُكَ لاَ يَعْبُدُونَ وَلِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَ لاَ يَسْجُدُونَ)). حِينَئِذٍ أَمَرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ بِغَضَبٍ وَغَيْظٍ بِإِحْضَارِ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ. فَأَتُوا بِهَؤُلاَءِ الرِّجَالِ قُدَّامَ الْمَلِكِ. فَسَأَلَهُمْ نَبُوخَذْنَصَّرُ: ((تَعَمُّداً يَا شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو لاَ تَعْبُدُونَ آلِهَتِي وَلاَ تَسْجُدُونَ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتُ؟ فَإِنْ كُنْتُمُ الآنَ مُسْتَعِدِّينَ عِنْدَمَا تَسْمَعُونَ صَوْتَ الْقَرْنِ وَالنَّايِ وَالْعُودِ وَالرَّبَابِ وَالسِّنْطِيرِ وَالْمِزْمَارِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْعَزْفِ إِلَى أَنْ تَخِرُّوا وَتَسْجُدُوا لِلتِّمْثَالِ الَّذِي عَمِلْتُهُ. وَإِنْ لَمْ تَسْجُدُوا فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تُلْقَوْنَ فِي وَسَطِ أَتُونِ

بعضه على نحو تام. فالمؤمنون الثلاثة لم ينحنوا أمام وثن، فتم رميهم في فرن ملتهب؛ لكن أولئك الذين رموهم ماتوا بالنار وخلص المؤمنون. ومن الواضح أن محمداً يشير هنا إلى قصّة دانيال التي أوردناها في الهامش.[1]

النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. وَمَنْ هُوَ الإِلَهُ الَّذِي يُنْقِذُكُمْ مِنْ يَدَيَّ؟)) فَأَجَابَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو: ((يَا نَبُوخَذْنَصَّرُ لاَ يَلْزَمُنَا أَنْ نُجِيبَكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ. هُوَذَا يُوجَدُ إِلَهُنَا الَّذِي نَعْبُدُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنْ يَدِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. وَإِلاَّ فَلْيَكُنْ مَعْلُوماً لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّنَا لاَ نَعْبُدُ آلِهَتَكَ وَلاَ نَسْجُدُ لِتِمْثَالِ الذَّهَبِ الَّذِي نَصَبْتَهُ)). حِينَئِذٍ امْتَلأَ نَبُوخَذْنَصَّرُ غَيْظاً وَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهِ عَلَى شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُو وَأَمَرَ بِأَنْ يَحْمُوا الأَتُونَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ مُعْتَاداً أَنْ يُحْمَى. وَأَمَرَ جَبَابِرَةَ الْقُوَّةِ فِي جَيْشِهِ بِأَنْ يُوثِقُوا شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ وَيُلْقُوهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. ثُمَّ أُوثِقَ هَؤُلاَءِ الرِّجَالُ فِي سَرَاوِيلِهِمْ وَأَقْمِصَتِهِمْ وَأَرْدِيَتِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأُلْقُوا فِي وَسَطِ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ كَلِمَةَ الْمَلِكِ شَدِيدَةٌ وَالأَتُونَ قَدْ حَمِيَ جِدّاً قَتَلَ لَهِيبُ النَّارِ الرِّجَالَ الَّذِينَ رَفَعُوا شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ. وهَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ الرِّجَالِ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو سَقَطُوا مُوثَقِينَ فِي وَسَطِ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ. حِينَئِذٍ تَحَيَّرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ وَقَامَ مُسْرِعاً وَسَأَلَ مُشِيرِيهِ: ((أَلَمْ نُلْقِ ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مُوثَقِينَ فِي وَسَطِ النَّارِ؟)) فَأَجَابُوا: ((صَحِيحٌ أَيُّهَا الْمَلِكُ)). فَقَالَ: ((هَا أَنَا نَاظِرٌ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَتَمَشُّونَ فِي وَسَطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌ وَمَنْظَرُ الرَّابِعِ شَبِيهٌ بِـابْنِ الآلِهَةِ)). ثُمَّ اقْتَرَبَ نَبُوخَذْنَصَّرُ إِلَى بَابِ أَتُونِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ وَنَادَى: ((يَا شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو يَا عَبِيدَ اللَّهِ الْعَلِيِّ اخْرُجُوا وَتَعَالُوا)). فَخَرَجَ شَدْرَخُ وَمِيشَخُ وَعَبْدَنَغُو مِنْ وَسَطِ النَّارِ. فَاجْتَمَعَتِ الْمَرَازِبَةُ وَالشِّحَنُ وَالْوُلاَةُ وَمُشِيرُو الْمَلِكِ وَرَأَوْا هَؤُلاَءِ الرِّجَالَ الَّذِينَ لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ وَسَرَاوِيلُهُمْ لَمْ تَتَغَيَّرْ وَرَائِحَةُ النَّارِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ نَبُوخَذْنَصَّرُ: ((تَبَارَكَ إِلَهُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُو الَّذِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَأَنْقَذَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ اتَّكَلُوا عَلَيْهِ وَغَيَّرُوا كَلِمَةَ الْمَلِكِ وَأَسْلَمُوا أَجْسَادَهُمْ لِكَيْ لاَ يَعْبُدُوا أَوْ يَسْجُدُوا لإِلَهٍ غَيْرِ إِلَهِهِمْ. فَمِنِّي قَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّ كُلَّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَتَكَلَّمُونَ بِـالسُّوءِ عَلَى إِلَهِ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُو فَإِنَّهُمْ يُصَيَّرُونَ إِرْباً إِرْباً وَتُجْعَلُ بُيُوتُهُمْ مَزْبَلَةً إِذْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ هَكَذَا)). حِينَئِذٍ قَدَّمَ الْمَلِكُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ فِي وِلاَيَةِ بَابِلَ. ـ مترجم.

(1) سفر دانيال، 8:3 وما بعد؛ النص العبري: כָּל־קֳבֵל דְּנָה֙ בֵּהּ־זִמְנָ֔א קְרִ֖בוּ גֻּבְרִ֣ין כַּשְׂדָּאִ֑ין וַאֲכַ֥לוּ קַרְצֵיה֖וֹן דִּ֥י יְהוּדָיֵֽא׃ עֲנוֹ֙ וְאָ֣מְרִ֔ין לִנְבוּכַדְנֶצַּ֖ר מַלְכָּ֑א מַלְכָּ֖א לְעָלְמִ֥ין חֱיִֽי׃ אַ֣נְתָּה מַלְכָּא֮ שָׂ֣מְתָּ טְּעֵם֒ דִּ֣י כָל־אֱנָ֡שׁ דִּֽי־יִשְׁמַ֡ע קָ֣ל קַרְנָא֩ מַשְׁרֹוקִיתָ֨א קִיתָר֜ס קַתְרֹ֨וס שַׂבְּכָ֤א פְסַנְתֵּרִין֙ וְסִיפֹּ֣נְיָ֔ה וְכֹ֖ל זְנֵ֣י זְמָרָ֑א יִפֵּ֥ל וְיִסְגֻּ֖ד לְצֶ֥לֶם דַּהֲבָֽא׃ וּמַן־דִּי־לָ֥א יִפֵּ֖ל וְיִסְגֻּ֑ד יִתְרְמֵ֕א לְגֹוא־אַתּ֥וּן נוּרָ֖א יָקִֽדְתָּא׃ אִיתַ֞י גֻּבְרִ֣ין יְהוּדָאיִ֗ן דִּֽי־מַנִּ֤יתָ יָתְהוֹן֙ עַל־עֲבִידַת֙ מְדִינַ֣ת בָּבֶ֔ל שַׁדְרַ֥ךְ מֵישַׁ֖ךְ וַעֲבֵ֣ד נְג֑וֹ גֻּבְרַיָּ֣א אִלֵּ֗ךְ לָא־שָׂ֨מוּ עֲלָ֤יךְ מַלְכָּא֙ טְעֵ֔ם לֵֽאלָהָיךְ֙ לָ֣א פָלְחִ֔ין

וּלְצֶלֶם דַּהֲבָא דִּי הֲקֵימְתָּ לָא סָגְדִין׃ בֵּאדַיִן נְבוּכַדְנֶצַּר בִּרְגַז וַחֲמָה אֲמַר לְהַיְתָיָה
לְשַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ בֵּאדַיִן גֻּבְרַיָּא אִלֵּךְ הֵיתָיוּ קֳדָם מַלְכָּא׃ עָנֵה נְבֻכַדְנֶצַּר
וְאָמַר לְהוֹן הַצְדָּא שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ לֵאלָהַי לָא אִיתֵיכוֹן פָּלְחִין וּלְצֶלֶם
דַּהֲבָא דִּי הֲקֵימֶת לָא סָגְדִין׃ כְּעַן הֵן אִיתֵיכוֹן עֲתִידִין דִּי בְעִדָּנָא דִּי־תִשְׁמְעוּן
קָל קַרְנָא מַשְׁרוֹקִיתָא קִיתָרֹס קַתְרוֹסy שַׂבְּכָא פְּסַנְתֵּרִין וְסוּמְפֹּנְיָה וְכֹל׀ זְנֵי
זְמָרָא תִּפְּלוּן וְתִסְגְּדוּן לְצַלְמָא דִי־עַבְדֵת וְהֵן לָא תִסְגְּדוּן בַּהּ־שַׁעֲתָה תִתְרְמוֹן
לְגוֹא־אַתּוּן נוּרָא יָקִדְתָּא וּמַן־הוּא אֱלָהּ דִּי1 יְשֵׁיזְבִנְכוֹן מִן־יְדָי׃ עֲנוֹ שַׁדְרַךְ
מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ וְאָמְרִין לְמַלְכָּא נְבוּכַדְנֶצַּר לָא־חַשְׁחִין אֲנַחְנָה עַל־דְּנָה פִּתְגָם
לַהֲתָבוּתָךְ׃ הֵן אִיתַי אֱלָהַנָא דִּי־אֲנַחְנָא פָלְחִין יָכִל לְשֵׁיזָבוּתַנָא מִן־אַתּוּן נוּרָא
יָקִדְתָּא וּמִן־יְדָךְ מַלְכָּא יְשֵׁיזִב׃ וְהֵן לָא יְדִיעַ לֶהֱוֵא־לָךְ מַלְכָּא דִּי לֵאלָהָיךְq לָא־
אִיתַנָא פָלְחִין וּלְצֶלֶם דַּהֲבָא דִּי הֲקֵימְתָּ לָא נִסְגֻּד׃ בֵּאדַיִן נְבוּכַדְנֶצַּר
הִתְמְלִי חֱמָא וּצְלֵם אַנְפּוֹהִי אֶשְׁתַּנּוּ אֶשְׁתַּנִּי עַל־שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ עָנֵה
וְאָמַר לְמֵזֵא לְאַתּוּנָא חַד־שִׁבְעָה עַל דִּי חֲזֵה לְמֵזְיֵהּ׃ וּלְגֻבְרִין גִּבָּרֵי־חַיִל דִּי
בְחַיְלֵהּ אֲמַר לְכַפָּתָה לְשַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ לְמִרְמֵא לְאַתּוּן נוּרָא יָקִדְתָּא׃
בֵּאדַיִן גֻּבְרַיָּא3 אִלֵּךְ כְּפִתוּ בְּסַרְבָּלֵיהוֹן פַּטִּישֵׁיהוֹן פַּטְשֵׁיהוֹןy וְכַרְבְּלָתְהוֹן
וּלְבֻשֵׁיהוֹן וּרְמִיו לְגוֹא־אַתּוּן נוּרָא יָקִדְתָּא׃ כָּל־קֳבֵל דְּנָה מִן־דִּי מִלַּת מַלְכָּא
מַחְצְפָה וְאַתּוּנָא אֵזֵה יַתִּירָא גֻּבְרַיָּא אִלֵּךְ דִּי הַסִּקוּ לְשַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ קַטִּל
הִמּוֹן שְׁבִיבָא דִּי נוּרָא׃ וְגֻבְרַיָּא אִלֵּךְ תְּלָתֵּהוֹן שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ נְפַלוּ לְגוֹא־
אַתּוּן־נוּרָא יָקִדְתָּא מְכַפְּתִין׃ אֱדַיִן נְבוּכַדְנֶצַּר מַלְכָּא תְּוַהּ וְקָם בְּהִתְבְּהָלָה עָנֵה
וְאָמַר לְהַדָּבְרוֹהִי הֲלָא גֻבְרִין תְּלָתָא רְמֵינָא לְגוֹא־נוּרָא מְכַפְּתִין עָנַיִן וְאָמְרִין
לְמַלְכָּא יַצִּיבָא מַלְכָּא׃ עָנֵה וְאָמַר הָא־אֲנָה חָזֵה גֻּבְרִין אַרְבְּעָה שְׁרַיִן מַהְלְכִין
בְּגוֹא־נוּרָא וַחֲבָל לָא־אִיתַי בְּהוֹן וְרֵוֵהּ דִּי רְבִיעָיָא רְבִיעָאָה דָּמֵה לְבַר־אֱלָהִין׃
בֵּאדַיִן קְרֵב נְבוּכַדְנֶצַּר לִתְרַע אַתּוּן נוּרָא יָקִדְתָּא עָנֵה וְאָמַר שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ
וַעֲבֵד־נְגוֹ עַבְדוֹהִי דִּי־אֱלָהָא עִלָּיָא עִלָּאָה פֻּקוּ וֶאֱתוֹ בֵּאדַיִן נָפְקִין שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ
וַעֲבֵד נְגוֹ מִן־גּוֹא נוּרָא׃ וּמִתְכַּנְּשִׁין אֲחַשְׁדַּרְפְּנַיָּא סִגְנַיָּא וּפַחֲוָתָא וְהַדָּבְרֵי
מַלְכָּא חָזַיִן לְגֻבְרַיָּא אִלֵּךְ דִּי לָא־שְׁלֵט נוּרָא בְּגֶשְׁמְהוֹן וּשְׂעַר רֵאשְׁהוֹן לָא
הִתְחָרַךְ וְסָרְבָּלֵיהוֹן לָא שְׁנוֹ וְרֵיחַ נוּר לָא עֲדָת בְּהוֹן׃ עָנֵה נְבוּכַדְנֶצַּר וְאָמַר
בְּרִיךְ אֱלָהֲהוֹן דִּי־שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ דִּי־שְׁלַח מַלְאֲכֵהּ וְשֵׁיזִב לְעַבְדוֹהִי
דִּי הִתְרְחִצוּ עֲלוֹהִי וּמִלַּת מַלְכָּא שַׁנִּיו וִיהַבוּ גֶשְׁמֵיהוֹן גֶּשְׁמְהוֹןy דִּי לָא־יִפְלְחוּן
וְלָא־יִסְגְּדוּן לְכָל־אֱלָהּ לָהֵן לֵאלָהֲהוֹן׃ וּמִנִּי שִׂים טְעֵם דִּי כָל־עַם אֻמָּה וְלִשָּׁן
דִּי־יֵאמַר שָׁלָה שָׁלוּ עַל אֱלָהֲהוֹן דִּי־שַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹא הַדָּמִין יִתְעֲבֵד
וּבַיְתֵהּ נְוָלִי יִשְׁתַּוֵּה כָּל־קֳבֵל דִּי לָא אִיתַי אֱלָה אָחֳרָן דִּי־יִכֻּל לְהַצָּלָה כִּדְנָה׃

من الممكن أن هنالك تلميحاً إلى قصة إحياء العظام الرميم[1] في مقطع من القرآن،[2] الذي يخبرنا أن العديد من الذين تركوا مساكنهم خوفاً من الموت

בֵּאדַיִן מַלְכָּא הַצְלַח לְשַׁדְרַךְ מֵישַׁךְ וַעֲבֵד נְגוֹ בִּמְדִינַת בָּבֶל: נְבוּכַדְנֶצַּר מַלְכָּא לְכָל־עַמְמַיָּא אֻמַיָּא וְלִשָּׁנַיָּא דִּי־ דָאֲרִין דָּיְרִין בְּכָל־אַרְעָא שְׁלָמְכוֹן יִשְׂגֵּא: אָתַיָּא וְתִמְהַיָּא דִּי עֲבַד עִמִּי אֱלָהָא עִלָּיָא עִלָּאָה שְׁפַר קָדָמַי לְהַחֲוָיָה: אָתוֹהִי כְּמָה רַבְרְבִין וְתִמְהוֹהִי כְּמָה תַקִּיפִין מַלְכוּתֵהּ מַלְכוּת עָלַם וְשָׁלְטָנֵהּ עִם־דָּר וְדָר. ـ إضافة من المترجم.

(1) كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسَطِ الْبُقْعَةِ، وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَاماً. وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِداً عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِداً. فَقَالَ لِي: ((يَا ابْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟)) فَقُلْتُ: ((يَا سَيِّدُ الرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ)). فَقَالَ لِي: ((تَنَبَّأْ عَلَى هَذِهِ الْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَئَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَباً وَأَكْسِيكُمْ لَحْماً وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْداً وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحاً فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ)). فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أُمِرْتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ وَإِذَا رَعْشٌ فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِـالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي: ((تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هَؤُلاَءِ الْقَتْلَى لِيَحْيُوا)). فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِداً جِداً. ـ مترجم.

(2) إشارة إلى أن هذا المقطع إنما يتحدّث عن هذا الظرف تطالعنا عند المفسرّ العربي، مقاتل (يستشهد به إلفيرار)، حيث يؤكّد أن هؤلاء كانوا في الواقع ثلاثة من «أهل الحفرة الملتهبة» (أصحاب الأخدود)، وهي واحدة من الحفر التي كانت في فارس، وفي ظل حكم بخت نصر؛ لكنه يضيف، ولم ينزل الله فيهما قرآناً، أي أن الله لم ينزل شيئاً بشأن هذا أو بشأن حدث آخر جرى في سوريا، لكنه أنزل وحياً فقط بشأن ذي النواس. لكن هذه الإشارة تكفي لتقوية رأينا.

إضافة من المترجم: من تفسير الثعلبي لسورة البروج: قال مقاتل: كانت الأخاديد ثلاثة: واحد بنجران باليمن، والثاني بالشام، والثالث بفارس، حرّقوا بالنار أمّا الذي بالشام فهو انطيّا خوس بن ميسر الرومي، أمّا الذي بفارس فهو بخت نصر، وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس، فأما الذي بفارس والشام فلم ينزل الله سبحانه فيهما قرآناً وأنزل في الذي كان بنجران، وذلك أن رجلين مسلمين ممّن يقرؤون الإنجيل أحدهما بأرض تهامة والآخر بنجران اليمن فأجّر أحدهما نفسه في عمل يعمله وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضيء في قراءة الإنجيل فذكرت ذلك لأبيها فرمقه حتى رآه، فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتبعه هو وسبعة وثمانون إنساناً بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء، فسمع ذلك يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع بن اليسوح الحميري فخدّلهم في الأرض فأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى منهم أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف في النار، وإن امرأة جاءت ومعها ولد لها صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها

فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها: يا أماه إني أرى أمامك ناراً لا تطفأ فلما سمعت ابنها يقول ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون إنساناً.
قال ابن عباس: من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط، فأدخلت أرواحهم في الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار، وذكر محمد بن إسحاق بن يسار، عن وهب بن منبّه: إنّ رجلاً كان بقي على دين عيسى فوقع إلى نجران فدعاهم فأجابوه فسار إليه ذو نواس اليهودي بجنود من حمير خيّرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخدّ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفاً، وقال الكلبي:
كان أصحاب الأخدود سبعين ألفاً، قال وهب: لما علت أرباط على اليمن خرج ذو نواس هارباً فاقتحم البحر بفرسه فغرق وفيه يقول عمرو بن معدي كرب:
اتوعدني كأنك ذو رعين *** بأنعم عيشه أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم *** وملك ثابت في الناس راسِ
قديم عهده من عهد عاد *** عظيم قاهر الجبروت قاسِ
أزال الدّهر ملكهم فأضحى *** ينقّل في أناس من أناسِ
وقال الضحاك: أصحاب الأخدود من بني إسرائيل أُخِذوا رجالاً ونساءً فخدّ لهم أخدوداً ثم أوقد فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها، فقال تكفرون أو نقذفكم في النار، ويزعمون أنه دانيال وأصحابه، وهذه رواية العوفي عن ابن عباس.
وقال الضحاك: أحرق بخت نصر قوماً من المسلمين.
والأخدود: الحفرة والشق المستطيل في الأرض كالنهر وجمعه أخاديد وهو أفعول من الخد يقال خددتُ في الأرض خدّاً أي شققت وحفرت.
{النار ذَاتِ الوقود} قراءة العامة بفتح الواو وهو الخطب، وقرأ أبو رجاء العطاردي بضم الواو على المصدر وقراءة العامة النار ذات بالكسر فهما على نعت الأخدود، وقرأ أشهب العقيلي بالرفع فيهما على معنى أحرقتهم {النار ذَاتِ الوقود}.
قال الربيع بن أنس: كان أصحاب الاخدود قوماً مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وأن جبّاراً من عبدة الأوثان أرسل إليهم فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا فخدّ أخدوداً وأوقد فيه ناراً ثم خيّرهم بين الدخول في دينه وبين إلقائهم في النار فاختاروا إلقاءهم في النار على الرجوع عن دينهم فألقوا في النار، فنجّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم.
{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ على مَا يَفْعَلُونَ بالمؤمنين شُهُودٌ}: حضور، وقال مقاتل: يعني يشهدون إنّ المؤمنين حين تركوا عبادة الصنم {وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ}: أي وما علموا فيهم عيباً ولا وجدوا لهم جرماً ولا رأوا منهم سوءاً.
{إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ}: يعني إلاّ لأن ومن أجل أن آمنوا {بالله العزيز الحميد * الذي لَهُ مُلْكُ السماوات والأرض والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.
{إِنَّ الذين فَتَنُواْ}: عَذّبوا وأحرقوا {المؤمنين والمؤمنات} نظيره قوله سبحانه وتعالى: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ} [الذاريات: 13]، {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابُ الحريق}

قتلهم اللّه، لكنهم بعد ذلك أعيدوا إلى الحياة.[1] ويعالج التلمود السرد الوارد في حزقيال بمزيد من التفاصيل.[2]

يمكن العثور على إشارة توراتية أخرى في الكلمات التالية:[3]: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلا». وأعتقد أن هذا ربما يشير إلى العلامة التي أعطيت لحزقيا.[4]

في الدنيا وذلك إنّ اللّه سبحانه أحرقهم بتلك النار التي أحرقوا بها المؤمنين، هذا قول ربيع وأصحابه، وقال الآخرون: هما واحد.

(1) سفر حزقيال، 37.

(2) سنهدرين، 92.

(3) القرآن، 244:2.

(4) سفر الملوك الثاني، 9:20 ـ 12: וַיֹּאמֶר יְשַׁעְיָהוּ זֶה־לְּךָ הָאוֹת מֵאֵת יְהוָה כִּי יַעֲשֶׂה יְהוָה אֶת־הַדָּבָר אֲשֶׁר דִּבֵּר הָלַךְ הַצֵּל עֶשֶׂר מַעֲלוֹת אִם־יָשׁוּב עֶשֶׂר מַעֲלוֹת׃ וַיֹּאמֶר יְחִזְקִיָּהוּ נָקֵל לַצֵּל לִנְטוֹת עֶשֶׂר מַעֲלוֹת לֹא כִי יָשׁוּב הַצֵּל אֲחֹרַנִּית עֶשֶׂר מַעֲלוֹת׃ וַיִּקְרָא יְשַׁעְיָהוּ הַנָּבִיא אֶל־יְהוָה וַיָּשֶׁב אֶת־הַצֵּל בַּמַּעֲלוֹת אֲשֶׁר יָרְדָה בְּמַעֲלוֹת אָחָז אֲחֹרַנִּית עֶשֶׂר מַעֲלוֹת׃ בָּעֵת הַהִיא שָׁלַח בְּרֹאדַךְ בַּלְאֲדָן בֶּן־בַּלְאֲדָן מֶלֶךְ־בָּבֶל סְפָרִים וּמִנְחָה אֶל־חִזְקִיָּהוּ כִּי שָׁמַע כִּי חָלָה חִזְקִיָּהוּ׃ وَقَالَ حَزَقِيَّا لإِشَعْيَاءَ: ((مَا الْعَلاَمَةُ أَنَّ الرَّبَّ يَشْفِينِي فَأَصْعَدَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ؟)) فَقَالَ إِشَعْيَاءُ: ((هَذِهِ لَكَ عَلاَمَةٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ يَفْعَلُ الأَمْرَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ: هَلْ يَسِيرُ الظِّلُّ عَشَرَ دَرَجَاتٍ أَوْ يَرْجِعُ عَشَرَ دَرَجَاتٍ؟)). فَقَالَ حَزَقِيَّا: ((إِنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى الظِّلِّ أَنْ يَمْتَدَّ عَشَرَ دَرَجَاتٍ. لاَ! بَلْ يَرْجِعُ الظِّلُّ إِلَى الْوَرَاءِ عَشَرَ دَرَجَاتٍ!)) فَدَعَا إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ الرَّبَّ، فَأَرْجَعَ الظِّلَّ بِالدَّرَجَاتِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا بِدَرَجَاتِ آحَازَ عَشَرَ دَرَجَاتٍ إِلَى الْوَرَاءِ. ترقيم الآيات في نص فانديك العربي هو 8:20 ـ 12. مترجم

يعرف المفسّرون العرب شيئاً عن هذا وإن بشكل مغمغم، فإسماعيل بن علي يقدّم لنا باسم ابن طالب أن هذه الحادثة وقعت في زمن القاضي (؟) حزقيال، الذي استلم منصبه بعد برسياس ابن كالب.(Maracc. Prodr. 4:83)..

إضافة من المترجم من تفسير الطبري للآية:

ثني عَبْد الصَّمَد أَنَّهُ سَمِعَ وَهْب بْن مُنَبِّه يَقُول: أَصَابَ نَاسًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل بَلَاء وَشِدَّة مِنْ الزَّمَان، فَشَكَوْا مَا أَصَابَهُمْ، وَقَالُوا: يَا لَيْتَنَا قَدْ مِتْنَا فَاسْتَرَحْنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ! فَأَوْحَى اللَّه إِلَى حزقيل: إِنَّ قَوْمك صَاحُوا مِنْ الْبَلَاء، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ وَدُّوا لَوْ مَاتُوا فَاسْتَرَاحُوا، وَأَيّ رَاحَة لَهُمْ فِي الْمَوْت! أَيَظُنُّونَ أَنِّي لَا أَقْدِر أَنْ أَبْعَثهُمْ بَعْد الْمَوْت؟ فَانْطَلِقْ إِلَى جَبَّانَة كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ فِيهَا أَرْبَعَة آلَاف ـ قَالَ وَهْب: وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت} ـ

فَقُمْ فِيهِمْ فَنَادِهِمْ! وَكَانَتْ عِظَامهمْ قَدْ تَفَرَّقَتْ، فَرَّقَتْهَا الطَّيْر وَالسِّبَاع. فَنَادَاهُمْ حزقيل، فَقَالَ: يَا أَيَّتهَا الْعِظَام إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَجْتَمِعِي! فَاجْتَمَعَ عِظَام كُلّ إِنْسَان مِنْهُمْ مَعًا. ثُمَّ نَادَى ثَانِيَة حزقيل، فَقَالَ: أَيَّتهَا الْعِظَام، إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَكْتَسِي اللَّحْم! فَاكْتَسَتْ اللَّحْم، وَبَعْد اللَّحْم جِلْدًا، فَكَانَتْ أَجْسَادًا. ثُمَّ نَادَى حزقيل الثَّالِثَة فَقَالَ: أَيَّتهَا الْأَرْوَاح إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَعُودِي إِلَى أَجْسَادك، فَقَامُوا بِإِذْنِ اللَّه، وَكَبَّرُوا تَكْبِيرَة وَاحِدَة. * حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد، قَالَ: ثني أَبِي، قَالَ: ثني عَمِّي، قَالَ: ثني أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْن عَبَّاس قَوْله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} يَقُول: عَدَد كَثِير خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الْجِهَاد فِي سَبِيل اللَّه، فَأَمَاتَهُمْ اللَّه، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا عَدُوّهُمْ ; فَذَلِكَ قَوْله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه سَمِيع عَلِيم} 4364 ـ حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: ثنا حَكَّام، عَنْ عَنْبَسَة، عَنْ أَشْعَث بْن أَسْلَم الْبَصْرِيّ، قَالَ: بَيْنَمَا عُمَر يُصَلِّي وَيَهُودِيَّانِ خَلْفه ـ وَكَانَ عُمَر إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَع خَوَّى ـ فَقَالَ أَحَدهمْ لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ فَلَمَّا انْفَتَلَ عُمَر قَالَ: رَأَيْت قَوْل أَحَدكُمَا لِصَاحِبِهِ أَهُوَ هُوَ! فَقَالَا: إِنَّا نَجِد فِي كِتَابنَا قَرْنًا مِنْ حَدِيد يُعْطَى مَا يُعْطَى حزقيل الَّذِي أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه. فَقَالَ عُمَر: مَا نَجِد فِي كِتَاب اللَّه حزقيل، وَلَا أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه إِلَّا عِيسَى. فَقَالَا: أَمَا تَجِد فِي كِتَاب {وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْك} 4 164 فَقَالَ عُمَر: بَلَى. قَالَا: وَأَمَّا إِحْيَاء الْمَوْتَى فَسَنُحَدِّثُك أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيل وَقَعَ عَلَيْهِمْ الْوَبَاء، فَخَرَجَ مِنْهُمْ قَوْم، حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى رَأْس مِيل أَمَاتَهُمْ اللَّه، فَبَنَوْا عَلَيْهِمْ حَائِطًا، حَتَّى إِذَا بَلِيَتْ عِظَامهمْ بَعَثَ اللَّه حزقيل، فَقَامَ عَلَيْهِمْ وَمَا شَاءَ اللَّه، فَبَعَثَهُمْ اللَّه لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّه فِي ذَلِكَ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} الْآيَة. * حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: ثنا حَكَّام، عَنْ عَنْبَسَة، عَنْ الْحَجَّاج بْن أَرْطَاة، قَالَ: كَانُوا أَرْبَعَة آلَاف. 4366 ـ حَدَّثَنِي مُوسَى بْن هَارُونَ، قَالَ: ثنا عَمْرو، قَالَ: ثنا أَسْبَاط، عَنْ السُّدِّيّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} إِلَى قَوْله: {ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} قَالَ: كَانَتْ قَرْيَة يُقَال لَهَا دَاوَرْدَان قَبْل وَاسِط، وَقَعَ بِهَا الطَّاعُون، فَهَرَبَ عَامَّة أَهْلهَا، فَنَزَلُوا نَاحِيَة مِنْهَا، فَهَلَكَ مَنْ بَقِيَ فِي الْقَرْيَة وَسَلِمَ الْآخَرُونَ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ كَبِير. فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُون رَجَعُوا سَالِمِينَ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا: أَصْحَابنَا هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحْزَم مِنَّا، لَوْ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا بَقِينَا، وَلَئِنْ وَقَعَ الطَّاعُون ثَانِيَة لَنَخْرُجَنَّ مَعَهُمْ! فَوَقَعَ فِي قَابِل فَهَرَبُوا، وَهُمْ بِضْعَة وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَان، وَهُوَ وَادٍ أَفْيَح، فَنَادَاهُمْ مَلَك مِنْ أَسْفَل الْوَادِي، وَآخَر مِنْ أَعْلَاهُ: أَنْ مُوتُوا! فَمَاتُوا، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا وَبَلِيَتْ أَجْسَادهمْ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيّ يُقَال لَهُ حزقيل ; فَلَمَّا رَآهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّر فِيهِمْ، وَيَلْوِي شِدْقَيْهِ وَأَصَابِعه، فَأَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ: يَا حزقيل، أَتُرِيدُ أَنْ أُرِيك فِيهِمْ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ؟ ـ قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ تَفَكُّره أَنَّهُ تَعَجَّبَ مِنْ قُدْرَة اللَّه عَلَيْهِمْ ـ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: نَادِ فَنَادَى: يَا أَيَّتهَا الْعِظَام إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَجْتَمِعِي! فَجَعَلَتْ تَطِير الْعِظَام بَعْضهَا إِلَى بَعْض حَتَّى كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَام. ثُمَّ أَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ أَنْ نَادِ يَا أَيَّتهَا الْعِظَام، إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا! فَاكْتَسَتْ لَحْمًا وَدَمًا وَثِيَابهَا الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا وَهِيَ عَلَيْهَا. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: نَادِ! فَنَادَى يَا أَيَّتهَا الْأَجْسَاد إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَقُومِي، فَقَامُوا. 4367 ـ حَدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: ثنا عَمْرو، قَالَ: ثنا أَسْبَاط، فَزَعَمَ مَنْصُور بْن الْمُعْتَمِر، عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُمْ قَالُوا حِين أُحْيُوا: سُبْحَانك رَبّنَا وَبِحَمْدِك، لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ! فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمهمْ أَحْيَاء،

يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى، سَحْنَة الْمَوْت عَلَى وُجُوههمْ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلَّا عَادَ كَفَنًا دَسْمًا مِثْل الْكَفَن حَتَّى مَاتُوا لِآجَالِهِمْ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ. 4368 ـ حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَد، قَالَ: ثنا عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْسَجَة، عَنْ عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} قَالَ: كَانُوا ثَلَاثَة آلَاف أَوْ أَكْثَر. 4369 ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاج، عَنْ ابْن جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْن عَبَّاس: كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا أَوْ ثَمَانِيَة آلَاف حَظَّرَ عَلَيْهِمْ حَظَائِر، وَقَدْ أَرْوَحَتْ أَجْسَادهمْ وَأَنْتَنُوا، فَإِنَّهَا لَتُوجَد الْيَوْم فِي ذَلِكَ السِّبْط مِنْ الْيَهُود تِلْكَ الرِّيح، وَهُمْ أُلُوف فِرَارًا مِنْ الْجِهَاد فِي سَبِيل اللَّه، فَأَمَاتَهُمْ اللَّه، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِهَادِ، فَذَلِكَ قَوْله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه} الْآيَة. 4370 ـ حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَة، قَالَ: ثنا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه: أَنَّ كَالِب بْن يوقنا لَمَّا قَبَضَهُ اللَّه بَعْد يُوشَع، خَلَّفَ فِيهِمْ ـ يَعْنِي فِي بَنِي إِسْرَائِيل ـ حزقيل بْن بوزي، وَهُوَ ابْن الْعَجُوز. وَإِنَّمَا سُمِّيَ ابْن الْعَجُوز، أَنَّهَا سَأَلَتْ اللَّه الْوَلَد وَقَدْ كَبِرَتْ وَعَقِمَتْ، فَوَهَبَهُ اللَّه لَهَا، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ ابْن الْعَجُوز. وَهُوَ الَّذِي دَعَا لِلْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّه فِي الْكِتَاب لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا بَلَّغَنَا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت فَقَالَ لَهُمْ اللَّه مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْل عَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَشْكُرُونَ} 4371 ـ حَدَّثَنِي ابْن حُمَيْد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَة، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثهمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ بَعْض الْأَوْبَاء مِنْ الطَّاعُون ـ أَوْ مِنْ سَقَم كَانَ يُصِيب النَّاس ـ حَذَرًا مِنْ الْمَوْت، وَهُمْ أُلُوف. حَتَّى إِذَا نَزَلُوا بِصَعِيدٍ مِنْ الْبِلَاد، قَالَ لَهُمْ اللَّه: مُوتُوا! فَمَاتُوا جَمِيعًا، فَعَمَدَ أَهْل تِلْكَ الْبِلَاد فَحَظَرُوا عَلَيْهِمْ حَظِيرَة دُون السِّبَاع، ثُمَّ تَرَكُوهُمْ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَثُرُوا عَنْ أَنْ يَغِيبُوا. فَمَرَّتْ بِهِمْ الْأَزْمَان وَالدُّهُور، حَتَّى صَارُوا عِظَامًا نَخِرَة. فَمَرَّ بِهِمْ حزقيل بْن بوزي، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَتَعَجَّبَ لِأَمْرِهِمْ، وَدَخَلَهُ رَحْمَة لَهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ يُحْيِيهِمْ اللَّه؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: نَادِهِمْ! فَقَالَ: أَيَّتهَا الْعِظَام الرَّمِيم الَّتِي قَدْ رَمَّتْ وَبَلِيَتْ، لِيَرْجِع كُلّ عَظْم إِلَى صَاحِبه! فَنَادَاهُمْ بِذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَى الْعِظَام تَوَاثَبَ يَأْخُذ بَعْضهَا بَعْضًا. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: قُلْ أَيَّتهَا اللَّحْم وَالْعَصَب وَالْجِلْد اُكْسُ الْعِظَام بِإِذْنِ رَبّك! قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَالْعَصَب يَأْخُذ الْعِظَام ثُمَّ اللَّحْم وَالْجِلْد وَالْأَشْعَار، حَتَّى اسْتَوَوْا خَلْقًا لَيْسَتْ فِيهِمْ الْأَرْوَاح، ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِالْحَيَاةِ، فَتَغَشَّاهُمْ مِنْ السَّمَاء كُدْيَة حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ. ثُمَّ أَفَاقَ وَالْقَوْم جُلُوس يَقُولُونَ: سُبْحَان اللَّه، سُبْحَان اللَّه! قَدْ أَحْيَاهُمْ اللَّه. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى قَوْله {وَهُمْ أُلُوف} وَهُمْ مُؤْتَلِفُونَ. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 4372 ـ حَدَّثَنِي يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، قَالَ ابْن زَيْد فِي قَوْل اللَّه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت فَقَالَ لَهُمْ اللَّه مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} قَالَ: قَرْيَة كَانَتْ نَزَلَ بِهَا الطَّاعُون، فَخَرَجَتْ طَائِفَة مِنْهُمْ وَأَقَامَتْ طَائِفَة. فَأَلَحَّ الطَّاعُون بِالطَّائِفَةِ الَّتِي أَقَامَتْ، وَالَّتِي خَرَجَتْ لَمْ يُصِبْهَا شَيْء. ثُمَّ ارْتَفَعَ، ثُمَّ نَزَلَ الْعَام الْقَابِل، فَخَرَجَتْ طَائِفَة أَكْثَر مِنْ الَّتِي خَرَجَتْ أَوَّلًا. فَاسْتَحَرَّ الطَّاعُون بِالطَّائِفَةِ الَّتِي أَقَامَتْ. فَلَمَّا كَانَ الْعَام الثَّالِث نَزَلَ، فَخَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَتَرَكُوا دِيَارهمْ، فَقَالَ اللَّه تَعَالَى ذِكْره: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} لَيْسَتْ الْفُرْقَة أَخْرَجَتْهُمْ كَمَا يَخْرُج لِلْحَرْبِ وَالْقِتَال. قُلُوبهمْ مُؤْتَلِفَة، إِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا، فَلَمَّا كَانُوا حَيْثُ ذَهَبُوا يَبْتَغُونَ الْحَيَاة، قَالَ لَهُمْ اللَّه:

مُوتُوا! فِي الْمَكَان الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ يَبْتَغُونَ فِيهِ الْحَيَاة، فَمَاتُوا. ثُمَّ أَحْيَاهُمْ اللَّه ; {إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْل عَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَشْكُرُونَ} قَالَ: وَمَرَّ بِهَا رَجُل وَهِيَ عِظَام تَلُوح، فَوَقَفَ يَنْظُر، فَقَالَ: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّه بَعْد مَوْتهَا فَأَمَاتَهُ اللَّه مِائَة عَام} ذِكْر الْأَخْبَار عَمَّنْ قَالَ: كَانَ خُرُوج هَؤُلَاءِ الْقَوْم مِنْ دِيَارهمْ فِرَارًا مِنَ الطَّاعُون: 4373 ـ حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ الْأَشْعَث، عَنْ الْحَسَن فِي قَوْله: 34 {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت} قَالَ. خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الطَّاعُون، فَأَمَاتَهُمْ قَبْل آجَالهمْ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِلَى آجَالهمْ. * حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْد الرَّزَّاق، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَر، عَنْ الْحَسَن فِي قَوْله: خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} يَقُول: عَدَد كَثِير خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الْجِهَاد فِي سَبِيل اللَّه، فَأَمَاتَهُمْ اللَّه، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا عَدُوّهُمْ ; فَذَلِكَ قَوْله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه سَمِيع عَلِيم} 4364 ـ حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: ثنا حَكَّام، عَنْ عَنْبَسَة، عَنْ أَشْعَث بْن أَسْلَم الْبَصْرِيّ، قَالَ: بَيْنَمَا عُمَر يُصَلِّي وَيَهُودِيَّانِ خَلْفه ـ وَكَانَ عُمَر إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَع خَوَّى ـ فَقَالَ أَحَدهمْ لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ فَلَمَّا انْفَتَلَ عُمَر قَالَ: رَأَيْت قَوْل أَحَدكُمَا لِصَاحِبِهِ أَهُوَ هُوَ! فَقَالَا: إِنَّا نَجِد فِي كِتَابنَا قَرْنًا مِنْ حَدِيد يُعْطَى مَا يُعْطَى حزقيل الَّذِي أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه. فَقَالَ عُمَر: مَا نَجِد فِي كِتَاب اللَّه حزقيل، وَلَا أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه إِلَّا عِيسَى. فَقَالَا: أَمَا تَجِد فِي كِتَاب {وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْك} 4 164 فَقَالَ عُمَر: بَلَى. قَالَا: وَأَمَّا إِحْيَاء الْمَوْتَى فَسَنُحَدِّثُك أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيل وَقَعَ عَلَيْهِمْ الْوَبَاء، فَخَرَجَ مِنْهُمْ قَوْم، حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى رَأْس مِيل أَمَاتَهُمْ اللَّه، فَبَنَوْا عَلَيْهِمْ حَائِطًا، حَتَّى إِذَا بَلِيَتْ عِظَامهمْ بَعَثَ اللَّه حزقيل، فَقَامَ عَلَيْهِمْ وَمَا شَاءَ اللَّه، فَبَعَثَهُمْ اللَّه لَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّه فِي ذَلِكَ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} الْآيَة. * حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: ثنا حَكَّام، عَنْ عَنْبَسَة، عَنْ الْحَجَّاج بْن أَرْطَاة، قَالَ: كَانُوا أَرْبَعَة آلَاف. 4366 ـ حَدَّثَنِي مُوسَى بْن هَارُونَ، قَالَ: ثنا عَمْرو، قَالَ: ثنا أَسْبَاط، عَنْ السُّدِّيّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} إِلَى قَوْله: {ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} قَالَ: كَانَتْ قَرْيَة يُقَال لَهَا دَاوَرْدَان قَبْل وَاسِط، وَقَعَ بِهَا الطَّاعُون، فَهَرَبَ عَامَّة أَهْلهَا، فَنَزَلُوا نَاحِيَة مِنْهَا، فَهَلَكَ مَنْ بَقِيَ فِي الْقَرْيَة وَسَلِّمَ الْآخَرُونَ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ كَبِير. فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُون رَجَعُوا سَالِمِينَ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا: أَصْحَابنَا هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحْزَم مِنَّا، لَوْ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا بَقِينَا، وَلَئِنْ وَقَعَ الطَّاعُون ثَانِيَة لَنَخْرُجَنَّ مَعَهُمْ! فَوَقَعَ فِي قَابِل فَهَرَبُوا، وَهُمْ بِضْعَة وَثَلَاثُونَ أَلْفًا، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَان، وَهُوَ وَادٍ أَفْيَح، فَنَادَاهُمْ مَلَك مِنْ أَسْفَل الْوَادِي، وَآخَر مِنْ أَعْلَاهُ: أَنْ مُوتُوا! فَمَاتُوا، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا وَبَلِيَتْ أَجْسَادهمْ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيّ يُقَال لَهُ حزقيل ; فَلَمَّا رَآهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّر فِيهِمْ، وَيَلْوِي شِدْقَيْهِ وَأَصَابِعه، فَأَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ: يَا حزقيل، أَتُرِيدُ أَنْ أُرِيك فِيهِمْ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ؟ ـ قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ تَفَكُّره أَنَّهُ تَعَجَّبَ مِنْ قُدْرَة اللَّه عَلَيْهِمْ ـ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: نَادِ فَنَادَى: يَا أَيَّتهَا الْعِظَام إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَجْتَمِعِي! فَجَعَلَتْ تَطِير الْعِظَام بَعْضهَا إِلَى بَعْض حَتَّى كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَام. ثُمَّ أَوْحَى اللَّه إِلَيْهِ أَنْ نَادِ يَا أَيَّتهَا الْعِظَام، إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا! فَاكْتَسَتْ لَحْمًا وَدَمًا وَثِيَابهَا الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا وَهِيَ عَلَيْهَا. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: نَادِ! فَنَادَى يَا أَيَّتهَا الْأَجْسَاد إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَقُومِي، فَقَامُوا. 4367 ـ حَدَّثَنِي مُوسَى، قَالَ: ثنا عَمْرو، قَالَ: ثنا أَسْبَاط، فَزَعَمَ مَنْصُور بْن الْمُعْتَمِر، عَنْ

مُجَاهِد أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ أُحْيُوا: سُبْحَانك رَبَّنَا وَبِحَمْدِك، لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ! فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمهمْ أَحْيَاء، يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى، سَحْنَة الْمَوْت عَلَى وُجُوههمْ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلَّا عَادَ كَفَنًا دَسْمًا مِثْل الْكَفَن حَتَّى مَاتُوا لِآجَالِهِمْ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ. 4368 ـ حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن إِسْحَاق، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَد، قَالَ: ثنا عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْسَجَة، عَنْ عَطَاء الْخُرَاسَانِيّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} قَالَ: كَانُوا ثَلَاثَة آلَاف أَوْ أَكْثَر. 4369 ـ حَدَّثَنَا الْقَاسِم، قَالَ: ثنا الْحُسَيْن، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاج، عَنْ ابْن جُرَيْج، قَالَ: قَالَ ابْن عَبَّاس: كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا أَوْ ثَمَانِيَة آلَاف حَظَّرَ عَلَيْهِمْ حَظَائِر، وَقَدْ أَرْوَحَتْ أَجْسَادهمْ وَأَنْتَنُوا، فَإِنَّهَا لَتُوجَد الْيَوْم فِي ذَلِكَ السِّبْط مِنْ الْيَهُود تِلْكَ الرِّيح، وَهُمْ أُلُوف فِرَارًا مِنْ الْجِهَاد فِي سَبِيل اللَّه، فَأَمَاتَهُمْ اللَّه، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ، فَأَمَرَهُمْ بِالْجِهَادِ، فَذَلِكَ قَوْله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه} الْآيَة. 4370 ـ حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَة، قَالَ: ثنا مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه: أَنَّ كَالِب بْن يوقنا لَمَّا قَبَضَهُ اللَّه بَعْد يُوشَع، خَلَفَ فِيهِمْ ـ يَعْنِي فِي بَنِي إِسْرَائِيل ـ حزقيل بْن بوزي، وَهُوَ ابْن الْعَجُوز. وَإِنَّمَا سُمِّيَ ابْن الْعَجُوز، أَنَّهَا سَأَلَتْ اللَّه الْوَلَد وَقَدْ كَبِرَتْ وَعَقِمَتْ، فَوَهَبَهُ اللَّه لَهَا، فَلِذَلِكَ قِيلَ لَهُ ابْن الْعَجُوز. وَهُوَ الَّذِي دَعَا لِلْقَوْمِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّه فِي الْكِتَاب لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا بَلَغَنَا: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت فَقَالَ لَهُمْ اللَّه مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْل عَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَشْكُرُونَ} 4371 ـ حَدَّثَنِي ابْن حُمَيْد، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَة، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثهمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ بَعْض الْأَوْبَاء مِنْ الطَّاعُون ـ أَوْ مِنْ سَقَم كَانَ يُصِيب النَّاس ـ حَذَرًا مِنْ الْمَوْت، وَهُمْ أُلُوف. حَتَّى إِذَا نَزَلُوا بِصَعِيدٍ مِنْ الْبِلَاد، قَالَ لَهُمْ اللَّه: مُوتُوا! فَمَاتُوا جَمِيعًا، فَعَمَدَ أَهْل تِلْكَ الْبِلَاد فَحَظَرُوا عَلَيْهِمْ حَظِيرَة دُون السِّبَاع، ثُمَّ تَرَكُوهُمْ فِيهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَثُرُوا عَنْ أَنْ يُغَيِّبُوا. فَمَرَّتْ بِهِمْ الْأَزْمَان وَالدُّهُور، حَتَّى صَارُوا عِظَامًا نَخِرَة. فَمَرَّ بِهِمْ حزقيل بْن بوزي، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَتَعَجَّبَ لِأَمْرِهِمْ، وَدَخَلَهُ رَحْمَة لَهُمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ يُحْيِيهِمْ اللَّه؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَقِيلَ لَهُ: نَادِهِمْ! فَقَالَ: أَيَّتهَا الْعِظَام الرَّمِيم الَّتِي قَدْ رَمَّتْ وَبَلِيَتْ، لِيَرْجِع كُلّ عَظْم إِلَى صَاحِبه! فَنَادَاهُمْ بِذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَى الْعِظَام تَوَاثَبَ يَأْخُذ بَعْضهَا بَعْضًا. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: قُلْ أَيَّتهَا اللَّحْم وَالْعَصَب وَالْجِلْد اُكْسُ الْعِظَام بِإِذْنِ رَبّك! قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَالْعَصَب يَأْخُذ الْعِظَام ثُمَّ اللَّحْم وَالْجِلْد وَالْأَشْعَار، حَتَّى اسْتَوَوْا خَلْقًا لَيْسَتْ فِيهِمْ الْأَرْوَاح، ثُمَّ دَعَا لَهُمْ بِالْحَيَاةِ، فَتَغَشَّاهُمْ مِنْ السَّمَاء كُدْيَة حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ. ثُمَّ أَفَاقَ وَالْقَوْم جُلُوس يَقُولُونَ: سُبْحَان اللَّه، سُبْحَان اللَّه! قَدْ أَحْيَاهُمْ اللَّه. وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى قَوْله {وَهُمْ أُلُوف} وَهُمْ مُؤْتَلِفُونَ. ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ: 4372 ـ حَدَّثَنِي يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْن وَهْب، قَالَ ابْن زَيْد فِي قَوْل اللَّه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت فَقَالَ لَهُمْ اللَّه مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} قَالَ: قَرْيَة كَانَتْ نَزَلَ بِهَا الطَّاعُون، فَخَرَجَتْ طَائِفَة مِنْهُمْ وَأَقَامَتْ طَائِفَة. فَأَلَحَّ الطَّاعُون بِالطَّائِفَةِ الَّتِي أَقَامَتْ، وَالَّتِي خَرَجَتْ لَمْ يُصِبْهَا شَيْء. ثُمَّ ارْتَفَعَ، ثُمَّ نَزَلَ الْعَام الْقَابِل، فَخَرَجَتْ طَائِفَة أَكْثَر مِنْ الَّتِي خَرَجَتْ أَوَّلًا. فَاسْتَحَرَّ الطَّاعُون بِالطَّائِفَةِ الَّتِي أَقَامَتْ. فَلَمَّا كَانَ الْعَام الثَّالِث نَزَلَ، فَخَرَجُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَتَرَكُوا دِيَارهمْ، فَقَالَ اللَّه تَعَالَى ذِكْره: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف} لَيْسَتْ الْفُرْقَة أَخْرَجَتْهُمْ كَمَا يَخْرُج لِلْحَرْبِ

نجد المزيد في القرآن بشأن عزرا[1]، إن لم يكن بشأن تاريخه، فمع ذلك

وَالْقِتَال. قُلُوبهمْ مُؤْتَلِفَة، إِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا، فَلَمَّا كَانُوا حَيْثُ ذَهَبُوا يَبْتَغُونَ الْحَيَاة، قَالَ لَهُمْ اللَّه: مُوتُوا! فِي الْمَكَان الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ يَبْتَغُونَ فِيهِ الْحَيَاة، فَمَاتُوا. ثُمَّ أَحْيَاهُمْ اللَّه ; {إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْل عَلَى النَّاس وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاس لَا يَشْكُرُونَ} قَالَ: وَمَرَّ بِهَا رَجُل وَهِيَ عِظَام تَلُوح، فَوَقَفَ يَنْظُر، فَقَالَ: {أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّه بَعْد مَوْتهَا فَأَمَاتَهُ اللَّه مِائَة عَام} ذِكْر الْأَخْبَار عَمَّنْ قَالَ: كَانَ خُرُوج هَؤُلَاءِ الْقَوْم مِنْ دِيَارهمْ فِرَارًا مِنْ الطَّاعُون: 4373 ـ حَدَّثَنَا عَمْرو بْن عَلِيّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْن أَبِي عَدِيّ، عَنْ الْأَشْعَث، عَنْ الْحَسَن فِي قَوْله: 34 {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت} قَالَ. خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الطَّاعُون، فَأَمَاتَهُمْ قَبْل آجَالهمْ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِلَى آجَالهمْ.

ومن تفسير ابن كثير للآية، نقرأ: ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْم كَانُوا أَهْل بَلْدَة فِي زَمَان بَنِي إِسْرَائِيل اِسْتَوْخَمُوا أَرْضهمْ وَأَصَابَهُمْ بِهَا وَبَاء شَدِيد فَخَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الْمَوْت هَارِبِينَ إِلَى الْبَرِّيَّة فَنَزَلُوا وَادِيًا أَفْيَح فَمَلَئُوا مَا بَيْن عُدْوَتَيْهِ فَأَرْسَلَ اللَّه إِلَيْهِمْ مَلَكَيْنِ أَحَدهمَا مِنْ أَسْفَل الْوَادِي وَالْآخَر مِنْ أَعْلَاهُ فَصَاحَا بِهِمْ صَيْحَة وَاحِدَة فَمَاتُوا عَنْ آخِرهمْ مَوْتَة رَجُل وَاحِد فَحِيزُوا إِلَى حَظَائِر وَبُنِيَ عَلَيْهِمْ جُدْرَان وَفَنُوا وَتَمَزَّقُوا وَتَفَرَّقُوا فَلَمَّا كَانَ بَعْد دَهْر مَرَّ بِهِمْ نَبِيّ مِنْ أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل يُقَال لَهُ حِزْقِيل فَسَأَلَ اللَّه أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُول: أَيَّتُهَا الْعِظَام الْبَالِيَة إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَجْتَمِعِي فَاجْتَمَعَ عِظَام كُلّ جَسَد بَعْضهَا إِلَى بَعْض ثُمَّ أَمَرَهُ فَنَادَى أَيَّتهَا الْعِظَام إِنَّ اللَّه يَأْمُرك بِأَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا وَعَصَبًا وَجِلْدًا فَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ يُشَاهِدهُ ثُمَّ أَمَرَهُ فَنَادَى أَيَّتهَا الْأَرْوَاح إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَرْجِع كُلّ رُوح إِلَى الْجَسَد الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرهُ فَقَامُوا أَحْيَاء يَنْظُرُونَ قَدْ أَحْيَاهُمْ اللَّه بَعْد رَقْدَتهمْ الطَّوِيلَة وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانك لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ وَكَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ عِبْرَة وَدَلِيل قَاطِع عَلَى وُقُوع الْمَعَاد الْجُسْمَانِيّ يَوْم الْقِيَامَة.

ومن تفسير القرطبي للآية ذاتها، نقرأ: ذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْ السَّلَف أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْم كَانُوا أَهْل بَلْدَة فِي زَمَان بَنِي إِسْرَائِيل اِسْتَوْخَمُوا أَرْضهمْ وَأَصَابَهُمْ بِهَا وَبَاء شَدِيد فَخَرَجُوا فِرَارًا مِنْ الْمَوْت هَارِبِينَ إِلَى الْبَرِّيَّة فَنَزَلُوا وَادِيًا أَفْيَح فَمَلَئُوا مَا بَيْن عُدْوَتَيْهِ فَأَرْسَلَ اللَّه إِلَيْهِمْ مَلَكَيْنِ أَحَدهمَا مِنْ أَسْفَل الْوَادِي وَالْآخَر مِنْ أَعْلَاهُ فَصَاحَا بِهِمْ صَيْحَة وَاحِدَة فَمَاتُوا عَنْ آخِرهمْ مَوْتَة رَجُل وَاحِد فَحِيزُوا إِلَى حَظَائِر وَبُنِيَ عَلَيْهِمْ جُدْرَان وَفَنُوا وَتَمَزَّقُوا وَتَفَرَّقُوا فَلَمَّا كَانَ بَعْد دَهْر مَرَّ بِهِمْ نَبِيّ مِنْ أَنْبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيل يُقَال لَهُ حِزْقِيل فَسَأَلَ اللَّه أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُول: أَيَّتُهَا الْعِظَام الْبَالِيَة إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَجْتَمِعِي فَاجْتَمَعَ عِظَام كُلّ جَسَد بَعْضهَا إِلَى بَعْض ثُمَّ أَمَرَهُ فَنَادَى أَيَّتهَا الْعِظَام إِنَّ اللَّه يَأْمُرك بِأَنْ تَكْتَسِي لَحْمًا وَعَصَبًا وَجِلْدًا فَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ يُشَاهِدهُ ثُمَّ أَمَرَهُ فَنَادَى أَيَّتهَا الْأَرْوَاح إِنَّ اللَّه يَأْمُرك أَنْ تَرْجِع كُلّ رُوح إِلَى الْجَسَد الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرهُ فَقَامُوا أَحْيَاء يَنْظُرُونَ قَدْ أَحْيَاهُمْ اللَّه بَعْد رَقْدَتهمْ الطَّوِيلَة وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانك لَا إِلَه إِلَّا أَنْتَ وَكَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ عِبْرَة وَدَلِيل قَاطِع عَلَى وُقُوع الْمَعَاد الْجُسْمَانِيّ يَوْم الْقِيَامَة.

(1) عزير. يتنازع علماء النحو العربي فيما إذا كانت الكلمة يجب أن تأخذ تنويناً أم لا، لكن يبدو لي أن حذف التنوين أكثر ملاءمة لشكل الكلمة التي هي مثل صيغة تصغير. وكثير من العرب يعتبرون هذا صحيحاً.

بشأن الطريقة التي نظر فيها اليهود له. وبحسب ما يؤكده محمد فإن اليهود اعتبروا أن عزرا هو ابن اللّه.[1] وهذا بالتأكيد مجرد سوء فهم نشأ عن التقدير الكبير الذي نظر به إلى عزرا دون أدنى شك. ويعبّر هذا التقدير في المقطع التالي:[2] «كان عزرا جديراً بمعرفة الشريعة لو لم يأت موسى قبله». لقد سعى محمد بالفعل إلى الارتياب بإيمان اليهود بوحدانية اللّه، وقد اعتقد أنه وجد هنا فرصة ممتازة للقيام بذلك.

هذا الكلام كتعبير عن الرأي اليهودي في ذلك الوقت يفقد الكثير من قيمته عندما نأخذ بعين الاعتبار شخصية فنحاس بن ألعازر، الذي يُنسب إليه.

في تقاليد الإسلام هنالك الكثير عن عزرا كجامع للشريعة. وبهذا الوصف أيضاً نجده أمامنا في الكتاب المقدس، فقد اعتقد اليهود هذا عنه؛ وهكذا تكبر للغاية احتماليّة أن محمداً، من ناحية، بالغ عن قصد، ومن ناحية أخرى، التقط بلهفة كلمات سريعة وساخرة من فرد بعينه لإثبات هذه المسألة ضد اليهود.

يعتقد ماراشيوس[3] أن المفسّرين العرب يعزون مقطعاً آخر في القرآن[4] لعزرا[5]، أي المقطع الذي يُحكى فيه عن شخص مرّ بمدينة مدمّرة وشكك فيما

---

(1) القرآن، 30:9. السنّة، 462.

عند Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الكلمة عزير، ص. 691؛ يمكن الاستشهاد بالكثير من المفسّرين والمؤرخين لتفسير هذا المقطع، الذي هو بأية حال، في تناغم مع التلمود، يؤكّد فقط على إحياء عزرا للشريعة.

(2) سنهدرين، 2:21: ראוי היה עזרא שתנתן תורה על ידו אל מלא לא קדמו משה.

(3) Prod. 4:85.

(4) القرآن، 261:2.

(5) النص من سورة البقرة، والتفسير للقرطبي: «{259} أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

«أَوْ» لِلْعَطْفِ حَمْلًا عَلَى الْمَعْنَى وَالتَّقْدِير عِنْد الْكِسَائِيّ وَالْفَرَّاء: هَلْ رَأَيْت كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيم فِي رَبِّه، أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَة. وَقَالَ الْمُبَرِّد: الْمَعْنَى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيم فِي رَبِّه، أَلَمْ تَرَ مَنْ هُوَ! كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَة. فَأُضْمِرَ فِي الْكَلَام مَنْ هُوَ. وَقَرَأَ أَبُو سُفْيَان بْن حُسَيْن «أَوَكَالَّذِي مَرَّ» بِفَتْحِ الْوَاو، وَهِيَ وَاو الْعَطْف دَخَلَ عَلَيْهَا أَلِف الِاسْتِفْهَام الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْرِير. وَسُمِّيَتْ الْقَرْيَة قَرْيَة لِاجْتِمَاعِ النَّاس فِيهَا، مِنْ قَوْلهمْ: قَرَيْت الْمَاء أَيْ جَمَعْته، وَقَدْ تَقَدَّمَ. قَالَ سُلَيْمَان بْن بُرَيْدَة وَنَاجِيَة بْن كَعْب وَقَتَادَة وَابْن عَبَّاس وَالرَّبِيع وَعِكْرِمَة وَالضَّحَّاك: الَّذِي مَرَّ عَلَى الْقَرْيَة هُوَ عُزَيْر. وَقَالَ وَهْب بْن مُنَبِّه وَعَبْد اللَّه بْن عُبَيْد بْن عُمَيْر وَعَبْد اللَّه بْن بَكْر بْن مُضَر: هُوَ إرمياء وَكَانَ نَبِيًّا. وَقَالَ اِبْن إِسْحَاق: إرمياء هُوَ الْخَضِر، وَحَكَاهُ النَّقَّاش عَنْ وَهْب بْن مُنَبِّه. قَالَ اِبْن عَطِيَّة: وَهَذَا كَمَا تَرَاهُ، إِلَّا أَنْ يَكُون اِسْمًا وَافَقَ اِسْمًا؛ لِأَنَّ الْخَضِر مُعَاصِر لِمُوسَى، وَهَذَا الَّذِي مَرَّ عَلَى الْقَرْيَة هُوَ بَعْده بِزَمَانٍ مِنْ سِبْط هَارُون فِيمَا رَوَاهُ وَهْب بْن مُنَبِّه.

قُلْت: إِنْ كَانَ الْخَضِر هُوَ إرمياء فَلَا يَبْعُد أَنْ يَكُون هُوَ؛ لِأَنَّ الْخَضِر لَمْ يَزَلْ حَيًّا مِنْ وَقْت مُوسَى حَتَّى الْآن عَلَى الصَّحِيح فِي ذَلِكَ، عَلَى مَا يَأْتِي بَيَانه فِي سُورَة «الْكَهْف». وَإِنْ كَانَ مَاتَ قَبْل هَذِهِ الْقِصَّة فَقَوْل اِبْن عَطِيَّة صَحِيح، وَاَللَّه أَعْلَم. وَحَكَى النَّحَّاس وَمَكِّيّ عَنْ مُجَاهِد أَنَّهُ رَجُل مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل غَيْر مُسَمًّى. قَالَ النَّقَّاش: وَيُقَال هُوَ غُلَام لُوط عَلَيْهِ السَّلَام. وَحَكَى السُّهَيْلِيّ عَنْ الْقُتَبِيّ هُوَ شَعْيَا فِي أَحَد قَوْلَيْهِ. وَاَلَّذِي أَحْيَاهَا بَعْد خَرَابهَا كوشك الْفَارِسِيّ. وَالْقَرْيَة الْمَذْكُورَة هِيَ بَيْت الْمَقْدِس فِي قَوْل وَهْب بْن مُنَبِّه وَقَتَادَة وَالرَّبِيع بْن أَنَس وَغَيْرهمْ. قَالَ: وَكَانَ مُقْبِلًا مِنْ مِصْر وَطَعَامه وَشَرَابه الْمَذْكُور تِين أَخْضَر وَعِنَب وَرَكْوَة مِنْ خَمْر. وَقِيلَ مِنْ عَصِير. وَقِيلَ: قُلَّةُ مَاء هِيَ شَرَابه. وَاَلَّذِي أَخْلَى بَيْت الْمَقْدِس حِينَئِذٍ بُخْت نَصَّر وَكَانَ وَالِيًا عَلَى الْعِرَاق لِلْهَرَاسِب ثُمَّ ليستاسب بن لهراسب وَالِد اسبندياد. وَحَكَى النَّقَّاش أَنَّ قَوْمًا قَالُوا: هِيَ الْمُؤْتَفِكَة. وَقَالَ اِبْن عَبَّاس فِي رِوَايَة أَبِي صَالِح: إِنَّ بُخْت نَصَّر غَزَا بَنِي إِسْرَائِيل فَسَبَى مِنْهُمْ أُنَاسًا كَثِيرَة فَجَاءَ بِهِمْ وَفِيهِمْ عُزَيْر بْن شرخيا وَكَانَ مِنْ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيل فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى بَابِل، فَخَرَجَ ذَات يَوْم فِي حَاجَة لَهُ إِلَى دَيْر هزقل عَلَى شَاطِئ الدِّجْلَة. فَنَزَلَ تَحْت ظِلّ شَجَرَة وَهُوَ عَلَى حِمَار لَهُ، فَرَبَطَ الْحِمَار تَحْت ظِلّ الشَّجَرَة ثُمَّ طَافَ بِالْقَرْيَةِ فَلَمْ يَرَ بِهَا سَاكِنًا وَهِيَ خَاوِيَة عَلَى عُرُوشهَا فَقَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّه بَعْد مَوْتهَا. وَقِيلَ: إِنَّهَا الْقَرْيَة الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الْأُلُوف حَذَر الْمَوْت، قَالَهُ اِبْن زَيْد. وَعَنْ اِبْن زَيْد أَيْضًا أَنَّ الْقَوْم الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارهمْ وَهُمْ أُلُوف حَذَر الْمَوْت فَقَالَ لَهُمْ اللَّه مُوتُوا، مَرَّ رَجُل عَلَيْهِمْ وَهُمْ عِظَام نَخِرَة تَلُوح فَوَقَفَ يَنْظُر فَقَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّه بَعْد مَوْتهَا فَأَمَاتَهُ اللَّه مِائَة عَام. قَالَ: اِبْن عَطِيَّة: وَهَذَا الْقَوْل مِنْ اِبْن زَيْد مُنَاقِض لِأَلْفَاظِ الْآيَة، إِذْ الْآيَة إِنَّمَا تَضَمَّنَتْ قَرْيَة خَاوِيَة لَا أَنِيس فِيهَا، وَالْإِشَارَة بِـ «هَذِهِ» إِنَّمَا هِيَ إِلَى الْقَرْيَة. وَإِحْيَاؤُهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعِمَارَةِ وَوُجُود الْبِنَاء وَالسُّكَّان. وَقَالَ وَهْب بْن مُنَبِّه وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالرَّبِيع وَعِكْرِمَة: الْقَرْيَة بَيْت الْمَقْدِس لَمَّا خَرَّبَهَا بُخْت نَصَّر الْبَابِلِيّ. وَفِي الْحَدِيث الطَّوِيل حِين أَحْدَثَتْ بَنُو إِسْرَائِيل الْأَحْدَاث وَقَفَ إرمياء أَوْ عُزَيْر عَلَى الْقَرْيَة وَهِيَ كَالتَّلِّ الْعَظِيم وَسَط بَيْت الْمَقْدِس؛ لِأَنَّ بُخْت نَصَّر أَمَرَ جُنْده بِنَقْلِ

إذا كان من الممكن استعادتها. فأماته اللّه مئة عام، ثم أحياه وأكد له أنّ مئة سنة قد ذهبت، في حين اعتقد هو أنه لم يمر غير يوم واحد. والدليل على ذلك هو أن طعامه وشرابه انتهيا وأن حماره تلف. ثم انظر! جمع اللّه عظام الحيوان وألبسها لحماً، وهكذا حتى اعترف الرجل: «أعلم أن اللّه على كل شيء قدير». الحكاية مشتقة، كما يلاحظ ماراشيوس بحق، من الجولة حول مدينة القدس المدمرة التي قام بها نحميا[1] الذي غالباً ما يتم الخلط بينه وبين عزرا.

التُّراب إِلَيْهِ حَتَّى جَعَلَهُ كَالْجَبَلِ، وَرَأَى إرمياء الْبُيُوت قَدْ سَقَطَتْ حِيطَانهَا عَلَى سُقُفِهَا فَقَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّه بَعْد مَوْتهَا. مترجم.

(1) سفر نحميا، 12:2 وما بعد: וָאָקוּם ׀ לַיְלָה אֲנִי וַאֲנָשִׁים ׀ מְעַט עִמִּי וְלֹא־הִגַּדְתִּי לְאָדָם מָה אֱלֹהַי נֹתֵן אֶל־לִבִּי לַעֲשׂוֹת לִירוּשָׁלָם וּבְהֵמָה אֵין עִמִּי כִּי אִם־הַבְּהֵמָה אֲשֶׁר אֲנִי רֹכֵב בָּהּ: וָאֵצְאָה בְשַׁעַר־הַגַּיְא לַיְלָה וְאֶל־פְּנֵי עֵין הַתַּנִּין וְאֶל־שַׁעַר הָאַשְׁפֹּת וָאֱהִי שֹׂבֵר בְּחוֹמֹת יְרוּשָׁלַם אֲשֶׁר־ הֵמפּרוָצִים הֵם ׀ פְּרוּצִים וּשְׁעָרֶיהָ אֻכְּלוּ בָאֵשׁ: וָאֶעֱבֹר אֶל־שַׁעַר הָעַיִן וְאֶל־בְּרֵכַת הַמֶּלֶךְ וְאֵין־מָקוֹם לַבְּהֵמָה לַעֲבֹר תַּחְתָּי: וָאֱהִי עֹלֶה בַנַּחַל לַיְלָה וָאֱהִי שֹׂבֵר בַּחוֹמָה וָאָשׁוּב וָאָבוֹא בְּשַׁעַר הַגַּיְא וָאָשׁוּב: וְהַסְּגָנִים לֹא יָדְעוּ אָנָה הָלַכְתִּי וּמָה אֲנִי עֹשֶׂה וְלַיְּהוּדִים וְלַכֹּהֲנִים וְלַחֹרִים וְלַסְּגָנִים וּלְיֶתֶר עֹשֵׂה הַמְּלָאכָה עַד־כֵּן לֹא הִגַּדְתִּי: וָאוֹמַר אֲלֵהֶם אַתֶּם רֹאִים הָרָעָה אֲשֶׁר אֲנַחְנוּ בָהּ אֲשֶׁר יְרוּשָׁלַם חֲרֵבָה וּשְׁעָרֶיהָ נִצְּתוּ בָאֵשׁ לְכוּ וְנִבְנֶה אֶת־חוֹמַת יְרוּשָׁלַם וְלֹא־נִהְיֶה עוֹד חֶרְפָּה: וָאַגִּיד לָהֶם אֶת־יַד אֱלֹהַי אֲשֶׁר־הִיא טוֹבָה עָלַי וְאַף־דִּבְרֵי הַמֶּלֶךְ אֲשֶׁר אָמַר־לִי וַיֹּאמְרוּ נָקוּם וּבָנִינוּ וַיְחַזְּקוּ יְדֵיהֶם לַטּוֹבָה: וַיִּשְׁמַע סַנְבַלַּט הַחֹרֹנִי וְטֹבִיָּה ׀ הָעֶבֶד הָעַמּוֹנִי וְגֶשֶׁם הָעַרְבִי וַיַּלְעִגוּ לָנוּ וַיִּבְזוּ עָלֵינוּ וַיֹּאמְרוּ מָה־הַדָּבָר הַזֶּה אֲשֶׁר אַתֶּם עֹשִׂים הַעַל הַמֶּלֶךְ אַתֶּם מֹרְדִים: וָאָשִׁיב אוֹתָם דָּבָר וָאוֹמַר לָהֶם אֱלֹהֵי הַשָּׁמַיִם הוּא יַצְלִיחַ לָנוּ וַאֲנַחְנוּ עֲבָדָיו נָקוּם וּבָנִינוּ וְלָכֶם אֵין־חֵלֶק וּצְדָקָה וְזִכָּרוֹן בִּירוּשָׁלָם: نص نحميا: ثُمَّ قُمْتُ لَيْلاً أَنَا وَرِجَالٌ قَلِيلُونَ مَعِي. وَلَمْ أُخْبِرْ أَحَداً بِمَا جَعَلَهُ إِلَهِي فِي قَلْبِي لأَعْمَلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعِي بَهِيمَةٌ إِلاَّ الْبَهِيمَةُ الَّتِي كُنْتُ رَاكِبَهَا. وَخَرَجْتُ مِنْ بَابِ الْوَادِي لَيْلاً أَمَامَ عَيْنِ التِّنِّينِ إِلَى بَابِ الدِّمْنِ وَصِرْتُ أَتَفَرَّسُ فِي أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ الْمُنْهَدِمَةِ وَأَبْوَابِهَا الَّتِي أَكَلَتْهَا النَّارُ. وَعَبَرْتُ إِلَى بَابِ الْعَيْنِ وَإِلَى بِرْكَةِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ مَكَانٌ لِعُبُورِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي تَحْتِي. فَصَعِدْتُ فِي الْوَادِي لَيْلاً وَكُنْتُ أَتَفَرَّسُ فِي السُّورِ ثُمَّ عُدْتُ فَدَخَلْتُ مِنْ بَابِ الْوَادِي رَاجِعاً. وَلَمْ يَعْرِفِ الْوُلاَةُ إِلَى أَيْنَ ذَهَبْتُ وَلاَ مَا أَنَا عَامِلٌ وَلَمْ أُخْبِرْ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ الْيَهُودَ وَالْكَهَنَةَ وَالأَشْرَافَ وَالْوُلاَةَ وَبَاقِي عَامِلِي الْعَمَلِ. ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: ((أَنْتُمْ تَرَوْنَ الشَّرَّ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ كَيْفَ أَنَّ أُورُشَلِيمَ خَرِبَةٌ وَأَبْوَابَهَا قَدْ أُحْرِقَتْ

ثمة ذكر ليس إلا لشخصيتين توراتيتين أخريين: أليسع في مقطعين،[1] وفي كلّ مرّة نجده يحلّ بما يكفي من الغرابة بعد إسماعيل مباشرة؛ أما الشخصية الثانية فهي ذو الكفل،[2] الذي يعني اسمه الشخص الذي يكفل الطعام والشراب، وذلك اعتماداً على واقعة أنه كان يطعم ويسقي مئة إسرائيلي في أحد الكهوف، والذي لا بدّ أنه كان عوبديا.[3] مع ذلك، لعله يكون حزقيال[4] الذي هو كما يقول

بِالنَّارِ. هَلُمَّ فَنَبْنِيَ سُورَ أُورُشَلِيمَ وَلاَ نَكُونُ بَعْدُ عَاراً)). وَأَخْبَرْتُهُمْ عَنْ يَدِ إِلَهِي الصَّالِحَةِ عَلَيَّ وَأَيْضاً عَنْ كَلاَمِ الْمَلِكِ الَّذِي قَالَهُ لِي. فَقَالُوا: ((لِنَقُمْ وَلْنَبْنِ)). وَشَدَّدُوا أَيَادِيَهُمْ لِلْخَيْرِ. وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ الْحُورُونِيُّ وَطُوبِيَّا الْعَبْدُ الْعَمُّونِيُّ وَجَشَمٌ الْعَرَبِيُّ هَزَأُوا بِنَا وَاحْتَقَرُونَا وَقَالُوا: ((مَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتُمْ عَامِلُونَ؟ أَعَلَى الْمَلِكِ تَتَمَرَّدُونَ؟)). فَأَجَبْتُهُمْ: ((إِنَّ إِلَهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ نَصِيبٌ وَلاَ حَقٌّ وَلاَ ذِكْرٌ فِي أُورُشَلِيمَ)). ـ مترجم.

(1) القرآن، 86:6؛ 48:38.

(2) القرآن، 85:21؛ 48:38.

(3) سفر الملوك الأول، 4:18: וַיַּעֲלוּ אֶת־אֲרוֹן יְהוָה וְאֶת־אֹהֶל מוֹעֵד וְאֶת־כָּל־כְּלֵי הַקֹּדֶשׁ אֲשֶׁר בָּאֹהֶל וַיַּעֲלוּ אֹתָם הַכֹּהֲנִים וְהַלְוִיִּם: وَكَانَ حِينَمَا قَطَعَتْ إِيزَابَلُ أَنْبِيَاءَ الرَّبِّ أَنَّ عُوبَدْيَا أَخَذَ مِئَةَ نَبِيٍّ وَخَبَّأَهُمْ خَمْسِينَ رَجُلاً فِي مَغَارَةٍ وَعَالَهُمْ بِخُبْزٍ وَمَاءٍ. ـ مترجم.

(4) يقول محمد الطاهر بن عاشور في *التحرير والتنوير من التفسير*، ص 2734: «وأما ذو الكفل فهو نبي اختلف في تعيينه، فقيل هو إلياس المسمّى في كتب اليهود «إيليا».
وقيل: هو خليفة اليسع في نبوة بني إسرائيل. والظاهر أنه «عوبديا» الذي له كتاب من كتب أنبياء اليهود وهو الكتاب الرابع من الكتب الاثني عشر وتعرف بكتب الأنبياء الصغار.
والكفْل «بكسر الكاف وسكون الفاء» أصله: النصيب من شيء، مشتق من كَفَلَ إذ تعهد لقب بهذا لأنه تعهد بأمر بني إسرائيل لليسع. وذلك أن اليسع لما كبر أراد أن يستخلف خليفة على بني إسرائيل فقال: من يتكفل لي بثلاث أستخلفه: أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب. فلم يتكفل له بذلك إلا شابٌ اسمه «عوبديا»، وأنه ثبت على ما تكفل به فكان لذلك من أفضل الصابرين. وقد وعد عوبديا من أنبياء بني إسرائيل على إجمال في خبره «انظر سفر الملوك الأول الإصحاح 18. ورؤيا عوبديا صفحة 891 من الكتاب المقدس». وروى العبري عن أبي موسى الأشعري ومجاهد أن ذا الكفل لم يكن نبيا. وتقدمت ترجمة إلياس واليسع في سورة الأنعام.
وجملة «أنهم من الصالحين» تعليل لإدخالهم في الرحمة، وتذييل للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين.
«وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنَّ لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُماتِ أَن لاَّ إِلَهَ إلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ[87] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ[88]» عطف

نيبهور Niebuhr[1]، كان العرب يسمونه كفيل.[2]

الآن جُمعت كل الإيماءات التاريخية معاً، وعندما ندرسها نرى فيها بشكل غير مشكوك فيه التحقق من الفرضية التي وضعناها في البداية ـ أي أن محمداً استعار كماً كبيراً من اليهودية، أنه تعلّم ذلك الذي سمعه من التقاليد الشفوية، وأنه كان يغيّر المادة أحياناً بما يتناسب مع غرضه. لقد حاولنا أن نظهر في الجزء الأول أن الظروف الخارجية لا بدّ أثارت في محمد الرغبة في استعارة الكثير من اليهودية، وأنه كانت لديه وسائل في متناول يده، وأنّ ظروفاً أخرى، ولاسيما هدفه الرئيس، لم تكن عقبة في وجه ذلك، بل كانت تتناسب مع كل

على «وذا الكفل». وذكر ذي النون في جملة من خصوّا بالذكر من الأنبياء لأجل ما قصته من الآيات في الالتجاء إلى اللّه والندم على ما صدر منه من الجزع واستجابة اللّه تعالى له.

و«ذو النون» وصف، أي صاحب الحوت. لقب به يونس بن متي «عليه السلام» وتقدمت ترجمته في سورة الأنعام وتقدمت قصته مع قومه في سورة يونس.

وذهابه مغاضباً قيل خروجه غضبان من قومه أهل «نينوى» إذ أبوا أن يؤمنوا بما أرسل إليهم به وهم غاضبون من دعوته، فالمغاضبة مفاعلة. وهذا مقتضى المروي عن ابن عباس. وقيل: إنه أوحى إليه أن العذاب نازل بهم بعد مدّة فلما أشرفت المدّة على الانقضاء آمنوا فخرج غضبان من عدم تحقق ما أنذرهم به، فالمغاضبة حينئذ للمبالغة في الغضب لأنه غضب غريب. وهذا مقتضى المروي عن ابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير، وروي عن ابن عباس أيضاً واختاره ابن جرير. والوجه أن يكون «مغاضباً» حالاً مراداً بها التشبيه، أي خرج كالمغاضب. وسيأتي هذا المعنى في سورة الصافات.

وقوله تعالى «فظنّ أن لن نقدر عليه» يقتضي أنّه خرج خروجاً غير مأذون له فيه من اللّه. ظن أنه إذا ابتعد عن المدينة المرسل إليها يرسل اللّه غيره إليهم. وقد روي عن ابن عباس أن «حزقيال» ملك إسرائيل كان في زمنه خمسة أنبياء منهم يونس، فاختاره الملك ليذهب إلى أهل «نينوى» لدعوتهم فأبى وقال: هاهنا أنبياء غيري وخرج مغاضباً الملك. وهذا بعيد من القرآن في آيات أخرى ومن كتب بني إسرائيل».

(1) Reisebesolireibung، 2: 265.

(2) وفقاً لخوندمير (Barthélemy d'Herbelot، *Bibliothèque orientale، ou dictionnaire universel contenant tout ce qui regarde la connoissance des peuples de l›Orient*، الكلمة إليسع بن أخطوب) كان ذو الكفل ابناً لإليسع، لكن عوبديا كان معاصراً لإلياهو.

استعارة. في الجزء الثاني، حاولنا أن نبين أن محمد استعار حقاً من اليهودية، وأن المفاهيم، مسائل العقيدة، الآراء الأخلاقية، والآراء المتعلّقة بالحياة عموماً، وعلى الأخص مسائل التاريخ والتقاليد، انتقلت فعلاً من اليهودية إلى القرآن.

انتهت الآن مهمتنا عملياً. إذا تم تقديم برهان شامل على جميع هذه النقاط، يمكن القول إذن إن الأسئلة المتعلقة بما إذا كان محمد قد استعار من اليهودية، وماذا وكيف استعار، أجيب عنها بما فيه الكفاية. الآن، كملحق تكميلي لا بد لنا أن نضيف ملخصاً للمقاطع التي يبدو موقف محمد فيها من اليهودية سلبيّاً بل حتى عدائياً. بعض هذه المقاطع تعارض اليهودية، بعضها يبطل القوانين الملزمة لليهود، وبعضها يلمّح إلى العادات اليهودية دون فرضها على العرب. لكن نظراً لأننا ننظر في السؤال، فإن الإجابة عليه تشكّل مادة موضوعنا، حيث يُجاب الآن بالكامل، دون إعطاء نتائج مزيد من التقصّي، نتيجة لذلك فنحن لا نقدّم هذه النتائج كجزء من هذا العمل بل نضيفها كملحق.

ملحق

عبارات في القرآن معادية لليهوديّة

كما حاولنا من قبل تماماً أن نُظهر من شخصية محمد ومن روح زمنه أن الاستعارة من اليهودية قد وقعت، كذلك أيضاً نرجو أن نظهر أن العبارات المعادية لليهودية موجودة في القرآن. وكان هدف محمد هو توحيد جميع العقائد، ولم تقف أية طائفة دينية في طريق تحقيق هذه الغاية أكثر من اليهود بشرائعهم المرهقة الكثيرة، غير المعروفة للأديان الأخرى. علاوة على ذلك، كان هدف محمد من خلال هذا التوحيد وفيه التأسيس لمثل تلك العقائد لكن فقط وفق ما كانت برأيه منقاة. لم يبدُ له أنّ احترام الشرائع الفردية ذو أهمية كبيرة، إلا إذا كانت هذه الشرائع نتاجاً مباشراً عن العقائد الخاصة؛ علاوة على ذلك، فقد أحب العادات العربية القديمة وحافظ عليها. اليهود، بالمقابل، أكّدوا بأعظم ما يمكن على الإنجاز الدقيق للشرع الموحى به، ولم يظهروا أدنى رغبة في الخروج منه. وفي حين أُسّس هذان السببان للانفصال التبادلي على الاختلاف في الآراء الأساسية لمحمد واليهود، يمكن إضافة سبب آخر والذي نشأ أكثر عن فرق خارجي. وكما لاحظنا من قبل، كان اليهود يضغطون على محمد بشدة، وغالباً ما كانوا يغيظونه بالأجوبة البارعة وأشكال التملّص، وهكذا نشأت في دواخله كراهية لهم لا يمكن إخمادها. ولأنه كان محكوماً بهذا فقد أساء فهم عقائدهم الدينية، واضعاً لها تفاسير زائفة، مبرّراً على هذا النحو انحرافه عنها. نتيجة لذلك

تملكته رغبة إعلان انفصاله النهائي عن هؤلاء اليهود الكريهين، وتحقيقاً لهذه الغاية استنّ أعرافاً مختلفة تماماً. ويعترف العرب المتأخرون أنه جعل من ضرورة إلغاء التشبه باليهود مسؤولية[1] المسلمين.[2] وهكذا، يؤكّد محمد أن اليهود هم أعداء المسلمين،[3] أنهم قتلوا الأنبياء،[4] والذي قد يكون مرجعه يسوع[5]؛ علاوة على ذلك، كانوا يشتركون مع المسيحيين أنهم مفضلون من اللّه بشكل خاص،[6] أنهم اعتقدوا أنهم وحدهم ينبغي أن يتملّكوا الجنة،[7] أنهم اعتقدوا أنّ عزرا هو ابن اللّه،[8] أنهم كانوا يثقون بشفاعة أسلافهم المتدينين،[9] أنهم حرّفوا التوراة[10] لأن هذا الكتاب بشكله الحالي لا يتضمن أي تلميحات له [لمحمد]، وأن اليهود بنوا المعابد على أضرحة الأنبياء.[11] هذه الاتهامات والأسباب المبينة آنفاً أمدّت محمداً بالأرضيات التي تبرر ابتعاده عن الشرائع اليهودية.

---

(1) كراهة التشبّه باليهود.

(2) Pococke، *notÆ miscollanÆ*، Cap 9،p. 369.

(3) القرآن، 85:5.

(4) القرآن، 58:2؛ 74:5.

(5) نقرأ في متى: 23: 37: يا أورشليم! يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها؛ كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا؛ 30:32: وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء؛ 23: 31 فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء!

وفي لوقا نقرأ: 13: 34: يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. مترجم.

(6) القرآن، 21:5.

(7) القرآن، 88:2؛ 6:62.

(8) القرآن، 9:30؛ السنّة، 462.

(9) القرآن، 128:2، 135.

(10) القرآن، 73:2 ومقاطع أخرى.

(11) السنّة، 70 وما بعد.

- الصلاة. ـ العشاء يسبق الصلاة.[1] وهذا يعارض التلمود بشكل مباشر، حيث أن التلمود يحدّد بدقة الوقت الذي يجب أن يمرّ بين تناول المرء للطعام وساعة الصلاة بحيث لا تضيع ساعة الصلاة. والحقيقة أن محمداً أراد بهذا أن يعيش على هذا النحو بحيث يسرّ العرب المحيطين به.
- القوانين المتعلقة بالمرأة ـ يقول محمد:[2] «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ». ومن الواضح أن هذا مشرّع بما يُعارض على نحو مباشر القاعدة المعمول بها في الشرع التلمودي والتي تحظر المضاجعة في الليلة التي تسبق يوم الصوم في آب Abh،[3] لأنها تعتبر جزءاً من يوم الصوم نفسه.

تبدو قوانين الطلاق[4] مماثلة على الأرجح لتلك القوانين التي كان يُعمل بها من قبل العرب القدامى. وهناك مقطع مميز في القرآن،[5] يقول إن الرجل بعد أن يطلّق زوجته للمرة الثانية لا يمكنه أن يتزوجها مرة أخرى حتى تتزوج من رجلٍ آخر، والذي يطلقها أيضاً. وهذا يتعارض مباشرة مع تعاليم التوراة.[6]

---

(1) السنّة، 97 وما بعد.

(2) القرآن، 183:2.

(3) الإشارة هنا قطعاً هي إلى صوم التاسع من آب (بالعبرية: תשעה באב أو ט' באב). وهو أحد أيام الصوم السنوية في اليهودية. في هذا اليوم يعيد اليهود إحياء ذكرى مصائب جمة ألمت بهم، وعلى رأسها دمار الهيكل الأول على يد البابليين، ودمار الهيكل الثاني على يد الرومان. مدة الصوم 25 ساعة، يقرأ أثناءها في الكنيس سفر مراثي إرميا. أثناء هذا الصوم يحظر أمور خمسة: الطعام والشراب؛ ارتداء حذاء جلدي؛ العلاقة الجنسية الزوجية؛ الاغتسال أو غسل الوجه واليدين؛ وضع كريمات أو زيوت. يسمى هذا اليوم أيضاً «إيخا» بالإشارة إلى الكلمة الأولى من الآية الأولى من سفر المراثي: אֵיכָה ׀ יָשְׁבָה בָדָד הָעִיר רַבָּתִי עָם הָיְתָה כְּאַלְמָנָה רַבָּתִי בַגּוֹיִם שָׂרָתִי בַּמְּדִינוֹת הָיְתָה לָמַס. مترجم.

(4) القرآن، 299:2 وما بعد.

(5) القرآن، 230:2.

(6) سفر التثنية، 1:24 وما بعد: וַיַּרְא בִּלְעָם כִּי טוֹב בְּעֵינֵי יְהוָה לְבָרֵךְ אֶת־יִשְׂרָאֵל וְלֹא־הָלַךְ כְּפַעַם־בְּפַעַם לִקְרַאת נְחָשִׁים וַיָּשֶׁת אֶל־הַמִּדְבָּר פָּנָיו׃ וַיִּשָּׂא בִלְעָם

ويؤكد المسلمون[1] أن يهود تلك الحقبة كانوا يصرون على أن تحدث المضاجعة بالطريقة المعتادة. وبشأن هذا يقول محمد لإرضاء نفسه وعَرَبه: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى[2]

אֶת־עֵינָיו וַיַּרְא אֶת־יִשְׂרָאֵל שֹׁכֵן לִשְׁבָטָיו וַתְּהִי עָלָיו רוּחַ אֱלֹהִים׃ וַיִּשָּׂא מְשָׁלוֹ וַיֹּאמַר נְאֻם בִּלְעָם בְּנוֹ בְעֹר וּנְאֻם הַגֶּבֶר שְׁתֻם הָעָיִן׃ נְאֻם שֹׁמֵעַ אִמְרֵי־אֵל אֲשֶׁר מַחֲזֵה שַׁדַּי יֶחֱזֶה נֹפֵל וּגְלוּי עֵינָיִם׃ מַה־טֹּבוּ אֹהָלֶיךָ יַעֲקֹב מִשְׁכְּנֹתֶיךָ יִשְׂרָאֵל׃ إذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لهَا كِتَابَ طَلاقٍ وَدَفَعَهُ إِلى يَدِهَا وَأَطْلقَهَا مِنْ بَيْتِهِ. وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ. فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الأَخِيرُ وَكَتَبَ لهَا كِتَابَ طَلاقٍ وَدَفَعَهُ إِلى يَدِهَا وَأَطْلقَهَا مِنْ بَيْتِهِ أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الأَخِيرُ الذِي اتَّخَذَهَالهُ زَوْجَةً. لا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الأَوَّلُ الذِي طَلقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ. لأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ لدَى الرَّبِّ. فَلا تَجْلِبْ خَطِيَّةً عَلى الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً. إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً فَلا يَخْرُجْ فِي الجُنْدِ وَلا يُحْمَل عَليْهِ أَمْرٌ مَا. حُرّاً يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ التِي أَخَذَهَا. (تث 1:24 وما بعد). مترجم.

(1) السنة، 460.

(2) ترجمة الآية إلى اللغة الألمانية توحي بأن غايغر إنما يشير هنا إلى أن القرآن أباح نكاح الدبر، خاصة إذا ما علمنا أنه قبل ذلك مباشرة يحكي عن التزام اليهود بالعلاقة الجنسية بشكلها الاعتيادي. ولا بأس هنا بتقديم جزء من تفسير القرطبي للآية: «رَوَى الْأَئِمَّة وَاللَّفْظ لِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِر بْن عَبْد اللَّه قَالَ: (كَانَتْ الْيَهُود تَقُول: إِذَا أَتَى الرَّجُل اِمْرَأَته مِنْ دُبُرهَا فِي قُبُلهَا كَانَ الْوَلَد أَحْوَل)، فَنَزَلَتْ الْآيَة «نِسَائِكُمْ حَرْث لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» زَادَ فِي رِوَايَة عَنْ الزُّهْرِيّ: إِنْ شَاءَ مُجَبِّيَة وَإِنْ شَاءَ غَيْر مُجَبِّيَةٍ غَيْر إِنَّ ذَلِكَ فِي صِمَام وَاحِد. وَيُرْوَى: فِي سِمَام وَاحِد بِالسِّينِ، قَالَهُ التِّرْمِذِيّ. وَرَوَى الْبُخَارِيّ عَنْ نَافِع قَالَ: كَانَ اِبْن عُمَر إِذَا قَرَأَ الْقُرْآن لَمْ يَتَكَلَّم حَتَّى يَفْرُغ مِنْهُ، فَأَخَذْت عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَرَأَ سُورَة «الْبَقَرَة» حَتَّى اِنْتَهَى إِلَى مَكَان قَالَ: أَتَدْرِي فِيمَ أُنْزِلَتْ؟ قُلْت: لَا، قَالَ: نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ مَضَى. وَعَنْ عَبْد الصَّمَد قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي أَيُّوب عَنْ نَافِع عَنْ اِبْن عُمَر: «فَأْتُوا حَرْثكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» قَالَ: يَأْتِيهَا فِي. قَالَ الْحُمَيْدِيّ: يَعْنِي الْفَرْج. وَرَوَى أَبُو دَاوُد عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: (إِنَّ اِبْن عُمَر وَاَللَّه يَغْفِر لَهُ وَهَمَ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَار، وَهُمْ أَهْل وَثَن، مَعَ هَذَا الْحَيّ مِنْ يَهُود، وَهُمْ أَهْل كِتَاب: وَكَانُوا يَرَوْنَ لَهُمْ فَضْلًا عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْم، فَكَانُوا يَقْتَدُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ فِعْلهمْ، وَكَانَ مِنْ أَمْر أَهْل الْكِتَاب أَلَّا يَأْتُوا النِّسَاء إِلَّا عَلَى حَرْف، وَذَلِكَ أَسْتَر مَا تَكُون الْمَرْأَة، فَكَانَ هَذَا الْحَيّ مِنْ الْأَنْصَار قَدْ أَخَذُوا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلهمْ، وَكَانَ هَذَا الْحَيّ مِنْ قُرَيْش يَشْرَحُونَ النِّسَاء شَرْحًا مُنْكَرًا، وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْهُنَّ مُقْبِلَات وَمُدْبِرَات وَمُسْتَلْقِيَات، فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَة تَزَوَّجَ رَجُل مِنْهُمْ اِمْرَأَة مِنْ الْأَنْصَار، فَذَهَبَ يَصْنَع بِهَا ذَلِكَ فَأَنْكَرَتْهُ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: إِنَّمَا كُنَّا نُؤْتَى عَلَى حَرْف! فَاصْنَعْ ذَلِكَ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْنِي، حَتَّى شَرِيَ أَمْرهمَا)؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» ، أَيْ مُقْبِلَات وَمُدْبِرَات وَمُسْتَلْقِيَات، يَعْنِي بِذَلِكَ مَوْضِع الْوَلَد. وَرَوَى التِّرْمِذِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: (جَاءَ عُمَر إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، هَلَكْت! قَالَ: (وَمَا أَهْلَكَك؟) قَالَ: حَوَّلْت رَحْلِي اللَّيْلَة، قَالَ: فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا، قَالَ: فَأُوحِيَ إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَة: «نِسَاؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ» أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ وَاتَّقِ الدُّبُر وَالْحَيْضَة) قَالَ: هَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح. وَرَوَى النَّسَائِيّ عَنْ أَبِي النَّضْر أَنَّهُ قَالَ لِنَافِعٍ مَوْلَى اِبْن عُمَر: قَدْ أَكْثَرَ عَلَيْك الْقَوْل. إِنَّك تَقُول عَنْ اِبْن عُمَر: (إِنَّهُ أَفْتَى بِأَنْ يُؤْتَى النِّسَاء فِي أَدْبَارهنَّ). قَالَ نَافِع: لَقَدْ كَذَبُوا عَلَيَّ! وَلَكِنْ سَأُخْبِرك كَيْف كَانَ الْأَمْر: إِنَّ اِبْن عُمَر عَرَضَ عَلَيَّ الْمُصْحَف يَوْمًا وَأَنَا عِنْده حَتَّى بَلَغَ: «نِسَاؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ» ، قَالَ نَافِع: هَلْ تَدْرِي مَا أَمْر هَذِهِ الْآيَة؟ إِنَّا كُنَّا مَعْشَر قُرَيْش نُجَبِّي النِّسَاء، فَلَمَّا دَخَلْنَا الْمَدِينَة وَنَكَحْنَا نِسَاء الْأَنْصَار أَرَدْنَا مِنْهُنَّ مَا كُنَّا نُرِيد مِنْ نِسَائِنَا، فَإِذَا هُنَّ قَدْ كَرِهْنَ ذَلِكَ وَأَعْظَمْنَهُ، وَكَانَ نِسَاء الْأَنْصَار إِنَّمَا يُؤْتَيْنَ عَلَى جُنُوبهنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّه سُبْحَانه: «نِسَاؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ». هَذِهِ الْأَحَادِيث نَصّ فِي إِبَاحَة الْحَال وَالْهَيْئَات كُلّهَا إِذَا كَانَ الْوَطْء فِي مَوْضِع الْحَرْث، أَيْ كَيْف شِئْتُمْ مِنْ خَلْف وَمِنْ قُدَّام وَبَارِكَة وَمُسْتَلْقِيَة وَمُضْطَجِعَة. فَأَمَّا الْإِتْيَان فِي غَيْر الْمَأْتِيّ فَمَا كَانَ مُبَاحًا، وَلَا يُبَاح! وَذِكْر الْحَرْث يَدُلّ عَلَى أَنَّ الْإِتْيَان فِي غَيْر الْمَأْتِيّ مُحَرَّم. و«حَرْث» تَشْبِيه، لِأَنَّهُنَّ مُزْدَرَع الذُّرِّيَّة، فَلَفْظ «الْحَرْث» يُعْطِي أَنَّ الْإِبَاحَة لَمْ تَقَع إِلَّا فِي الْفَرْج خَاصَّة إِذْ هُوَ الْمُزْدَرَع. وَأَنْشَدَ ثَعْلَب: إِنَّمَا الْأَرْحَام أَرْضُونَ لَنَا مُحْتَرَثَات فَعَلَيْنَا الزَّرْع فِيهَا وَعَلَى اللَّه النَّبَات فَفَرْج الْمَرْأَة كَالْأَرْضِ، وَالنُّطْفَة كَالْبَذْرِ، وَالْوَلَد كَالنَّبَاتِ، فَالْحَرْث بِمَعْنَى الْمُحْتَرَث. وَوُحِّدَ الْحَرْث لِأَنَّهُ مَصْدَر، كَمَا يُقَال: رَجُل صَوْم، وَقَوْم صَوْم. قَوْله تَعَالَى: «أَنَّى شِئْتُمْ» مَعْنَاهُ عِنْد الْجُمْهُور مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّة الْفَتْوَى: مِنْ أَيّ وَجْه شِئْتُمْ مُقْبِلَة وَمُدْبِرَة، كَمَا ذَكَرْنَا آنِفًا. و«أَنَّى» تَجِيء سُؤَالًا وَإِخْبَارًا عَنْ أَمْر لَهُ جِهَات، فَهُوَ أَعَمّ فِي اللُّغَة مِنْ «كَيْف» وَمِنْ «أَيْنَ» وَمِنْ «مَتَى» ، هَذَا هُوَ الِاسْتِعْمَال الْعَرَبِيّ فِي «أَنَّى». وَقَدْ فَسَّرَ النَّاس «أَنَّى» فِي هَذِهِ الْآيَة بِهَذِهِ الْأَلْفَاظ. وَفَسَّرَهَا سِيبَوَيْهِ بـ «كَيْف» وَمِنْ «أَيْنَ» بِاجْتِمَاعِهِمَا. وَذَهَبَتْ فِرْقَة مِمَّنْ فَسَّرَهَا ب «أَيْنَ» إِلَى أَنَّ الْوَطْء فِي الدُّبُر مُبَاح، وَمِمَّنْ نُسِبَ إِلَيْهِ هَذَا الْقَوْل: سَعِيد بْن الْمُسَيِّب وَنَافِع وَابْن عُمَر وَمُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ وَعَبْد الْمَلِك بْن الْمَاجِشُونَ، وَحُكِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِك فِي كِتَاب لَهُ يُسَمَّى «كِتَاب السِّرّ». وَحُذَّاق أَصْحَاب مَالِك وَمَشَايِخهمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ الْكِتَاب، وَمَالِك أَجَلّ مِنْ أَنْ يَكُون لَهُ «كِتَاب سِرّ». وَوَقَعَ هَذَا الْقَوْل فِي الْعُتْبِيَّة. وَذَكَرَ اِبْن الْعَرَبِيّ أَنَّ اِبْن شَعْبَان أَسْنَدَ جَوَاز هَذَا الْقَوْل إِلَى زُمْرَة كَبِيرَة مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ، وَإِلَى مَالِك مِنْ رِوَايَات كَثِيرَة فِي كِتَاب «جِمَاع النِّسْوَانِ وَأَحْكَام الْقُرْآن». وَقَالَ الْكِيَا الطَّبَرِيّ: وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّد بْن كَعْب الْقُرَظِيّ أَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا، وَيَتَأَوَّل فِيهِ قَوْل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَان مِنْ الْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ أَزْوَاجكُمْ»[الشُّعَرَاء: 165 ـ 166]. وَقَالَ: فَتَقْدِيره تَتْرُكُونَ مِثْل ذَلِكَ مِنْ أَزْوَاجكُمْ، وَلَوْ لَمْ يُبِحْ مِثْل ذَلِكَ مِنْ الْأَزْوَاج لَمَا صَحَّ ذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمُبَاح مِنْ الْمَوْضِع الْآخَر مِثْلًا لَهُ، حَتَّى يُقَال: تَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَتَتْرُكُونَ مِثْله مِنْ الْمُبَاح. قَالَ الْكِيَا: وَهَذَا فِيهِ نَظَر، إِذْ مَعْنَاهُ: وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ أَزْوَاجكُمْ مِمَّا فِيهِ تَسْكِين

شَهْوَتك، وَلَذَّة الْوَقَاع حَاصِلَة بِهِمَا جَمِيعًا، فَيَجُوز التَّوْبِيخ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى. وَفِي قَوْله تَعَالَى: «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّه» مَعَ قَوْله: «فَأْتُوا حَرْثكُمْ» مَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ فِي الْمَأْتِيّ اِخْتِصَاصًا، وَأَنَّهُ مَقْصُور عَلَى مَوْضِع الْوَلَد. قُلْت: هَذَا هُوَ الْحَقّ فِي الْمَسْأَلَة. وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُمَر بْن عَبْد الْبَرّ أَنَّ الْعُلَمَاء لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي الرَّتْقَاء الَّتِي لَا يُوصَل إِلَى وَطْئِهَا أَنَّهُ عَيْب تُرَدّ بِهِ، إِلَّا شَيْئًا جَاءَ عَنْ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز مِنْ وَجْه لَيْسَ بِالْقَوِيِّ أَنَّهُ لَا تُرَدّ الرَّتْقَاء وَلَا غَيْرهَا، وَالْفُقَهَاء كُلّهمْ عَلَى خِلَاف ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَسِيس هُوَ الْمُبْتَغَى بِالنِّكَاحِ، وَفِي إِجْمَاعهمْ عَلَى هَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّ الدُّبُر لَيْسَ بِمَوْضِعِ وَطْء، وَلَوْ كَانَ مَوْضِعًا لِلْوَطْءِ مَا رُدَّتْ مَنْ لَا يُوصَل إِلَى وَطْئِهَا فِي الْفَرْج. وَفِي إِجْمَاعهمْ أَيْضًا عَلَى أَنَّ الْعَقِيم الَّتِي لَا تَلِد لَا تُرَدّ. وَالصَّحِيح فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة مَا بَيَّنَّاهُ. وَمَا نُسِبَ إِلَى مَالِك وَأَصْحَابه مِنْ هَذَا بَاطِل وَهُمْ مُبَرَّءُونَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ إِبَاحَة الْإِتْيَان مُخْتَصَّة بِمَوْضِعِ الْحَرْث، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «فَأْتُوا حَرْثكُمْ» ، وَلِأَنَّ الْحِكْمَة فِي خَلْق الْأَزْوَاج بَثّ النَّسْل، فَغَيْر مَوْضِع النَّسْل لَا يَنَالهُ مَالِك النِّكَاح، وَهَذَا هُوَ الْحَقّ. وَقَدْ قَالَ أَصْحَاب أَبِي حَنِيفَة: إِنَّهُ عِنْدنَا وَلَائِط الذَّكَر سَوَاء فِي الْحُكْم، وَلِأَنَّ الْقَذَر وَالْأَذَى فِي مَوْضِع النَّجْو أَكْثَر مِنْ دَم الْحَيْض، فَكَانَ أَشْنَع. وَأَمَّا صِمَام الْبَوْل فَغَيْر صِمَام الرَّحِم. وَقَالَ اِبْن الْعَرَبِيّ فِي قَبَسه: قَالَ لَنَا الشَّيْخ الْإِمَام فَخْر الْإِسْلَام أَبُو بَكْر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن الْحُسَيْن فَقِيه الْوَقْت وَإِمَامه: الْفَرْج أَشْبَه شَيْء بِخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ، وَأَخْرَجَ يَده عَاقِدًا بِهَا. وَقَالَ: مَسْلَك الْبَوْل مَا تَحْت الثَّلَاثِينَ، وَمَسْلَك الذَّكَر وَالْفَرْج مَا اِشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْخَمْسَة، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّه تَعَالَى الْفَرْج حَال الْحَيْض لِأَجْلِ النَّجَاسَة الْعَارِضَة. فَأَوْلَى أَنْ يُحَرِّم الدُّبُر لِأَجْلِ النَّجَاسَة اللَّازِمَة. وَقَالَ مَالِك لِابْنِ وَهْب وَعَلِيّ بْن زِيَاد لَمَّا أَخْبَرَاهُ أَنَّ نَاسًا بِمِصْر يَتَحَدَّثُونَ عَنْهُ أَنَّهُ يُجِيز ذَلِكَ، فَنَفَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَبَادَرَ إِلَى تَكْذِيب النَّاقِل فَقَالَ: كَذَبُوا عَلَيَّ، كَذَبُوا عَلَيَّ، كَذَبُوا عَلَيَّ! ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُمْ قَوْمًا عَرَبًا؟ أَلَمْ يَقُلْ اللَّه تَعَالَى: «نِسَاؤُكُمْ حَرْث لَكُمْ» وَهَلْ يَكُون الْحَرْث إِلَّا فِي مَوْضِع الْمَنْبَت! وَمَا اِسْتَدَلَّ بِهِ الْمُخَالِف مِنْ أَنَّ قَوْله عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَّى شِئْتُمْ» شَامِل لِلْمَسَالِكِ بِحُكْمِ عُمُومهَا فَلَا حُجَّة فِيهَا، إِذْ هِيَ مُخَصَّصَة بِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَبِأَحَادِيث صَحِيحَة حِسَان وَشَهِيرَة رَوَاهَا عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِثْنَا عَشَر صَحَابِيًّا بِمُتُونٍ مُخْتَلِفَة، كُلّهَا مُتَوَارِدَة عَلَى تَحْرِيم إِتْيَان النِّسَاء فِي الْأَدْبَار، ذَكَرَهَا أَحْمَد بْن حَنْبَل فِي مُسْنَده، وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيّ وَغَيْرهمْ. وَقَدْ جَمَعَهَا أَبُو الْفَرَج بْن الْجَوْزِيّ بِطُرُقِهَا فِي جُزْء سَمَّاهُ «تَحْرِيم الْمَحَلّ الْمَكْرُوه». وَلِشَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاس أَيْضًا فِي ذَلِكَ جُزْء سَمَّاهُ (إِظْهَار إِدْبَار، مَنْ أَجَازَ الْوَطْء فِي الْأَدْبَار». قُلْت: وَهَذَا هُوَ الْحَقّ الْمُتَّبَع وَالصَّحِيح فِي الْمَسْأَلَة، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ بِاَللَّهِ وَالْيَوْم الْآخِر أَنْ يَعْرُج فِي هَذِهِ النَّازِلَة عَلَى زَلَّة عَالِم بَعْد أَنْ تَصِحّ عَنْهُ. وَقَدْ حَذَّرْنَا مِنْ زَلَّة الْعَالِم. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ اِبْن عُمَر خِلَاف هَذَا، وَتَكْفِير مَنْ فَعَلَهُ، وَهَذَا هُوَ اللَّائِق بِهِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ. وَكَذَلِكَ كَذَّبَ نَافِع مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَ النَّسَائِيّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ. وَأَنْكَرَ ذَلِكَ مَالِك وَاسْتَعْظَمَهُ، وَكَذَّبَ مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ. وَرَوَى الدَّارِمِيّ أَبُو مُحَمَّد فِي مُسْنَده عَنْ سَعِيد بْن يَسَار أَبِي الْحُبَاب قَالَ: قُلْت لِابْنِ عُمَر: مَا تَقُول فِي الْجَوَارِي حِين أُحَمِّض بِهِنَّ؟ قَالَ: وَمَا التَّحْمِيض؟ فَذَكَرْت لَهُ الدُّبُر، فَقَالَ: هَلْ يَفْعَل ذَلِكَ أَحَد مِنْ الْمُسْلِمِينَ! وَأَسْنَدَ عَنْ خُزَيْمَة بْن ثَابِت: سَمِعْت رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: (أَيُّهَا النَّاس إِنَّ اللَّه لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقّ لَا تَأْتُوا النِّسَاء فِي أَعْجَازهنَّ). وَمِثْله

شِئْتُمْ»[1] الخ.

جـ أما التغيير الأهم والأبرز والذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار في هذا السياق فهو إزالة الحظر المفروض على الطعام، والذي يؤكّد محمد بشأنه أنه «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا»[2] (من المثير للاهتمام أن يسوع يقول العكس تماماً عندما يتحدث عن حظر الطلاق[3]). يلغي محمد الشرع المتعلّق باللحوم في عدة مقاطع،[4] لكنه يحتفظ بجزء منه في مقاطع أخرى،[5] حيث يمكن أن نجد سابقة لهذا النص عند الرسل في العهد الجديد، الذين يُنسب إليهم الكلام ذاته تقريباً في سفر أعمال الرسل.[6] وهكذا فهو يحرّم الميتة، الدم، لحم الخنزير، وما أهل به لغير اللّه؛

عَنْ عَلِيّ بْن طَلْق. وَأَسْنَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ أَتَى اِمْرَأَة فِي دُبُرهَا لَمْ يَنْظُر اللَّه تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْم الْقِيَامَة) وَرَوَى أَبُو دَاوُد الطَّيَالِسِيّ فِي مُسْنَده عَنْ قَتَادَة عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تِلْكَ اللُّوطِيَّة الصُّغْرَى) يَعْنِي إِتْيَان الْمَرْأَة فِي دُبُرهَا. وَرُوِيَ عَنْ طَاوُس أَنَّهُ قَالَ: كَانَ بَدْء عَمَل قَوْم لُوط إِتْيَان النِّسَاء فِي أَدْبَارهنَّ. قَالَ اِبْن الْمُنْذِر: وَإِذَا ثَبَتَ الشَّيْء عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْتُغْنِيَ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ». مترجم.

(1) القرآن، 223:2.

(2) القرآن، 158:4.

(3) انظر: متى، 8:19: قَالَ لَهُمْ: ((إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. مترجم.

(4) النص: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. مترجم.

(5) النص هنا يقول: بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ وَالزِّنَا وَالْمَخْنُوقِ وَالدَّم. مترجم.

(6) سفر أعمال الرسل، 19:15 ـ 28: لِذَلِكَ أَنَا أَرَى أَنْ لاَ يُثَقَّلَ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الأُمَمِ. بَلْ يُرْسَلْ إِلَيْهِمْ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَنْ نَجَاسَاتِ الأَصْنَامِ وَالزِّنَا وَالْمَخْنُوقِ وَالدَّم. لأَنَّ مُوسَى مُنْذُ أَجْيَالٍ قَدِيمَةٍ لَهُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مَنْ يَكْرِزُ بِهِ إِذْ يُقْرَأُ فِي الْمَجَامِعِ كُلَّ سَبْتٍ)). حِينَئِذٍ رَأَى الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ مَعَ كُلِّ

والذي يضيف إليه في المقطع الأول، الْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ. ويمكن اعتبار هذه القواعد الأخيرة، بالنظر إلى الصمت التام عنها في مقاطع أخرى، «منسوخة». وفي مقطع آخر[1] محمد يذكر لحوماً بعينها والتي كانت محظورة على اليهود.[2]

الْكَنِيسَةِ أَنْ يَخْتَارُوا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ فَيُرْسِلُوهُمَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ مَعَ بُولُسَ وَبَرْنَابَا: يَهُوذَا الْمُلَقَّبَ بَرْسَابَا وَسِيلاَ رَجُلَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الإِخْوَةِ. وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ هَكَذَا: ((اَلرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ وَالإِخْوَةُ يُهْدُونَ سَلاَماً إِلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مِنَ الأُمَمِ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاساً خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَالٍ مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا النَّامُوسَ، الَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ. رَأَيْنَا وَقَدْ صِرْنَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ وَنُرْسِلَهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ حَبِيبَيْنَا بَرْنَابَا وَبُولُسَ. رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلاَ نَفْسَيْهِمَا لأَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. فَقَدْ أَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلاَ وَهُمَا يُخْبِرَانِكُمْ بِنَفْسِ الأُمُورِ شِفَاهاً. لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ. - إضافة من المترجم.

(1) القرآن، 147:6.

(2) سفر اللاويين، 3:11، 7، 27 وما بعد، و39 وما بعد. כֹּל מַפְרֶסֶת פַּרְסָה וְשֹׁסַעַת שֶׁסַע פְּרָסֹת מַעֲלַת גֵּרָה בַּבְּהֵמָה אֹתָהּ תֹּאכֵלוּ: וְאֶת־הַחֲזִיר כִּי־מַפְרִיס פַּרְסָה הוּא וְשֹׁסַע שֶׁסַע פַּרְסָה וְהוּא גֵּרָה לֹא־יִגָּר טָמֵא הוּא לָכֶם: וְכֹל הוֹלֵךְ עַל־כַּפָּיו בְּכָל־הַחַיָּה הַהֹלֶכֶת עַל־אַרְבַּע טְמֵאִים הֵם לָכֶם כָּל־הַנֹּגֵעַ בְּנִבְלָתָם יִטְמָא עַד־הָעָרֶב: וְהַנֹּשֵׂא אֶת־נִבְלָתָם יְכַבֵּס בְּגָדָיו וְטָמֵא עַד־הָעָרֶב טְמֵאִים הֵמָּה לָכֶם: וְזֶה לָכֶם הַטָּמֵא בַּשֶּׁרֶץ הַשֹּׁרֵץ עַל־הָאָרֶץ הַחֹלֶד וְהָעַכְבָּר וְהַצָּב לְמִינֵהוּ: וְכִי יָמוּת מִן־הַבְּהֵמָה אֲשֶׁר־הִיא לָכֶם לְאָכְלָה הַנֹּגֵעַ בְּנִבְלָתָהּ יִטְמָא עַד־הָעָרֶב: וְהָאֹכֵל מִנִּבְלָתָהּ יְכַבֵּס בְּגָדָיו וְטָמֵא עַד־הָעָרֶב וְהַנֹּשֵׂא אֶת־נִבְלָתָהּ יְכַבֵּס בְּגָדָיו וְטָמֵא עַד־הָעָרֶב: וְכָל־הַשֶּׁרֶץ הַשֹּׁרֵץ עַל־הָאָרֶץ שֶׁקֶץ הוּא לֹא יֵאָכֵל: كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفاً وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ وَيَجْتَرُّ مِنَ الْبَهَائِمِ فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. وَالْخِنْزِيرَ لأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفاً وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ لَكِنَّهُ لاَ يَجْتَرُّ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. وَكُلُّ مَا يَمْشِي عَلَى كُفُوفِهِ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَاشِيَةِ عَلَى أَرْبَعٍ فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَثَهَا يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ حَمَلَ جُثَثَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ. وَهَذَا هُوَ النَّجِسُ لَكُمْ مِنَ الدَّبِيبِ الَّذِي يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: ابْنُ عِرْسٍ وَالْفَأْرُ وَالضَّبُّ عَلَى أَجْنَاسِهِ. إِذَا مَاتَ وَاحِدٌ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي هِيَ طَعَامٌ لَكُمْ فَمَنْ مَسَّ جُثَّتَهُ يَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ أَكَلَ مِنْ جُثَّتِهِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَمَنْ حَمَلَ جُثَّتَهُ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِساً إِلَى الْمَسَاءِ. وَكُلُّ دَبِيبٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لاَ يُؤْكَلُ.

وأخيراً، فإن كلام محمد التالي[1] حربي بالتأكيد: «وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ». إن المقطع الذي كان في ذهن محمد هنا هو ذلك المذكور في سفر الخروج؛[2] وأولئك الذين لا يلتزمون به هم اليهود، وفي ذلك يمددون على كل الحالات الإذن بشراء الكفارة بالمال، يعطى فقط عندما يوافق الطرف المتضرّر عليه. تقول المشناه[3] ما يلي: «إذا أعمى إنسان إنساناً آخر، أو قطع يده، أو كسر قدمه، لا بد من اعتبار الشخص المصاب وكأنه رقيق مباع في السوق، فيضع له سعراً ويحسب كم كان يساوي قبل الإصابة وكم صار يساوي الآن، وما إلى ذلك».

هذه هي جميع النقاط الرئيسة التي تبين أهمية اليهودية، وجمع تلك النقاط في هذه الدراسة يعطينا دليلاً آخر على أن محمداً كانت لديه معرفة شخصية باليهودية من خلال الاطلاع على طريقة الحياة اليهودية ومن خلال التواصل مع اليهود.

حين سنأخذ بعين الاعتبار الآن مرة أخرى هذا البحث ككل، سوف نجد أنه من خلال تأسيس الحقيقة التي كان سيتم إثباتها، بمعنى أن محمداً استعار من

---

(1) القرآن، 49:5.

(2) سفر الخروج، 23:21 وما بعد: וְאִם־אָסוֹן יִהְיֶה וְנָתַתָּה נֶפֶשׁ תַּחַת נָפֶשׁ: עַיִן תַּחַת עַיִן שֵׁן תַּחַת שֵׁן יָד תַּחַת יָד רֶגֶל תַּחַת רָגֶל: כְּוִיָּה תַּחַת כְּוִיָּה פֶּצַע תַּחַת פָּצַע חַבּוּרָה תַּחַת חַבּוּרָה: וְכִי־יַכֶּה אִישׁ אֶת־עֵין עַבְדּוֹ אוֹ־אֶת־עֵין אֲמָתוֹ וְשִׁחֲתָהּ לַחָפְשִׁי יְשַׁלְּחֶנּוּ תַּחַת עֵינוֹ: וְאִם־שֵׁן עַבְדּוֹ אוֹ־שֵׁן אֲמָתוֹ יַפִּיל לַחָפְשִׁי יְשַׁלְּחֶנּוּ תַּחַת שִׁנּוֹ: وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْساً بِنَفْسٍ. وَعَيْناً بِعَيْنٍ وَسِنّاً بِسِنٍّ وَيَداً بِيَدٍ وَرِجْلاً بِرِجْلٍ. وَكَيّاً بِكَيٍّ وَجُرْحاً بِجُرْحٍ وَرَضّاً بِرَضٍّ. وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَيْنَ عَبْدِهِ أَوْ عَيْنَ أَمَتِهِ فَأَتْلَفَهَا يُطْلِقُهُ حُرّاً عِوَضاً عَنْ عَيْنِهِ. وَإِنْ أَسْقَطَ سِنَّ عَبْدِهِ أَوْ سِنَّ أَمَتِهِ يُطْلِقُهُ حُرّاً عِوَضاً عَنْ سِنِّهِ. مترجم.

(3) مشناه بابا، راما، 1:8: סמא את־עינו קטע את־ידו שבר אד־ידו רואין אותו כאלו הוא עבד נמכר בשוק ושמין כמה היה יפה רכמה הוא יפה.

اليهودية، نصل إلى فهم واضح للقرآن فضلاً عن مقاطع مفردة فيه. علاوة على ذلك، فإن حالة ثقافة العرب في ذلك اليوم، خاصة اليهود العرب، يتم توضيحها إلى حد ما، والضوء يلقى على خطة محمد وعلى قوته الفكرية ومعرفته من خلال العديد من الوثائق الأصيلة. ومن ثم ففي جمع المقاطع التي تعتبر بمثابة براهين فنحن مضطرون إلى أن نرفض مباشرة الثقة غير المدروسة التي نجد القوم يتحدّثون بها عن كل أسطورة بوصفها حلماً للتلموديين الحاخاميين؛ لأنه على الرغم من أن المؤلّف لا يستطيع ولن يؤكّد أن ما من مقطع يمسّ أطروحته أفلت منه في الأدب الحاخامي، يبقى لا بدّ من القبول به باعتباره حقيقة حتى يُثبت أن هذا أو ذاك قد تم حذفه، ومن ثمّ ففي الوقت الحاضر علينا أن نعزو إلى بعض المصادر الأخرى كلّ ما لم يثبت أنه من أصل يهودي. مع ذلك، فإنني لا أنوي بهذا أن أقول إن كل شيء والذي هو، وفقاً لأفكارنا، ميثولوجي والذي سوف يظهر له قريباً مصدر يهودي، يمكن أن يوضع على اليهودية؛ لأنه، من ناحية، ربما كان للرأي أو الأسطورة في الأصل دلالة مختلفة وقد تكون قد وصلت إلى التطوّر الحالي المفرط في فم الشعب، ومن ناحية أخرى، قد لا يكون للمصدر ذاته أهمية إلزامية، ونتيجة لذلك فهو لا يحتل المكانة ذاتها فيما يتعلق باليهودية التي يحتلها القرآن فيما يتعلق بالإسلام. يجب أن نميز بين اليهودية والآراء المستمدة من اليهود؛ لكن هذا التمييز في كثير من الأحيان بكل أسف لم يتم إما لسوء النية أو للجهل.

وها أنا الآن أقدم هذا البحث لكم، أيها القراء الكرام، وحكمكم سوف يقنعني بصحة آرائي أو زيفها، وما إذا كان عملي قد وصل إلى ما يبتغي أو فشل في غرضه.

عهد المدينة: ملحق من المترجم.

«عهد المدينة» أحد أهم الوثائق الباقية التي تشير في بعض نقاطها إلى العلاقة بين المسلمين، ممثلين بالنبي واضع العهد، وبين اليهود بشكل خاص. واعتقادنا شبه جازم بأن هذا العهد وضِع زمن محاولة محمد استجلاب اليهود إلى ديانته.

نص العهد:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.

إنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ.

الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ.

وَبَنُو عَوْف عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، كُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهِمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو النَّجّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو النَّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ.

وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ.

وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ أَوْ إثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ.

وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ.

وَإِنّ ذِمّةَ اللّهِ وَاحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ.

وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ دُونَ النّاسِ.

وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ.

وَإِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ إلّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ.

وَإِنّ كُلّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يُعْقِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ.

وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هُدًى وَأَقْوَمِهِ.

وَإِنّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسَهَا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ.

وَإِنّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيّنَةٍ فَإِنّهُ قَوَدٌ بِهِ إلّا أَنْ يَرْضَى وَلِيّ الْمَقْتُولِ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافّةٌ وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ.

وَإِنّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلَا يُؤْوِيهِ وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.و َلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.

وَإِنّكُمْ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ.

وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمَيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف.

وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

وَإِنّ لِبَنِي الشّطِيبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ.

وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ.

وَإِنّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إلّا بِإِذْنِ مُحَمّدٍ(ص).

وَإِنّهُ لَا يُنْحَجَزُ عَلَى ثَأْرٍ جُرْحٌ وَإِنّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إلّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَبَرّ هَذَا.

وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

وَإِنّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ وَإِنّ النّصْرَ لِلْمَظْلُومِ.

وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ.

وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

وَإِنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرَ مُضَارّ وَلَا آثِمٌ.

وَإِنّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.

وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ(ص) وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

وَإِنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا.

وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دُعُوا إلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنّهُمْ إذَا دُعُوا إلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إلّا مَنْ حَارَبَ فِي الدّينِ.

عَلَى كُلّ أُنَاسٍ حِصّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ الّذِي قِبَلَهُم.

وَإِنّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ. مَعَ الْبِرّ الْمَحْضِ؟ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ.

وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ لَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إلّا عَلَى نَفْسِهِ وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ.

وَإِنّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِم

وَإِنّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إلّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وَإِنّ اللّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرّ وَاتّقَى، وَمُحَمّدٌ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم».

ABRAHAM GEIGER

اليهوديّة والإسلام

ما العلاقة بين الإسلام واليهوديّة؟ هل هناك مشتركات تأسيسيّة؟ هل حقاً ثمّة اقتباس واستعارة؟ هل كان ذلك -إن وجد- ممكناً ومُتاحاً؟ دراسةٌ مثيرة يقوم بها المؤلف بحثًا عن الصلات المشتركة بين الدينين، وهي، في الوقت نفسه، جزءٌ من الصورة التي يرى فيها الآخر الدين الإسلامي، صورة عن الصراع الفكري والمعرفي بين الأديان والذي لا يقل احتدامه عن الحروب والصراعات المسلحة التي غطّت المنطقة بسبب التعصب وعدم تقبّل الاختلاف.




ISBN 978-1-7732241-5-2